

سَلام عَادل

سيرة مناضل

١

ثمينة ناجي يوسف
نزار خالد



سلام عادل
سيرة مناضل

* سلام عادل "سيرة مناضل"
* تأليف: ثمينة يوسف، نزار خالد
* الطبعة الثانية منقحة ومُزيدة 2004
* جميع الحقوق محفوظة لعلي حسين الرضي
* الرسوم الداخلية: محمود صبري

يطلب من

دار الرواد للطباعة والنشر

العراق – بغداد – شارع ابو نواس محلة / ٩٠١ ز / ١٥ بناية رقم ١٤
تلفون : ٧١٩٢٧٧٨
موبايل : ٠٧٩٠١٤٥٧٠٧٧

Available at :

AL RUAD publishing Company
Baghdad – Iraq – abu Noas street M/ 901 Z/15 Buld 14
Tel : 7192778
Mobile : 07901457077

**All right reserved for the author. No parts of this publication may be
Reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form
Or by any means; electronic, mechanical, photocopying, recording or
Otherwise, without the prior permission, in writing, of the author.**

ثمينة ناجي يوسف

نزار خالد

سلام عادل

"سيرة مناضل"

يتقدم مؤلفا الكتاب بالرجاء الى القراء الكرام،
إرسال جميع الملاحظات والاقتراحات والاضافات،
للاستفادة منها في الطباعات القادمة، على العنوان التالي:

Mrs. Nawal Naji Yousif
Email: nawalyousif@msn.com



الى سلام محادل

شعر: محمد الوهاب البياتي

جبهتك القصيدة العصماء

صمودك الشعوب وهي تكتب التاريخ بالدماء

حزبك حزب الكادحين، صانع الربيع والضياء

موتك موت البطل المَكْرَ في الهيحاء،

خلودك العراق،

وجبهة الرفاق،

أضاءت الطريق، لنا لكل الناس، يا رفيق.

فليشعل الفاشست في قلوبنا الحرائق،

ولينصبوا المشانق،

فعبّر ليل الموت والخنادق،

ستخفق النجوم والبيارق.

وتزحف الجموع في عراقنا،

تسحق بالمطارق

الجنباء القتلة

فلول ليل المهزلة.

اليك يا رفيقنا سلام

وانت في قلوبنا تنام

تضاء ألف شمعة

وفكرة.

تولد ألف زهرة.

يحج كل نائر يلقي عليك نظرة.

ففي غدٍ يبرز فجر الثورة.

الى المناضلين من اجل عراق ديمقراطي وغد أفضل
أقدم هذه السيرة النضالية،
عسى ان تفيدكم في نضالكم الشاق المقدس.

ثمينة ناجي يوسف

1

يروى هذا الكتاب، الذي بين أيدي القارئ الكريم، سيرة حياة مواطن عراقي "حسين أحمد الرضي" ولد في عام 1922 في مدينة النجف وخلال حياته القصيرة، أصبح نموذجاً للشيوعي الجيد وابناً وفيّاً للشعب العراقي وحركته الوطنية وواحداً من قادته البارزين. وعرفته الحركة الشيوعية العالمية باسم "سلام عادل".

لقد آمن سلام عادل إيماناً عميقاً بأن "الجماهير هي التي تصنع التاريخ". وأن كفاحها الواعي والمنظم هو الكفيل لوحده بصناعة تاريخها بما يتلاءم مع مصالحها وتحقيق طموحاتها الإنسانية النبيلة.

إن للفرد، مهما كان موقعه وحسب ظروفه وإمكاناته، دوره الخاص في مجرى الكفاح العام من أجل غد أفضل، وأجمل، لحياته ولكل الناس. وكلما تعمق وعيه وازداد استيعابه للظروف المحيطة به ولدروس وعبر التاريخ، وكلما انتظم عمله، كلما كان تأثيره أكبر وأشمل. وقد كان لسلام عادل أيضاً دوره الخاص الذي أداه بشرف ودفع حياته ثمناً لذلك.

إن من المفيد جداً، بل والضروري أيضاً، للمناضلين وللأجيال الشابة استيعاب دروس الكفاح ومن ضمنها سيرة حياة قادتهم الذين ضحوا بحياتهم الشخصية وأنكروا ذواتهم خلال مسيرة الشعوب القاسية، والظافرة حتماً، واستخلاص العبر والتجارب، إيجابية كانت أم سلبية، والتعرف على ظروف وتعقيدات المعارك التي خاضوا غمارها، وأساليب الأعداء في عرقلة مسيرة التاريخ.

إن ذلك ضروري جداً للأجيال الشابة، لتعميق وعيها، وبالتالي مضاعفة تأثيرها في المسيرة الظافرة نحو إقامة مجتمع العدل والمساواة وإزالة جميع أشكال الظلم والطغيان واستغلال الإنسان للإنسان، ولبناء مجتمع الاشتراكية الزاهر.

إن علاقتي القريبة من سلام عادل ومشاركتي له حياته الشخصية والنضالية طيلة سنوات عديدة تقاسمنا خلالها حلوها ومرها ستجد بالتأكيد انعكاساً لها في تناولي لحياته كإنسان ورفيق. فهو كزوج لي وأبٍ لأبنائي، عاملني معاملة إنسانية غامرة وكان خلالها مثلاً للزوج المخلص وقوة متألفة في معاملته الأبوية تجاه أبنائنا وفي التعامل مع عائلتي وحبه الصادق لها وفوزه بحبها العميق له رغم كل الظروف القاسية التي أحاطت بحياتنا المشتركة.¹

¹ - طلب مني بعض القراء بعد اصدار الطبعة الاولى التوسع في الحديث عن الصفات الشخصية والانسانية لسلام عادل...لذلك قررت اخذ بعض المقطعات من كراس سلام عادل (اكمال الهامش في الصفحة اللاحقة)

ان دوافعي الشخصية من وراء تأليف هذا الكتاب واضحة وهي مبررة من وجهة نظري، ولكنها ليست هي الدافع الأهم والأول إذ أنني، كعضو في الحزب الشيوعي العراقي منذ نصف قرن أجد نفسي أمام مسؤولية كبيرة تجاه الشيوعيين وأبناء شعبنا العزيز وأنا أتناول، من خلال استعراض سيرة سلام عادل، جزءاً هاماً من تاريخ الحركة الوطنية وفصيلها المناضل الحزب الشيوعي العراقي، بأن التزم النهج الموضوعي والأمانة التاريخية وهو الدرس الذي علمني إياه الحزب وسلام عادل. هذا النهج الذي اعتمدته في عمله وهو يناضل في صفوف الحزب وقيادته. وقد لمست ذلك على ارض الواقع في سلوك سلام عادل عندما كان يعالج المهمات اليومية للحزب ويحلل تجارب منظماته، التي عمل فيها عضواً أو مسؤولاً، ويستخلص منها الدروس المفيدة للنضال اللاحق.

ولابد لي من ان أسجل بكل أمانة بأنه لم يكن ينسب لنفسه أية إنجازات كانت تتحقق في غمرة العمل حتى وان كانت بمبادرة منه. كان يتحدث دائماً عن منجزات الحزب والمنظمات ورفاق النضال وكان دائماً يعتبر نفسه المسؤول الأول، وهو محق في ذلك، عن الأخطاء والنواقص.

ولهذا السبب وجدت صعوبة كبيرة، إضافة إلى الحرج، في تحديد مؤلفاته وكتاباته التي أنجزها بنفسه وذيلها أو نشرها باسم الحزب أو إحدى هيئاته القيادية وفقاً لصلاحياته النظامية

ان حجم وصعوبة المهمة التي واجهتني في إعداد هذا الكتاب كانت كبيرة في عمقها وأبعادها ومما زاد في صعوبتها، إنني لم أمتلك موهبةً كتابية أو ملكةً أدبية تساعدني في تصوير الأحداث وعكسها بصورة أكثر دقة للقارئ الكريم.

كان لابد لي من اللجوء إلى رفاق سلام عادل لمشاركتي في إعداد هذه الصورة وعكسها بأقصى ما يمكن من الموضوعية والأمانة التاريخية وقد أجريت أكبر قدر ممكن من اللقاءات والمناقشات مع رفاق سلام عادل واستعنت بصورة خاصة بالمقابلات والتسجيلات الصوتية التي أعدت لغرض إنتاج فلم سينمائي عن سيرة حياته وكذلك لجأت إلى دراسة كل ما تسنى لي الحصول عليه من إصدارات عن الأحداث السياسية المتعلقة بموضوع هذا الكتاب.

ولم أقتصر على إصدارات الشيوعيين وأصدقائهم، بل سعت للحصول على ما سطره قادة ومناضلو الحركة الوطنية العراقية من مختلف الاتجاهات السياسية والفكرية وتناولت بالدرس والتمحيص بروح ناقدة، قدر الإمكان، جميع الوثائق التي استطعت الحصول عليها بمساعدة المنظمات الحزبية في الداخل والخارج والرفاق والأصدقاء ومن ضمنها ما كتبه أعداء الشيوعية، بل وحتى منشورات وإصدارات

الذي اصدره الحزب بعد انقلاب شباط الذي يضم ذكريات بعض الرفاق الذين عملوا معه وعرفوه عن قرب، والتي تعطي صورة موضوعية لمطلب القراء.

جلادي الحزب وقتلة الشهيد سلام عادل.

لقد كشفت لي تلك الدراسات والمقابلات والمناقشات التي استغرقت أكثر من ربع قرن من العمل بأن ما عرفته من خلال حياتنا المشتركة كزوجين ورفيقين ما هو إلا جزء من حياة أكثر غنى وأعمق محتوى عاشها الشهيد سلام عادل.

كان من الصعب، بل ومن المستحيل أيضاً أن أتوصل إلى ما يجده القارئ الكريم بين يديه دون المساهمة الفعالة والنشطة والدؤوبة لرفاق الدرب وأصدقاء الحزب وتشجيعهم ولهذا لا بد لي من التأكيد على أن جهدي هو جزء من جهود أولئك الرفاق والأصدقاء، معربة، لهم جميعاً، عن عميق شكري وامتناني لمساهماتهم الفعالة والرئيسية في إعداد سفرنا هذا.

ثمينة ناجي يوسف

ملاحظة:

تساءل بعض القراء عن طبيعة دور نزار خالد في التحليلات السياسية والوقائع التاريخية الواردة في الكتاب. وفي الحقيقة، فأني والوثائق وشهادات الرفاق المعاصرين للأحداث، المصدر الأساسي لكل ما ورد في الكتاب.

أما دور نزار خالد، فإن نقاشنا التفصيلي لكل الوقائع، كان مهماً، لأنه سهّل عليّ عرضها وقد كان يقوم بالصياغة، لأعود وأوافق على كل تفاصيلها. ولقد كانت مساهمته مهمة جداً في صدور الكتاب.

نهاية بطولية مجيدة...! ليل التاسع عشر من شباط 1963:

والوحش الفاشي ما يزال منذ يوم انقلابه المشؤوم في الثامن من شباط، يزرع الموت والخراب في كل بيت وزاوية، في كل منعطف وشارع... امتدت مخالبا هذا الوحش الغادر إلى سلام عادل، فانتزعته من أحضان حزبه، من مكانه على دفة السفينة التي ما فتأت تشق طريقها في العباب الهائج المدمر...

وبعده ولمدة ليال طويلة مثل الدهور، ظلماء مثل الجحيم – عاشها سلام عادل يقاسي أهوال العذاب:

امتحنوا إرادته فما فلت... وإختبروا عقيدته فما تزعزت...

انتقلوا على جسده الفتى النحيل... ساطوه بالهراوات حتى أدموه... علقوه من ساقيه، أوقعوه مغشيا عليه... قطعوا من لحم ساقه وذروه بالملح... كسروا عظامه... ساموه سوء العذاب – فما لان ولا تهادن.

طوحوا به في السرايب الظلماء ل (قصر الرحاب) أياما وليال... مطروحا في مياهها الباردة الأسنة، مقيدا عاريا... حرموا عليه الأكل والشرب والمنام... أذاقوه كل لون وكل صنف من صنوف العذاب.

لم يبقوا في جسده مكانا تمتحن به بطولة وإرادة الإنسان الشيوعي إلا وسلطوا عليه آلات تعذيبهم الجهنمية...

وإمتدت أياديهم الآثمة إلى عينيه النافذتين الجريئتين... ضغطوهما بالأصابع وعصروهما بالآلات حتى نزف منهما الدم وسال منهما ماء الرؤيا... أفقدوه نعمة البصر، حرموه من عينيه التي كان يستشف بهما آفاق النضال ويبصر بهما جمال الحياة...

أيام وليال، طويلة مثل الدهور، ظلماء مثل الجحيم... ومع ذلك ظل قلب سلام عادل ينبض بالإيمان والحياة والصمود.

وكلت أيدي الجلادين، فعزموا على إسكات هذا القلب الجسور بشر الوسائل:

طرحوه أرضا، مهشما، مشوها، بقية من إنسان كبير كان بالأمس ملء الأسماع والقلوب... وسيروا فوقه مدحلة حديدية ضخمة، سحقته جسده النحيف وخنقت قلبه الكبير...

على هذه الصورة الهمجية... بهذه الوسيلة البربرية انتهت حياة البطل الشهيد سلام عادل، في ليل الخامس من آذار 1963.

حياة بطولية حافلة بالأمثر امضاها سلام عادل وهو يصنع الحياة للناس، وها هو يهبها اليوم بسخاء من أجل الناس.

قد يستغرب القارئ الكريم من كوني استعمل اسم سلام عادل بدلاً من اسمه الحقيقي (حسين).

ان اول الاسباب، هو انني لم اتعود على استعمال اسم حسين في حديثي، ففي بدء تعارفنا كنت ادعوه (استاذ حسين). وبعد ان توطدت علاقتنا اصبحت اناديه بـ (ابا علي). وبعد ميلاد ايمان اصبحت ادعوه (ابا ايمان)، كما يدعوه الآخرون.

والسبب الآخر، والاهم هو انني سأكرر اسمه كثيراً في هذا الكتاب، وسيصعب عليّ استعمال اسمه المجرد، واطن ان القارئ سيفهمني.

المستعملة في الكتاب:

- (ل.م): اللجنة المركزية للحزب.
- (م.س): المكتب السياسي
- (سلم): سكرتارية اللجنة المركزية.
- (حشع) (ح.ش.ع): الحزب الشيوعي العراقي.
- (ر.و): رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم.
- (ح.ش.أ.س): الحزب الشيوعي السوفيتي.
- (لتخ): لجنة تنظيم الحزب خارج العراق.
- (لتم): لجنة التنظيم المركزي في الداخل.
- (لتقم): لجنة التنظيم الفلاحي.
- (لم بغداد او اي مدينة اخرى): اللجنة المحلية لتلك المدينة.
- (جماعة ابو صالح): لجنة التنظيم العسكري.
- (م) او (محمود): موسكو.
- (ص): الحزب الشيوعي الصيني. الا انه في بعض المحاضر المقصود به حميد عثمان (صابر).

ملاحظة: لقد اجرينا تغييراً على ما جاء في الطبعة الاولى منه اختصار بعض الوثائق المهمة، الا اننا وضعنا الوثيقة بنصها الاصلي، في الملحق في نهاية كل جزء من الكتاب.

الاسماء الصريحة للرفاق الواردة اسمائهم الحزبية في المحاضر:

فهد - يوسف سلمان
عمار، سلام عادل- حسين احمد الرضي
جبار- جمال الحيدري
نعمان - محمد صالح العبلي
محمد - عامر عبد الله
نهاد - بهاء الدين نوري
ثامر- محمد حسين ابو العيس
مخلص - عزيز محمد
علي - جورج تلو
رشيد - عزيز الشيخ
حارس - شريف الشيخ
سعيد - صالح دكلة
قسم - ثابت حبيب العاني
حسن - هادي هاشم الاعظمي
شلال - عبد الامير عباس

يقول سلام عادل في البيان الذي اصدره الحزب في الذكرى الرابعة لانتصار ثورة تموز:

"منذ عهد السيطرة العثمانية ومن بعدها الاحتلال البريطاني ناضل شعبنا بعربه واكراده، في سبيل التحرر، ومن اجل تأمين حقه في تقرير مصيره بنفسه، وطوال أكثر من 40 عاماً خاض شعبنا العراقي الابي معركة وطنية مستمرة ورغم ان ثورة العشرين الوطنية الكبرى لم تحقق كامل أهدافها، الا ان الانكليز اضطروا في أعقابها الى الاعتراف بالعراق باعتباره كيان دولة مستقلة اسمياً.

وفي الفترة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية اندلع النضال الشعبي في فترات مختلفة، وكذلك نُفذ عدد من الانقلابات. وكان جوهر هذه النضالات الشعبية هو تحويل الاستقلال الاسمي الى استقلال فعلي وضد الاسترقاقية التي تسلب الاستقلال محتواه الحقيقي. وبمقدار ما كان هذا النضال الوطني يصطدم بمقاومة الاستعمار وعملائه القدامى والملتحقين بهم آنذاك فان الضرورة والوعي المتنامي كان يرشد الحركة الوطنية نحو إثارة الجماهير الشعبية الواسعة لزعجها بالكفاح لدحر تلك المقاومة الاستعمارية.

ولقد كان هذا النضال يصطدم بدوره بالإرهاب والدكتاتورية التي فرضها النظام الملكي وأعوان الاستعمار الآخرين. ولذا فأن النضال من اجل تحويل الاستقلال الاسمي الى استقلال فعلي امتزج بصورة عضوية مع النضال من اجل الحقوق والحريات الديمقراطية للجماهير.

وخلال الحرب العالمية الثانية وفي اعقابها مباشرة كان الطرف الدولي عنصراً مساعداً أدى الى التسريع في هذا التفاعل. فعلى خلاف الحرب العالمية الأولى ذات الطابع الاستعماري فأن الحرب العالمية الثانية اكتسبت منذ بدايتها طابعاً تحريراً أصبح أكثر قوة ووضوحاً بعد الهجوم الهتلري الغادر على الاتحاد السوفيتي، بلد الاشتراكية الاول وحصن السلام والحرية في العالم. لقد خاضت جميع شعوب العالم نضالاً بطوليا ضارياً ضد النازية والفاشية باعتبارها النقيض الأشد شراسة لحرية الشعوب ولحقوقها الديمقراطية. وجراء هذا النضال شهد العالم بأجمعه تنامياً سريعاً ومتعمقا للوعي الشعبي في كل مكان.

وبمثل هذه الصفات تميز نضال شعبنا خلال وبعد الحرب العالمية الثانية، والذي بدأ جلياً وواضحاً في وثبة كانون 1948 التي امتزجت فيها الأهداف الوطنية ضد معاهدة بورتسموث بسائر مطالب الشعب الديمقراطية. ومنذ تفاقم التهديد الاستعماري بشن حرب عالمية بقيادة الولايات المتحدة، ربط المستعمرون بشكل او ثقل بين

اغراضهم في استمرار استعبادهم للشعوب وبين استراتيجيتهم الحربية التي أعدت لمهاجمة الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الاخرى، فالمعاهدات الاستعمارية الاسترقاقية القديمة أخذت تحل محلها أحلاف عسكرية تستهدف ليس استمرار السيطرة على البلدان التابعة وحسب، بل وكذلك استنزاف مواردها واستغلال اراضيها لإقامة قواعد عسكرية اريد منها ان تكون منطلقاً في حرب عدوانية غادرة، هي تماماً ضد مصلحة شعوب هذه البلدان في الحرية والسلم والتقدم. ان انتفاضة تشرين 1952 كانت تعبيراً واضحاً لامتزاج اهداف نضال الشعب ضد الاستعمار وفي سبيل حرياته الديمقراطية، بأهدافه ضد حلف الشرق الاوسط العسكري العدوانى الذي اريد فرضه على البلاد آنذاك.

ان مطالبة الشعب بحكومة وطنية ديمقراطية، في هذه الانتفاضة وارتفاع شعارات المطالبة بالجمهورية، كانت دليلاً على تعمق الوعي الشعبي، وعلى تبلور اهداف الفترة المقبلة للحركة الوطنية.

ان قيام حكم وطني معادي للاستعمار في سوريا وفي مصر ونضالهما ضد الاحلاف العسكرية الاستعمارية واندلاع الثورة الجزائرية قد رفع حركة التحرر الوطني ليس في هذه البلدان فحسب، بل في كل البلدان العربية، الى مستوى جديد.

ولقد بلغت هذه الحركة أوجها في النضال الفعال، وعبرت عن تضامنها الراسخ خلال وبعد العدوان الاستعماري الصهيوني الغادر على مصر.

كما ان موقف الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الاخرى في دعم كفاح الشعوب العربية بصورة ثابتة، والذي تطور حتى أصبح عنصراً حاسماً في رد كيد المستعمرين خلال العدوان على مصر قد ربط كفاح الشعوب العربية ضد الاستعمار وعملائه وضد الصهيونية، كما ربط الكفاح الوطني في كل بلد عربي بالكفاح من اجل اقامة وتوطيد علاقات الصداقة والتعاون النزيه مع الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الاخرى.

ومن هنا يمكن ان نلاحظ بان انتفاضة الشعب العراقي الجبارة عام 1956 قد جرت تحت شعارات جذرية في التحرر من الاستعمار واستكمال الاستقلال السياسي والاقتصادي ومن اجل السلم والتحرر من حلف بغداد والاتفاقية البريطانية، والخروج من منطقة الاسترليني وضد الاقطاع ومن اجل الصداقة والتعاون مع البلدان الاشتراكية.

ان هذه الشعارات لم تتبلور آنئذ باعتبارها شعارات حزب او فئة معينة، بل تبنيتها بوجه عام مختلف الاحزاب والقوى الوطنية، كما تبنيتها الجماهير الشعبية باعتبارها تدل على الطريق النقيض الصحيح الوحيد للحكم الملكي الاستعماري الاقطاعي، لقد عبر كل ذلك عن نفسه بقوة في انبثاق جبهة الاتحاد الوطني التي ضمت كل الاحزاب الوطنية تقريباً وفي ميثاقها التاريخي العتيد الذي نشر واذيع في حينه بنطاق واسع.

وعلى اساس هذه الجبهة وميثاقها كانت تجري تعبئة القوى والعناصر الوطنية الحزبية وغير الحزبية وبين الشعب والجيش.

ان الحركة الوطنية التي تنامت آنذ في الجيش لم تكن بمعزل عن تنامي الحركة الوطنية بين الجماهير الشعبية بقيادة جبهة الاتحاد الوطني. وسواء استندنا الى الوثائق او الى المحادثات الكثيرة التي جرت آنذاك او استندنا الى تشابك الواقع الموضوعي والذاتي فإننا نجد ان الحركة الوطنية في الجيش كانت هي الاخرى تجمع قواها على اساس ذات الاهداف الوطنية الكبرى التي تبنتها جبهة الاتحاد الوطني وجماهير الشعب.

وفي الرابع عشر من تموز 1958 تكلل نضال الشعب العراقي بإسقاط النظام الملكي واقامة الجمهورية العراقية.

سلام عادل

بطل من حزبنا... من صميم شعبنا...

عشنا معه... شاطرناه مسرات العمل لخير الناس... تقاسمنا وإياه فرحة الآمال ومشاق النضال... على الدروب الوعرة سرنا معه، وتحت قيادته نحو الأفق الوردي: أفق الحرية، والاشتراكية، والشيوعية...

عبر الأهوال والصعاب، قاد سلام عادل سفينة الحزب إلى الأمام...

وفي قلب الإعصار الأسود، وقف شامخاً يزود عن حرية الكادحين، عن خبز الجياع، عن كرامة الحزب وأفكار الشيوعية العلمية الظافرة...

لم يرد لرأية الحزب ان تهوى تحت أقدام البرابرة الفاشست...

غرزها في قلبه الجسور، لتبقى شامخة راية فهد وحازم وصارم... راية الحزب الشيوعي العراقي المقدام.

رجل من صميم الشعب... عاش تجربة الجماهير المحرومة. وفي قلبه المفعم بالإيمان والبسالة حمل هموم الملايين...

معه عملنا... ومنه تعلمنا كيف تصنع الحياة وكيف توهب...

من أجل الوطن، لخير الشعب، لسعادة الكادحين، عاش سلام عادل...

من أجل الحرية، في سبيل الديمقراطية، من أجل المثل العليا للشيوعية... إستشهد

سلام عادل...

للناس، ومن أجل الناس... للحياة والسعادة والسلام على الأرض عاش ومات سلام
عادل...

رمزاً خالداً للبطولة والبسالة والفداء...
مشعلاً وهاجاً على درب الحرية والانتصار...

جماعة من الشيوعيين العراقيين

من كراس (سلام عادل)

ولد حسين أحمد الرضي عام 1922 في مدينة النجف، وهي مدينة مقدسة لدى المسلمين وذات تقاليد دينية عريقة.

أبوه السيد أحمد، كان يملك دكاناً صغيراً اضطر لتركه بسبب كساده التجاري وعمل اجيراً، بصفة كاتب في مطحنة آل عجينة براتب شهري قدره ثلاثة دنانير.

كان للسيد أحمد عائلة كبيرة من الاولاد والبنات فقد ولدت له زوجته الاولى ثلاث بنات وثلاثة أولاد. أما زوجته الثانية فقد ولدت له إثنين من البنات وثلاثة أولاد اكبرهم حسين.

وعلى الرغم من كبر هذه العائلة فقد حرص السيد أحمد على تعليم أولاده وأرسلهم جميعاً الى المدرسة. وكان بنفس الوقت يشجعهم على العمل لدى بعض الاقارب أو المعارف خلال العطلة الصيفية، مستهدفاً من وراء ذلك، ان يتعرفوا على شؤون الناس واحوالهم وطبائعهم والتدرب من الصغر على العمل والتجارة. وذلك مما ساعدهم لاحقاً في النمو المبكر لشخصياتهم وحبهم للعمل وامتلاكهم خبرة مبكرة في التعامل مع الناس.

ان ولوج سلام عادل ميدان العمل مبكراً واحتكاكه بالناس قد انعكس على شخصيته فتميز من بين أقرانه بقوة الملاحظة والصبر والهدوء والتواضع والاستماع الى آراء الناس واحترامها.

كان سلام عادل الوحيد من بين اخوته الذي استطاع اكمال دراسته المتوسطة (الصف التاسع) مما أهله لدخول دار المعلمين الابتدائية في العاصمة بغداد ويصبح معلماً بعد اكمالها. أما اخوانه فقد اضطرتهم الظروف المعيشية الصعبة لعائلة كبيرة الانقطاع عن الدراسة قبل الصف التاسع، والانصراف الى العمل فأصبحوا حرفيين يساهمون في إعالتها.

كان سلام عادل يعتز بعائلته كثيراً، ويحب اخوانه واخواته حبا جما ويشعر بالفخر بأنهم استطاعوا ولوج العمل، بصورة مبكرة ونجاحهم فيه باعتمادهم اساساً على كدحهم وجهودهم وهو ما غرزه فيهم والدهم السيد أحمد.

واتذكر ان سلام عادل عندما قدم نفسه الى عائلتي طالباً يدي قائلاً:

"أنا من بيت محترم، ومن عائلة اعتز بسمعتها."

وبعد معرفتي بهذه العائلة الكريمة، وجدتها كما وصفها لي، فهم أناس عرفوا بشرف كلمتهم، إذا وعدوا أوفوا وإذا قالوا فعلوا. يتميزون بطيب المعشر وحسن

الضيافة وينعمون بحب الناس لهم، وهم محبوبون للناس، أوفياء يصارعون شقاء الحياة وتعبها بالمرح والمزاح، وهم مثال للأخلاق، يفتحون بيوتهم للزائرين على الرحب والسعة ويساعدون من يحتاج إليهم.

أما البنات، أخوات سلام عادل فكن نعم الزوجات المحبات لأزواجهن، وقد ربين أولادهن وبناتهن على الخلق الذي شبين عليه. وعرفت العائلة، من أبناء وبنات وأحفاد بالتميز بالذكاء الحاد، فمثلا كانت فطم أخت سلام عادل الصغرى وأحب أخواته الى نفسه لا تعرف القراءة والكتابة، لكنها تعلمت الرسم من اخوانها الرسامين فتميزت برسم "بصمات" التطريز لنساء المحلة اللواتي كن يطلبن منها رسم تلك الرسومات على الشراشف وغيرها لتطريزها.

وظلت "أم حسين" تلازم عمي وتحيطه بالرعاية والحنان طيلة فترة زواجهما. والغريب أنها فارقت الحياة بعد وفاته بأسبوع واحد، وكانت مثالا في الوفاء والحب لزوجها. وعاش الزوجان قصة حب مثالية، وكان سلام عادل يمازحني قائلا: "سنعيش كلانا كما عاش سيد أحمد ومكية متحابين حتى نهاية عمريهما ونقضي عمرينا معا".

وقد كانا فخورين بابهما سلام عادل، وعندما كانا يحلان ضيفين علينا في بغداد بعد ثورة الرابع عشر من تموز "يوليو" تقرأ الخالة "أم حسين" افتتاحية جريدة اتحاد الشعب، لعمي الذي ضعف بصره قائلة له: اسمع ما كتبه حسين، وعمي يشرح لها ما تقرأه.

مرض عمي مرضا شديدا بعد استشهاد سلام عادل عام 1963، واعتقد الجميع بأنه سيموت لامحالة لشدة مرضه، ولكن الدكتور الطيب الذكر، والشخصية الشيوعية المعروفة خليل مرزا جميل لازمه طوال فترة مرضه، ولم يتركه وحيدا لحظة واحدة، فتمكن عمي من عبور الازمة والشفاء من المرض وعاش حتى بلغ التسعين من العمر.

كان سلام عادل، وهو طفل يحب اللعب مع أقرانه، ومن ذكرياته عن الطفولة يتحدث باعتزاز عما حصل له في أحد الايام. عندما أصطحبه أحد أقاربه من الشباب وهو طفل في الخامسة من عمره، لمشاهدة لعبة "المكاسير" وهي لعبة بين مجموعتين من الاطفال تمثل كل مجموعة محلة من المحلات السكنية. وتقوم بينهما "حربا" وهمية تكون فيها الاحجار بمثابة القذائف و"المعجال" بدل المنجنيق (سلاح قديم ترمى بواسطته الاحجار على العدو قبل اختراع المدفع).

وصادف ان أشرت في تلك اللعبة شاب متخلف عقليا أداها بصورة خاطئة فأصاب حجره رأس سلام، وهو مشاهد فحسب، وشج رأسه وسالت الدماء غريزة مما أربع ذلك الشاب فتوجه الى سلام الصغير متوسلا بأن لا يشي به لأهله خوفا من العقاب، ووعده سلام بذلك ونفذ وعده رغم الاحاح الشديد لكشف اسم الفاعل.

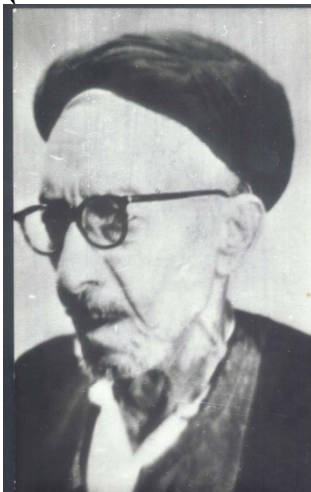
لقد روى لي سلام ذلك، عندما رأيت آثار جرح عميق على رأسه سائلة عن السبب وعلق باسماء: كان ذلك صمودي الاول.

وجد الادب صدى عميقاً في نفس سلام عادل منذ نعومة أظفاره، وأحب حصته من بين المواد الدراسية الأخرى. وتعلق بالشعر وحفظ منه الكثير، واستفاد من مدرسيه الذين علموه الأدب والشعر في اثناء الدراسة. وإن لم يتمكن من شراء الكتب والمجلات في يفاعته لظروف عائلته الاقتصادية الصعبة. وأحب الرسم والخط ومارسهما، لكن عمله الحزبي أخذه منهما، وظل متعلقاً بهما طوال حياته ينشر للوحة الجميلة، ويهفو لممارسة الخط الذي تعلم أنواعه. وتتصف الطريقة التي تعلم بها سلام عادل الخط بالطرافة، فقد كان أطفال الحي يتعلمون الخط على الصفائح اقتصاداً في الورق، فبرز سلام عادل من بينهم في الخط بأنواعه، وعمل خطاطاً بمدينة النجف بعد فصله من التعليم في عام 1946، وخط اللوحات الجميلة التي حملت أسماء المحال وأصحابها. وعندما فتح محلاً لبيع المأكولات للعمال، في بغداد بعد فصله من التعليم، علق على بابهِ لوحة حملت أسم ذلك المحل، ورسم منظراً طبيعياً أخاذاً، وكتب في زاوية من اللوحة، الرسام والخطاط حسين الرضي ليعلن عن عمله بهذه المهنة.

كان المسرح عالماً أخاذاً لسلام عادل منذ بواكير طفولته. واعتقد ان حبه للمسرح يعود الى "التشابيه" التي كانت النجف تعج بها أيام عاشوراء وتمثل استشهاد الإمام الحسين وعدد من آل بيته مصورة واقعة الطف. ولقد خلب المسرح لب سلام عادل عندما عرضت مسرحية في مدرسته، وربما كانت أول مسرحية له تلك التي أخرجها في بيت العائلة، فقد بنى مسرحاً بسيطاً، وكان الممثلون وعمال المسرح في هذه المسرحية هم أخوته وأصدقاؤه. والغريب ان الجيران وأبناء المحلة توافدوا الى هذا المسرح لمشاهدة المسرحية التي أخرجها ومثل فيها سلام عادل. وكما ذكرت فأن سلام عادل أحب الشعر ونظمه، ولا يعرف كثيرون انه هو الذي وضع جزء من كلمات نشيد الجمهورية مع الشاعر زاهد محمد كما ذكر ذلك زكي خيرى في مذكراته حيث جاء فيه:

وأذلوا الموت كي تزهر الحياة الى الأمام الى الأمام

وكانه ينتبأ فيه بطبيعة صراعه مع الموت في قصر النهاية، بعد انقلاب شباط "فبراير" عام 1963.



صورة لسلام
عادل في
شبابه في دار
المعلمين
الابتدائية

السيد احمد
الموسوي
والد الشهيد
سلام عادل



5

والذي هو المحامي والتربوي ناجي يوسف، ولد في مدينة النجف وتربى فيها، وقد عاش في طفولته حياة صعبة لفقده أبيه، الذي كان تاجر قماش، إثر إصابته بالسل، وكان عمر أبي حينذاك عاما واحدا فقط. وأصيب زوجته (جدتي ثمينة) بالسل أيضا، فماتت وهي شابة صغيرة لم يتعد عمرها عشرين عاما وتركت ابنها ناجي (أبي)، بعد أن أوصت خالتها (أسماء) بأن تتعهد أبي بالتربية والرعاية ولا يتولى أحد غيرها من الأقرباء تربيته ورعايته.

تفانت جدتي أسماء في رعاية والدي، وهي التي تزلت منذ زمن مبكر. وفقدت أيضا طفلها بسبب مرض الحصبة المعدي، لذلك توجهت بحنانها كلية إلى أبي. اعتبرت عوائل السادة في النجف، آنذاك، دخول الأطفال إلى المدرسة بدعة. ولما كان لجدتي أسماء أخوات يعشن في بغداد ومتزوجات من رجال ينتمون إلى عوائل معروفة ومنها آل كبة، ولهن أبناء في المدارس، فقد قررت إدخال أبي سرا إلى المدرسة.

والطريف أن جدتي أسماء عندما كانت تأخذ أبي إلى المدرسة، فإنها تقوم في الزقاق الضيق (الدربونة) المؤدي للمدرسة بتغيير ملابسه إذ تستبدل العمامة والدشداشة بالسدرة والسترة مع بنطلونه الذي يكون تحت الدشداشة ثم تعود بعد انتهاء دوام المدرسة، تلبسه إياهما من جديد خوفا من أن يعرف الأقارب بدخول والدي إلى المدرسة فقد كانت تقول لهم بأنه يتعلم عند الملة... وهكذا لمدة عامين.

أظهر أبي تفوقاً وطموحاً كبيرين في الدراسة. وبعد أن أنهى الدراسة الابتدائية والمتوسطة انتقلت جدتي به من النجف إلى بغداد لإكمال تعليمه، وأسرت بتزويجه من أمي وهو طالب في الثانوية.

دخل أبي كلية دار المعلمين العالية وتخرج من قسم الفيزياء والرياضيات فيها. وعين في مدينة النجف مدرسا في الثانوية وهو لا يزال شابا صغيرا.

ولدت في عام 1931، وكنت طفلة صغيرة عندما انتقلت عائلتنا إلى النجف بعد تعيين أبي مدرسا في ثانويتها.

تقدم أبي بسرعة في سلم التعليم لندرة اختصاصه حينذاك، ومعاملته التربوية الطيبة لطلابه ولتعلقهم به. وأصبح عدداً كبيراً من تلاميذ أبي من الشخصيات البارزة. وتميز أبي بشخصية قوية وطبيعة دمثة، إضافة إلى الكفاءة والجدية في عمله الوظيفي، فتطور بسرعة من مدرس إلى معاون مدير ثانوية محافظة الديوانية ثم إلى مفتش في محافظة الحلة، فمعاون مدير معارف في محافظة الديوانية، بعدها مدير معارف محافظة الناصرية. ومنذ ذلك الوقت، وأعتقد منذ عام 1934 أو 1935، شغل وظيفة مدير معارف إلى عام 1946، فكان تربويا كفواً وموضع احترام الشخصيات البارزة، وله أصدقاء كثر في جهاز التعليم.

في عام 1941، أصبح أبي مدير معارف لواء "محافظة" العمارة، وبعدها بعامين

شغل سعد صالح الشخصية الوطنية المعروفة منصب متصرف تلك المحافظة. وعرف سعد صالح بأنه مثقف وشاعر ذكي، وطني الفكر والتوجه، قوي الشخصية، نزيه الى أبعد الحدود، كان سعد يمثل الفكر الليبرالي في المسيرة الوطنية آنذاك، ولعب دوراً مميزاً في تاريخ العراق السياسي، عندما أصبح وزيراً للداخلية، في عام 1946، فقام بإطلاق الحريات الديمقراطية واجاز الاحزاب...الخ. ولقد ارتبط معه والدي بوشائج صداقة متينة حتى وفاة سعد صالح في عام 1948. الا ان والدي كان من بين اللذين دفعوا ثمن تقاربهم الفكري والسياسي مع سعد صالح. ومن المناسب هنا ان اذكر للقارئ الكريم قصة ذلك:

كان سعد صالح وصالح جبر اثناء دراستهما في كلية الحقوق صديقين يضرب بصداقتهما المثل. وكدليل على قوة هذه الصداقة ومتانتها، فان اول طفل أنجبه صالح جبر اسماه سعد، وأول طفل ولد لسعد اسماه صالح "وقد توفي طفلاً".

وقد تميز الاثنان وقتها بالوطنية والكفاءة والنزاهة ولم يتلم من سمعة صالح جبر أي شيء حتى عام 1941، ففي هذه السنة شغل صالح جبر منصب متصرف محافظة البصرة، وعندما حدثت حركة عام 1941 هرب الوصي عبد الإله الى الديوانية أملاً في مساعدة الفرقة الاولى التي كانت هناك، الا ان الفرقة الاولى تمردت على أمر اللواء. ورغم صغر سني، لا ازال اتذكر تلك الاحداث، فقد أنذر متصرف الديوانية أحمد السوس، وهو من مدينة كربلاء، أمر اللواء عندما علم بوجود عبد الإله في بيته. وهدده بالاعتقال إذا بقي عبد الإله يوماً آخر، عندئذ اتصل أمر اللواء بصالح جبر طالباً مساعدته لإنقاذ الوصي، فقال له صالح جبر: أوصله إليّ، وانا سوف أنقذه. فانتقل الوصي الى البصرة ليتسلمه صالح جبر، ويقوم بإخراج الوصي عبد الإله من العراق بزورق بخاري صغير. وعاد بعد أقل من شهرين مدعوماً من الجيش البريطاني الذي احتل العراق مرة أخرى، وظل فيه حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. اما صالح جبر فقد أصبح أحد اقطاب الحكم.

أثر هذه الحادثة انقطعت العلاقة بين سعد صالح وصالح جبر واشتعل العداء بينهما والاثنان يشغلان منصب المتصرف للواءين مهمين. فكر صالح جبر بالانتقام من سعد صالح بعد استيزاره كوزير للداخلية في أثناء الحرب العالمية الثانية، الا انه وجد صعوبة في تحقيق هدفه بسبب نزاهة سعد صالح. ووجد ضالته في طريقة اخرى للانتقام منه من خلال إيذاء أصدقائه وحالتهم على التقاعد أو نقلهم الى درجات وظيفية أدنى. فبدأ بحسن وجه وحسن الاسدي ثم جاء دور أبي الذي تسلم أمراً بالنقل في منتصف العام الدراسي من مدير معارف محافظة العمارة وهي وظيفة مرموقة، الى مدرس في دار المعلمين الابتدائية في بغداد. وعُد هذا النقل ضربة مفاجئة وغادرة لأبي.

سافرنا من العمارة الى بغداد والوقت وقت حرب، والظروف الاقتصادية صعبة جداً. وعندما وصل أبي الى بغداد عمل كمدرس في دار المعلمين الابتدائية، مما أخرج

مديرها لأنه يعرف وظيفة أبي السابقة وكفاءته، رغم محاولة أبي التخفيف من الحرج الذي يشعر به المدير.

بعد الضربة التي تلقاها أبي، نقل سعد صالح من العمارة الى بغداد كنائباً في البرلمان عن محافظة الديوانية. وفي إحدى اجتماعات البرلمان، سأل سعد صالح بلباقته المعروفة وزير المعارف العمري "اعتقد مصطفى" عن سبب نقل ناجي يوسف الكفوء ومفخرة المعارف من مدير معارف محافظة العمارة الى مدرس في دار المعلمين الابتدائية، ارتبك الوزير لأنه لم يعرف بماذا يجيب، واكتفى بتمتمة غير مفهومة، فكل ما هناك ان أمراً صدر إليه من وزير الداخلية صالح جبر بنقل ناجي يوسف فأصدر هو أمراً بذلك دون دراسة الموضوع أو الاستفسار عنه. وعندما لاحظ سعد صالح ارتباك الوزير، ضحك وقال:

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة وان كنت تدري فالمصيبة أعظم

ضج النواب بالضحك. ونشرت بعض الصحف والمجلات كالوادي، والرأي العام لصاحبها الشاعر محمد مهدي الجواهري صديق والذي وسعد صالح ما دار في البرلمان ومنها هذه الحادثة.

وأذكر من تلك الفترة الصعوبات المعيشية التي مرت بها العائلة، واشتداد مرض الروماتيزم عليّ والذي ادى الى انقطاعي عن الدراسة في نهاية المرحلة الابتدائية لمدة عامين، ونتيجة لذلك اخذ أبي يقضي معي اوقات اطول، ويجلب الكتب الادبية والمجلات ويناقشني فيها مما اضيف على علاقتي به بعداً رائعاً آخر، من الصداقة والتقارب الفكري.

وقد سكنا آنذاك في بيت جدتي لارتفاع اثمان الايجارات. وعندما كان أبي يعود الى البيت كنا نلتف حوله ليحكي لنا عن الطبقة الحاكمة وأخبارها. اشترى أبي لي في هذه الفترة ديوان الرصافي الذي قرأته بنهم. ومنذ ذلك الوقت المبكر بدأت اعي ان الحكم الأجنبي يوجع الناس، واحسست شخصياً بعمق الغبن الذي أصاب أبي مع احساسه بوطأة الحكم الفاسد، فالضربة تحسناها على جلودنا فوعيت معنى "المستشار"² وفهمت قول الرصافي:

"هو الذي شرب الطلا فعلام يا هذا الوزير تعربد"

ولقد استمرت "مطرقة" الرصافي توجع الاستعمار والطبقة الحاكمة حتى وفاته عام 1944.

سقطت الوزارة عام 1944 وعين وزير جديد للمعارف الذي أعاد أبي مديراً لمعارف لواء (محافظة) الديوانية في منتصف العام.

² - كان لكل وزير في الحكومة العراقية، في تلك الفترة، مستشار بريطاني.

تعارف ابي وسلام عادل

تخرج سلام عادل من دار المعلمين الابتدائية، وعين مدرساً بإحدى المدارس الابتدائية في محافظة الديوانية، وعندما شغل أبي منصب مدير المعارف في الديوانية عام 1944 تعرف على سلام في إحدى زيارته التفتيشية للمدارس، فأعجب به لشخصيته وضبطه للصف ورأي المدرسين الإيجابي فيه. وعرف انه رسام ورياضي ومخرج مسرحي، فصمم على الا تضيع مثل هذه الموهبة في مدرسة ابتدائية، لهذا السبب نقله الى المدرسة الثانوية كمدرس للرياضة والرسم.

ولقد تعود والدي ان يُقيم في المحافظات التي عمل بها، أسبوعاً للمعارف في عطلة منتصف العام الدراسي، ويتضمن هذا الأسبوع إبراز مواهب الطلبة، ويقوم بتقسيمه الى يوم لتشجير المدينة وآخر للفقراء هدفه جمع الحاجيات لهم، ويوم للمسرح حيث يقدم الطلاب التمثيليات، ويوم للرياضة، ويوم للرسم. وفي تلك السنة اقترح سلام عادل على والدي ان تسهم كل مدارس المحافظة برسم صورة بعنوان (العيد) من اجل تنشيط المواهب لرسم موضوع ما وليس رسم شيء مجرد مثل مزهرية أو تقاحة... الخ، كفكرة اجتماعية تعكس كيفية فهم الطلاب العيد.

اذكر يومها، ان سلام عادل دخل الى الصف السادس الذي كنت أدرس فيه ومعه أبي ومديرة المدرسة. قدمته المديرة لنا كمدرس الرسم. ثم تحدث أبي عن أهمية الرسم، وطلب منا ان نركز أفكارنا فهناك مواهب كامنة غير مكتشفة لا ينتبه إليها أحياناً حتى أصحابها، كالرسم الذي يمكن ان يملأ حياتنا.

ثم خرج والدي والمديرة، قال لنا سلام: أريد ان ترسم كل واحدة منكن رسماً عن ماذا يعني (العيد) بالنسبة إليها. وأنصحكن عدم الرسم في البداية وتأمل الموضوع أولاً. ثم وزع علينا أوراقاً وجلس جانباً. خيم الصمت على حصة الرسم لأول مرة، فقد كنا لا نهتم بهذا الدرس ونعمل فيه الكثير من الهرج. بدأت الطالبات بعرض رسومهن عليه، فيعطى التصحيحات والتوجيهات لهن. وعندما انتهت الحصة جمع الأوراق وعزل منها الرسوم الأجمل، فبرز فيها تفاوت طبقي واضح، فمثلاً عند الفقيرات ظهر العيد في الرسم ثوباً متواضعاً وكعكاً (كليجة)، والأغنى من الطالبات ظهر العيد في رسوماتهن لعباً، وملابس جميلة، وناساً، وحلويات. أخذ سلام عادل الرسوم الأكثر تعبيراً ووضعها على لوحة في معرض الرسم ليشاهدها الناس طوال أيام المعرض.

أما سلام عادل فقد رسم بورتريه عنوانه (كونيف. محرر براغ).

اما بالنسبة للمسرح فقد كانت تعرض في الأسبوع مسرحيتان، الأولى لثانوية البنين، والثانية لمتوسطة البنات. وكان سلام عادل يساعد مخرجة مسرحية البنات في الإخراج، ووضع المكياج لممثلات المسرحية وفي نفس الوقت أخرج مسرحية ثانوية البنين.

كنت أنا أمثل في المسرحية، فمكنتني ذلك من الحديث والاحتكاك بسلام عادل أكثر من السابق. وأذكر ان اولى اللقاءات بيننا لم تكن ودية، اذ لاحظت انني اتردد على المعلمات في غرفتهن ببساطة فقد كن صديقات لأمي التي كانت شخصية قوية ومعروفة لنساء المحافظة والمعلمات يزرنها باستمرار ويحضرن مجالسها "يوم القبول" مما ساعد على إزالة الحواجز بيني وبين معلماتي، وحين دخلتها في ذلك اليوم طلب مني سلام الخروج وسأل المديرية عن سبب السماح لي بالدخول والخروج بسهولة، وبطبيعة الحال لم يكن يعرف طابع العلاقات بين والدتي ومعلماتي، وفي الحقيقة طفرت الدموع من عيني، لكن اعجبني حزمه رغم دماثته ولطفه.



صورة والدي بعد خروجه من الاعتقال في بداية 1964 ومعه أمي ونوال اختي وهما في ملابس الحداد على سلام ومعهم ولدي علي

وزعت منظمة الحزب الشيوعي العراقي في دار المعلمين الابتدائية جريدة الحزب بين الطلاب في عام 1942. وكانت الادارة تتربص بالطلاب بعد ان نشرت جريدة القاعدة مقالاً انتقدت فيه الإدارة. وكان النقد صحيحاً، مما يدل على ان كاتب المقال ملم بأمور دار المعلمين، اثر ذلك توجه مدير القسم الداخلي مع عدد من موظفيه الى دولا ب "سلام عادل"، لأنه كان يتصوره شيوعياً لدفاعه الدائم عن الاتحاد السوفيتي وحقوق الفقراء وكان يسكن في غرفة واحدة مع المرحوم شاكرا الطالقاني الطالب معه في دار المعلمين، ولما لم يُعثر على شيء في حاجيات سلام عادل فتنشوا حاجيات شاكرا الطالقاني فعثروا على اعداد من جريدة القاعدة، اذ كان عضواً في الحزب الشيوعي العراقي وتقرر فصله من المعهد (بعدها اصبح صاحب مكتبة دار الحكمة التي نشرت كتب الحزب) اما سلام عادل فقد فصلوه لما تبقى من السنة الدراسية ولم يخبر اهله بذلك واشتغل سائق سيارة بين الاردن وبغداد. ومنذ ذلك التاريخ بدأ سلام يفتش عن وسيلة للاتصال بالحزب الشيوعي.

تحدث الرفيق عبد علوان (أبو بشري) عن تلك الفترة قائلاً:

"عرفت سلام عادل طالباً بدار المعلمين الابتدائية في الاعظمية ببغداد اوائل عقد الاربعينات، اذ تخرج منها معلماً في عام 1943.

كان جماهيرياً، محبوباً بين الطلاب ومن الاساتذة وامتاز بمرحه وشفافيته وسعة صداقاته، فهو يملك طاقات وكفاءات عديدة متميزة، رياضي بارز، أحد اعضاء فريق كرة الطائرة المتميزين في دار المعلمين ومنظماً للسفرات والمخيمات الكشفية، رساما له اهتمامات فنية. أطلق عليه اقرانه اسم "حسين الرسام" كما كان اديب يتذوق الشعر ويحفظ الكثير منه معجبا بالشاعر الرضي وحفظ الكثير من شعره حتى لقب بين الطلبة حسين احمد الرضي³ وظل هذا اللقب معه الى (يوم استشهاده في 24 شباط 1963) كما سمعت.

عندما تخرج سلام عادل وعُيِّن مدرساً في الديوانية عام 1944 التقى في تلك المدينة بصديق له (وهو المرحوم محمد حسين فرج الله) وكان عضواً في الحزب، فرشح سلام عادل لعضويته.

يقول الرفيق مهدي عبد الكريم (أبو كسرى)⁴:

³ - ان لقب عائلة سلام عادل (الموسوي). ولما كان سلام معجباً بتحدي الشريف الرضي لارهاب هارون الرشيد، لقب نفسه بالرضي، منطلقاً من ان الشريف الرضي "حفيد الامام موسى الكاظم" من السلالة الموسوية.
⁴ - الرفيق مهدي عبد الكريم: عضو اللجنة المركزية، في حديث مسجل له في كردستان.

"كان سلام عادل يتمتع بمواهب متعددة، فهو رياضي ولاعب كرة سلة ماهر، ولما كان معلم الرياضة والرسم في الثانوية، كان يطلب للتحكيم في ألعاب الكرة المختلفة لمعرفته بقوانينها، وكان يدرب فريق الجيش الكروي في الديوانية، وتمكن من خلال هذا الطريق ان يمد جسور علاقاته السياسية والشخصية مع ضباط الحامية. لقد كان محبوباً بين طلابه والاساتذة والرياضيين والعسكريين الذين يتعرف عليهم".

في تقديري، ان لجنة المدينة الحزبية، نتيجة لهذا النشاط، اختارته ليكون عضواً فيها (وهو لم يزل مرشحاً لعضوية الحزب) وكتبت اللجنة القيادية الحزب تستشيرها في هذه القضية، وجاء جواب القيادة طالباً حضور سلام الى بغداد. والتقى سلام في بغداد بالرفيق زكي بسيم مسؤول التنظيم الحزبي، الذي اخذه الى أحد بيوت الرفاق في الكرادة الشرقية، حيث التقى هناك برجل مهيب في الاربعين من عمره، فقدمه زكي بسيم اليه قائلاً "تكلم مع هذا الرفيق بحرية وأجب عن كافة أسئلته بلا تحرج".

أخذ الرفيق يسأله عن طبيعة عمل الحزب في الديوانية، وانطباع معارفه عن الحزب ومشاكل سكان المدينة، وامكانيات توسيع العمل العسكري فيها... الخ.

حدس سلام، ان هذا الرفيق لابد ان يكون فهد سكرتير الحزب، وقال منتقداً "أظن انني عرفت شخصيتك الحقيقية فأنت الرفيق فهد، لهذا فانا استغرب كيف يضيع قائد الحزب وقته ليتحدث مع شخص لايزال مرشحاً في الحزب!"

ابتسم الرفيق فهد وقال له: "اولاً ان ظنك ليس في محله فانا لست الرفيق فهد، وثانياً أنت اصبحت عضواً في الحزب بصورة استثنائية نظراً لنشاطك وثالثاً لماذا لا يجوز للرفيق فهد الاتصال بالمرشحين، فالمطلوب منه أكثر من ذلك، المطلوب الاتصال بأكبر عدد من الناس مع مراعاة سرية العمل طبعاً".

ارتاح سلام للأسلوب المقنع الهادئ الذي تحدث به هذا الرفيق، واخذ يشرح له مشاكل منظمة الديوانية، وكيف ان لجنة الديوانية لا تستثمر كل امكانياتها لتطوير العمل، فأجابه الرفيق فهد "اننا مضطرون لتقديم رفاق بسطاء وسنعتز على الرفاق الافضل، وسيتحسن وضع الحزب ان تقدمتم انتم لتشغلوا هذه المراكز القيادية"، ثم جاء الرفيق زكي بسيم، فاستفسر منه الرفيق فهد قائلاً: لقد علمت منك ان الرفيق "مختار" قد اصبحت عضواً في الحزب، وهذا هو اسمه الجديد، فما سبب تأخر تبليغه فاعتذر الرفيق زكي بسيم بسبب تأخر وصول بريد الحزب الذي يحمل ورقة العضوية الى الديوانية.

خرج سلام عادل من هذا اللقاء فخوراً بالحزب الذي انتمى إليه. وعقد العزم على بذل قصارى جهده لكي يكون مفيداً للحزب. وهكذا عاد الى الديوانية بعزيمة قوية على النضال.

كان اختيار الأسماء الحزبية للأعضاء الجدد يتم آنذاك مركزياً، ويختار مسؤول التنظيم المركزي الاسم الحزبي للعضو الجديد.

وربما يرجع سبب ذلك الى الرغبة بعدم تكرار الأسماء. واعتقد ان سبب ذلك هو لتسهيل معرفة المركز بنشاط الاعضاء.

فوجئ سلام عادل باختيار اسم "مختار" كاسم حزبي له. وإذا كان هذا الاسم شائعاً في مصر فهو غير شائع في العراق، ربما بسبب وظيفة المختار. وظل هذا الاسم ملازماً له وعزيز عليه جداً حتى عام 1955 عندما أصبح سكرتيراً للحزب، فقد أصبح اسم "مختار" معروفاً من رفاقه الذين عملوا معه، فأضطر الى تغييره باسم جديد "عمار" وهو ما يتطلبه العمل السري. وقد ظل سلام عادل طوال حياته يعتبر نفسه تلميذاً لفهد يتعلم منه وينهل من خبرته التي توارثها عنه الشيوعيون، أميناً للتقاليد التي رسخها في الحزب، وقدرته على تطبيق الماركسية اللينينية على ظروف العراق بإبداع. وقد تجلت قدرات الرفيق فهد بأبداع ما تكون في كتاباته مثل: حزب شيوعي لا اشتراكية ديمقراطية، وكتابه عن البطالة ومكافحتها، وكتب أيضاً: مستلزمات كفاحنا ضد العدو، ووضع النظام الداخلي للحزب وميثاقه الوطني وكثير غيرها.

عاد سلام عادل من بغداد الى الديوانية بعد لقائه مع الرفيق فهد مليئاً بالعزم والحماسة. وعمل عضواً في لجنة مدينة الديوانية وأنيطت به مسؤوليات إضافية، فعندما بدأ بتدريب الفريق الرياضي للفرقة الاولى "العسكرية"، أصبح المسؤول عن التنظيم العسكري لحزبنا فيها. تعرف في اثناء قيادته لذلك التنظيم العسكري في الفرقة الاولى الى الشهيد الضابط كاظم عبد الكريم وهو أخو المرحوم الرفيق مهدي عبد الكريم، وسوف يعيد الاتصال به عام 1954 عندما يتولى مسؤولية لجنة بغداد لتأسيس منظمة الحزب العسكرية في الفرقة الاولى كما سنتطرق الى ذلك لاحقاً. وعدا ذلك كان سلام عادل يقوم أيضاً بمهام حزبية إضافية اذ كان يقود أيضاً خطاً محلياً، وعدداً كبيراً من الاتصالات الفردية التي لها أهمية خاصة في بناء التنظيم في بدايته. وهذا النوع من الاتصالات الفردية هو الذي يقوي التنظيم ويوسعه.

وعن فترة عمل ونشاط الرفيق سلام عادل في الديوانية نأخذ مقطعاً اخر من حديث الرفيق الراحل **مهدي عبد الكريم** (أبو كسرى):

"ربطتني بسلام عادل صداقة شخصية وذكريات جميلة، فهو اول من جذب الشيوعية وأفكارها الى بأسلوب واضح وطريقة جذابة.

كان سلام عادل مدرساً للرياضة والرسم في ثانوية الديوانية التي كنت طالباً فيها. ولم تكن نمارس الرياضة احياناً عند ارتفاع درجة الحرارة وقت الظهيرة. ويستغل أستاذنا حسين احمد الرضي ذلك ويروي لنا قصصاً جذابة حول ثورة اكتوبر وجبايف⁵ وعن شخصيات اسطورية سوفيتية حاربت في اثناء الحرب الاهلية بأسلوب أخاذ، حيث يوصل القصة متعمداً الى نقطة حرجية ومثيرة مع انتهاء الحصة، فنبقى

⁵ - جبايف: بطل من ابطال ثورة اكتوبر من اصل فلاحى كانت له سمعة شبه اسطورية عن المعارك التي قادها. محبوب من الشعب السوفيتي.

متشوقين لاستكمالها فقد كنا شباباً ونحب هذا النوع من الاثارة وعند حلول موعد الحصة الجديدة بعد يومين او ثلاثة نتجمع حوله مرة ثانية ويطالب الجميع أستاذهم اكمال قصته".

يواصل الرفيق مهدي قائلاً:

"تميز سلام عادل بقدرة التأثير على الناشئة وكسب جماهيرية كبيرة بين الطلاب وكان يخطط للوصول الى هذا الهدف. كان خطاطاً ماهراً ورساماً جيداً ومخرجاً مسرحياً وكاتباً ذا اسلوب مقنع جداً.

وعرف سلام عادل بشخصيته المتميزة الجماهيرية وكفاءاته جعلته يتمتع بحب الناس له، حتى الذين لا دخل لهم بالسياسة.

هذه هي البدايات الاولى التي أستطيع ان اتذكرها عن الشهيد حسين احمد الرضي، لان الفترة التي استقر بها في مدينة الديوانية على ما اعتقد كانت سنة ونصف السنة، بعدها لم اره في المدينة".

عرف أبناء مدينة الديوانية سلام عادل عام 1946 باعتباره شيوعياً. كان ذلك بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ووقتها أصبح بهجت العطية مديراً لشرطة مدينة الديوانية. وظهر ميل واضح عند الحكومة لكبح جماح الشيوعيين ومحاربتهم وعدم ترك الفرصة لهم كالسابق، ووضعت خطة لمضايقتهم. وليس من المستبعد ان بهجت العطية نقل من مدينة الديوانية إثر نجاحه بمحاربة الشيوعية فيها الى العاصمة بغداد ليكون مديراً لدائرة الامن العامة ويصبح أحد الاعمدة المهمة لحكومة نوري السعيد والوصي حتى قيام ثورة الرابع عشر من تموز "يوليو" عام 1958.

شعر والدي ان سلام عادل أصبح في خطر، أرسل اخي نجيب ليطلب منه المجيء الى بيتنا جلس والدي معه وتحدث اليه طويلاً (أخبرني سلام عن هذا الحديث فيما بعد).

قال له والدي: "وصلت تقارير خطيرة عنك، واعتقد ان عليك تخفيف نشاطك الحزبي، أنت من عائلة كادحة، واهلك ينتظرونك لترجع إليهم بعائد وظيفتك".

استمع سلام عادل الى ابي، واجابه بأسلوب مهذب ومقنع، بما معناه ان كل العوائل الكادحة تنتظر رواتب ابنائها، بينما البلاد ترزح تحت حكم الاجنبي ويعمها الفساد ولا امل يلوح في المستقبل. وقال:

"فاذا فكرت انا براتبتي وفعل الآخرون مثلي فمن الذي سينهض لإيقاف هذا التدهور الذي اما ان نستسلم له فيزداد، او نبذل الجهود لإيقافه، وليس هناك من طريق سوى ما يقوم به الواعون من ابناء هذا البلد." اضاف سلام عادل: "ان القضية تطرح بهذا الشكل، اما ان نهض للدفاع عن وطننا او نستكين، فما هو رأيك؟"

صمت والدي لحظات، ثم قال له هل أنتم جادون بهذه القضية؟ وهل هناك خطة

واضحة؟ وأمل بالنجاح؟

أجابه سلام عادل: نعم دون شك. لدى حزبنا ميثاق وطني يرسم الخطوط العامة لمسيرة الحركة الوطنية لتحرير العراق وأسلوب للعمل لتحقيق ذلك ودعا لقيام جبهة وطنية بين كل الاحزاب للنهوض بهذه المهمة الملحة... كما صاغ قبل ذلك نظام داخلي لتنظيم حياة الحزب وتسهيل عمله... الخ. وأنا منذ يومي الاول في الحركة وضعت اسوأ الاحتمالات التي تنتظرني.

قال والدي، بعد ان تنهد: لولا الحمل العائلي الثقيل على كاهلي كان يمكن ان اشارككم هذا النضال، وليس لدي شيء اقله لك سوى ان سيروا على بركة الله، ولكن احتاطوا، والزموا الحذر لان العدو شرس جداً.

وبعدئذ سوف يتذكر سلام عادل ذلك اللقاء مراراً فقد كان اول بادرة قربت بينهما كثيراً.

وبعد ايام من ذلك اللقاء مع ابي أرسل بهجت العطية في طلب سلام عادل. عرف بهجت العطية بالذكاء واللباقة، وليس اعتباطاً ولا صدفة اسناد دائرة الامن العام له واختياره لهذا المنصب من قبل النظام.

قال بهجت العطية لسلام عادل، ان امر فصله صدر ووصل اليه وبإمكانه ايقافه او تنفيذه. و اضاف:

"ان هذا الطريق الذي تمشي عليه وعر محفوف بالمخاطر وانت شاب متحمس ومنذفع." ثم اضاف: "وكلنا عندما كنا شباباً مثلك اندفعنا ايضاً، ولكن يجب ان تدرك ان الشيوعية شيء آخر، فلو كنت انت وجماعتك فابيين او اشتراكيين ديمقراطيين، لا يمكن التساهل معكم، ولكنكم شيوعيون وأنتم مشكلة لأنكم مثل جرثومة السل التي تتكاثر بالانقسام. وليست هناك من وسيلة لمقاومتكم غير القوة."

ثم تظاهر بهجت العطية بانه ينصح سلام عادل طالباً منه تخفيف حماسه، واندفاعه، والتفكير بالزواج، والعائلة.

- فماذا انت فاعل؟ سأل العطية وتطوع بالإجابة: إنك تحطم نفسك نتيجة هذا الاندفاع.

تساءل سلام: كيف يمكن اصلاح وضع البلاد؟ رد بهجت العطية "ليس أنتم ببيدكم اصلاح الاوضاع وستصطدمون بالحكومة، وعليك ان تختار فيما مكانك وانت شاب ذكي ان تختار لنفسك طريق جيد ومريح."

سأله سلام عادل: هل تريد ان تشتريني وتساونني على شرفي وأصبح جاسوساً؟ فرد عليه: الامر ليس كذلك، انت لم تفهمني.

ثم خرج بهجت العطية من جلده "الدمث والديمقراطي" وأسفر عن وجهه الحقيقي،

وقال لسلام: إذا جاءك قرار الفصل من الوظيفة كيف يمكنك العيش؟ وانت معلم لا تستطيع ان تشتغل اي شيء سوى التعليم؟ رد سلام عادل ساخراً: ماذا اعمل؟ لدي يدان وتقول لي ماذا اعمل؟ ابيع لبنا على الجسر!

سخر بهجت العطية ورد عليه: لا (بلي⁶) كم من المعلمين رأيناهم يبيعون اللبن على الجسر؟!

واضاف: تذكرني يا حسين بعد ان تذوق الجوع. وتذكر إنني حاولت ان اجنبك نتائج هذا الطريق، فأجابه سلام عادل: انت لا تحميني، بل انت تدافع عن الحكومة وعن الاستعمار. رد بهجت العطية قائلاً بغضب: انت مفصول.

سافر سلام عادل الى بغداد، بعد فصله والحوار الذي دار بينه وبين بهجت العطية يدور في ذهنه وهو في الطريق. وعندما التقى الرفيق فهد بسلام عادل، اقترح عليه احترام العمل الحزبي، حيث يمنح المحترف 6 دنائير للعيش بها، فقال الرفيق فهد: "ستكون مثلنا، خذ 6 دنائير من الرفيق زكي واشتغل معنا." اجابه سلام عادل: ان عدد المفصولين بلغ 100 معلم وانا قلت لبهجت العطية انني سأبيع لبنا على الجسر. واريد ان اريه نموذجاً لذلك، وسوف أفتش عن عمل واشتغل، واستمر في نشاطي الحزبي.

اعجبت هذه الفكرة الرفيق فهد فوافق عليها. وفكر سلام ان يبيع الفشفايش، لان بيع اللبن قليل المردود وبيعه يتطلب وقتاً طويلاً، اما الفشفايش فلا تحتاج سوى الى منقاة وفحم واسياخ وقلوب واكباد وبيع على قارعة الطريق.

واتفق مع صديقه محمد حسين فرج الله الذي هو الاخر قد فصل أيضاً، على العمل معا في منطقة "علاوي الحلة" بسبب وجود سينما الارضروملي وكراج للسيارات مزدحم بسواق السيارات والمسافرين. واشترى عدة العمل. واخذ سلام عادل يخرج فجراً للذهاب الى المسلخ لشراء القلوب والاكباد (الفشفايش) بسعر رخيص.

واستغربت اوساط من اهالي بغداد ان يقوم معلم ببيع (الفشفايش)! ولم يخل الامر من المبالغات وقال قسم منهم بانه يتكلم الانكليزية اثناء شوي الفشفايش وعلق شهادته في محل عمله... الخ.

اما والدي فقد نقل كقائم مقام الى قضاء المسبب الا انه لم يستمر فترة طويلة في منصبه، فقد نقل كمدير لدار المعلمين الريفية بالرسمية ببغداد بعد مجيء وزارة أرشد العمري البوليسية التي قامت بتصفية الحريات الديمقراطية. كانت الضربة على ابي هذه المرة اشد وطأة، فعمقت وعيه السياسي بشكل أكبر اذ تبلورت لديه فكرة التخلص من ضغوط الحكومة عليه. لذلك فقد سجل كطالب في كلية الحقوق (مسائي) في الوقت

⁶تعبير عامي في اللهجة البغدادية يقال للاستخفاف.

الذي عمل مديراً لدار المعلمين، يذهب عصراً الى الكلية ويدرس في المدارس الاهلية مادتي الفيزياء والرياضيات لكثرة اعبائه المالية. وعندما سمع بان سلام عادل قد فتح محلاً لبيع (الفشافيش) اهتز لذلك، وذهب لزيارته وساد بينهما جو من المرح والطرافة وشدّ ابي على يديه. اما اخي نجيب فكان يذهب في المساء ويقف يروّح "يهفي" بالمروحة على الفشافيش معتزلاً بالتجربة.

عم الحزب هذه التجربة، ولم يكن سلام عادل وحده من لجأ الى هذا النوع من الاعمال، واتذكر ان رفيقاً اخر "رسول الوسواسي"، رغم ان عائلته كانت ميسورة الحال، فقد فتح محلاً لبيع السندويشات وهو من خريجي دار المعلمين العالية.

بعد فترة ترك سلام عادل بيع الفشافيش، وفتح دكان وعمل في بيع الكبة ووجبات الافطار والطعام الى العمال في ساحة الوصي (حاليا ساحة الوثبة) قرب سينما الفردوس. ويبدو انه كان مرتاحاً لعمله الثاني أكثر من الاول لكونه يوفر له وقتاً أكبر لممارسة عمله الحزبي كما كان الدكان نقطة استلام وتسليم، وارسال البريد الحزبي.

وفي أحد الايام قرأ سلام عادل إعلاناً يطلب مفتشين لباصات مصلحة نقل الركاب من حملة شهادة الثانوية، التي حصل عليها سلام اضافة الى اكماله الدراسة في دار المعلمين الابتدائية.

قُبِلَ سلام عادل في وظيفته الجديدة كمفتش باصات، وأدى عمله بشكل ممتاز، وارتبط بعلاقات طيبة مع رؤوسيه والعمال الذين يعملون معه، وتميز عنهم بعدد وجبات التفطيش التي يقوم بها، فوطد ذلك من مركزه بين العمال والمفتشين.

وقد لاحظ العسف وظروف العمل السيئة وانخفاض الاجور، فقرر تعبئة العمال من جباة ومفتشين للمطالبة بحقوقهم عن طريق القيام بالإضراب. وساعد نجاح الاضراب على تحقيق مطالبهم، وتنفيذ الادارة لها. لذلك قررت الحكومة فصل عدد من منظمي الاضراب وعلى رأسهم سلام عادل.

سمع ابي بفصل سلام عادل من وظيفته وعرف بحصوله على شهادة الثانوية، وهو الذي يتابع اخباره، فأرسل في طلبه واقترح عليه العمل في مدرسة اهلية للأكراد الفيلية تدار من قبل شخصيات كردية ومنهم الحاج علي حيدر، والد الشهيد لطيف الحاج وعزيز الحاج، الذي يرتبط بصداقة قوية مع والدي، وهو من أكرم وأفضل الناس وشخصية وطنية وصديق للشاعر محمد مهدي الجواهري والشهيد جلال الاوقات. وكان الحاج علي حيدر ينفق بنفسه مع بعض الوجوه الكردية الاخرى على هذه المدرسة التي فيها الطلبة الفقراء من الاكراد "الفيلية". بدأ سلام بالتدريس في المدرسة الفيلية، بعد مرور سنة على فصله. وبدأ يعمل على مساعدة الطلبة المحتاجين من الدارسين فيها، وبزورهم في بيوتهم ويعطيهم دروساً خاصة لمادتي الرياضيات والعلوم العامة، فكسب احترامهم وثقة ذويهم.

انتقل الطلاب الذين درّسهم سلام في الديوانية الى بغداد لإكمال دراستهم الجامعية،

فشكل سلام عادل منهم فرقة لتمثيل مسرحية، ومن بينهم الممثل والمخرج العراقي المعروف سامي عبد الحميد. وعرضت هذه المسرحية في قاعة الملك فيصل ذهبت ايراداتها لدعم المدرسة الفيلية.

وعند انتهاء مدة فصل سلام عادل من التعليم عرض عليه ابي العمل في المدرسة التطبيقية التابعة لدار المعلمين الريفية والتي يطبق فيها الطلبة الذين يتخرجون كمعلمين يدرسون في الارياف، وهي بمثابة مدرسة نموذجية، فلمعت في ذهن سلام عادل فكرة جيدة، فقد اعتبر التدريس في دار المعلمين الريفية فرصة هامة للتحرك وسط الطلبة الذين هم على وشك التخرج والذهاب للتعليم في ارياف العراق المختلفة وكسبهم للحزب، فاستقال من مدرسة الفيلية وعمل في المدرسة التطبيقية. ويقع مبنى هذه المدرسة في الرستمية ببغداد، انتقلت بعدها الى منطقة الكرادة الشرقية في (سبع قصور) قرب منطقة الزوية.

نجح ابي في نقل بعض الوجوه الديمقراطية الى دار المعلمين، مثل محمد شرارة الذي فصل بعدئذ من الوظيفة في عام 1952 وحكم عليه بالسجن لمدة عامين، والعلامة مهدي المخزومي، والوجه الديمقراطي مدحت عبد الله الذي شغل وظيفة نائبا لمدير المعارف في مدينة العمارة وفصل منها في عام 1946 مع المائة معلم الذين فصلوا، فعاد للعمل مع والدي.

تميز سلام عادل بقوة شخصيته وجاذبيتها لذلك وقع ابي وامي تحت تأثير حديثه الممتع المفهوم وادبه الجم وتواضعه. فكان موضع احترام والديّ وحفاوتهما عندما يأتي لزيارة بيتنا. وقد رجاه ابي ان يدرسني مادة الرياضيات فقد عانيت من الضعف في هذه المادة بالمرحلة الثانوية.

بدأ بتدريسي في بداية شباط 1948 اي بعد انتصار وثبة كانون... وقد هز نصر الشعب هذا وجداننا الوطني. وقد أطلقت بعض الحريات الديمقراطية نتيجة لذلك. وفي ذكرى اربعينية شهداء الوثبة اقيمت الاحتفالات التابينية الجماهيرية. شاركنا انا وسلام وأخي نجيب في مسيرة جماهيرية لهذا الحدث الكبير. انطلقت المظاهرة من حديقة غازي "ساحة التحرير" وكان على رأسها المناضل الكبير كامل قزانجي⁷ وسارت حتى باب المعظم تضم الالوف من الحشود الجماهيرية والكل يهتف للشعب والوطن، ويحيي الشهداء الابطال.

⁷ الشهيد كامل قزانجي: كان عضواً في قيادة الحزب الوطني الديمقراطي (الجناح اليساري) وساهم في الدفاع عن الرفيق فهد عند إعتقاله عام 1947 مع مجموعة كبيرة من المحامين من شيوعيين ووطنيين آخرين. ثم جاء دوره المميز في وثبة كانون مما زاد من غيظ الطبقة الحاكمة. وعند إعلان الاحكام العرفية عام 1949 وإعتقال العديد من رفاقنا القوى الوطنية الأخرى حتى أعتقل (اكمل الهامش في الصفحة اللاحقة) كامل قزانجي، وحكم عليه بخمسة سنوات قضاها كلها في نفرة السلطان. وبعد إنتهاء محكوميته، أسقطت الحكومة عنه وعن نائب رئيس نقابة المحامين الشهيد توفيق منير الجنسية العراقية ونفتهما إلى أحد قرى تركيا ليبقي هناك ثلاثة سنوات، ولم يعودا إلى العراق إلا بعد ثورة تموز. وقد قتل الشهيد كامل قزانجي في مؤامرة الشواف 1959 في الموصل، وقتل الشهيد توفيق منير بعد انقلاب شباط 1963.

والحدث الثاني الذي هز كياني، حضورنا تشيع جنازة الشهيد جعفر "شقيق الجواهري"، ذهبنا مبكرين لنحجز لنا مكاناً قرب جامع الحيدر خانة وفوجئنا بحشود الجماهير قد سبقتنا تنتظر الجواهري الكبير، حيث نصبت مكبرات الصوت، ثم بدأ الجواهري العظيم بإلقاء رائعته "أخي جعفر" ... وكنت اسمعه للمرة الأولى فهزت القصيدة وجداني وسط رعود تصفيق الجماهير. ثم سار الناس خلف الجنازة باتجاه الكرخ حتى وصلنا الى المتحف العراقي حيث السيارات المتوجهة الى النجف، وقد رافقت الجواهري سيارات لا عد لها. ففهمت بوضوح معنى قوله:

تعلمت كيف يموت الرجال وكيف يقام لها... مأثماً

واعقبها ذهابنا لحفل تأبين جواهري في الكرخ وآخر في الكاظمية.

وسرعت احداث ذلك العام المجيد 1948 في نمو وعي السياسي وتوجهي الماركسي، وحصل ذلك لجيل من الوطنيين، اللذين أصبحوا مشاعل الحركة الوطنية والتي مهدت لثورة تموز المجيدة.

وقد رشحتني سلام عادل للحزب في نهاية ذلك العام.

وكنا عندما ينهي سلام تدريسه لي نخرج معا لنتمشى، فنذهب الى بيت صديق والذي الاستاذ محمد شرارة، وعنده تعرفنا على الشعراء بدر شاكر السياب، وكاظم السماوي ونازك الملائكة وغيرهم. وكنت على علاقة وطيدة بالشهيد حسين مروة لأنه من اصدقاء والدي، والتقاء سلام عادل لاحقاً، اما محمد شرارة فهو صديق متبرع للحزب ووجه ديمقراطي معروف وقد اعتقل بعد انتفاضة 1952 وحكم بالسجن لمدة عامين.

عائلتي من العوائل العراقية المثقفة والمنفتحة، فأبي من دعاة التحديث والعقلانية في العراق وهو من اوائل مثقفيه، قارئ ممتاز للأدب والعلوم واحد المربين الرواد وصاحب رؤيا ونظرية في التعليم، محب للموسيقى... الخ، لذلك كان بيتنا مفتوحا لأصدقاء ابي وأخي نختلط بهم دون حرج ونذهب معهم في سفرات عائلية. وعندما اشتكى راغب بخطبتي الى ابي من سماحه لي بالخروج مع سلام عادل رده بحسم قائلاً: انا اعرف ابنتي جيداً واعرف حسين ايضاً، فلا تتدخل فيما لا يعينك. منحني ذلك ثقة كبيرة بنفسني وجعلني أكثر حرصاً على تبرير ثقة اهلي وازداد حبي واحترامي لابي. ولم أكن أخرج من السير مع سلام عادل في منطقة الكرادة منفردين او مع أصدقاء او عندما اذهب معه الى بيت محمد شرارة للتحدث مع الموجودين فيه، ثم نرجع بعدها الى بيتنا.

في شهر ايار "مايو" عام 1947 صدر قرار تقسيم فلسطين الذي عارضته الدول العربية وأيدت الحرب ضد إسرائيل. كان مالك سيف وقتها مسؤولاً للحزب الشيوعي العراقي. في حينها كان الرفيق فهد في السجن، وكانت جريدة "الاساس" العلنية اشبه

بجريدة للحزب. يقول زكي خيري⁸ في كتابه صدى السنين:

"ولكن عندما أعدت الدول العربية قوات مسلحة لتحرير فلسطين بعد ان رفضت البديلين المعروضين عليها وهما (1) قيام دولة مشتركة بين العرب واليهود او (2) قيام دولتين منفصلتين واحدة للعرب والاخرى لليهود، بدأنا في جريدة الأساس الحملة تأييدا لحرب التحرير تحت شعارات مدوية ومنها (كل شيء للجبهة) واستمرت الحملة عدة ايام متتالية"⁹

عندما قرأ سلام ما جاء في جريدة الأساس اعتبر موقف الحزب هذا خاطئاً. فان هذه الحرب التي يقودها عملاء الاستعمار من حكام البلدان العربية لن تكون قط لغير صالح الدولة الإسرائيلية، بل هي ايضاً مكيدة لعرقلة اقامة الدولة الفلسطينية. واعتقد بان الحديث عن خطأ نشوب تلك الحرب أصبح الان جلياً واضحاً... ولكن الشاب سلام عادل قد حدس هذا الخطر على الشعب الفلسطيني آنذاك فقد دخل في مناقشة حادة في منظمته الحزبية، وصدف ان التقى سلام عادل مع مالك سيف¹⁰ فهاجم موقف جريدة الاساس، فأستاء مالك وسحب سلام من تنظيمه وابقاه بصلة فردية.

ولكن الرفيق فهد سارح في اول لقاء للسجناء مع ذويهم بإرسال رأيه الذي كان يخطأ هذه الحرب.

وهكذا كان حزبنا والحزب الشيوعي الاردني والفلسطيني، أول من فضحوا طبيعة هذه الحرب وخطرها على الشعب الفلسطيني.

بعد تجميد سلام عادل خفت مسؤولياته الحزبية فركز عمله على كسب الطلبة الدراسين في دار المعلمين الريفية إلى الحزب ولما كان بيتنا هناك فقد نجح في كسبي للحزب ورشحتني عام 1949. وقبل فصل سلام عادل من التدريس للمرة الثانية في نهاية عام 1948 تقدم لخطبتي، لكن والدي أصر على عدم إعلان الخطبة حتى إكمالي للدراسة بعد خمس سنوات من ذلك التاريخ لأكون مستعدة على مواجهة أعباء الحياة. وفي هذه الفترة دخل سلام الى كلية الحقوق المسائية، الا انه اعتقل قبل انتهاء العام الدراسي، وحكم عليه بالسجن مدة ثلاث سنوات، حيث دخل السجن واضعاً خاتم الخطوبة في إصبعه.

⁸ زكي خيري - صدى السنين ص 138.

⁹ زكي خيري - صدى السنين ص 138.

¹⁰ مالك سيف- قاد الحزب بعد اعتقال الرفاق فهد والشبيبي وزكي بسيم، وبعد اعتقاله انهار وسبب للحزب خسائر كبيرة



سلام عادل أثناء إخراج مسرحية "في سبيل الوطن"
لصالح مدرسة الفيلية عام 1947

فصل سلام عادل من التعليم للمرة الثانية خلال حملة الاعتقالات والارهاب في نهاية عام 1948. واحترف العمل الحزبي وسكن في بيت حزبي مع رفيق جالاك¹¹، لكنه فتح دكانا مع طالب الثانوية المفصول الشهيد صبيح سباهي في الفترة ذاتها ليعملا معا. وأصبح الدكان عنوانا للبريد الحزبي.

إبان قيادة ساسون لدال للحزب، شخص أحد عملاء الامن سلام عادل في احدى مظاهرات عام 1949 وهو من ابناء مدينته، ورغم ضرب سلام عادل لهذا العمل على رأسه في المظاهرة، لكنه بعد ان افاق من غيبوبته بسبب الضربة أخبر الامن عن هوية سلام (حسين احمد)، وبعد التحري ألقى القبض عليه وقدم الى المحكمة العسكرية التي حكمته مدة ثلاث سنوات تليها سنتان في الإقامة الاجبارية تحت مراقبة الشرطة. وبعد صدور حكم المحكمة العسكرية بقي سلام لفترة ثلاثة أشهر في سجن بغداد المركزي ببنائية الموقف العام. وكنت اذهب لزيارته كلما أمكن ذلك.

أخبرني سلام في احدى تلك الزيارات بان حادثا سيئا قد وقع له، فقد استغل فرصة القيلولة عند نوم الرفاق، وجلس في المخزن يكتب لي رسالة، وبغفلة منه وقف مأمور السجن امامه وخطف الورقة، الرسالة، من يده التي تصورها منشورا شيوعيا. وسجلت ضده دعوى بهذا الخصوص وسيقدم بسبب ذلك الى المحاكمة خلال فترة قصيرة لهذا طلب مني شراء (كوفية وعباءة رجالية) اجلبها معي، واقف في نهاية سوق السراي المزدهم بالناس، الذي ستجري المحاكمة في محكمة قريبة منه، وقال لي انه مصمم على استثمار هذه الفرصة للهروب من السجن والالتحاق بالحزب.

ساورني الخوف على حياته وقلت له: ان الشرطيين اللذين سيرافقانك سيطلقان عليك النار.

فأجابني: ولكن هناك احتمال النجاة لازدهام السوق. وفعلا ذهبت في الفترة التي عيّنها لي وانتظرت في نهاية السوق، ولكنهم لم يحضروه الى المحكمة. وعرفت فيما بعد انه لم يقدم للمحكمة وقاموا بتسفيره الى سجن نقرة السلطان مع عدد اخر من السجناء، وبعد مرور عام على هذا الحادث جاءني أحد الرفاق ليخبرني بوصول سلام الى بغداد للمحاكمة التي تمت بسرعة وانه سيسفر نفس اليوم عائدا الى سجن نقرة السلطان ويمكننا ان نلتقي به في محطة القطار.

ذهبنا في الموعد الى المحطة وجلسنا ننتظره وإذا بي ارى شخصا حليق الراس بشكل غير طبيعي ويسير بطريقة غريبة مرتديا ملابس السجن، وبعد ان أمعنت النظر

¹¹ الرفيق جالاك: الشخص الثاني في الحزب اثناء قيادة ساسون لدال

فيه تبين أن سلام عادل، تبعناه صاعدين معه إلى القطار. أعطى الصديق بعض النقود للشرطة فسمحوا لنا بالتحدث إليه إلى حين موعد تحرك القطار.

استفسرنا عن سبب مظهره الغريب المضحك فقال: مودة السجن ليست جميلة؟ ثم حدثنا عن المحاكمة وكيف قرأت رسالته لي وكأنها منشور حزبي، لأنه تحدث فيها عن أوضاع الشعب السيئة ومسؤولية الاستعمار والافاق الممكنة لإسقاط النظام (حيث سناحق الاستعمار وأذنايه وأذنايه) ... الخ فسأله الحاكم: لقد فهمنا من هو الاستعمار ومن هم أذنايه، فماذا تقصد بأذنايه أذنايه؟

فأجاب سلام عادل: انهم المنفذون لإرادة أذنايه الاستعمار والذين يجلبون الويل على شعبنا.

فرد عليه الحاكم: أتقصدنا نحن؟

فقال له سلام: لستم أنتم فقط، بل كل من يضطهد هذا الشعب ويعذبه.

حكمت عليه المحكمة بعد ذلك بعامين تضاف إلى محكوميته فتصبح خمس سنوات، مع مائة جلدة "فلقة" مع عامين أبعاد وإقامة إجبارية تحت رقابة الشرطة. ولما عاد من المحكمة إلى السجن قام مأمور السجن بتنفيذ الحكم، فحلق له شعره وجلده مائة جلدة على قدميه ثم طلب منه أن يشتم الرفيق فهد فرفض وهتف بدل ذلك بسقوط حكومة نوري السعيد ممجداً الرفيق فهد، فأضاف له مدير السجن خمسين جلدة أخرى وأخذ يركله حتى غدا على الصورة التي رأيناها فيها.

وأخبرني سلام بأنه سيحاول الفرار من القطار فهو سيطلب من الشرطيين المرافقين له بفتح يده من (الكبجة) ليرتاح قليلاً، وما أن يبدأ القطار بالتحرك حتى يرمي بنفسه من القطار... انتظرناه لكنه لم يرجع فعلما منه بعد ذلك بأن الشرطة رفضت فتح يديه بسبب أنه قبل أيام قليلة قد هرب من القطار السجن العسكري رشيد عارف، لذلك فقد منعت الحكومة فتح يدي السجنين مهما حدث. وبعد عودته إلى السجن اتاحت له فرصة جيدة لقراءة الكتب النظرية، حيث انيطت به مسؤولية مكتبة السجناء (السرية طبعاً). فكان يقرأ الكتب ويكتب نسخ عنها ليتداولها الرفاق... الخ.

حدثنا، بعد ذلك سلام عن رفاقه في سجن نقرة السلطان وحياتهم وتحدياتهم للصعوبات وصمودهم وكيف أن السجن كما قال غوركي محطة راحة اضطرارية للمناضلين الذين يجب عليهم المحافظة على مزاجهم الثوري. وقام سلام بإخراج بعض المسرحيات التي كان يؤلفها بنفسه، منها مسرحية عن بطولات وتضحيات الشيوعيين في النضال ضد الفاشست في فترة الحرب العالمية الثانية، والآخرى عن الأوضاع النفسية التي يعانيها الشيوعيون أثناء التعذيب في أقبية الأمن وكيف يفكر الذين يصمدون ويتحدون العدو... وكيف يساعدهم التفكير بأبعاد وعظمة القضية التي يناضلون من أجلها... الخ. أما الذين لا يستطيعون الصمود يتركز تفكيرهم بالأمم الجسدية وبخطورة الموت الذي يتهدهم. وقد كان معهم بعض السجناء الذين استطاع

البوليس ان ينتزع منهم بعض الاعترافات اثناء التعذيب، فكان قسم منهم يبكي خلال عرض المسرحية حاقداً على نقطة ضعفه هذه.

كان سلام يهتم بخلق جو من النكتة والفكاهة والمزاح بين السجناء لتحدي جو الكآبة الذي تخلفه سنوات السجن الطويلة، وما أكثر "القوايش" التي كان "يشدها" على هذا الرفيق او ذاك...

وعندما كان في السجن حدث انشقاقان¹² في الحزب. ولكن سلام بقي مع خط الحزب، فقد كان من الواضح له بأن الانشقاق هو في غير صالح الحزب. الا إذا خالف الحزب القضايا المبدئية وسوف نرى في السنوات القادمة، كيف ان هذا الوضع في الرؤية سوف يساعده على تجنب الحزب لهذا المنزلق الخطير، فلم يحدث في فترة قيادته اي انشقاق في الحزب.

¹²الانشقاق الاول (انشقاق سالم عبيد النعمان): عند وصول حميد عثمان الى نقرة السلطان استقبال استقبالاً حاراً، بسبب صموده في التعذيب، فقد كان مسؤول الحزب بعد اعدام ساسون دلال. الا انه لعب دوراً سيئاً في تعكير جو السجن وتشجيع التذمر وبدأت الخلافات الذاتية تتحول الى خلافات مبدئية، وهكذا نشأ صراع بين الكوادر الجديدة وكوادر الرفيق فهد.. حتى وصل الامر الى الانشقاق، فقاد انشقاق الكوادر، عام 1950، سالم عبيد النعمان مع مجموعة من الرفاق -الذين كانت مدة الحكم عليهم ستنتهي قريباً (اعتقلوا كأعضاء من حزب التحرير وليس كشيوعيين في عام 1947) ثم اصبح حميد عثمان على رأس منظمة السجن.

الانشقاق الثاني (انشقاق راية الشغيلة): طرح بهاء نوري (قاد الحزب بعد اعتقال حميد عثمان) برنامجاً جديداً للحزب، حذف منه دور البرجوازية الوطنية في معركة التحرر الوطني، وقد رفض الكثير من الكوادر في السجن هذا البرنامج وخطئوه فقام بهاء بطردهم من الحزب، فقاموا بتأسيس حزب شيوعي جديد عام 1953 وكانت جريبتهم (راية اشغيلة)، وبدأ الصراع بين حزبنا وهذا التنظيم الجديد وبذلك ضاعت على حزبنا فرص جيدة للدفاع عن قضية الشعب، لانشغال المنظمين بالمهارات، ولم يعودوا للحزب ألا في فترة قيادة سلام عادل عام 1956 مما وفر فرصة جيدة لتقدم الحزب وتشكيل جبهة الاتحاد الوطني التي مهدت لثورة تموز.

انتهت محكومية سلام عادل في مطلع عام 1953. ونقل من نقرة السلطان الى الموقف في بغداد، ثم الى الرمادي ووضع تحت الإقامة الجبرية فيها لمدة عامين. ولقد هرب سلام من المراقبة في اليوم الثاني لوصوله الى مدينة الرمادي في شهر حزيران "يونيو" 1953. وعند وصوله الى بغداد اتصل بي وبالحزب، ثم انتقل الى بيت الشهيد طالب عبد الجبار مسؤول بغداد آنذاك.

طلب سلام عادل من طالب عبد الجبار اعطائه مجموعة كاملة من وثائق الحزب، بالرغم من اطلاعه عليها في السجن اذ رغب بإعادة قراءتها بالتسلسل ليكون صورة اوضح عن وضع الحزب، فيما يقضيان الليل هو وطالب بالحوار، سلام يسأل وطالب يجيب، ثم يقدم سلام عادل الملاحظات والمقترحات التي يراها ضرورية، والتي لاقت الاستحسان من الرفيق طالب، الذي قدم تقريراً جيداً عنه لقيادة الحزب.

كان كريم احمد مسؤول قيادة الحزب والتي تسلمها بعد اعتقال بهاء الدين نوري في شهر نيسان "ابريل" عام 1953، وهو يعرف سلاماً منذ سنوات الدراسة، وطلب اللقاء به، فانتقل سلام الى بيت ناصر عبود المسؤول الثاني في الحزب آنذاك.

ترك سلام عادل انطباعاً جيداً لدى كريم احمد وناصر عبود لأرائه المقنعة، لذلك قررا ارساله مسؤولاً للمنطقة الجنوبية¹³. كانت الشرطة قد اعتقلت كوادرها بعد انتفاضة عام 1952، لكن المشكلة التي واجهتهم، هي ضرورة وجود عائلة في البيت الحزبي الرئيسي للمنطقة، فالناس في العراق يكرهون تأجير البيوت للعزاب وتكون موضع رقابة من الجيران، مما يعرض البيت الحزبي للخطر.

وعن تلك الفترة يقول الرفيق كريم احمد:

"سجن سلام عادل في بداية عام 1949 وأرسل الى سجن نقرة السلطان ليواجه فيه مع رفاقه ظروفًا صعبة. وبعد خروجه من السجن في عام 1953 أرسل للأبعاد، فكتبت له رسالة باسم اللجنة المركزية اطلب منه الالتحاق بالحزب، وبعد يومين هرب من الأبعاد والتحق بنا."

ويستمر كريم احمد:

"كلفنا اللجنة المركزية سلام بالسفر الى البصرة لقيادة منظمة الحزب في المنطقة الجنوبية عام 1954 وواجهتنا مشكلة تدبير عائلة يسكن عندها في البصرة. ولما أخبرنا بان لديه خطيبة يمكن ان يتزوجها وهي حزبية جيدة ومناضلة معروفة ساهمت في

13 - تتكون المنطقة الجنوبية من ثلاثة ألوية (محافظات)، هي البصرة والعمارة والناصرية.

انتفاضة عام 1952 واختفت وعانت كثيراً، فأرسلنا لها رسالة باسم الحزب نسألها عن رأيها بالزواج من الرفيق سلام وهي من عائلة ديمقراطية معروفة والشيوعية الوحيدة فيها، وابوها من الديمقراطيين المعروفين وكان يشغل منصب مدير معارف لواء (محافظة) الديوانية، وهو محبوب من الناس وموضع احترامهم. ويبدو ان ثمينه نجحت في اقناع ابياها ناجي يوسف بالزواج من سلام عادل".¹⁴

اما كيف تم ذلك؟

فأفقد قرر الرفاق مفاتحتي بالزواج من سلام عادل، وأرسل لي ناصر عبود رسالة يعرض عليّ فكرة الزواج من خطيبي لان الحزب بحاجة الى ذلك. قرأت الرسالة وشعرت بعواقب كثيرة في طريق تنفيذ هذا الزواج ولن أستطيع اقناع اهلي بتجاوزها. فأخبرت الحزب برسالة جوابية بينت فيها عدم استطاعتي تجاوز هذه العوائق. الا ان سلام عادل طلب مقابلتي واخذ يقتعني بضرورة تذليل هذه الصعوبات وقال لي: انا اتكفل بإقناع والدك لمعرفتي الجيدة به وهو الذي سيدلنا على الحل، المهم ان لا تترددي انت، وتأكدي إنك ستكونين سعيدة معي... لم أكن مترددة، ولكن المشكلة هي كيفية عقد هذا الزواج. فقال لي لنذهب الى بيتكم الان ونحدث مع الوالد. فذهبنا ولما لم نجده في البيت فقد كتب له سلام رسالة. كانت رسالة رائعة لا أستطيع الان استعادة كلماتها، فليس لي اسلوبه الجميل بجملة القصيرة الواضحة. لقد ذكّر والدي بانه خطبني قبل سجنه، وانه من الافضل لي، بما انني كنت مفصولة من المدرسة وملاحقة من الشرطة، الابتعاد عن اعين ازام السلطة، ومواصلة عملي الحزبي في مكان آخر، لان اعداء الشعب يزدادون شراسة كلما زاد توثبه نحو الحرية، ورجاه ان لا يخالجه الشك في ان اكون سعيدة معه.

اعطيت الرسالة الى والدي بعد عودته الى البيت، واخبرته عن موضوعها باختصار وخرجت من الغرفة لأدع له مجال للتفكير. بعد فترة جاء والدي الى غرفتي واغلق بابها وقال لي: ان هذا الطريق وعراً جداً، تنتصب على جانبيه السجون والمنافي والحرمان فهل لديك طاقة على تحمل كل ذلك؟ واضاف، ارجو ان اسمع منك اجابة واضحة غدا بعد ان تمنعني التفكير بكل ابعاد المصير الذي ينتظرك.

وفي اليوم التالي ذهبت اليه، "هل فكرت بالموضوع بشكل جيد؟" سائلني، فأجبت به بنعم، ثم ضحكت وقيلته وانا اقول له: يا بابا ان وعورة الطريق لا ترتبط بقضية زواجي، فانت تعلم بأنني عضوة في الحزب، تترصدني الصعوبات كما تترصد رفيقاتي ورفاقي، وإذا تخوفنا منها يصبح الحديث عن أي معارضة للحكومة العملية غير واقعي وغير معقول، فأجابني: مادام هذا رأيك فليكن ما تريدان. قلت له: هل تريد لقاء سلام عادل؟ فقال وهل هذا ممكن؟ فاتفقنا ان يكون اللقاء في اليوم التالي ببيت أحد الاصدقاء.

14 - حديث مسجل مع الرفيق كريم أحمد.

تميز اللقاء بينهما بالود، وشعر سلام بالامتنان لموقف والدي الذي ابدى ثقة كبيرة بنا وباختيارنا وكان لنا مثال الاب الحاني، مما عمق لدى سلام عادل ولديّ الشعور بالثقة في نفسيهما والاعتزاز بموقف والدي. لقد كنت اعلم بانه هو من سيدفع ثمن هذا الزواج امام السلطة، خاصة وهو كفيلي عندهم بعد إطلاق سراحي، وسلام عادل هارب من المراقبة ومطارد. في الحقيقة شعر كلانا بالامتنان العميق لوالدي وظل ذلك الامتنان يتعمق كلما احاطنا واحاط اطفالنا بالرعاية الى اخر ايام حياته الغالية.

اذكر من حديث سلام عادل مع والدي عندما تقدم لخطبتي قوله: "انني من عائلة كادحة، ولكنني فخور بسمعتها الطيبة وباحترام الناس لها، كما انني لا املك شيئاً في هذه الحياة سوى بطاقة عضويتي في الحزب الشيوعي، واعدك بان هذه البطاقة سوف لا يصيبها الضرر مهما حدث".

اجابه والدي بأسلوبه الدمث اللطيف: "الناس عندما يتقدمون للخطوبة، يقولون ان فلانا كريم النفس واليد... وهذه أفضل المزاي لدى الرجال...

ولكنكم أنتم الشيوعيون جنتم بمقاييس أحسن منها (فالجود بالنفس اقصى غاية الجود) كما يقول الشاعر".

وانتقل الحديث الى طريقة عقد القران في ظل ظروفنا الامنية الصعبة، فقال والدي: أرسلوا الى حاكم الكرامة الشرقية ليأتي الى بيت هذا الصديق لعقد القران، ولا اتصور انه سيسلمكم الى الشرطة. وستعلن عائلتنا باننا تجنبنا الضجة خلال عقد القران بمناسبة حزن والدة ثمينه على موت خالتها وسرعة سفركما الى خارج العراق.

(لأغراض الصيانة تقرر ان نعلن امام الجميع اننا سنسافر الى سوريا وليس الى البصرة.)

وفعلا دعونا في اليوم الثاني من شهر حزيران "يونيو" عددا من الصديقات والاصدقاء الذين لهم صلات اجتماعية واسعة ليعلنوا خبر زواجنا على نطاق اوسع بعد عقد القران، وجلست خلف الباب مع الصديقات ثم حضر الحاكم مع اثنين من الشرطة وعقد القران وتعالّت الزغاريد من الصديقات، فاسرع سلام عادل بالخروج من البيت حال خروج الحاكم منه، وانتقلنا نحن الى بيت آخر، لأنني تذكرت بأننا (نحن الشيعة) نشترط ان يعقد القران السيد (سيد من آل الرسول "ص") فطلبت عقد قران اخر يقوم به سيد، وحضر معه عدد من الاصدقاء بينهم الرفيق الشهيد طالب عبد الجبار، وما ان انتهى هذا العقد الثاني حتى اسرع سلام بالخروج. وقد قالت لي امي فيما بعد، ما حاجتكم الى السيد والحاكم الذي عقد القران سيد النسب... فضحكنا لأننا لم نلتفت الى هذه النقطة.

لم يصدق سلام انه نجا من الاعتقال مرتين، لدى عقد القران من قبل الحاكم، ومن ثم من قبل السيد. وكان يقول: لأعتقل في اي مكان اخر، اما ان يعتقلوني اثناء عقد القران فهو فوق طاقتي.. فعندما اعود من للسجن مرة اخرى، ويسألني الرفاق اين

عثرت عليك الشرطة واعتقلتك بهذه السرعة؟ سيكون من الصعب عليّ جدا ان اقول لهم بأنني كنت اتزوج فانهم بلا شك سيقولون (اي هسه وكت زواج؟ ناضل قليلا ثم تزوج). والمفارقة هي ان السجناء قد غنوا احتفاء بخروج سلام من السجن اغنية:

يالرايح للحزب خذني وبنار المعركة ذبني
برقبتني دين اريد اوفي على ايام المضت مني

وكانت هذه الاغنية تغنى لأول مرة... ويلحق سلام، سيقول السجناء عليّ في دواخل أنفسهم (يا ضيعة الاغنية بيبك يا حسين) أخرجت لنتزوج حالا؟ وكنا نضحك كلما تذكرنا هذه المفارقة.

لقد ذكرت هذه التفاصيل عن حياتي الشخصية والعائلية كرد على التقولات والتشويهات التضليلية عن حياة الشيوعيين الشخصية واتهامهم زورا من قبل الاعداء باستهتارهم بالتقاليد والقيم الاجتماعية التي يحترمها الناس. وليس ادل على بهتان تلك الاقاويل من الالتفاف الواسع لجماهير شعبنا حول الحزب.

لقد آوت العوائل العراقية الشيوعيين وصانتهم وحافظت عليهم، وقدمت الكثير من التضحيات لتسهيل لهم طريق الكفاح الشاق والبطولي ضد ازام السلطة، رغم شراسة إجراءاتها. ويحتفظ الشيوعيون بالكثير من ذكريات النضال الدافئة بحنان ابناء الشعب العراقي والتي كانت ولا تزال حافزا اساسيا لمواصلة نضالهم وتقديم أعلى التضحيات لتحقيق اهداف الشعب.

لقد أصبح للحزب الشيوعي شعبية واسعة حتى في المدن العراقية المقدسة مثل النجف وكربلاء والكاظمية، بل وفي المناطق المسيحية المحافظة ايضا، وباقي المدن العراقية على اختلاف القوميات والمذاهب المتعايشة لسكانها، وهو الدليل القاطع على ابتذال تخرصات اعدائهم.

سأروي لكم ايها القراء الاعزاء صفحة جميلة من الشهور الاولى من حياتنا العائلية سلام عادل وانا، حياة عائلية متواضعة، ولكنها حياة نضالية مشتركة وجميلة:

بعد زواجنا بثلاثة ايام سافرنا الى البصرة في حزيران "يونيو" عام 1953. وحمل سلام حقيرة ملايسنا، فقد هيات لنفسي (دشداشتين) من قماش بسيط كما خاطت العزيزة ام حسين الوردي¹⁵ دشداشتين لسلام استعملهما طيلة بقائنا في البصرة، فقد كان يلبس الدشداشة والسترة والغترة البيضاء (على عادة كادحي البصرة) في اغلب الاوقات، اما القاط (البدة) الذي هياه له اهله عند خروجه من السجن، فيرتديه عند زيارته مقرات الاحزاب الوطنية او الذهاب للنادي للقاء رفيق. وقد صحبنا في سفرتنا الى البصرة الرفيق هادي متروك، وما ان وصلنا الى المدينة حتى شاهدنا في المحطة الرفيق عبد الله حاتم، وقد وصل للعمل في لجنة المنطقة الجنوبية وهو عامل معروف من بغداد وينتمي الى عائلة عمالية. ثم اخذنا عبد الله الى أحد المناطق العمالية ببيوتها البسيطة.

لبست الدشداشة ولففت راسي بالفوطة على طريقة الكادحات البصريات، واخذنا نشرب الشاي. دخل البيت رفيق اخر فجلس سلام عادل معه ومع عبد الله واخذوا يتحدثون بهمس في أحد اركان الغرفة ثم غادروها. بقيت مع صاحبة الدار أسالها عن اسمها واسماء اطفالها، فقد تقرر ان تعرف الجيران بي باعتباري زوجة ابن عمها، وخوفا من وقوعي بأخطاء في الحديث أظهار بوجود الم في اسناني لأتقي الدخول في تفاصيل الأحاديث. وفي المساء جاءت بعض الجارات، وصعدنا الى سطح الدار مع اقداح الشاي، على عادة اهل البصرة لاتقاء حر المدينة اللاهب.

كنت اتحدث باللهجة الشعبية البغدادية بشكل لا بأس به، ولكن للبصرة لهجتها الخاصة، وبطبيعة الحال لم أستطع التزام الصمت المطبق في جلسة الجارات، فعندما وجهن سؤالاً لي عن عدد اطفالي، اضطررت الى القول بان طفلي الاول جاء قبل أوانه لأنني سقطت من السلم ولم يعيش طويلاً بعد الولادة، ولم أحمل بعده وجئت الى البصرة للعلاج. وقبل ان أتم حديثي عاجلتني إحدى الجارات: "انت تشتغلين ماسيرة؟" ... يعني (ممرضة)، فكان سؤالها دليلاً على عدم نجاح تمثيليتي الشعبية، قلت: "كلا انا لست ماسيرة، ولكني درست في المدرسة حتى الصف الرابع ولم يوافق ابي على استمراري فيها، فبقيت في البيت أخط للجيران حتى زواجي من ابن خالتي". واسرعت ربة البيت لتغيير موضوع الحديث.

15 - كانت الخالة ام حسين الوردي من انبل النساء اللواتي تعرفت عليهن من عوائل السجناء، لقد احاطتني واحاطت العشرات من الرفيقات بالرعاية وقدمت لنا امساعدات الجلى في عملنا الحزبي.

جئت بهذا المثال لأقول، ان تجربة العمل السري علمتني ان اكون دقيقة جدا سواء بمظهري او تصرفي او كلامي، وانا افخر أنه بعد عشر سنوات تقريبا من حياة الاختفاء لم يبدر مني اي مشكلة للبيوت الحزبية التي عملت فيها وساهمت في ادارتها فقد كنت حذرة واحسب حسابا لكل شيء، فقد كنت أستأجر البيت بنفسني (خصوصا في بغداد) فسلام عادل لم يعد بالإمكان زجه في مثل هذه القضايا خوفا من انكشافه وكان ذلك يتطلب مني حسن التصرف مع مالكي الدار او الدلال...الخ.

ان الاختفاء يتطلب الكثير من الدقائق والتفاصيل، وتميز سلام عادل بلباقة وحسن تصرف وفطنة متميزة بين الجميع في هذا المضمار، ولولا النباهة والفطنة لما سلمنا من الوقوع بيد الشرطة طوال حياتنا المشتركة في الاختفاء، وقد زاد من صعوبة ذلك معرفة العدو لشخصية "سكرتير اللجنة المركزية حسين احمد الرضي وزوجته" إثر بعض الاعترافات التي حصلت في عام 1956 فأصبح كلانا معروف للأجهزة الامنية. ولكننا واصلنا العمل والتحرك والنضال في بغداد. اما تجربة سلام في العمل السري فكانت خبرة كدسها عبر سنين طويلة من العمل السري في اشق الظروف وأصعبها وكانت الحوادث التي تثير لديّ القلق وتدفع الى رأسي فكرة الانتقال من الدار، تبدو لديه اعتيادية بعد ان يوجه لي سؤال او سؤالين ويطلب مني عدم التسرع في الانتقال...ولم يخطئ في احكامه هذه مطلقاً.

اعود مرة اخرى لليوم الاول من وصولنا الى البصرة فبعد مرور خمسة ايام فقط من زواجنا (اي في شهر العسل كما يقولون)، عاد سلام عادل في ساعة متأخرة من الليل، بعد ان ضايقتني خروجه مع الرفيقين دون ان يبادلني كلمة واحدة منذ دخولنا الدار، فكنمت مشاعري عند عودته ولم اقل له اي شيء. بدأ يحدثني عن تفأؤله من حصاد عمل اليوم الذي يبشر بالخير بهمس ووضوح لكيلا يوقظ النائمين على السطح، ومنذ ذلك الحين تعلمت الحديث الطويل معه وقت استعداده للنوم دون ان يسمعنا أحد. وتطورت عنده عادة ايقاظي من النوم والتحدث معي عند استعداده للنوم. وظلت هذه العادة الى اواخر ايامنا معاً. وعرفت فيما بعد ان هذه الأحاديث مفيدة له في عمله الحزبي، فهو يطرح عليّ الآراء حتى تلك التي لم ينضجها بعد ليبري رد فعلي، وعلى ضوء ذلك يبدل ويغير في آرائه حتى يتوصل الى الرأي الافضل. وخلال هذه الأحاديث كان يتمسك بالصيانة فهو لا يذكر الاسماء ولا اوصاف الرفاق فانا مثلا لم اعرف من هم اعضاء الكتلة اليمينية التي ظهرت في قيادة الحزب في تموز (يوليو) عام 1959 الا بعد انقلاب شباط "فبراير" عام 1963 وكانت مفاجأة لي، لان اغلبهم من اصدقائي المقربين، ولم اتوقع من بعضهم بالذات ذلك السلوك الذي غير مسيرة الحزب، ولعب دورا سلبياً في مصير شعبنا.

كنت اقول لسلام عادل اثناء أحاديثنا الليلية: انا بالنسبة لك مثل سبورة تكتب وتمسح من عليها افكارك، فيضحك من هذا الوصف ويستخدمه في المزاح معي. ولم يكن وحده من يستعمل هذه "السبورة" فقد كتب عليها عامر عبد الله وجمال الحيدري والعبلي وغيرهم، هادفين من الحديث معي الى إنضاج فكرة من خلال الحوار فقد

كانت الصداقة التي تربطني واياهم تسهل ذلك.

سألت سلام عادل في تلك الليلة الاولى البصرية، وهو يحدثني بتقاؤل عن اتصالاته التي اجراها في يومه الاول: ما هي خطتك في عملك المقبل هنا؟ قال: المنطقة بالأساس عمالية، يعيش ويعمل فيها عمال الميناء وعمال شركة النفط، ومنطقة فلاحية ايضا لذلك يجب ان نتوجه الى كسب عمال المنشآت الكبرى، وعلى الرفاق العمل في هذا الاتجاه. (وفعلا وبعد خمسة أشهر فقط، قاد الحزب اضراب عمال النفط في البصرة، الذي تحول الى اضراب عام في المدينة لمساندة اضراب عمال النفط وتوسعت الجمعيات الفلاحية، وتناولت جريدة "صوت الكادح"، وهي جريدة المنطقة الجنوبية نشاط هذه الجمعيات مدافعة عن مشاكل الفلاحين).

أستأجر سلام عادل بيتا بسيطا في محلة "السيمر" في البصرة القديمة، ثم جمع من الرفاق تبرعات عينية (اي ما يستطيعون التخلي عنه من اثاث بيوتهم، فجاء رفيق بفراش وآخر بكنبة قديمة وثالث ببيع بعض القدور) وهكذا، انتقلنا بسرعة الى البيت الجديد. ولأتدبر وضعنا الاقتصادي قال لي سلام: سأعطيك كل يوم 200 فلس اي ما يساوي ستة دنائير شهريا، على ان تقومي بإطعامنا جميعا، وسيأتي رفيق اخر للعيش معنا، وفعلا جاء بعد ايام شريف الشيخ¹⁶ وأصبحنا ثلاثة في البيت، وعليّ ان اشترى جريدة يوميا والطعام وقطعة صغيرة من الثلج لتبريد الماء لنشرب ماء باردا مرة او مرتين في اليوم. قلت له مراحة: ان أكبر اقتصادي يصعب عليه تنفيذ هذه الطلبات. اجابني ضاحكا: لقد فات أوان الاحتجاج، لأنني كتبت الى قيادة الحزب بأنني لن اطلب منهم اية مساعدة مالية وعلى منظمتنا ان تدبر مصاريفها بنفسها وترسل ما يتبقى الى المركز.

وتعلمت بعد ذلك ان ربع الكيلو من اللحم ليس أصغر وحده للشراء، فقد سمعت امرأة تقول للقصاب بمسكنة: أعطني قطعة لحم بثلاثين فلسا (حيث كان سعر كيلو اللحم بـ 200 فلسا)، فقطع لها القصاب قطعة لحم بدون ان يزنها واعطاها لها. فتجرات وقلت له بصوت خافت جداً ومُحرَج (أعطني قطعة لحم بثلاثين فلسا) فلم يسمع القصاب صوتي الذي حبسه الخجل، وبعد ان رفعت صوتي، قطع قطعة صغيرة رماها في سلتي. وبعد مرور فترة قصيرة اصبحت ذات خبرة في الشراء والمساومة، لأحصل على حسم عشرة او عشرين فلسا. ولم اعد اشعر بحرج من ذلك، ولم يكن هذا الاقتصاد الشديد بلا فائدة. رغم تزايد مالية المنظمة بعد توسعها - فقد وفر ذلك للحزب امكانية مالية لفتح بيتين اخرين لاختفاء الرفاق المطاردين، مما سهل توسيع الكادر الحزبي لقيادة المد الجماهيري الذي تصاعد في المنطقة.

قبل اضراب عمال البصرة اعتقل رفيق عضو من اللجنة، ثم التحق بنا شريف الشيخ كما سبق وذكرت ونقل الينا بعده حمدي ايوب الذي هرب من السجن اضافة

16 - صاحب جريدة الاساس، التي اُعتبرت في فترة النهوض الجماهيري، لسان حال الشيوعيين.

الى عضو اللجنة العامل عبد الله حاتم. وبهذه اللجنة قاد الحزب الاضرابات التمهيدية
لإضراب عمال نفط البصرة.

تذكر سعاد خيرى:

"ففي اول تشرين الاول "اكتوبر" اضرب 300 عامل في مصلحة نقل الركاب مدة
ثلاثة ايام وليبيت مطالبيهم. واضرب عمال اللاسلكي في ميناء البصرة الذين يقدر
عددهم 150 عاملا مدة تسعة ايام وليبيت أكثر مطالبيهم ولكن الموجة الاضرابية بلغت
ذروتها في كانون الاول 1953 بإضراب عمال النفط"¹⁷.

اريد هنا ان اذكر هنا مثالا على حرص سلام عادل الشديد على قضية الحزب،
وهو حادث طبع بيان الحزب الشيوعي في البصرة حول مجزرة سجن بغداد
المركزي، هذه المجزرة التي حدثت في 18 حزيران "يونيو" 1953، وروعت الرأي
العام، وحزت في نفسنا سلام وانا. كان سلام عادل يعرف الشهداء من ضحايا
المجزرة معرفة جيدة، فهم رفاق اعزاء قاسمهم صعوبات السجن سنوات طويلة. وانا
بدوري اعرف الكثيرين منهم، نتيجة زياراتي المتكررة للسجن بعد انتهاء الاضرابات
الكبيرة عن الطعام، لأنقل لهم البريد الحزبي (بحجة إني اخت حسين احمد الرضي)
ويعرف هؤلاء الرفاق بأنني خطيبته، فيمزحون معي قائلين: سوف نخبر امهاتنا إنك
خطيبته وان الحزب ارسلك لتنظيم عوائل السجناء.

عندما سمع سلام عادل بالمجزرة، اجتمع بلجنة المنطقة الجنوبية، وتقرر اصدار
بيان احتجاجي على هذه الجريمة وتنظيم مظاهرة احتجاجية خاطفة، وبذلك نعلن للناس
عن عودة نشاط المنظمة في البصرة. وواجهتنا مشكلة في اصدار البيان، فسلام لم
يكن يعرف الطبع على الآلة الكاتبة ورغم ذلك قرر تعلم الضرب عليها، لكن الوقت
كان غير كاف فلم يمس على وجودنا في البصرة أكثر من اسبوعين. طلب سلام عادل
مني ان اعلمه الاوليات التي اعرفها عن الطبع على الآلة الكاتبة التي تعلمتها في أثناء
اختفائي في بيت المطبعة، (بعد صدور امر اعتقالي نتيجة نشاطي في انتفاضة عام
1952). كان يريد تعلم الضرب على الآلة الكاتبة في يوم واحد، ليصدر البيان حول
مجزرة سجن بغداد في اليوم التالي، تعجبت من طلبه هذا، وقلت له ان التعليم على
الآلة الطابعة يحتاج الى ارشاد معلم لمدة اسبوعين على الاقل، رد علي بان هذا صحيح
في الاوقات الاعتيادية، لكننا الان في مأزق ويجب ان نطبع البيان، اشرحي لي ما
تعرفينه.

لم أجد بداً سوى ان اشرح له كيفية ادخال الورقة في الطابعة، الحروف العالية
والواطئة، وكيفية صنع هامش الورقة...الخ. فادخل الورقة وبدا يطبع بأصبع واحد

17 - سعاد خيرى: كتاب تاريخ الحركات الثورية المعاصرة (ص203)

وببطء شديد متحسسا مواقع الحروف، اما انا فذهبت الى ما يسمى "المطبخ" وهو فراغ تحت سلم الدار، حيث يوجد "بريمز" كموقد للنار، والقدر القديمة التي وهبت لنا كتبرعات. طبخت في ذلك اليوم حساء طماطم (مرق) وأردت إنزال القدر من على النار، وما ان رفعته حتى تحرك الغطاء ولسع البخار المندفع يدي، فسقط القدر وانسكبت محتوياته على قدمي فصرخت من الألم. خرج سلام عادل من الغرفة يستوضح عن سبب صراخي، ولما رأى قدمي مغطاة بمحتويات القدر الساخنة انفعل واخذ يزيلها بسرعة، وكان جلدي يُنتزع مع الخضروات المغلية. جلست في صحن الدار ولاحظته حائرا لا يدري ماذا يفعل ليساعدني، ولا يوجد في البيت اي دواء. دخل الى الغرفة وجاء بقينة الحبر وسكبها على قدمي وهو يقول كنا في السجن نستعمل الحبر لمثل هذه الحالات. ثم اعطاني مروحة الخوص (المهفة)، قائلا رُوحي عليها فربما يهدأ الألم قليلا. وعاد الى الغرفة. تصورت انه ذهب للبحث عن مخرج أكثر جدوى من المحبرة، لكنني سرعان ما سمعت صوت الضربات على الالة الكاتبة. وبقيت على حالي وقتاً لم أستطع تقديره من شدة الألم.

خرج سلام عادل من الغرفة ووجهه طافح بالبشر واضعا يديه الى الخلف وكأنه يخفي شيئا وقال لي: احزري ماذا في يدي؟ واول شيء خطر على بالي هو انه وجد لي دواءً غير المحبرة، وإذا به يريني ورق ستنسل، والظاهر انه بعد طبع سطرين على الورق الاعتيادي جازف بإنزال ورق الستنسل¹⁸ في الطابعة حالا وبدا يطبع البيان الصغير عليه حتى انجز طباعته.

في اللحظة التي استغربت فيها من سرعة تعلمه قطب وجهه وبان الألم في عينيه، وقال لي وهو ينظر الى قدمي المحمرة من الحرق: يا عزيزتي، لدي اليوم موعدان، ولا بد لي من أجد لك دواء في أحد ذينك البيتين اللذين سأذهب اليهما، وخرج بعد ذلك مسرعا. سحبت قدمي بصعوبة وفتشت بين الملابس القديمة، لاقتطع منها قطعة اضمدها بها قدمي المصابة، وفي المساء صعدت الى سطح الدار وحاولت النوم لأنسى الألم الذي ضايقني كثيرا، وبعد فترة رحت في غفوة لا أدري ان كانت طويلة، وإذا بي اشعر بيده على كتفي توقظني كالعادة وبادرني بالحديث ووجهه مملوء بالرضا: نائمة؟ لدي خبر سيفرحك كثيرا. فاعتقدت انه حصل على الدواء اخيرا! لكنه استمر بالحديث (بعد ان رأى قدمي): معذرة يا عزيزتي، لقد انشغلت الى درجة اني نسيت امر قدمك. مرددا كلمات الاعتذار معاتباً نفسه على ذلك.

المتني كلمة (نسيت) اشد مما ألمني عدم جلبه اي دواء معه، فهو لم يحاول الكذب علي حتى ولو للمجاملة على الاقل، كأن يقول حاولت ولم احصل على دواء. وعرفت فيما بعد ان سلام عادل لا يكذب ابدا، حتى الكذبة البيضاء لا يستسيغها. ولم أعلق

18 - ورق الستينسل هو ورق مغطى بطبقة من الشمع، وعند الطبع بقوة عليه، تحدث فيه ثقوب تسهل خروج الحبر أثناء وضعه على جهاز الروليو. كان شراء هذا الورق في ذلك الوقت ليس سهلاً، لانه يلفت نظر البائع. لذلك لم يكن هيناً التفريط به أثناء الطبع.

بشيء، اما هو فقد بدا يتحدث حتى استرد مزاجه المنشرح: لو تدرين ماذا وقع بيدي اليوم، لقد تحققت امنية طالما تمنيتها ولم أكن اعرف كيف أصل الى تحقيقها، الا وهي اعادة صلة الحزب بالفلاحين. فمئذ وصولنا الى هنا، عممت رسالة الى الرفاق وطلبت منهم اخبار الحزب عن كل من له علاقة بالحزب في الريف او الفلاحين واليوم نزل أول القطر، فقد وجدنا صديقاً للحزب له معرفة باثنين من الفلاحين اصدقاء للحزب منذ زمن الرفيق فهد (منذ عام 1946). وقد حصلت على موعد مع هذا الرفيق غداً لكي يعرفني بهذين الفلاحين، لهذا سأكون غداً في القرنة، وسألتقي بهما. واخذ يحدثني عن افاق العمل الممكنة بين الفلاحين في البصرة وانه سيقوم بزيارات الى الريف لحضور امسياتهم في جلسات المضيف ويركز اهتمامه على الذين يبذلون اهتماماً بالأوضاع السياسية او بالعلاقة بينهم وبين الملاكين... الخ. وفي الواقع، كان لحديثه هذا تأثير إيجابي كبير عليّ وخفف قليلاً من الغيظ الذي كنت اشعر به من كلمة (نسيت).

استيقظ مبكراً للذهاب الى الموعد في القرنة، فامتطى دراجته الهوائية تجنباً للمرور على كراج السيارات، فلم يزل حديث العهد بالمدينة ولا يضمن بمن سيلتقي ممن يعرفونه. بكر بالذهاب، لكن طريق العودة، في شهر حزيران "يونيو" في البصرة صعب للغاية، فقد رجع الى البيت وكأنه (هندي احمر) بحيث اخذ جلد وجهه ويديه ينسلخ في الايام التالية، وكان منهكاً من التعب. وعند وصوله الى البيت جلس واخذ يكتب رسالة في الحال، توقعت انها كانت حول مظاهرة الغد ثم اعطاني الرسالة وهو يقول: ارجو المعذرة، انت الوحيدة التي تعرف عنوان الرفيق الذي أرسل له هذه الرسالة، ولا اريد ان أرشد احداً غيرك الى عنوانه والقضية مستعجلة، اكرر المعذرة عن هذا الطلب وقدمك بهذه الحالة.

اخذت الرسالة وبدأ الغضب الكامن في نفسي منذ الامس يشتد فأمامي الطريق الى الباص من البصرة الى العشار، بعدها اختراق السوق الكبير الى محلة "ام الدجاج" ثم اعود بنفس الطريق سيرا على قدمي المصابة. لبست الخف (النعال) مع العباءة وبرقع الوجه (البوشي) وذهبت، وفي طريق العودة كانت رجلي متورمة تماماً، فخلعت النعال واخذت اسير برجل حافية ملفوفة بالخرق واخرى منتعلة النعال. ربما كان بوسعي وانا في السوق التوجه الى الصيدلية لطلب الاسعاف، لكنني خفت من انكشاف امر هذا الاهمال الذي قد يلفت نظر الصيدلي، خاصة اني وحدي من غير مرافق، وشابة بالعباءة والبوشي، لهذا لم اذهب الى الصيدلية وعدت الى البيت وقد بلغ الاعياء مني مبلغه. وما ان فتح سلام باب البيت لي، حتى سقطت على الارض فاقدة الوعي. لقد كانت اللجنة الحزبية مجتمعة في بيتنا، فسحبني سلام وأدخلني الى الدار ونادى على الرفاق لمساعدته على نقلي. نظر الجميع الى قدمي المتورمة، بعد ان ازاحوا الخرق عنها. وبدا الفرع على سلام من المنظر والحال التي وصلت اليه رجلي وتشاور في الامر مع الرفاق. اتفقوا على ان يرافقني عبد الوهاب طاهر الى المستشفى في الغد لعرضي على الطبيب، ثم اخذني سلام عادل الى سطح الدار وفرش لي الفراش لأرقد

عليه وهو يعتذر، ولكنني كنت اغلي من الغضب.

بعد الانتهاء من الاجتماع وخروج الرفاق، صعد سلام لينام. تظاهرت بالنوم، ولما تأكدت من نومه تسللت من الفراش ونزلت الى الغرفة. وبدأت بجمع ملابسني في الحقيبة، فقد قررت السفر الى بغداد، والانفصال عن سلام عادل نهائياً!!

وبعد قليل استيقظ سلام ولما لم يجدني نزل من سطح الدار وفتح باب الغرفة، وفوجئ إذ وجدني اجمع ملابسني، فقال متعجبا ما الخبر؟ عندها انفجر حزني وغضبي المكبوت دفعة واحدة. وواجهته برغبتي في الانفصال عنه وقلت له ان ذلك لا يحتمل اي نقاش، سوف لا أخبر اهلي واسبب لك الإحراج أمام والدي، بل سأبقى في البيوت الحزبية التي هي بحاجة لي ايضا. تعجب من كلامي وقال: عن اي انفصال تتحدثين؟ وما هو السبب؟ قلت له: اننا لانزال في الشهر الاول من زواجنا، هذا الزواج الذي تمنيت، أهذه هي النتيجة؟ تنساني وقدمي محرقة وليس لدي أحد سواك ليمد لي يد المساعدة، أكثر من ذلك تكرر كلمة نسيته، اكذب على الاقل مجاملة لي. جلس مصعوقاً ومتعجبا والالم في عينيه وقال: صحيح يوجد في موقعي اخطاء كثيرة، كان يجب ان اوضح لك من البداية مدى انشغالي لكي لا تعتمد علي، اما ان اكذب عليك فهذا شيء لا استسيغه في علاقتي معك ابدا، ثم ان قضية الحزب ليست قضيتي فحسب، بل هي قضيتك ايضا وارجوا ان لا تقولي انك لم تفرحي بالأمس وانت تسمعين بإقامة العلاقة مع الفلاحين، ولا تقولي انك سوف لن تفرحي غدا اذا ما نجحت المظاهرة ولم يعتقل احد من الرفاق والاصدقاء، لان مأساة قتل وجرح رفاقنا السجناء، دين لهم في اعناقنا، فلا تدعي انك لا تشاركيني نفس الشعور، انني اضعك بموضع افضل مما تتصورين، وغضبك الان هو بسبب اننا نعيش بداية حياتنا المشتركة، ولم تتعودي بعد على طبعي ولم اتعود انا بدوري على طباعك وعادتك، اما ان تشكي بحبي واعتزازي بك، وما ينتظرنا من سعادة فهذا خطأ فادح منك. تذكرني دائما بان الناس ينتظرون من حزبنا الكثير، وقد اعياهم الصبر على حياتهم القاسية، وتمر السنوات والرفاق مكدسون في السجون، ولا امل يلوح في الافق بأطلاق سراحهم. كان يتحدث بلغة مليئة بالعزم وكلماته صادقة حارة تخرج من اعماقه وبأسلوب مقتع يمس القلب مساً لا ينسى. فكرت وانا استمع اليه: ان هذا الذي يقف امامي، لا يشبه الرفاق الذين عملت معهم حتى الان، فهو شيوعي فذ يستطيع مساعدة الحزب على الخروج من محنته، انه يقف امامي شامخا مليئا بالعزم على تحقيق آمالنا الكبيرة، لقد تجلت لي قدراته الحقيقية في تلك اللحظة ولم أستطع ان أعلق على حديثه بشيء، واخذت دموع الاعتزاز والفخر به وبقدراته تنهمر من عيني. لقد كانت مشاعري نحو سلام عادل حتى تلك الليلة هي مشاعر الاعتزاز والصدقة، ولكن الحب العميق له بدأ وقتها ونما مع الايام، فكلما عرفته أكثر ازدادت حبا له وتعلقا به، حتى أصبح هذا الحب سديانة وارفة الظلال، لانزال تظلل حياتي حتى اليوم.

إضراب العمال في شركة نفط البصرة

10

تقول سعاد خيري:

"شهدت البصرة في الربع الاخير من عام 1953، موجة كبيرة من الإضرابات العمالية، إثر تسلم الرفيق سلام عادل قيادة تنظيم المنطقة الجنوبية، عندما أخذت سماته القيادية وقدرته التنظيمية، تتجسد في الحياة السياسية، فالبصرة مدينة عمالية فيها المئات من عمال الموانئ وعمال النفط السكك... الخ"¹⁹.

ان الهدف الأساسي لإضراب عمال شركة نفط البصرة كان سياسياً، وهو فضح العلاقة بين الشركات الاحتكارية، وتعاون الطبقة الحاكمة معها في استغلال العمال، من ناحية، وإبراز دور الطبقة العاملة الجريء والثابت في النضال الوطني ضد الشركات النفطية الاحتكارية ووقوف الطبقة الحاكمة الى جانب الشركات ومصلحتها بالصد من مصالح الشعب العراقي الوطنية.

تضيف سعاد خيري:

"وبدأت الاضرابات العمالية تتوالى صعودا واتساعا وبخطوات مدروسة بعناية، ففي شهر تشرين الاول "أكتوبر" عام 1953، أضرب 300 عامل من مصلحة نقل الركاب في البصرة مدة ثلاثة ايام، لبيت بعدها مطالبهم. وفي 17 من شهر تشرين الثاني "نوفمبر" أضرب عمال اللاسلكي في الميناء والذين يقدر عددهم بـ 150 عاملا مدة تسعة ايام لبيت أكثر مطالبهم. وفي 12/5 أضرب عمال نفط البصرة. وكانت كل هذه الاضرابات تقاد من قبل "لجان إضراب" لعب فيها الشيوعيون دورا قيادياً. وبعد بدأ إضراب عمال النفط، نظم الحزب الشيوعي إضرابات عمالية وغير عمالية تضامناً معهم، فقد اضرب عمال مصلحة نقل الركاب ليعلنوا تضامنهم مع عمال النفط، وأضرب كذلك مائتا عامل من شركة تاجريان الهندسية اضرباً تضامنياً وكذلك عمال الكوكاكولا، وعمال التجارة والمقاولات (البرزون) وعمال شركة هولواي إضرابات تضامنية"²⁰.

ذكر عبد الوهاب طاهر (ابو رجاء)²¹ وهو كادح من البصرة عاش أحداث هذه الحركة الكبيرة من الاضرابات العمالية التي تبلورت في اضراب عمال النفط، ان: "الساحة الوسطية (المكينة) وهي مركز الشركة قد تحولت الى مركز للاجتماعات

19 - سعاد خيري - من تاريخ الحركات الثورية المعاصرة ص 203.

20 - المصدر السابق.

21 - عضو اللجنة المركزية عندما سجل هذا الحديث في محاضرة أقيمت على الرفاق الأنصار في كردستان، وقد أرسلها الرفاق لي.

اليومية لجميع عمال شركة النفط الذين يعملون في الزبير والفاو ومناطق الحفر والإنتاج...الخ. وكانوا يفدون من هذه الأماكن بسيارات النقل اللوريات وهم يرددون الأناشيد والهتافات، لينزلوا الى ساحة المكنية ويبدأ العمال بإلقاء الكلمات التي تعبر عن مطالب كل مجموعة من المجموعات العمالية القادمة.

وكانت لجنة الاضراب متواجدة بشكل مستمر في الساحة تستمع الى مطالب العمال وتساعدهم على تقديمها الى مسؤولي العمل والمسؤولين الاداريين في الشركة وكان سلام عادل على تماس يومي مع لجنة الاضراب. والى جانب لجنة الاضراب تشكلت (لجنة مفاوضة) كانت تتصل مباشرة بالرفيق الشهيد سلام عادل وبصلات دائمة مع رفاق هم ضمن هذه اللجنة... وكان نفسه يتواجد هناك في الساحة باعتباره مراسلا صحفيا لجريدة اتحاد العمال (السرية) يقوم بأجراء المقابلات مع مختلف القادة العماليين وعن هذا الطريق يتعلم منهم ويساعدهم على تعلم المبادئ النضالية الأساسية.

عاشت مدينة البصرة أسبوعين، كان أبنائها ينهبون خلالها العمال المضربون، الى مسألة سرقة شركات النفط، لثروة الشعب العراقي، وأخذت عوائل المضربين تتصل بممثلي فروع الأحزاب الوطنية في البصرة لتبليغها بتطورات الاضراب لتعكسها جرائد هذه الاحزاب في البصرة، وفي بغداد العاصمة، حيث برز الكثير من تعاطف الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال مع العمال المضربين والتضامن معهم".

جاء في تاريخ الوزارات ج9 - ص46:

"أختلف عمال شركة نفط البصرة مع الشركة حول أجورهم والمطالبة بالنقابة وامور اخرى تخصهم، فشخص وزير الشؤون الاجتماعية الى البصرة بنفسه. ولما كان لدى العمال مطالب متفرقة، فقد اجتمع برؤساء المضربين ونصحهم بان يوحوا المطالبين بأجمعها حتى يعتبرهم طرفا في الخصومة ويناقش الشركة على حساب تلك المطالبين. وقد قام العمال بتوحيد المطالبين فكان عددها حوالي الخمسة عشر مطلباً منها ما يتعلق بكيفية نقلهم الى الحقول ومنها ما يتعلق بالطعام واخر عن الاجور وتشكيل على نقابة لهم وقد فاوض الوزير الشركة حول المطالب العمالية ووفق في حلها، الا المطلب الخاص بالأجور والنقابة فقد وعدت الشركة بدراسته وهكذا انتهى الاضراب، وعاد المضربون الى مزاولة أعمالهم وعاد الوزير الى بغداد فأصدرت الحكومة في 1953/12/14 بلاغها حول الموضوع."

وجاء في محاضر محكمة الشعب ص1046 الجزء الثالث:

"ولكن الاضراب تجدد للمطالبة بزيادة الاجور، وتجمهر المضربون في ساحة "المكنية" للتعبير عن احتجاجهم على الشركة التي وعدت بتلبية المطالب التي يمكن ان تعود لسلبها بعد الاضراب مثل تحسين الطعام او تحسين النقل... ولكن المسألة الاساسية التي لا تستطيع ان تتراجع عنها هي زيادة الأجور ولهذا يحتج العمال على

عدم تلبية هذا المطلب. ثم التحق بالمضربين المجموعات العمالية الاخرى، جاؤوا من الزبير والفاو ومواقع العمل الاخرى على شكل مظاهرات احتجاجية. وفي هذه الاثناء كان وزير الداخلية سعيد قزاز قد جاء بالطيارة الى البصرة ليتولى الامر بنفسه! فهاجمت الشرطة بالسلاح جمهرة العمال المضربين في الساحة بمساعدة قوات الامن وكلهم كانوا مسلحين، وكان هجومهم شرسا للغاية أطلقوا فيه النار على العمال فجرحوا ثمانية عمال توفي واحدا منهم متأثرا بجراحه واعتقل الكثير من الشيوعيين والعمال المضربين وزجتهم قوات الشرطة والامن باللوريات ونقلتهم مباشرة الى سجن نفرة السلمان".

وجاء في تاريخ الوزارات ما يلي:

"عند ذاك نظم الحزب الشيوعي إضراباً عاماً في البصرة احتجاجاً على الاساليب الدموية التي استعملتها الحكومة ضد العمال حماية لمصالح الشركة الاحتكارية الاستعمارية. قابل الرفيق سلام عادل مسؤولي الحزب الوطني الديمقراطي في البصرة جعفر البدر صاحب جريدة (نداء البصرة)، وعبد الامير العرادي كما اتصل بممثل حزب الاستقلال فرع البصرة وساند ممثلو الحزبين الاضراب مما لعب دورا بارزا في تطوره الى معركة وطنية متجددة".

"عاد وزير الداخلية الى بغداد فعقد مجلس الوزراء جلسة خاصة مساء يوم الثلاثاء 15/12/1953، استمع خلالها الى بيانات الوزير المشار إليه عن الاضرابات التي وقعت في البصرة وما نشأ من قلق وضعف للطمأنينة العامة! ثم دقق في طلبه وإصراره على إعلان الاحكام العرفية في البصرة قبل ان تتطور الامور ويحدث ما لا تحمد عقباه، فحاول الرئيس الجمالي ان يخفف من حدة الوزير وإصراره على طلب الادارة العرفية، فهدد هذا بالاستقالة من وزارة الداخلية، فلم يبق امام المجلس إلا الرضوخ لهذا الطلب فوافق على إعلانها، كما وافق على تعطيل تسعة صحف لمدة سنة كاملة وهي:

1 - النداء لصاحبها صليحي الطرابلسي 2 - الاخبار لجبران ملكون 3 - الميثاق لعبدالقادر البراك 4 - الدفاع لصادق البصام 5-الجيل لمحمود البريفكاني 6 - الآراء لأمين احمد 7- الجريدة لفائق السامرائي 8 - النضال لغالب إبراهيم 9 - العزة لعبد الجليل قسطو".

"وقد أحال مجلس الوزراء كلا من جريدة صوت الاهالي ولواء الاستقلال الى المحاكم الجزائية على أساس ان هذه الصحف نشرت أنباء مبالغاً فيها عن حوادث البصرة واستتكرت إعلان الاحكام العرفية فيها ونشرت احتجاجات الأحزاب السياسية المرفوعة الى الوزارة معتبرة هذه التدابير إجراءات تعسفية لا يصح السكوت عنها".

"وفي 22/12/1953 قامت ضجة عنيفة ضد إعلان الاحكام العرفية في مجلس الاعيان والنواب معا واعتُبر عمل الوزارة شاذاً يستوجب اللوم، وقدم النائب عبد

الرزاق الشихلي طلبا بإجراء تحقيق نيابي وطلب السيد عبد الرزاق الحمود نائب البصرة اقتراحا باستيضاح رئيس الوزراء عن الاحكام العرفية المعلنة في لوائه²².

وكانت جريدة صوت الاهالي قد نشرت في عددها الصادر يوم 1953/12/16 خيرا عن زيارة وزير الداخلية سعيد قزاز للبصرة، وأمره باعتقال العمال المضربين، وإطلاق النار على تجمعاتهم وجرح ثمانية منهم ووفاة أحد المجروحين، كما ذكر الخبر قيام اهالي البصرة بإعلان الاضراب احتجاجاً.

وقد أصدر الحزب الوطني الديمقراطي بياناً نشر في يوم 1953/12/17 حول الموضوع هاجم فيه الحكومة بشدة، واستنكر اعمالها كما استنكر الأحكام العرفية في البصرة.

"وعلى أثر إعلان الاحكام العرفية في البصرة واغلاق تسع صحف في بغداد، قررت الجبهة الشعبية المتحدة سحب وزيرها من الوزارة. كما احتج حزب الاستقلال على إعلان الاحكام العرفية في البصرة".

"وتفاقمّت الاحداث عندما أحيل الاستاذ عباس حسن جمعة المحامي المدير المسؤول لجريدة صوت الأهالي الى المجلس العرفي في البصرة بتهمة تتصل بما نشرته الجريدة عن إضراب عمال النفط يوم 1954/1/16، وإصدار الحكم بتغريم الجريدة مبلغ 500 دينار. وفي اليوم التالي 1/17 جرت محاكمة جريدة نداء الاهالي لسان فرع الحزب الوطني الديمقراطي بالبصرة وحكم على مديرها المسؤول محمد الرشيد بالحبس ثمانية أشهر مع إيقاف التنفيذ كما اعتقد، وبإغلاق الجريدة لمدة سنة في لوائه".

ويكتب الجادرجي في مذكراته (ص627):

"وقد استمرت الجريدة في نشر الاحتجاجات والعرائض بمئات وآلاف التواقيع في مختلف المواضيع، ومنها المطالبة بإلغاء الادارة العرفية والاحتجاج على اضطهاد الحريات...الخ. وقد اشترك أعضاء الحزب وقواعده اشتركا فعليا في حملة المعارضة هذه، وان كان معظم التواقيع التي ينشر عددها في أسفل الاحتجاجات من أناس غير حزبيين، كما كان للشيوخ عيين دور رئيسي في جمع تلك التواقيع".

وقبل الانتهاء من موضوع إضراب عمال نفط البصرة، أريد ان نتوقف قليلاً عند ما كتبه ليث الزبيدي في كتابه (ثورة 14 تموز "يوليو" عام 1958 في العراق) ص69 إذ قال:

"في اواخر عام 1953، عندما قام عمال شركة النفط في البصرة بإضراب وقف الحزب (يقصد حزب البعث) الى جانب العمال المضربين. ودعا الى الاضراب في 14/12/1953، ونجح نجاحا تاما في حين فشلت دعوة الاحزاب الاخرى الى

²² تاريخ الوزارات ج9 ص ص 50، 55.

الاضراب قبل يومين من ذلك".

وقد استند الزبيدي في هذا القول الى مصدر اسمه (نضال البعث الجزء الخامس ص7).

ان الزبيدي لا يدعي فقط بان حزب البعث دعا الى الاضراب في 14/12/1953، ولكنه يتجاهل ايضا ما قامت به الاحزاب الوطنية الاخرى التي ساندت الاضراب وساندت منظميه الشيوعيين، كما جاء ذلك بكل وضوح في مذكرات الجادرجي وفي تاريخ الوزارات لعبد الرزاق الحسني كما أشرنا الى ذلك اعلاه.

اننا نتمنى لباحث شاب كالزبيدي ان يكون أكثر موضوعية عند تناوله الاضراب ونسأله هل تقصّى الزبيدي عن وجود بعثي واحد بين المعتقلين في الاضراب أو الذين زجّ بهم في نقرة السلطان بعد قمع الاضراب؟ ولماذا لم يذكر الجادرجي في مذكراته أي شيء عن حزب البعث ودوره في الاضراب أو عن وجوده في البصرة آنذاك؟!

لم تتطور لجنة محلية العمارة، فقد قادها الشهيد عزيز حميد²³، لظرف خاص، وهو شاب واعد بإمكانياته وقد ظهرت صعوبات ومشاكل عرقلت تطور عمل هذه المنظمة، بسبب عدم تقبلها للنقد الذي وجهه الحزب وتشخيصه للأخطاء التي ارتكبت من قبل قيادة بهاء الدين نوري... فقد كان لعبادة الفرد إثر كبير على عزيز حميد انعكس على المنظمة كلها... فبعد صدور كراس جبهة الكفاح الوطني حدثت بلبلّة فكرية، وزاد الطين بلة اصابة عزيز حميد بمرض التيفوئيد، الذي أحدث لديه اختلاطات اخرى، مما ادى نقله الى بغداد، ثم لم يعد الى العمارة. وقد حاول سلام ان يعالج هذه المشاكل، ولكن اضطراره للسفر بسرعة لحضور اجتماع لندن المكلف بحضوره عرقل جهوده في هذا الميدان. وهكذا بقيت هذه المنظمة ضعيفة، ولم يستطع المسؤول الجديد شريف الشيخ ان يعيد لها نشاطها السابق.

اما لجنة محلية الناصرية فقد قادها الرفيق ابو نضال (عبد الجبار عبود)، وهو من الرفاق الصابئة، وقد عمل في اليمن الشعبية خلال الثمانينات، توفى في سوريا ودفن في مقبرة الشهداء فيها.

كان عملنا في مدينة الناصرية صعب، فقد كان لمنظمة "راية الشغيلة" المنشقة النفوذ الاقوى فيها. وعندما بدأ التشكيل الجديد للجنة المحلية فيها في نهاية عام 1953 وأصبح الرفيق ابو نضال مسؤولاً عنها توسع نشاطنا هناك. ولكن في فترة اضراب عمال نبط البصرة، وجه العدو ضربة كبيرة للمدينة عندما اعتقل اعضاء اللجنة

23 - عزيز حميد: احد ابطال حزبنا الميامين، امتاز بالذكاء الحاد والثبات. عمل بجد في منظمات بغداد، ثم اصبح عضواً في لجنة التنظيم العسكري للحزب. اعتقل في السبعينات وصمد صموداً شامخاً. وكان صموده قبل استشهاده سبب في عدم انكشاف لجنة التنظيم العسكري، التي كان الشهيد ستار خضير عضواً فيها.

ومسؤولها... وقد حصل ذلك وسلام يتهيأ للسفر الى حضور اجتماع لندن... مما لم يساعد على اعادة بناء تنظيمنا في المدينة بسرعة من جديد.

من ذكرياتي عن ام نضال ومجيئها الى البصرة لاستلام واخذ البريد، انها اعتقلت مع زوجها حيث وضعت طفلها الاول في موقف سجن المدينة في ظروف قاسية جداً... ولما سمع ابو نضال بذلك طلب تسميت ابنه (إنسان) احتجاجاً على المعاملة اللاإنسانية التي قوبل بها لدى اطلاقته على هذا العالم. وبضغط من اصدقائه ورفاقه بدل اسمه الى نضال. والتقيت كثيراً بأُم نضال طوال حياتي في البيوت الحزبية، وقد كانت العزيزة وهي تتابع سيرها في درب النضال، تحمل عبء العائلة الثقيل، فقد كان الرفيق ابو نضال لا يخرج من السجن الا ليدخله مرة أخرى.

يقول كريم احمد في حديثه المسجل:

"لقد لفت نشاط الرفيق سلام عادل وبروز مؤهلاته التنظيمية نظر قيادة الحزب وقررت ضمه عضواً اصيلاً في اللجنة المركزية دون المرور بفترة الترشيح الاعتيادية."

ان ضم سلام عادل الى اللجنة المركزية لم يكن اضافة رقم اليها، بل للعبه دوراً متنامياً فيها، فقد حاز تقرير جبهة الكفاح الوطني الذي ساهم سلام عادل في صياغته رضا الاحزاب الوطنية العراقية، والاحزاب الشيوعية في اجتماع لندن عام 1954 وأعقب صدور الكراس الذي يضم لاحقاً، اقامة الجبهة الوطنية الانتخابية عام 1954.

جبهة الكفاح الوطني ضد الاستعمار والحرب 1954

11

في كانون الثاني 1954، عقد اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، ليناقد التقرير السياسي الذي اعدته اللجنة تحت عنوان "جبهة الكفاح الوطني ضد الاستعمار والحرب".

يقول كريم احمد الداود (والذي كان سكرتير اللجنة المركزية آنذ) في مقابلة مسجلة معه:

"دعيّ حسين أحمد الرضي، إلى اجتماع اللجنة المركزية بعد ان قررت اللجنة ضمه إليها كعضو وليس مرشحاً، وساهم مساهمة فعالة في إغناء التقرير، وقبل ذلك في كانون الأول /1953، كان قد قاد إضراب عمال نفط البصرة بجدارة وحيوية، واستطاع كسب تأييد الأحزاب الموجودة فروعها في البصرة لإضراب العمال وإلى مساهمة صحفهم المحلية والمركزية في هذا التأييد، مما أدى بالتالي إلى وقوف قيادات الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال إلى جانب العمال، ووقوفهم ضد إعلان الأحكام العرفية في البصرة وقمع الإضراب بالإرهاب والرصاص."

لنتوقف قليلاً أمام القسم السياسي من وثيقة "جبهة الكفاح الوطني ضد الاستعمار والحرب" لنستخلص منه وبشكل مكثف الخط السياسي للحزب الذي أقرته اللجنة المركزية في مطلع عام 1954.

حددت الوثيقة أبرز خصائص الوضع السياسي واستخلصت على ضوءها الخطة السياسية للحزب في المرحلة اللاحقة. فقد شخّصت:

"ان الدوائر الاستعمارية الحاكمة في العراق، أصبحت مُقَدِّمة على تنفيذ مشاريع استعمارية حربية تهدد وطننا وحركتنا..."

"وان مدّاً ثورياً يواجه حزبنا وحركتنا الثورية..." ولهذا "يجب ان تكون لنا خطة قبل الدخول في أية معركة، يجب ان نعرف كيف نستطيع ان نجمع جيشنا السياسي العظيم وتعزيزه خلال المعارك."

ثم يتطرق التقرير إلى المهام المستعجلة إقامة الجبهة الوطنية ضد الاستعمار:

"ان هذه الظروف والأوضاع تضع على عاتقنا مهمات مقدسة عظيمة، مهمة تحرير العراق وغسل ارض الوطن وتطهيرها من أرجاس الاستعمار ونظامه التعسفي ... فأين السبيل؟ ان سبيلنا هو تحقيق اتحاد جميع القوى المناوئة للاستعمار والحرب في جبهة كفاح وطني عظيم."

ولتشكيلها تشخص الوثيقة القوى المؤهلة لتشكيل هذه الجبهة وهي "العمال

والفلاحين والمثقفين والكسبة والحرفيين والبرجوازية الحرة من التجار وأصحاب المصانع والرساميل الوطنية".

وعلى قوى هذه الجبهة "ان تدخل المعارك، لأننا لا نستطيع ان نؤلف هذا الجيش السياسي إلا في جبهات كفاح".

و"علينا ان ندرك مسألة الجبهة، ليست مسألة الاتفاق أو التوقيع على منهاج الجبهة، بل هي الاتفاق على أعمال مشتركة".

وشخصت الوثيقة دور الطبقة العاملة وحزبها القيادي في خوض المعارك وحدد موقفه من الخطوات المعرقة والخاطئة لجميع الأحزاب والمنظمات الديمقراطية. و"فإن غرضنا من الانتقاد هو ليس إضعاف هذه الأحزاب والمنظمات، بل نريد تقويتها".

وأكدت الوثيقة على ضرورة تعزيز الحزب، وسياسته. وان لا تكون سياسة التحالف على حساب تقويته، بل العكس.

وحدد الموقف من الحياء و"شعار الاتحاد العربي. ان الاتحاد القومي العربي لكل البلدان العربية، فهو لا يمكن إدخاله في جدولة الأعمال إلا بعد إزاحة السيطرة الاستعمارية على جميع البلدان العربية".

وتشير الوثيقة بأسهاب الى تعاضد دور الحركة الوطنية وتعزيز مكانة حزبنا فيها وتزايد خبرها وتجاربها. وكذلك تزايد نفوذ ومكانة الاتحاد السوفيتي وقوى السلم والتحرر في العالم. ويطرح امكانية تحقيق اهداف ملموسة تستقطب اوسع أطراف الحركة وتحقيق استقلالها الناجز من أجل إلغاء معاهدة 1930 وجلاء الجيوش الانجليزية المحتلة. وإلغاء مشروع النقطة الرابعة وتأميم النفط وتنمية الاقتصاد الوطني. وعلى الصعيد الداخلي إطلاق الحريات الديمقراطية وتعديل الدستور وإلغاء كافة القوانين الرجعية وإطلاق السجناء السياسيين وتحسين الحالة المعيشية للعمال والفلاحين... الخ.

ثم يحدد التقرير إلى أفضل شكل للحكومة الوطنية "هي حكومة الجبهة الوطنية". دون ان يكون ذلك "النوع الوحيد من الحكومات، التي يمكن ان نؤيدها بغض النظر عن اشتراكنا فيها أم لا".

وتحدد الوثيقة طريقة تأليف هذه "الحكومة الوطنية الديمقراطية؟ ان تأليف هذه الحكومة لا يتم إلا بالنضال الثوري الجماهيري، ومعارك شديدة يومية وعامة، بجبهة وطنية ديمقراطية تشمل جميع القوى المناوئة للاستعمار والحرب". و"فرض هذه الحكومة يتوقف على قوى حزبنا الشيوعي وقوى وأحزاب الحركة الوطنية".

اتناء ذلك حدث تغير في قيادة الحزب. ففي أيار 1954 هرب حميد عثمان من

السجن مع هادي هاشم وفرحان طعمة فانتقلت قيادة اللجنة المركزية من كريم أحمد الى حميد عثمان. لقد أثر وجود سلام عادل عضواً في اللجنة المركزية آنذاك، بجانب الرفاق الآخرين، على الحد من فردية حميد عثمان بصورة كبيرة، وخاصةً في التزامه بخطة جبهة الكفاح الوطني والتقييد بها. ولكن إبعاد سلام عن المركز، بتكليفه بقيادة منظمة الفرات الأوسط في خريف عام 1954 وإعتقال كريم أحمد، شجع حميد عثمان على خرق مبدأ القيادة الجماعية والتخلي عن الخط السياسي المرسوم من قبل اللجنة المركزية وفي مقدمته وثيقة جبهة الكفاح الوطني والاستعاضة عنها بما عرف بـ "إطلاقات أيار".

ولقد تصدى سلام عادل بحزم مبدئي لذلك النهج التنظيمي الغريب ولانعكاساته الضارة على سياسة الحزب. لقد رفض تعميم سياسة "الإطلاقات" على المنظمات التي كانت بقيادته طالباً في نفس الوقت إيقاف توزيعها على منظمات الحزب الأخرى لحين البت بها من قبل اللجنة المركزية المخولة لوحدها بوضع وإقرار سياسة الحزب العامة وإقرار تعميمها وفقاً للنظام الداخلي للحزب. ولذلك طالب بعقد اجتماع للجنة المركزية لبحث ذلك الموضوع الهام والخطير.

ولهذا الغرض واستجابة للطلب عقد الاجتماع في حزيران عام 1955 وفيه جرت محاسبة ومعاينة حميد عثمان على خروقاته اللا مبدئية وانتخب سلام عادل سكرتيراً للجنة المركزية، أعقبه في تموز اجتماعاً خصص لوضع سياسة عامة للحزب في كافة المجالات ومنها سياسته في التحالفات بالاستفادة من خبرة تطبيقها في جبهة الكفاح الوطني عام 1954.

وسوف نتطرق الى تفاصيل تلك التطورات فيما يأتي من فصول.

معاهدة الأمن المتبادل العراقية الأمريكية

أصدر حزبنا الشيوعي العراقي بياناً في 22 شباط /1954، حول محاولة الحكومة العراقية عقد معاهدة الأمن المتبادل مع أمريكا، ونصت إحدى فقرات البيان على ما يلي:

"ان بلادنا في خطر، وأن شعبنا أمام كارثة، إننا ندعو للقيام بحملة احتجاجات واستنكارات جماهيرية واسعة ضد محاولة الحكومة في فرض هذه المعاهدة ولنا كل الثقة بأن شعبنا سيلبي نداء حزبه الشيوعي وينهض بوجه المستعمرين والفئة الحاكمة لإحباط هذه المحاولة الخائنة".

جاء في كتاب تاريخ الوزارات:

"كانت الوزارة المدفعية السادسة قد فاتحت السفارة الأمريكية في العراق بتاريخ 21/آذار/1953 لتتوسط لدى حكومتها (حكومة الولايات المتحدة) لتمد العراق بالمساعدات العسكرية التي درجت أمريكا على تقديمها إلى (دول العالم الحر) بغية

السير في ركابها فلم تتلق الوزارة أي جواب على طلبها. فلما ألف الدكتور الجمالي وزارته الثانية في 8/آذار/1954، استأنف بحث الموضوع مع السفارة الأمريكية... وكتب الجمالي رسالة باعتباره وزير الخارجية بالوكالة بعد ان قدم السيد موسى الشابندر استقالته من وزارة الخارجية، وجهها إلى جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا ورجاه فيها بان تعيد حكومته النظر في طلب العراق المشروع دون ان تتأثر بدعايات الصهاينة".²⁴

وعندما عقد العراق هذه الاتفاقية التي تضمنت فقرة سرية بوجوب انضمام العراق إلى الحلف (التركي - الباكستاني) لم تنتشر الحكومة شيئاً عن هذه الاتفاقية العراقية - الأمريكية إلا في 26/4/1954، "وبعد ان وقعت تركيا والباكستان في الثاني من نيسان 1954/ اتفاقاً ودياً يتناول الامور الاقتصادية والعسكرية وجرت محاولة فاشلة لضم العراق إليه".

فسارع الحزب الشيوعي إلى توزيع نداء في آذار/1954، تحت عنوان "لتسقط معاهدة تركيا - باكستان" إلى العمال والفلاحين ربط فيه بين ما يعانيه العمال والفلاحون وبين تأمر الحكام على مصير العراق، كما ربط بين نضالهم ضد هذه المؤامرات ونضالهم من أجل حقوقهم. ونبه الجماهير: "إنكم أمام خطر عظيم، خطر عقد معاهدة الذل والعبودية، معاهدة تركيا - الباكستان، والمعاهدة الثنائية مع الاستعمار الأمريكي فليس أمامكم سوى الاتحاد في جبهة وطنية وتكوين لجان هذه الجبهة والنهوض كرجل واحد للنضال المشدد لإحباط هذه المعاهدة وإلغاء معاهدة 1930 وجلاء الجيوش الانجليزية المحتلة وتأميم شركات النفط وتوزيع الأراضي وتوفير المياه وزيادة حصة الفلاح ورفع السخرة وعدم ربط بلادنا بأي مشروع حربي عدواني وإلغاء النقطة الرابعة وإسقاط حكومة الجمالي وتأييف حكومة وطنية تخدم السلم وترفض المعاهدات والمشاريع الحربية الاستعمارية".

وقد عارضت سوريا ولبنان ومصر والسعودية هذا الحلف، واجتاحت دمشق والقاهرة وبيروت مظاهرات جماهيرية ضد الحلف.

"ولقد واجهت بغداد في آذار/1954، فيضاناً عاتياً، فقد بلغت المساحة التي أغرقتها مياه الطوفان بمليون فدان، وأن عدد الذين نكبوا بسببها كان ربع مليون نسمة... أما الأضرار المادية التي لحقت بالطرق والزرع وغيرها فقد تجاوزت الـ (35) مليون دينار".²⁵

ووقف الحزب الشيوعي بكل قواه إلى جانب الشعب في محنته هذه فأستنفر جميع قواه وأصدقائه وجميع المنظمات الديمقراطية، بل وجميع المواطنين، ووزع آلاف البيانات منها نداء صدر في 26/آذار/1954 تحت عنوان (إلى العمل من أجل إنقاذ

24 - عبد الرزاق الحسني - تاريخ الوزارات ج9.

25 - المصدر السابق.

بغداد من الغرق) ونداء في 30/آذار/1954 تحت عنوان "انهضوا باندفاع أشد لإنقاذ بغداد من الغرق! لإنقاذ أطفالكم ونسائكم وشيوخكم، ولا تعتمدوا على الحكومة الخائنة العميلة... ان أعضاء ومنظمات حزبنا الشيوعي تسير في مقدمتكم لإنقاذ مئات الألوف من أنفُس الكادحين". كما وزع اتحاد الطلبة العراقي نداءً إلى الطلبة للمساهمة في هذا الواجب الإنساني في صيانة بغداد من الغرق.

اما الشرطة فقد نشطت لا لتنقذ حياة الناس، بل لترقب نشاط الشيوعيين الذين قادوا حملة صيانة بغداد.

وقد ذكر إسماعيل العارف في مذكراته:

"ان العناصر الوطنية في الجيش استفادت من الحملة في عقد اللقاءات في بغداد".

12

أوفدت اللجنة المركزية الشهيد سلام عادل لحضور المؤتمر تلبية للدعوة التي وصلت قيادة الحزب من الرفيق بالم دات عضو المكتب السياسي للحزب البريطاني. وسافر سلام من بيروت الى لندن بالطائرة، وفي المطار احتجزوه كإجراء احتياطي لمنع مواطني الدول الدائرة بفلك النفوذ البريطاني من المساهمة في مؤتمر الأحزاب الشيوعية في دول الكومونولث، ورأى سلام بأمره عينه كيف اقتادوا أحد أعضاء الوفد القبرصي ووضعوه على أول طائرة مسافرة الى قبرص. ونظراً لخبرته في العمل السري تمكن من الإفلات من سلطات المطار، ومنعهم من الحيلولة بينه وبين حضور المؤتمر. فقد ادعى انه تاجر (رغم انه كان يحمل عشرة دنائير فقط في جيبه) وجاء الى لندن لرؤية المعرض الصناعي، وانه له اخ غير شقيق من امه الطالب (أنيس عجينه) الذي كان مسؤول منظمة الحزب في المملكة المتحدة، فعرضوا عليه البقاء في فندق المطار ريثما يستدعون أخاه في الصباح، أعطى العشرة دنائير أجرة غرفة الفندق بصحبة الشرطي حارسه. وفي الصباح اخذ يتمشى في الفندق وعينه على الباب وإذ رأى أنيس ركض إليه وعانقه وكان يعرفه لأنه ابن النجف وأسر في إذنه المعلومات الضرورية التي يجب قولها للمستجوبين (إنه أخوه وما هو اسم أمه... الخ) وهكذا استطاع الدخول الى بريطانيا فذهب مع الرفيق مسؤول المنظمة الى بيته وكتب هناك تقريراً عن مسيرة الحزب وسياسته كما وردت في تقرير جبهة الكفاح الوطني ضد الاستعمار والحرب ثم ترجم ما كتبه الى الإنكليزية، وغيّر مسكنه الى سكن رفيق آخر وذهب في صباح افتتاح المؤتمر اليه، وألقى التقرير نيابة عنه. وقابل المندوبون التقرير بهتاف عال عندما ذكر بأن جريدة الحزب المركزية (القاعدة) توزع بنطاق واسع، لم تبلغه أية جريدة علنية.

وعند انتهاء التقرير هتف المندوبون هتافات عالية بحياة الحزب الشيوعي العراقي. وعلى إثر ذلك قدم الرفيق بالم دات نائب رئيس الحزب الشيوعي البريطاني الاقتراح التالي:

"بعد الاستماع الى تقرير الحزب الشيوعي العراقي في هذا المؤتمر، ذلك التقرير الذي هزّ مشاعر كل من استمع اليه، فاني اقترح ان يرسل مؤتمرنا هذا رسالة جواب وتحية اخوية حارة الى الحزب الشيوعي العراقي البطل. وإننا نعاهد أنفسنا ان نبث الدعاية على نطاق واسع للوضع والنضال الذي يكشف عنها التقرير، وان نعمل كل ما في طاقتنا لمساندة رفاقنا في الحزب الشيوعي العراقي والحركة الوطنية التحررية للشعب العراقي".

وأرسل المؤتمر تحية الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي جاء فيها:

"ايها الرفاق الاعزاء

لقد أعجب اعجاباً عميقاً جميع مندوبي الاحزاب الشقيقة وكل الحاضرين بالنضوج السياسي المتنامي في الحزب الشيوعي العراقي... وقد هزّ مشاعرهم ذلك الوضع الرائع بشجاعة الحزب وتضحياته في قيادة المعارك العظيمة للعمال والفلاحين والطلاب والمتقنين وكل أولئك الذين يقاومون السيطرة الاستعمارية الاجنبية ودمى الاستعمار الرجعية في العراق."

"إننا واثقون بان المنظور الذي يرسمه تقريركم (جبهة الكفاح الوطني ضد الاستعمار والحرب) سيخدم تطوير الكفاح الموحّد للشعب العراقي بما فيه الشعب الكردي الذي يعاني من الاضطهاد القومي ايضاً. اننا نتطلع الى النجاحات العظيمة في عملكم والنمو السريع وتقوية حزبكم."

"ان مؤتمرنا، في لندن، قد عمق أكثر اواصر الصداقة والتعاون بين احزابنا الشقيقة ويفخر ان سجل النضال الرائع لحزبنا الشقيق في العراق كان عاملاً كبيراً في التأكيد على اهمية الكفاح المشترك ضد العدو المشترك (التحالف الرجعي للاستعمار البريطاني والامريكي). اننا واثقون من ان الحزب الشيوعي العراقي سيكون من اقوى المساهمين في تحالف جميع الشعوب المقاومة للاستعمار البريطاني والذين سيسيروا قدماً، كتفاً لكتف لإحراز السلم، والتحرر الوطني، والديمقراطية، والاشتراكية."

"عاش الحزب الشيوعي العراقي... مع أحر تحياتنا التعاضدية" **المؤتمرون**

"وهكذا أصبح الحزب الشيوعي العراقي بعد خمس سنوات فقط من محاولة الاستعمار والرجعية للقضاء عليه، قوة طليعية ليس في الحركة الوطنية العراقية فقط، بل وفي الحركة الشيوعية العالمية وحركة التحرر الوطني ضد الاستعمار ومن اجل السلم والتحرر في العالم".²⁶

وفي مقابلة مع الرفيق كريم احمد قال:

"لقد تعززت علاقتنا الاممية منذ ذلك الحين فقد اجرى الرفيق حسين احمد الرضي صلات واسعة مع الوفود التي حضرت المؤتمر ومن جملتها وفد الحزب الشيوعي السوفيتي، وقد كان الرفيق مكلفاً بالسفر الى الاتحاد السوفيتي ولكن السلطات البريطانية اكتشفت فيه شيوعي "خطر" ولم تسمح له بالمغادرة الى الاتحاد السوفيتي وأركبوه طائرة الى بيروت حيث لاحقوه فيها فرجع الى الوطن عن طريق سري عبر سوريا سيراً على الاقدام في اواسط ايار "مايس" 1954. وقد قدم تقريراً الى اللجنة المركزية عشية الانتخابات البرلمانية فكلفته اللجنة المركزية بقيادة لجنة بغداد وكلف ايضاً بأن يكون ممثل اللجنة المركزية للصلة مع الاحزاب الوطنية في بغداد لتسهيل اقامة الجبهة الوطنية وكان اول لقاء له مع كامل الجادرجي."

26 - جميع المقطعات المذكورة داخل قويسات مأخوذة من جريدة القاعدة - أيار 1954.

واثناء بقاءه في لندن اجتمع مع اللجنة القيادية لمنظمة حزبنا في بريطانيا وكوادرها ثم اجتمع اجتماع آخر بالأعضاء وابدى ملاحظاته ومقترحاته التي تخص نشاط الرفاق. وقد جمعوا على إثر ذلك تبرعات سخية للحزب، اذكر منها تبرع **الشهيد عبد الخالق البياتي**²⁷ وزوجته بما جمعه لحفلة زواجهم قدموه للحزب تقديراً لمسيرته الملهمة... وبهذا عاد سلام إلى بيروت وفي جيبه ما يقارب المائة جنيه إسترليني هدية من منظمة حزبنا في بريطانيا للحزب.

²⁷ - الشهيد عبد الخالق البياتي: مهندس كان رفيقاً بأسلاً، عمل في الخط العسكري للحزب عنده عاد من لندن..اعتقل في انقلاب شباط الاسود،وصمد ببسالة تحت التعذيب الوحشي (صامتاً) كما يقول عنه حتى البعثيون.

الانتخابات البرلمانية والجبهة الوطنية 1954

13

في عام 1954 شهد الحكم في العراق أزمة عميقة نتيجة لسياسته وضلوعه في تنفيذ ارادة الاوساط الاستعمارية الانكلو الامريكية على حساب الشعب العراقي. وللخروج من أزمته لجأ الى تبديل الوجوه السياسية الحاكمة عن طريق تعديلات وزارية، وهو ما شخصه كامل الجادرجي قائلاً:

"وفي 29/نيسان/1954 تألفت الوزارة الجديدة برئاسة أرشد العمري، حيث قابل حزب الاستقلال والوطني الديمقراطي تأليفها باستنكار شديد. وقد سبق تأليفها استشارات قام بها جلالة الملك مع رؤساء الأحزاب كل على انفراد."

ويذكر الجادرجي: "ان الازمة القائمة الان ما هي إلا امتداد لأزمة الحكم... وأن الأحزاب قدمت مذكرات مسهبة حول هذا الموضوع إلى الوصي عام/1952 شرحت فيها الأسباب التي أدت إلى حرمان الشعب العراقي من مزاوله حقوقه الديمقراطية...". ثم ذكر: "ان الحزب لا يعترف بشرعية المجلس القائم... هذا وقد أعلنت وزارة الداخلية في 4/مايس إجراء الانتخابات العامة يوم 9/حزيران". (مذكرات الجادرجي ص 632)²⁸

وهكذا نرى ان الحكومة لجأت الى الانتخابات كأسلوب لتمرير أزمته ولاصباح مسحة الديمقراطية على نهجها الارهابي.

وفي خلال الحملة الانتخابية من (4/مايس – 9/حزيران) نشر الحزب الشيوعي عدة بيانات أوضح فيها عنف المعركة الدائرة بين قوى شعبنا وقوى أعدائه فقال في بيانه الصادر في (25/مايس):

"ولهذا فإن القوى الشعبية والجبهة الوطنية وأحزابها ومنظماتها أمام واجبات تاريخية ليس بالنسبة لبلادنا وشعبنا فحسب، بل بالنسبة إلى بلدنا وشعبونا العربية وشعوب العالم بأسره وأمام هدف صيانة السلم العالمي. تلك المهام والواجبات هي:

القيام بأعمال سريعة لتعبئة وتحشيد جماهير الشعب.

فرض الاجتماعات الانتخابية.

القيام بأعمال إيجابية مشتركة على نطاق القطر".

وكتبت جريدة القاعدة في عددها الصادر في حزيران/1954، مقالا افتتاحيا تحت

²⁸ - يوجد الموضوع بتفصيل أكبر في الملاحق في نهاية الكتاب.

عنوان (في سبيل حكومة ترفض الأحلاف العسكرية – وتطلق حريات الشعب) وضح فيه سبب التجاء الطغمة الحاكمة كل وسائل الإرهاب وخنق الحريات ومطاردة مرشحي الجبهة وإعاقة ترشيحهم بغية إيصال الأكثرية الرجعية إلى البرلمان لإمرار مشاريع المستعمرين الحربية. وحدد الحزب الشيوعي الهدف الرئيسي الذي وضعتة اللجنة المركزية للحزب أساسا لاتحاد جميع القوى الوطنية (حكومة ترفض الأحلاف العسكرية وتطلق حريات الشعب).

وانطلقت الجماهير الشعبية في جميع أنحاء العراق، تعقد الاجتماعات الانتخابية وتسير بمظاهرات في سبيل حقها في انتخاب المرشحين الوطنيين وللذود عن البلاد من مؤامرة ضمها إلى الأحلاف العسكرية. وترأست صفوف الشعب والتفت حول الجبهة الوطنية وساندتها وساندت ميثاقها ولجانها ومرشحيها، ونزلت جماهير غفيرة إلى المعركة الانتخابية، لم يسبق لها ان اشتركت في العمليات الانتخابية السابقة.

ارتعب المستعمرون الأنجلو أمريكيان وارتعت الرجعية المحلية، واندفع أعداء الشعب لممارسة مختلف أساليب القمع والمناورة، فأخذت الحكومة تمنع الاجتماعات والدعاية الانتخابية وتبعد المرشحين الوطنيين بالقوة من دوائرهم كما حدث بالنسبة للأستاذ توفيق منير من نقابة المحامين، وعضو مجلس السلم العالمي الشيخ عبد الكريم الماشطة. ولم تتورع الرجعية والإقطاع عن استعمال السلاح لتخريب الاجتماعات الانتخابية، كما حدث في الرابع والخامس من حزيران/1954 في (الكلاء) في لواء العمارة واعتقال عشرات الفلاحين. وحسب ما نتذكر ان عبد الرزاق الزبير رشح في الكلاء كوجه ديمقراطي وحدث الصدام خلال حملته الانتخابية.

"وفي الحي البطلة، أنشأ الإقطاعي عبد الله الياسين سوراً من المسلحين التابعين له حول المدينة، وحرّم على الفلاحين تجاوزه دون رخصة منه، ولكن الحي كانت مشعل النور وسط ظلمات الإقطاع، وعندما وقفت المدينة إلى جانب الجبهة الوطنية في الحملة الانتخابية في مايس/1954، أطلق الإقطاعي النار في وسط سوق المدينة لإرهاب من يصوت ضده، فسقط عدد من القتلى أمام سمع الحكومة وبصرها، بل ان الحكومة وقفت إلى جانب الإقطاعي واعتقلت العشرات من أبناء المدينة. في الحال أعلنت المدينة اضرابها الذي دام (12) يوما، اضطرت الحكومة تحت ضغطه إلى التظاهر بالتحقيق في حادث الاعتداء المسلح. وفي اربعينية شهداء الحي، هؤلاء، عقد اجتماع جماهيري في المدينة حضره أكثر من ثمانية الاف مواطن، شرح فيه الخطباء ظروف البلاد السياسية ومؤامرة إدخال العراق في الحلف التركي – الباكستاني وطالب المجتمعون بفسخ اتفاقية التسليح الأمريكية ومعاهدة 1930 وطرّد الخبراء الأجانب خصوصا خبراء النقطة الرابعة، إطلاق الحريات الديمقراطية، ومعاقبة المعتدين من الإقطاعيين وعملاء الاستعمار."

وفي يوم الانتخابات 6/حزيران/1954 شملت عملية التزوير كل المناطق تقريبا في بغداد كما وصفت ذلك جريدة صوت الاهالي. وفي المناطق خارج المدن والريف

أجرت السلطات عملية الانتخابات في الليل ولما حل يوم الانتخاب لم يجد الناخبون صناديق الاقتراع، فقد كانت ممثلة! وأرسلت لتصنيف الأصوات.

وقد كتب أحد الرفاق القدامى (أبو إخلاص) ²⁹ رسالة إلى هيئة تحرير الثقافة الجديدة، نُشرت في عددها 59 عام/1974، جاء فيها حول مساهمة الرفيق سلام عادل في توجيه نشاط منظمات الحزب في الحملة الانتخابية فقال:

"كان سلام عادل الموجه والمشرف على نشاط منظمات الحزب في بغداد والكوت وديالى، وقد قال لنا في أحد اجتماعات اللجنة المحلية، يجب علينا ان نعمل بنشاط من أجل فوز الجادرجي وإيصاله إلى البرلمان، لأن اندحار الجادرجي أمام مرشح الحكومة يعتبر إهانة للحركة الوطنية على اعتبار أنه أحد أقطابها البارزين. وفي يوم الانتخابات كان سلام عادل يتلقى نتائج المعركة الانتخابية بواسطة المراسلين حيث تم توزيعنا نحن أعضاء لجنة بغداد على المناطق الانتخابية، وعندما أخبرته باستشهاد أحد رفاقنا (رسول جوجي) في انتخابات الكاظمية طلب منا البقاء في مواقعنا وإثارة الجماهير ضد السلطة وبعد ساعات أرسل إلينا نبأ فوز عشرة مرشحين وطنيين، وطلب إلينا عقد اجتماع مستعجل لبحث نتائج أعمالنا وماذا سيكون واجبنا خلال الأيام المقبلة".

وقد أبدى ثابت حبيب العاني (ابو حسان) ³⁰ ملاحظات إيجابية مشابهة عن إسهام الرفيق سلام عادل في الإشراف على عمل رفاق الحزب في الحملة الانتخابية في الحي ضد الاقطاعي عبد الله الياسين، إذ كان يعمل أبو حسان هناك في تلك الفترة وكان ذلك في لواء الكوت كما أسلفنا، وأكد ذلك الرفيق مهدي عبد الكريم من خلال أجوبته على أسئلة الثقافة الجديدة التي سنأتي على ذكرها لاحقاً.

هذا وقد فاز رغم القمع والتزوير الواسع النطاق، عشرة نواب من أعضاء الجبهة الوطنية (وهناك من يقول 11 نائباً) كما كان هناك عدد آخر من النواب من أعضاء الجبهة الشعبية يمكن احتسابهم في صف المعارضة لو أُتيح للمجلس العمل وهو ما لم يتح له على الإطلاق. وفي 26/تموز وفي انتخابات رئاسة المجلس ظهرت قوة المعارضة بـ 32 ورقة بيضاء مقابل 80 ورقة عليها اسم عبد الوهاب مرجان مرشح الحكومة (مذكرات الجادرجي ص 673).

وقد قررت الحكومة حل البرلمان في أول جلسة له.

ورد في مقال نشرته القاعدة في يوم 10/6/1954، وهو اليوم الذي تلى يوم الانتخابات:

"لم تكن حوادث التزوير وإراقة الدماء وحتى قتل الناخب وهو يرمي ورقة الاقتراع في صندوق الانتخابات ومنع المرشحين الوطنيين من زيارة مناطقهم

29 - وهو الرفيق المرحوم رشيد العزاوي وكان عضواً في لجنة بغداد.

30 - عضو اللجنة المركزية بعد ثورة تموز ومسؤول الخط العسكري.

الانتخابية وضرب حصار البوليس على مدن بأكملها كالحلي والسليمانية والنجف وموجة الاعتقالات، كل هذه الحوادث لم تكن إلا لغرض واحد صممت الرجعية العملية على تنفيذه، وهو جمع مجلس رجعي يوافق على المشاريع الحربية".

"ففي يوم 6/9 يوم الانتخابات شهدت بغداد الإرهاب البوليسي وقتل الناس بالرصاص، خرجت مظاهرة احتجاج على التزوير، وحطمت الجماهير عشرات الصناديق بسبب منع التصويت للمرشحين الوطنيين، ولكن قادة الأحزاب الموقعة على ميثاق الجبهة سلخوا أهون الشرين وسلوك من يدير ظهره للشعب."

وحذرت الجريدة القوى الوطنية من الانخداع بالحرريات الشحيحة التي تتمتع بها لأنها سوف تسحق غدا إذا نجحت الاوساط العدوانية في جر العراق إلى التكتلات الحربية وأن اضطهاد الحزب الشيوعي ومنع نشاطه الرسمي لن يغير من واقع "ان حزبنا يبقى ذلك الحزب القريب من الشعب، ولن يترك الشعب (ليتدبر أمره بنفسه)! بل يسير مع الشعب وفي طليعته حتى النهاية"...وأضافت الجريدة "ان حركتنا الوطنية لها كل القدرة على فرض سياسة جديدة للعراق.. سياسة وطنية.. فلماذا لا نتق بالنصر؟ ولماذا التفكير بإصدار بيان للتنكر من مظاهرات الشعب؟"

"ان عداء الاستعمار للحزب الشيوعي ما هو إلا عداء لحركتنا الوطنية التحررية... ان الأوساط الجاسوسية تريد ان تصبغ حتى الجبهة بين حزبين معارضين بصبغة شيوعية، متجاهلين عن تعمد ان هنالك حزباً شيوعياً له تنظيماته المستقلة وصحافته الواسعة الانتشار، والغرض واضح وهو حمل الاوساط الوطنية على التراجع عن الأهداف التي تبناها وإضعاف وحدة الكفاح المشترك... أما الزعم بأن التعاون مع حزبنا الشيوعي يصبغ المتعاونين (بصبغة شيوعية) فهو زعم باطل ومكرر. فلا يمكن الان لأي حزب وطني أو جماعة وطنية ان تستغني عن التعاون مع حزبنا، لأن حزبنا هو القوة المكافحة الجماهيرية الأساسية في البلاد"³¹.

وبعد ذلك تم أول لقاء بين سلام عادل وكامل الجادرجي، وجرى بينهما نقاش حاد حول الانتخابات، وحول مواجهة الاخطار المحدقة بالبلاد، فحمل رفيقنا الأحزاب الوطنية المسؤولية عن بعض مواقفها المذكورة في المقال أعلاه.. فقال الجادرجي:

"أنتم الشيوعيون بأية مرآة تشاهدون وجوهكم عندما توجهون انتقادكم؟³² فقام رفيقنا سلام عادل ومد يده في جيبه وقال (بهذه المرآة) وأراه صورة الرفيق فهد التي اخرجها من جيبه، (وكانت بالصدفة معه) فنكس الجادرجي رأسه وقال "والنعم"³³، كان جواباً ومحاكاة بالغة القوة.

³¹- ان الكتاب القوميين والذين كتبوا داخل العراق في الثمانينات يتجاهلون هذه الحقيقة ويرددون أسطورة ان الانشقاقات قد شلت وانهكت الحزب الشيوعي. في حين أننا عندما ننتقد تلك الانشقاقات فإننا نقصد من ذلك ان قوة الحزب كانت ستكون اكبر بدونها.

³² - الجادرجي يقصد ان الشيوعيين يبالغون في حجم دورهم السياسي.

³³ - بمعنى (نعم المثل).

ان مقال القاعدة في 10/6/1954 الانتقادي، وموقف الرفيق سلام عادل ومحاجته القوية للجادرجي لدليل بالغ الأهمية على ان التحالف الجبهوي يستلزم الانتقاد الجريء بين القوى المتحالفة. فالسكوت على أخطاء الحلفاء تعني تجميد الصراع الذي يجب ان يسير بشكل متواز مع التحالف لكي يعينه ويطوره، فهذه سنة أساسية من سنن الوحدة التحالفية وهو درس ثمين من دروس كفاحنا الوطني لم نلتزم به في محادثات السبعينات.

ان المعركة الانتخابية في مايس/حزيران/1954 وما سبقها من إقامة الجبهة الوطنية الانتخابية ومئات الأسس التي قامت عليها، جعلت كامل الجادرجي الزعيم الوطني العراقي المرموق، يتوصل في مذكراته إلى الاستنتاجات المهمة التالية (مذكرات الجادرجي ص 637 – 638):

بعكس فترة تهدئة 1949 – 1950، فإن صمام الأمان لم يستطع تصريف الحماس الشعبي الزائد فقد عملت حملة إرهاب 1948 – 1949 على تحطيم قوى هامة من الشعب، بما فيها الأحزاب الوطنية التي جمدت أعمالها، بينما عجزت حملة إرهاب المدفعي – نوري السعيد عام/1954 عن تحطيم أية قوى من قوى الشعب بالرغم من القمع الدموي العنيف، وقد برزت القوى الوطنية بما فيها الأحزاب والفئات السرية كالحزب الشيوعي بشقيه وحزب البعث الذي كان في بداية تكوينه – أقوى بما كانت عليه أثناء حملة الارهاب وقبلها.

جابهت وزارة الجمالي معارضة قوية ذات قاعدة شعبية واسعة، وقد انضم حزب الاستقلال إلى القوى التقدمية، وفي عهد وزارة أرشد العمري التي أجرت الانتخابات كانت هذه الجبهة قد أصبحت تشكل خطراً على مصالح الفئة الحاكمة، ولولا التزوير أو بالأحرى منع الناس من الانتخاب لوصل إلى مجلس النواب ما لا يقل عن ثلاثين نائباً من مرشحي الجبهة الوطنية، بالإضافة إلى عدد آخر من كانوا سيتعاونون معهم مما كان سيقلب تركيب المجلس تماماً، وهذا ما كان متعذراً في فترة انتخابات 1947 و1948.

تغلغل النفوذ الوطني في أطراف العراق وفي المناطق الريفية بشكل إيجابي وفعال، وكان من المؤكد نجاح مرشحي الحزب الوطني الديمقراطي والجبهة الوطنية في تلك الاطراف لو جرت الانتخابات بحرية وهذا ما لم يكن متيسراً في الماضي إذ لم يكن متيسراً الحصول على أصوات الفلاحين وسكان المدن الصغيرة لمرشحي الاحزاب على أساس نفوذهم الحزبي، وأن كانت هناك حالات اعتمدت على النفوذ الشخصي والقبلي للمرشحين".

هذا وقد جاء في رسالة مؤرخة في 23/6/1954، مرسلة من فاضل الجمالي من لندن إلى الأمير عبد الإله وقد تليت في المحكمة العسكرية العليا الخاصة ونشرت في

محاضر المحكمة (ص1161) ضمن مناقشة المتهم الجمالي:

"فقد اجتمعت بنوري باشا فوجدته في حالة تأثر. إنه يعتقد بأن الانتخابات لم تكن على أسس صحيحة وأنه لا يستطيع ان يشتغل في المجلس الجديد ولم يقبل بمسؤولية الحكم إزاء هذا المجلس. أنه يعتقد بأن الجماعة الذين دخلوا المجلس الجديد مثل كامل الجادرجي سوف يجعلون العمل صعبا للغاية وهو يأسف ان سُمح للجادرجي بدخول المجلس وكيف ان ال ممتاز (مرشح الحكومة في مقابل الجادرجي) قد نكتوا بنا وأنه يعتقد بأن حل المجلس قبل حل الأحزاب وتمشية قانون مكافحة الشيوعية كان خطأ".

يقول الجادرجي:

"وهكذا فإن الموقف كان منذرا بالخطر بعد تكوين المجلس النيابي الجديد، ولم يكن نوري السعيد الذي عمل منذ سنوات على التحضير للحلف مع الاستعمار ليطبق وجود مثل هذه المعارضة الخطرة... وانتهت فترة التهدة بمجيء وزارة مسعورة كان هدفها الأول تصفية القوى الوطنية، فأغلقت الأحزاب والصحف أصدرت عدة مراسيم جعلت من الدعوة إلى السلام جريمة واعتبرت بعض المنظمات شيوعية بدون إثبات شيوعيتها أمام المحكمة – وأجازت حل المنظمات المهنية والنقابات".

بعد كل ما عرضناه من تفاصيل حول انتخابات حزيران/1954، والجبهة الوطنية الانتخابية ومساهمة الشيوعيين والمنظمات الديمقراطية والمهنية فيها ومرشحي الحزب الشيوعي في النجف ومرشحي المنظمات المهنية والديمقراطية في بغداد وغيرها، واستنتاجات القائد الوطني كامل الجادرجي وتقييمه للوضع السياسي في العراق الذي جاء في (ص638) من مذكراته، نعود لنناقش ونقيم ما كتب هذه الفترة من تاريخ العراق من قبل كتاب آخرين:

محسن حسين الحبيب في كتابه حقائق عن ثورة 14 تموز في العراق يقول في (ص21) حول حزب البعث بأنه عقد مؤتمره القطري الأول عام 1955، حيث انتخب أول قيادة قطرية. وأنه "ساهم بنشاط كبير في أحداث 1956 وفي جبهة الاتحاد الوطني عام 1957 حتى قيام ثورة 14 تموز في (الفترة الممتدة بين 1954 و 14/ تموز / 1958) كان الحزب في انتصارات دائمة..." ويستند محسن حسين الحبيب في هذا القول (المقتطف) إلى مؤلف "نضال البعث" الجزء الخامس (ص11) وقد سبق ان نوهنا عن هذا المصدر الذي وضع بتوجيه صدام حسين في محاولته الفاشلة لإعادة كتابة التاريخ وما يهمننا ذكره هنا عن هذا المقتطف هو تزيف تاريخ الجبهة الوطنية الانتخابية وحشر حزب البعث فيها عنوة، رغم ان السيد الحبيب قد ذكر في جملته السابقة بأن حزب البعث عقد مؤتمره القطري الأول عام 1955 حيث انتخب أول قيادة قطرية وهذا صحيح، ولهذا فنحن نربأ بشخص وطني مثل السيد محسن الحبيب ان يقع في حبال مؤلف "نضال البعث" ونقدم له شاهدا من أهلها وهو:

هاني الفكيكي الذي يكتب في (ص29) من كتابه "أوكار الهزيمة" فيقول:

"وما أذكره أنني شاركت أصدقائي البعثيين في مايس 1954 في إسناد إسماعيل الغانم ضد مرشح الجبهة الوطنية مهدي نجيب الرئيس وكان البعث قد اعتذر عن المشاركة في الجبهة الوطنية التي قامت آنذاك بين الحزبين الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال والحزب الشيوعي، إدراكاً منه لطراوة عوده وحداثة جذوره. بل أصدر حزب البعث تعميماً داخلياً طلب فيه إسناد الغانم وعبد الكريم كنه ضد نجيب الرئيس ومظهر فهمي العزاوي (مرشحي الجبهة) وكانت تلك باكورة أعماله".
وهذا دليل واضح على ان حزب البعث لم يشترك في الجبهة الانتخابية.

ليث الزبيدي، في كتابه "ثورة 14/ تموز / 1958" في العراق (ص78) ما يلي:

"ولقد ساهم الحزب الشيوعي في الجبهة الانتخابية عام 1954 التي ضمت بالإضافة إلى ممثلين عنه، ممثلين من الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال وبعض الشخصيات الوطنية المستقلة، ولكن عمل هذه الجبهة انتهى بإنهاء المعركة الانتخابية وفوز أحد عشر مرشحا من الجبهة".

واستند في قوله هذا إلى الدكتور فاضل حسين وكتابه تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي وكذلك إلى مجلة الثقافة الجديدة عدد أذار 1972 (ص15).

ولكن الزبيدي يقول شيئاً مناقضاً في (ص86) من كتابه مستنداً الى كتاب (نضال البعث) الجزء الخامس (ص58) فيقول تحت عنوان 4- الجبهة الوطنية المتحدة عام 1954:

"وأعلن حزب البعث العربي الاشتراكي تدشين نشاطه الرسمي في العراق بخوض معركة الانتخابات لفصح الفئة الحاكمة وإظهار متناقضات الواقع الفاسد امام الجماهير، وأثارة الوعي في نفوس الجماهير الشعبية". وهذا افتراء على التاريخ الذي شهد ضده الفكيكي كما قدمنا. كما ان كتاب فاضل حسين لم يذكر ذلك.

حنا بطاطو في (العراق) الكتاب الثاني (ص352-355) يقول: "أما في العراق فيمكن القول ان الوضع خلال الفترة 1954 – 1955 كان على الأقل في غير صالح الحزب الشيوعي". وهو إذ يستهل مقطعه فيقول:

"وضع الحزب الشيوعي على الرف شعاره المعادي صراحة للبرجوازية والقاتل (بجمهورية شعبية ديمقراطية) مستبدلاً إياه بشعار (حكومة وطنية ديمقراطية). ولكن نتيجة لقلة الخبرة، ولحالة أيديولوجية ضبابية، ولحاجة الانسجام في أعلى المستويات الحزبية، بقي الحزب خلال الأشهر الحرجة التالية في موقع البين بين".

نعتقد ان سبب وقوع حنا بطاطو³⁴ بهذا الخطأ هو عدم وقوع وثيقة "جبهة الكفاح الوطني" في يده. فقد كان استبدال الحزب ذلك الشعار ليس اعتباطاً، بل بعد وضع خطة سياسية كاملة في كانون الثاني 1954 محورها الجبهة الوطنية تحت عنوان "جبهة الكفاح الوطني ضد الاستعمار والحرب" والتي عرضناها وعرضنا تطبيقاتها الحيوية والممارسات المبدعة التي قام بها الحزب سواء في الفترة التي يشير إليها بطاطو (أي قبل قيام الجبهة الوطنية الانتخابية) أو خلال الانتخابات. ونقول لبطاطو بأن ممثلي العمال والفلاحين والشباب والطلاب والمحامين والأطباء الذين وقعوا على ميثاق الجبهة الوطنية الانتخابية هم من الشيوعيين أو من أصدقائهم المقربين وقد مثلت هذه المنظمات حزبنا في الجبهة.

وبعد ذلك فقد جرى التمهيد لحلف بغداد عن طريق مجيء وزارة السعيد الثانية عشرة التي قامت بعلق الأحزاب والصحف وإصدار المراسيم وحل البرلمان الذي احتوى المعارضة الوطنية واستبداله ببرلمان تزكية عن طريق منع ترشيح البعض واعتقال من يصر على الترشيح، ومطاردة الشيوعيين وأنصار السلام بإسقاط الجنسية عنهم وسجنهم وفصل أعداد كبيرة من الطلاب والموظفين وبذلك مهدت الطريق لعقد الحلف الجديد.

34 - كتبنا هذا الفصل عندما كان الكاتب والمؤرخ الكبير الأستاذ حنا بطاطو لا يزال على قيد الحياة، ولم نشأ تغييره بعد وفاته، اعتزازاً به.

عند رجوع سلام عادل من لندن، بعد حضوره مؤتمر الاحزاب الشيوعية لدول الكومنولث، تولى مسؤولية لجنة بغداد الحزبية (وكانت على مستوى لجنة محلية)، بالإضافة الى مسؤولية لجنة العلاقات الوطنية، وذلك في شهر ايار "مايو" 1954. فتوجه لتنفيذ قرارات اللجنة المركزية وخطتها وتقريرها السياسي الذي اقرته في شهر كانون الثاني "يناير" 1954.

وقد تحدث الرفيق مهدي عبد الكريم عضو لجنة بغداد آنذاك، وعضو اللجنة المركزية عند تسجيل الحديث، عن تلك الفترة³⁵:

"وما دام الحديث هو ذكريات وليس سياسة وتحليل. فقد التقينا ثانية في موقع آخر وقضية أخرى، فهو قد صار سكرتيراً للجنة بغداد في ذلك الوقت، وأصبحت أنا عضواً فيها في عام 1954.

اجتمعت لجنة بغداد وكان المفروض ان يتسلم اللجنة مسئول جديد. دخل علينا مسئولنا الجديد متخفياً يرتدي دشداشة (كودري) نظيفة ومكوية وينتعل نعال جلد مصبوغ حديثاً وعقال وبشماغ وعباءة جميلة. كان المسئول الجديد طويلاً ورشيقاً ووسيماً أيضاً، متخفياً بهيئة إقطاعي أو أحد أبناء الإقطاعي حتى لا يلفت النظر إليه لان الشرطة يعتبرون الشيوعي في ذلك الوقت هو الحافي. ومسئولنا الجديد قد تخفى بهيئة تجعل من المستحيل الشك به كشيوعي. عقد الاجتماع في ظهيرة حارة من شهر تموز "يوليو" أو آب "أغسطس". تسلم المسئول الجديد المنظمة والمهام الحزبية وعندما استرسل في الحديث بدا وكأنني اعرف هذا الصوت، لكنني لم أتذكر متى وأين سمعته؟ فقد مرت فترة طويلة على افتراقنا. ومع ارتفاع حرارة النقاش ودرجة الحرارة نزع المسئول العقال والبشماغ عن رأسه ووضعهما جانبا، فعرفته مباشرة، أنه أستاذي حسين أحمد الرضي الذي لم يغير طريقة تصفيف شعره. وانتابني حب استطلاع وفضول كبير لأعرفه بنفسه، لكن تقاليد العمل السري لا تسمح لي بذلك وتمنع الإفصاح عن الاسم الذي يعتبر من المحرمات في الحزب بسبب قيود السرية الصارمة والحفاظ على الحزب، لأننا كنا مطاردين والوضع صعب جداً، لكن المصادفة كانت خير معين لي، فبعد انتهاء الاجتماع خرجت مع المسئول الجديد الذي لم يكن يعرف شوارع المنطقة التي كنا مجتمعين فيها وهي محلة الفحامة بجانب الكرخ في بغداد التي تصل عبر شوارعها الضيقة إلى محلة الجعفر فراقفته عبر هذه الأزقة التي لم يدخلها سابقاً. شعرت بالارتياح من حديثه ونظرت إليه، وقلت له: هل تعرفني؟ ألم

35 - الجزء الثاني من المحاضرة المسجلة للرفيق مهدي عبد الكريم عضو اللجنة المركزية، المنشورة في الفصول السابقة.

ترني سابقاً؟ نظر إلي وقال: لا. قلت له: لكنني أعرفك. نظر إلى مرة أخرى وقال: أنت مخطئ. قلت: أنت حسين احمد الرضي. تعجب لأنني ذكرت له اسمه الثلاثي في وقت اعتقد فيه بأنه لم يرني في السابق، مما زاد على ما يبدو من حب استطلاعهِ أيضاً، أراد ان يعرف من هو هذا الشخص الذي يعرفه تمام المعرفة. بعد قليل تعارفنا وعرفته بنفسِي، فقال لي: الله جابك. وعرفت منذ تلك اللحظة، بعد الحديث الذي دار بيننا انه كان يفكر في كيفية الاستيلاء على السلطة وبيّنت لي معرفتي به واحتكاكي معه من خلال اللقاءات بيننا بأن مسألة استيلاء الحزب على السلطة هي في مركز تفكيره واهتمامه. عرفت ذلك أيضاً من خلال اهتمامه بقضية أساسية أخرى وهي عمل الحزب في الجيش وهذا ما شاهدته أنا وشاهد عيان عليه، فسلام عادل لم يكن مهتما بهذا الموضوع فحسب، بل مارسه وطبقه تطبيقاً عملياً في الواقع. وبرغم ان عملنا الحزبي في بغداد تركّز على الشبيبة والطلبة وغيره من جوانب العمل التنظيمي والجماهيري، فقد كلفني بمهام حزبية عسكرية، وأعني بالمهام العسكرية الاتصال بضباط الجيش في مدن أخرى، رغم انه غير مكلف شخصياً بهذه المسألة باعتباره سكرتيراً لمنطقة بغداد، ويتركّز عمله الحزبي في العاصمة. ولمعرفته بأنّي أتمكن من الاتصال ببعض الضباط، فقد كلفني بمهام لا علاقة لها بعملنا التنظيمي. ولم يكن أحد يعلم بأنه يعمل على تعزيز العمل الحزبي في داخل القوات المسلحة، خاصة بين الضباط والجنود الذين أقمت معهم صلات في مدن أخرى غير بغداد بتوجيه منه.

وكان الشهيد سلام عادل مهتما بهذا الجانب اهتماماً غير اعتيادي واعتبر قضية العمل داخل القوات المسلحة، وإيجاد تشكيلات للحزب من الضباط والجنود، من القضايا المهمة التي كان يعيرها اهتماماً كبيراً وطبقها فعلاً. وهو وراء تكتيك الحزب للوصول إلى السلطة أو الاقتراب منها باستخدام الجيش من خلال وسائل عديدة مثل جريدة (حرية الوطن) لسان التنظيم العسكري والموجهة إلى الضباط والجنود والصادرة عام 1955 إضافة إلى إصدار عدة بيانات موجهة للضباط الأحرار. وكل ذلك يرتبط بسلام عادل شخصياً. وشعرت، إضافة إلى اهتمامه بالجيش، ان الرفيق يهتم اهتماماً خاصاً بالكادر الجديد الشاب الفتى الذي تعوزه التجربة، فنمى سلام العمل الأيديولوجي داخل الحزب، ونشط النشر الداخلي للحزب، ليس من خلال الجريدة المركزية فقط وغيرها، وإنما أيضاً من خلال إصدار نشرة "مناضل الحزب" التي ما زال الحزب يصدرها حتى الوقت الحاضر، فهو الذي أطلق عليها هذه التسمية وحدد النقاط التي تكتب فيها ويجري التركيز عليها، كمسائل مهمة في العمل السري والاستفادة من تجربة الأحزاب الشقيقة. كان يسأل ويناقش في لجنة قيادة بغداد عن الاسم الذي ستحمله النشرة وبعض الرفاق أراد ان يطلق عليها اسم حياة الحزب باعتبارها جريدة داخلية، لكن سلام عادل بيّن ان حياة الحزب هي جريدة يصدرها الحزب الشيوعي السوري وأوضح عدم معقولية ان تأخذ نشرة الحزب الشيوعي العراقي اسم جريدة حزب شقيق، للعراق حدود مشتركة معه مما يخلق الاشتباه،

واقترح ان يطلق عليها اسم مناضل الحزب.

أعار سلام عادل اهتماما خاصا لمسألة حياة الحزب الداخلية والعمل التنظيمي، فهو منظم من طراز فريد ومن أروع المنظمين الذين التقيت بهم طوال عمري الحزبي. عُرف بالدقة والجدية ومتابعة مشاكل الرفاق والهيئات الحزبية ويرد على المحاضر وهذا التقليد رسخه سلام عادل فلم تكن هناك محاضر أصلا للخلايا والهيئات الحزبية قبل قيادته، فقد علمنا كيفية كتابة المحاضر ومناقشة محاضر الهيئات التابعة وكيفية الرد عليها في وقت لم نكن قد عرفنا هذا التقليد في السابق إلى ان دربنا عليه سلام عادل من اجل تعزيز العمل التنظيمي والقيادة الجماعية وإعطاء دور للهيئات الحزبية والاهتمام بالعناصر الشابة الفتية.

لمست اهتمام سلام عادل بالعمل الجماهيري ولم تكن مبادراته في هذا الجانب محصورة أو مقيدة واليوم لا أستطيع ان أتخيل مجالات العمل الجماهيري التي كان يبتكرها، فمثلا عندما يذهب إلى مدينة لا بد ان يبتدع طريقة أو مجالا للاحتكاك بالجماهير عبر مختلف أشكال العمل كالشطرنج وكرة السلة ورياضة رفع الأثقال أو تعلم الخط أو التطريز للشابات أو الرسم، أي أنه يحتك بالجماهير من خلال هواية في إطار مؤسسي معين، وإذا لم تكن هذه المؤسسات موجودة فهو يسعى إلى تكوينها، خاصة المؤسسات الرياضية، فسلام عادل اهتم اهتماما خاصا بالرياضيين والممثلين دلالة على إدراكه أهمية العمل الجماهيري في نشاط الحزب، واعتبره الوسيلة التي تمد الحزب بعنصر البقاء والاستمرار وتعزز صلته بالجماهير التي تصل إلى الحزب عبر تشكيلات الطلاب والشبيبة والجمعيات العلمية. سمعته يؤكد في أكثر من مناسبة بأن الحزب سيموت بدون هذه المنظمات الجماهيرية لأنها المجالات الحيوية والقنوات الرئيسية للصلة بالجماهير.

حضرت أربع اجتماعات قادها سلام عادل، وتحدث فيها عن دور الخلية الحزبية في العمل الجماهيري باعتبارها صلة الحزب بالجماهير كما هو مثبت بالنظام الداخلي، لكن أسلوب تحقيق ذلك وكيفية تلمس صلتها بالجماهير وتوطد الصلة، هذه القضايا جسدها سلام عادل وجسمها للرفاق بفعل خبرته التنظيمية وشهرته بالعمل الجماهيري. ولولا استشهاده في فترة مبكرة من حياته كان يمكن ان يكون له مستقبل كبير كقائد بارز ليس على صعيد الحزب الشيوعي العراقي فقط وإنما على صعيد الحركة الشيوعية العالمية، لفكره المبدع المتقدم ومواقفه ونهجه الأممي واستقامته وقدراته المميزة في مختلف مجالات العمل الحزبي".

ان المبادرة الأساسية لسلام عادل التي طبقت في الواقع هي ان تقرن المنظمات الجماهيرية وتنظيمها السري الذي أرغمت عليه بالنشاط العلني قدر الإمكان. وبذلك فقط تستطيع ان تصل إلى أوسع الجماهير. ففي سنة 1954، سنة عقد حلف بغداد،

نشطت حركة أنصار السلام³⁶ بشكل علني وكسبت بذلك وجوها دينية وسياسية واجتماعية للحركة المناهضة وللأحلاف العسكرية.

في مقابلة مع الشهيد الدكتور صفاء الحافظ³⁷ نشرت في جريدة طريق الشعب في السبعينات قال:

"مع تطور الحركة الوطنية وتعاضم نفوذها... دخلت حركة أنصار السلام في العراق في العراق مرحلة شعبية. واستطاع الديمقراطيون المستقلون ان يقتعوا شخصيات دينية مثل الشيخ عبد الكريم الماشطة (عالم ديني) من الحلة، والشيخ محمد الشبيبي وهو عالم ديني من النجف، وكذلك شخصيات وطنية مثل الشهيد توفيق منير نائب نقيب المحامين - بغداد، وإسماعيل حقي شاويس - قائم قام السليمانية سابقا، وانضم إلى الحركة ثلاثة من الشخصيات البارزة في الحزب الوطني الديمقراطي وهم مظهر العزاوي، عواد علي نجم وذنون أيوب، ونشرت جريدة الأهالي مقالات عديدة باسم المحامي الشهيد توفيق منير (طبيب الذكر). لقد لعبت حركة أنصار السلام دوراً كبيراً في تحذير الشعب من خطر الأحلاف العسكرية وفضحت زيف الادعاءات بوجود خطر في الوضع العالمي يستلزم إقامة هذه الأحلاف.

اتسعت الحركة وزاد عدد مؤيديها وكانت حركة لا تضم أعضاء، بل مؤيدين لأفكارها. وفي المحافظات تشكلت لجان أخذت على عاتقها مهمة المبادرة إلى بث مفاهيم السلام وربطها بالكفاح اليومي من اجل التحرر الوطني والقومي ومن اجل الديمقراطية. واتصل نوزاد عزيز بقيادة حركة السلم، وعرض عليها استعداد قادة الحركة القومية الكردية الانضمام إلى حركة السلام.

انعقد المؤتمر الأول لأنصار السلام في العراق بتاريخ 1954/7/25 وساهمت فيه شخصيات ذات مكانة مرموقة من رجال الفكر والسياسة.

وكانت قد تشكلت لجنة تحضيرية للمؤتمر من: طلعت الشيباني³⁸، فاروق برتو، د. نزيهة الدليمي، صلاح خالص، كمال عمر نظمي وعطشان ضيول. كلف أحد أعضائها بالتنسيق مع الفروع بالمحافظات، وقام أعضاء اللجنة الآخرون بإعداد

36 - حركة انصار السلام، هي منظمة للنضال ضد الحروب ومن اجل السلام العالمي. تأسست عام 1950 في العراق برئاسة الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري، وكانت منظمة سرية، حيث لم تجزها الحكومة. وقد اقترح سلام على لجنة بغداد النضال من اجل علنية المنظمة

37 - الدكتور صفاء الحافظ: شخصية وطنية وشيوعية باسلة، واستاذ جامعي مرموق، له بصمات واضحة في المسيرة الوطنية، النقابية والاعلامية قبل وبعد ثورة تموز. اختطف مع الرفيق الشهيد صباح الدرة في شباط 1980، في اعقاب الهجمة الاجرامية ضد الحزب الشيوعي العراقي، وغيب الاثنان في اقنية صدام الرهيبة منذ ذلك الوقت.

38 - شخصية وطنية وعضو الحزب الوطني الديمقراطي.

وإنجاز القضايا التنظيمية بسرية تامة.

وفي مساء يوم 1954/7/25 اتجه المندوبون فرادى ومجموعات صغيرة بما يسع سيارة خصوصي إلى مشتمل يقع في منطقة أم العظام (كرادة مريم) ببغداد لعقد المؤتمر التأسيسي لحركة أنصار السلام والذي حضره 103 مندوب ومن سائر المحافظات العراقية، بينهم ستة أعضاء من مجلس النواب (من المعارضة)، وحوالي عشرين نصيرة سلام، وشخصيات أخرى بارزة بينهم **خدوري خدوري**، و**الشهيد جلال الاوقاتى**، و**نائل سمحيري**³⁹، وغيرهم.

انتصب الرجل المهيب الشيخ **عبد الكريم الماشطة**⁴⁰ وأعلن افتتاح المؤتمر، وألقى أعضاء اللجنة التحضيرية تقاريرهم عن الوضع في العراق، وفي الوطن العربي، وفي العالم، وتقريراً عن الوضع التنظيمي. ثم تليت كلمات المندوبين، وانتهى الافتتاح في مساء اليوم نفسه، ثم انقسم المؤتمر إلى لجنتين، الأولى، عقدت في دار كمال نظمي في العيوضية، والثانية، في دار الدكتور فاروق برتو في الوزيرية، واجتمعت اللجنتان صباح اليوم التالي. ثم عقدت الجلسة الختامية في دار برتو مساء للاستماع إلى القرارات والتصويت عليها. ثم أخذت القرارات إلى مجلة (الوادي) التي نشرتها في اليوم التالي، مما أدى إلى إغلاقها من قبل الحكومة، بعد أن انتشرت أخبار المؤتمر بشكل واسع. وكان من بين ما نشر في الصحافة الكلمة الختامية للمؤتمر التي ألقاها **الشيخ الماشطة**، وتضمنت الأهداف التالية:

- 1 - الكفاح من أجل الاستقلال الوطني وإلغاء معاهدة 1930 وطرده القوات البريطانية والانسحاب من كتلة الإسترليني.
- 2 - إحباط محاولة ضم العراق إلى الأحلاف العسكرية كالحلف التركي - الباكستاني.
- 3 - خلق جبهة عربية ضد الصهيونية، وضد استمرار استعباد عدد من الأقطار العربية في المشرق والمغرب ومن أجل التحرر الوطني والقومي.
- 4 - وعلى الصعيد العالمي النضال من أجل تحريم استعمال القنبلة النووية والوقوف بوجه التكتلات العسكرية التي تهدد سلم وأمن الشعوب وتبقى على الهيمنة الإمبريالية.

وكان المؤتمر تظاهرة رائعة تجلت فيها لأول مرة وحدة الرأي بين العديد من الفصائل الوطنية حول نقاط محددة وبهذا كانت الحركة منطلقة من التقارب الوطني في الجبهة الوطنية الانتخابية في شهر أيار "مايو" عام 1954 كما جاء ذلك في

39 - خدوري خدوري ونائل سمحيري: شخصيات وطنية وأعضاء الحزب الوطني الديمقراطي. الشهيد جلال الاوقاتى البطل وقائد القوة الجوية بعد ثورة تموز.

40- الشيخ عبد الكريم الماشطة: الشخصية الدينية والوطنية المعروفة.

فصل سابق من هذا الكتاب.

وقد أحيل الموقعون على البيان الختامي إلى التحقيق بتهمة الانتماء إلى تنظيم غير شرعي، وكانت المحاكمة مناسبة للدعوة إلى أفكار حركة السلام وقد أفرج عنهم جميعاً.

ثم عقد مؤتمر لنصيرات السلام في أحد البيوت الضخمة في الكرادة الشرقية، والذي كانت تملكه إحدى نصيرات السلام في شهر آب "أغسطس" عام 1954، وحضرت المؤتمر أكثر من مائة نصيرة من مختلف مناطق بغداد، وشكل ذلك تحدياً سياسياً لنوري السعيد قبل صدور مراسيمه.

والمثل الناجح الآخر لربط العمل السري بالعلنية كان رابطة الدفاع عن حقوق المرأة، فقد انضمت عضوات في الرابطة كعضوات في جمعية الاتحاد النسائي العراقي (بعد ان تحول الاتحاد إلى جمعية بموجب مراسيم نوري السعيد) وقد دخلن فرادى للجمعية بعد تقديم الطلب لرئيسة الجمعية، آسيا وهبي، وتمت تزكية الطلب، لان اغلب المتقدمات هن من الوجوه المعروفة (من مديرات المدارس او المعلمات... الخ). وهكذا تحولت الجمعية الى منظمة واسعة بعد ان كانت مقتصرة على عدد محدود من العضوات.

وقد قدم العضوات الجديديات اقتراحات لتوسيع النشاط، مثل تنظيم اسبوع حول حقوق المرأة السياسية، وتنظيم شهر تضامني مع النساء الجزائريات تخله، جمع التبرعات للثورة الجزائرية، وتنظيم اجتماعات عامة للجمعية حول ذلك وتنظيم وفود عمل تحمل التبرعات إلى سفارة عربية لإيصالها للجزائر. كما نظمت المحاضرات والاحتفالات والأسواق الخيرية لجمع التبرعات واخذت تتسع دائرة النساء المساهمات في هذه النشاطات. وتم تخصيص برنامج للمرأة في الاذاعة.

ولقد اتخذ اتحاد الطلبة العراقي العام نفس التوجه، فقد جاء في نشرة كفاح الطلبة العدد العاشر لشهر آذار "مارس" عام 1954، الصفحة الأولى (التأكيد أولاً - على المشاكل الاقتصادية والاجتماعية للطلاب. ثانياً - على طبيعة اتحادنا المهنية. وثالثاً - الاهتمام الجدي بالتشكيلات الاجتماعية والرياضية والفنية والسفرات وغيرها)

كما جرى تأكيد في مقال آخر من النشرة (ص6) على أهمية المساهمة في النضال من اجل السلام.

وارتباطاً مع حديث الرفيق مهدي عبد الكريم (ابو كسرى) حول تأسيس سلام عادل لمنظمة (الضباط وضباط الصف الثوريون) وصدر جريدتها حرية الوطن فقد لعب الشهيد كاظم عبد الكريم دوراً مهماً في جمع نواة المنظمة في الفرقة العسكرية الاولى في الديوانية كما لعب ابراهيم حسين الجبوري دوراً في كسب نواتها في بغداد.

يقول اسماعيل العارف في كتابه (اسرار ثورة 14 تموز وتأسيس الجمهورية العراقية) صفحة 81-82:

"علمنا في عام 1954 ان مجموعة من الضباط قد شكلوا كتلة تلقائية في مدينة الديوانية يتزعمها الزعيم اسماعيل علي امر مدفعية الفرقة، انتمى لها ضباط بعض وحدات الديوانية امثال المقدم ابراهيم حسين الجبوري والعقيد عبد الوهاب الشواف...وعندما نقل ابراهيم حسين الجبوري من الديوانية الى مدرسة الاسلحة الخفيفة بمعسكر الوشاش في بغداد، اسس مع مجموعة من الضباط الصغار وضباط الصف كتلة أطلقوا عليها اسم (اتحاد الضباط وضباط الصف الثوريين). وقد كانت اللجنة التي شكلت امتداداً لتنظيم الديوانية يسارية النزعة. وقد اصدرت منشير مكتوبة باليد تنتقد الحكومة وتصرفات بعض قادة الجيش الكبار والسياسيين. ولما علمنا بذلك اتصلنا بها، وكان الوسيط هو المقدم وصفي طاهر. فوافقوا على التعاون مع الحركة الرئيسية، وطلبنا منهم التوقف عن اصدار (حرية الوطن) نشرتهم السرية المكتوبة باليد التي قد تثير فضول اجهزة الامن وتعرض الحركة الى اخطار لا لزوم لها وقد وصل الى رئاسة اركان الجيش عدد منها أطلع عليه رئيس اركان الجيش فصرت أمزق ما يرد منها قبل ان تصل اليه."

ملاحظات عن دور حزبنا في تجميع القوى الوطنية في التنظيمات العسكرية:

بعد تشكيل التنظيم العسكري لحزبنا، في عام 1954-1955... بدأنا نسمع عن توجهات وتحركات وطنية وقومية بين الوجوه العسكرية. فاهتم حزبنا بذلك كثيراً، ووجه رفاقنا لتشجيع هذه الحركات والارهاصات. ومن بين العناصر النشطة في تنظيمنا والمعروفة في الاوساط العسكرية، الشهيد وصفي طاهر، وقد ارتبط الشهيد بسلام عادل شخصياً، وكان يشاوره حول التفاوض مع هؤلاء العسكريين.

لقد كان التعاون مع الحزب الشيوعي واضح الاهمية في نشاط اعضاء اللجنة العليا للضباط الاحرار، يقول عبد الكريم فرحان⁴¹، أحد الضباط الاحرار، في كتابه (ثورة 14 تموز في العراق) ص 56:

"أتذكر انني سمعت حديثاً يدور في مديرية الاستخبارات حول احالة فاضل البياتي على التقاعد والقاء اللوم على وصفي طاهر الذي غرر به وورطه. فذهبت الى وصفي ليلاً وكان البرد قارصاً والمطر يهطل بغزارة لأخبره وأنبهه بما يشاع ويدور."

كما نرى ان اللجنة العليا كلفت وصفي طاهر بمفاتحة عبد الكريم قاسم بموضوع الاتصال بهم. الا ان اللجنة العليا سينفطر عقدها في نهاية 1956 (بعد نشاط بضعة أشهر) عندما ينكشف للسلطة امر اجتماع الكاظمية⁴² حيث يبعد رفعة الحاج سري الى قلعة صالح في لواء العمارة كضابط تجنيد، وصالح السامرائي الى الاردن

⁴¹ عبد الكريم فرحان: احد الوجوه القومية في اللجنة العلي للضباط الاحرار، واحد المتأمرين على قاسم، بعد الثورة.

⁴² يقول عبدالكريم فرحان عن وضع تنظيمهم العسكري بعد هذه الضربة (كان رد الفعل شديداً بالنسبة للضباط الاحرار وبخاصة ان التنظيم كان في بدايته).

واسماعيل العارف ملحقاً عسكرياً في امريكا.

ويسافر فوج عبد الكريم قاسم الى الاردن (كذلك عبد السلام عارف) حيث يقي هناك بضعة أشهر ويعود الى العراق في شباط 1957 (بعد تأسيس جبهة الاتحاد الوطني). ويتصل قاسم بوصفي طاهر ويطلب منه اعادة نشاط (اللجنة العليا للضباط الاحرار التي كان محي الدين عبد الحميد على رأسها) وفعلاً يتصل وصفي بهؤلاء الضباط ويرتب لهم موعداً مع قاسم وتتشكل اللجنة العليا للمرة الثانية ويقترحون ان يتراسهم قاسم... ويبدأ نشاطهم من اجل الانقلاب العسكري.

ولقد كان وصفي طاهر اللولب الاساسي هنا أيضاً.

وقبل هذا الحدث نرى ان وصفي طاهر كما هو وارد في كتب اغلب العسكريين. كان متصلاً برفعة الحاج سري في الاعوام 1955 – 1956، كذلك ارتبط مع رجب عبد المجيد قبل تأسيس اللجنة العليا.

كما كان وصفي مساهماً فعالاً في محاولة 11 أيار (التمرين الاخير قبل ثورة تموز). وطبعاً كان عنصراً فعالاً في ثورة تموز.

عندما هرب حميد عثمان من السجن في شهر أيار "مايو" عام 1954، أسرع كريم احمد سكرتير الحزب في ذلك الوقت بتسليمه قيادة اللجنة المركزية باعتباره أكثر قدماً منه في هذا المركز. وكان سلام عادل في لندن. وقد كان حميد عثمان مختفياً في بيت الراحل ثابت حبيب العاني (أبو حسان) الذي قال في مقابلة مسجلة معه انه سمع حوار بين حميد وسلام في أيلول "سبتمبر" 1954 (عند تقديمه الشاي لهما) وكانا مجتمعين قبيل إبعاد سلام إلى الفرات، وسمع أبو حسان سلام يطالب بالتمسك بالقيادة الجماعية وإعادة تطبيقها في عمل اللجنة المركزية، لان الحزب مقبل على أوضاع سياسية حساسة في بلادنا.

اخذ حميد عثمان بعد ذلك يضيق بانتقادات سلام له على تفريطه بالقواعد الصحيحة في العمل القيادي وبأحكام النظام الداخلي. فقد اقترح عليه عدة مرات عقد اجتماع للجنة المركزية لمتابعة تطور الأوضاع في العراق عن طريق حضور مسؤولي المناطق والمحافظات لتبادل الرأي ومناقشة الأمور، ولكن حميد كان يفضل أسلوب العمل الفردي والاتصالات الفردية، وكانت له مشاكل مماثلة مع بقية مسؤولي المناطق وإشرافه كان ضعيفاً عليهم، ولهذا اعتقد بان اجتماع اللجنة المركزية سيكون في غير صالح قيادته الفردية، لذلك حاول تجميد عضوية سلام عادل باللجنة المركزية، وكمحاوله للخروج من مأزقه طلب من سلام عادل تسليم مهامه في بغداد إلى كريم احمد ويأتي لمساعدته في العمل القيادي، فاستغرب سلام من هذا الطلب، لكنه سلم مهامه.

ولما ذهب إلى حميد عثمان ليتسلم عمله الجديد، وإذا به يعطيه عنوان بيت مطبعة الحزب ويطلب منه ان يكون مسؤولاً عن هذا العمل. ذهب سلام إلى بيت المطبعة وتسلم العمل وبعد مرور عشرة أيام جاء إلى البيت سليم الجلي مع رفيق آخر لا اعرفه وجلسا مع سلام عادل. وبعد قليل سمعت صوت سليم يتعالى بكلمات استفزازية، بينما ظل سلام عادل صامتاً (فسلام كان يعرف أسلوب حميد ومقدرته على جر الآخرين إلى مواقف تخرجهم عن طورهم، فيردون عليه ليتوسع هو في تفسير كلامهم وهكذا) وبعد انتهاء الجلي من كلامه، رد عليه سلام بجملة واحدة: أنا عضو في اللجنة المركزية ويجب ان تقوم هي بمحاسنبي ان كان هناك ما يستدعي ذلك، لأنني يجب ان أحاسب في هبئتي كما ينص على ذلك النظام الداخلي. وهكذا قطع على حميد عثمان طريق اختلاق الاتهامات ضده جزافاً.

ولما خرجوا... عاتبت سلام على عدم رده على هجومهم عليه. فقال لي:

-ان القضية الاساسية التي يريد حميد عثمان ابعادي عن العمل القيادي بسببها، هي

انتقادي لأسلوب العمل الفردي الذي يتبعه في قيادة الحزب وطلبي دعوة لاجتماع اللجنة المركزية من اجل وضع خطة جماعية لمواجهة خطة الحكومة في ضم العراق لحلف بغداد، الخطر الذي يلوح في الافق، وأي انجرار مني للاستفزات والرد على تهمة مختلقة، سيكون سهلاً دحضها طبعاً. ولكنها ستكون ذريعة بيد حميد للرد والجدل والابتعاد عن القضية الاساسية... يجب عليّ ان لعب دوري في عدم تعميق التوتر السائد بيننا.

بعد عدة ايام، كنت خارجة الى اجتماع حزبي وقبل ان اخرج، طلبت من سلام، ان يذهب بعد ساعتين لشراء الخبز لعشاءنا (بعد ان يفتح المخبز الحكومي ابوابه) فرد عليّ متعجباً:

هاي شلون دبرتيها، انت تعلمين بأنني لا اخرج من الدار بسبب عدم اسناد اي واجب حزبي لي... فاذا حصل وجاء هادي متروك (الرفيق الذي يقوم بالمراسلة بين سلام وحميد عثمان) ولم يجدني في البيت، فسوف تزداد شكوكية حميد بأنني خرجت للتكتل ضده، وهذا سيزيد الوضع سوءاً ولن يكون ذلك في مصلحة الحزب. ثم أعقب وهو يضحك:

إذا استطعت، فأجلبي لنا قطعة خبز من البيت الذي ستجتمعن فيه، وألا...فسوف نعلن الاضراب عن الطعام هذا المساء. (فقد كان الخبز هو الجزء الأساسي في طعامنا آنذاك).

لقد كنت قلقة ومتألّمة...وكننت اتوقع ان تطول هذه الأزمة...ولكن سلام كان أكثر تفاؤلاً...فكان يوضح لي ان الحياة الحزبية ليست (هوسة) وأن هناك ضوابط تحول دون استئثار ذاتية وفردية المسؤول الحزبي... وان النظام الداخلي الذي لا يستطيع اي مسؤول تجاهله مدة طويلة.

وعاد سليم الجلي للمرة الثانية، وصبر عليه سلام، ولم ينجر للاستفزاز مرة أخرى. لذلك أصبح موضوع تجميد عضوية سلام عادل في اللجنة المركزية أمر صعب التبرير. فلجأ حميد عثمان إلى طريقة أخرى للتخلص من سلام عادل، فأرسل رسالة إليه يعتذر فيها عن "سوء التفاهم" ويطلب منه ان يذهب لتفتيش عمل المنطقة الجنوبية، متوقعا اصطدام سلام عادل بقيادة الحزب فيها فيسهل عليه إبعاده. فرد سلام عادل على الرسالة وقال انه مستعد للذهاب، ولكنه لا يعرف صلاحيته كمفتش لان هذه الصفة الحزبية غير موجودة في النظام الداخلي للحزب فإذا أمكن توضيح ذلك. وقال: سأسافر غدا ان لم يصل ردك على رسالتي. واضطر حميد عثمان إلى التراجع وأرسل له في الصباح رسالة أخرى يبلغه فيها بأن عليه تسلم مسؤولية الفرات الأوسط، فكتب سلام جواباً له قال فيه: "إنني موافق وسأذهب إلى الفرات الأوسط، ولكني ما أزال مصراً على بحث المشكلة بيننا في أول اجتماع قادم للجنة المركزية". وهكذا كان فلقد سافر سلام الى الفرات الاوسط في تشرين الثاني 1954.

وضع سلام خطة لعمله على أساس ان غالبية سكان الفرات الأوسط هم من الفلاحين، فقرر ان يوجه جلّ اهتمامه إلى هذه الطبقة الاجتماعية وتلخصت خطته في الاستفادة من علاقات وصلات القرابة لرفاق المدن بالفلاحين لتقوية منظماتهم في الريف. وتعرف سلام عادل عليهم ووجههم نحو الاتصال بالفلاحين وخلق الركائز الحزبية بينهم والتردد على المضافات وتوجيه الأحاديث فيها وجهة تخدم النضال السياسي وتشخيص أبرز الفلاحين، وترشيحهم للحزب والعناية بهم ليكونوا كوادراً فلاحية في المستقبل.

وبدأ سلام عادل بدراسة وتنفيذ تشكيل أول الجمعيات الفلاحية (غير المجازة طبعا) لتقوم بتنظيم (العونة) أو المساعدة بين الفلاحين في الحراثة والحصاد وتنظيف السواقي... الخ. وأصدر جريدة خاصة بالفلاحين، وكتب فيها مقالا باللهجة الشعبية، ولكن لم تكن هناك إمكانيات لمواصلة هذا الجهد. وتمكن من خلال هذه الأعمال اختيار كوادراً الحزب من بين الفلاحين لقيادة التنظيم في الريف. ولم يمض وقت طويل حتى تكونت قاعدة فلاحية قوية للحزب في ريف الفرات الأوسط.

يقول باقر إبراهيم⁴³ في مقابلة مسجلة معه عن العمل في تلك الفترة:

"في الحقيقة ان فكرة تكوين منطقة باسم (الفرات الأوسط)، كانت فكرة سلام عادل عندما كان مسؤولاً عن ثلاثة ألوية (محافظات) هي الديوانية وكربلاء والحلة، والتي أصبحت الآن تتكون من خمس محافظات هي الحلة وكربلاء والنجف والقادسية والسماوة، حيث يتمتع فيها الحزب بمكانة متميزة خاصة بين العمال والفلاحين وتقع في المنطقة مدن كربلاء والنجف والكوفة، المدن الدينية والتاريخية التي لعبت في هذه المنطقة دوراً في تكوين وعي الناس الديني والثقافي لما تتمتع فيه من مكانة خاصة في هذا المضمار.

لقد تجسدت موهبة سلام القيادية في هذه المنطقة، فقد ساهم في تطوير كوادراً المنطقة وأغنى تجربة الحزب في الحركة الفلاحية والتنظيم الديمقراطي. وأتذكر انه كان عندنا كراس عن مهمات الحزب التنظيمية، لا أتذكر عنوانه، ولكن أتذكر ان سلام عادل هو الذي ألف هذا الكراس وطبعه وظل متداولاً بين الرفاق لفترة طويلة امتدت إلى ما بعد ثورة 14-7-1958، وقد صدر هذا الكراس عام 1955. وصدرت بإشراف سلام عادل أول جريدة للمنطقة وهي جريدة (صوت الفرات) التي واصلت الصدور مدة عشر سنوات ثم صارت علنية في 14 تموز (يوليو)، وكان رئيس تحريرها الشهيد حسن عويّنة وكنت أتعاون معه في التحرير، وفي كتابة الكثير من المقالات

43 - عضو المكتب السياسي عند تسجيل الحديث.

ومعالجاتها.

كان سلام عادل يشجع على النشر الحزبي لمعالجة مشاكل الجماهير وكذلك يشجع على نشر ما يرد من كتابات من المنظمات الجماهيرية الكبيرة كالحركة الفلاحية ووقف وراء إصدار صحف ونشرات لم تكن معروفة في تاريخ الحزب مثل جريدة (حرية الوطن) أو نشرات جبهة الاتحاد الوطني وغيرها من المطبوعات المتطورة التي ظهرت في فترة نهوض الحركة الجماهيرية.

لقد لعبت موهبته وكفاءته الشخصية وقدرته على الكتابة، دوراً في نشاط الحزب الفكري. فالقائد الحزبي ينبغي ان يكون ملماً إماماً مناسباً في إمكانية التعبير عن آرائه وبلورتها وصقلها، وكان الرفيق سلام عادل يمتلك هذه القدرة، وفي الوقت ذاته لم يكن من عشاق الجملة الفخمة أو الديباجة الزاهية الفارغة من المعنى. وكان يحاول ان يعطي بتعبيره وأسلوبه الكتابي معنى للأفكار التي يريد ان يعبر عنها، ولم يكن من ذوي المعالجات المطولة التي تنتشعب وتخرج عن الموضوع، بل انه كان يكتب بإيجاز مكثف للفكرة".

وعن الصحافة الحزبية في الفرات الأوسط في فترة قيادة سلام عادل للمنظمة الحزبية فيه يقول فائق بطي:

"صدرت في أوائل تشرين الثاني (نوفمبر) عام 1954 نشرة (صوت الفرات) بأربع صفحات، لسان حال (منظمة الفرات الأوسط) للحزب الشيوعي تحت شعار (من أجل السلم والتحرر الوطني والديمقراطية) داعية إلى النضال من أجل إحباط الانضمام إلى مشروع تركيا - باكستان العدواني، وضد كافة المشاريع العدوانية الأخرى، ومن أجل إطلاق الحريات الديمقراطية والحقوق الدستورية ومطالب الجماهير الاقتصادية ومن أجل إسقاط طغمة نوري السعيد الخائنة ومجيء حكومة انتلافية وطنية" 44.

وعن نشاط سلام في الفرات الأوسط وتوسع النشاط الفلاحي يقول نصير الكاظمي (عزيز سباهي):

"وتحرك الفلاحون في عام 1955 لإيقاف نهب أراضيهم مثل تحرك فلاحي آل أزيرج في الرميثة وفلاحي الشويجة والبو حسان والفلاحين من بني عارض في مدينة الحمزة ومدينة قلعة سكر الذين تحركوا جميعاً ضد الاقطاعيين. كما شهدت مناطق آل بدير والمهنأوية والصلاحية وبعقوبة وقرى الجيزاني والسعيدية والكية والزغبية والبو عواد والعجمي، نضالات فلاحية من أجل تحقيق مطالبهم في المناصفة".

44 - فائق بطي - الصحافة اليسارية في العراق ص108.

وعن اهتمام سلام عادل بالعمل في المجال الفلاحي يقول أحد الرفاق⁴⁵:

انقضى الربع الاول من الليل وقد حسبته قد نام...وبعد ساعة من الزمان، قال: يبدو إنك لم تنم... اجبته: لم أستطع... هذه البراغيث اللعينة قد افترستني. قال: انا الآخر لم أنم... أني أفكر ان اسافر غداً الى الفرات الاوسط.

سألته: ماذا تفعل هناك؟ قال: مجرد زيارة قصيرة... منذ عدة أشهر لم بزرهم أحد من المركز.

كان هذا رأيه لا يترك فرصة تتاح الا وشد رحاله الى مدينة من مدن العراق...او تجول في منظمات بغداد...كان واسع الاحاطة بكل شؤون الحزب ومنظماته وكوادره...قال:

هل لديك مانع ان أشعل النور؟ هناك رسائل يجب ان يتسلم مرسلوها اجوبة عاجلة. تصور رقيقاً يهتم بأرسال اقتراح او يشكو الى القيادة، ويتأخر عليه الجواب، او لا يستلم جواباً...ان رابطته بالحزب تضعف دون شك...

45 - كراس سلام عادل ص25.

"مرت البلاد بإحداث سياسية جسيمة، خاصة بعد استقالة الوزارة العميرية في 1954/6/17، حيث تم تعطيل مجلس الامة في 1954/7/27، ومجيء وزارة نوري السعيد وحل مجلس الامة في 1954/10/3، وصدر المراسيم السعيدية تباعا من 8/22 إلى 1954/10/12".⁴⁶ والانضمام إلى عضوية حلف بغداد في 1955/2/24.⁴⁷

واستلزمت هذه الاوضاع من الحزب ان يواجهها بخطة مدروسة تستهدف خلق الظروف المناسبة لتجميع الطاقات الكامنة لدى الشعب العراقي عن طريق العمل الجماهيري المنظم والمنسق بين سائر الوطنيين من القوى والاحزاب السياسية في جبهة وطنية، لمجابهة حلف بغداد والحكم الرجعي.

لقد كانت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي حينذاك تتكون من: حميد عثمان (مسؤول الحزب)، كريم احمد، سلام عادل، سليم الجلي، هادي هاشم، فرحان طعمه، عبد الله عمر محي الدين (كاكه فلاح)، ناصر عبود وعطشان ضيول. وكلف كريم أحمد بقيادة لجنة بغداد، وسلام عادل بقيادة منطقة الفرات الاوسط، وفرحان طعمة لقيادة المنطقة الجنوبية في البصرة وبقي سليم الجلي وعطشان ضيول وناصر عبود مع حميد عثمان في بغداد وكان هادي هاشم في كركوك، اما كاكه فلاح فقد عمل في تلك الفترة في كردستان على ما أذكر. وقد سبق وان نوهنا عن مأخذ سلام عادل ومسؤولي المناطق على أسلوب حميد عثمان الفردي وعدم التزامه في إدارة العمل الحزبي بأحكام النظام الداخلي مما قلص من صلاحيات الهيئات الحزبية، بما فيها اللجنة المركزية، وباتت الصلات الفردية هي البديل عن العمل الجماعي في الهيئات الحزبية وأخذ حميد عثمان يواجه الاحداث بنهجه الانعزالي الخاص كما يلي:

1 - لقد أعطى أمرا الى لجنة بغداد للقيام بانتفاضة تطيح بحكومة المراسيم والإرهاب وحلف بغداد. وكان الانتفاضة تحدث تحت الطلب ومن دون الالتفات الى تغيير الظروف الملموسة. ومع ذلك تصدّت منظمات بغداد بكل شجاعة وجراءة، وقامت بمظاهرات خاطفة عديدة وبنشاطات متنوعة لتحفيز الجماهير الشعبية على النهوض بوجه حلف بغداد. وبهذا الصدد يقول عبد علوان (أبو بشري) في رسالة ارسلها لي في الثمانينات، وكان عضوا في لجنة بغداد في تلك الفترة، ما يلي:

"وفي عراقنا حيث تمادى الحكام الرجعيون في خيانة مصالح الشعب والوطن وربطوا البلاد بالمعاهدات والاتفاقيات والاحلاف الإمبريالية، هذه التدابير الخيانية

⁴⁶ - تاريخ الوزارات. عبد الرزاق الحسني. ص 91، 113-115

⁴⁷ - تاريخ الحركة الثورية المعاصرة. سعاد خيرى. ص 241

أسفرت عن ردود فعل جماهيرية تمثلت بالمظاهرات والاحتجاجات والإضرابات. وقد استخدمت عام 1955 المظاهرات الخاطفة، وتشكلت الفرق الدعائية بأعداد كبيرة معززة بالحراسة المسلحة واحتلت المقاهي والتحشيدات الجماهيرية لإلقاء بيانات الحزب وشعاراته واستخدمت البالونات وطائرات الورق لنشر شعارات الحزب في سماء بغداد ومدن عراقية أخرى".

وقد استشهد عضو الحزب الشهيد كامل طه في إحدى المظاهرات الخاطفة. وعندما قتل أحد أفراد الشرطة في إحدى المظاهرات، وجهت التهمة الى الطالب علي الشيخ حسين، وحكم عليه بالإعدام ولولا نشاط (لجنة العدالة) في نقابة المحامين، ودفاع نقيب المحامين حسين جميل، والضجة العالمية التي قام بها اتحادا الشبيبة والطلبة العالميين لما أنقذ علي (وهو ابن الشيخ حسين الذي استشهد في السجن عام 1953).

رغم كل هذه الأعمال الشجاعة، فإن المظاهرات الخاطفة لم تتحول الى انتفاضة ولم تستطع عرقلة الانضمام الى حلف بغداد لأنها كانت معزولة حيث لم تستطع جذب الجماهير، بل اقتصرت على قوى وكوادر الحزب فقط. فالانتفاضة لا تحدث بأوامر فوقية وعند الطلب، فلها شروطها الموضوعية والذاتية وفي مقدمتها تعاطف الجماهير الشعبية مع القوى الوطنية المتحالفة في جبهة موحدة، فذلك يمد الجماهير بقوة خارقة ويدفعها الى خوض النضال. لقد عرضت المظاهرات الخاطفة لجنة بغداد وكوادرها الهامة الى الخطر، فألقى القبض على اللجنة ومسؤولها كريم احمد بعد ان كبست الشرطة البيت الذي كانت تجتمع فيه.

يقول حنا بطاطو:

"لا شك ان عثمان كان أكثر تألقاً من سلفه الداود، ولكنه كان كذلك أكثر تهوراً، وعلى كل حال، فإنه لم يكن أكثر منه ملائمة للدور الاول في الحزب بكثير. وكان يُظهر في كل ما يفعل او يقول، حماسة كبيرة وحكمة ضئيلة. والاهم من هذا هو ان الاهداف التي الزم نفسه بها كانت ابعد ما تكون عن امكانية تنفيذها، ولا تتفق على الاطلاق مع الوسيلة المتوفرة او حتى مع سياسة الاحزاب الشيوعية العربية الاخرى."

2- التعامل مع القوى الوطنية: وقفت الاحزاب الوطنية ضد الوزارة السعيدية، ولكن موافقها تباينت الى حد ما من انتخابات البرلمان السعدي في ايلول "سبتمبر" 1954، فالحزب الوطني الديمقراطي قاطع الانتخابات، وحزب الجبهة الشعبية قرر تجميد نشاط الحزب، اما حزب الاستقلال فقد قرر الدخول في الانتخابات على أساس أهداف الجبهة الوطنية الانتخابية لعام 1954 نفسها. وكان لابد للحزب من دراسة هذه الحالة بعمق واتخاذ الخطوات اللازمة لمعالجة الموضوع، بشكل دقيق يؤدي الى جمع القوى الوطنية. ولكن حميد عثمان ارتكب أخطاء جمة في معالجة هذه القضية المهمة جداً، لقد وجّه حميد عثمان مذكرة الى الأحزاب والقوى الوطنية باسم الحزب الشيوعي نشرتها جريدة القاعدة السرية الناطقة باسم الحزب في أواسط كانون الثاني

(يناير) 1955، ومما جاء في المذكرة:

"يجب إعلان رفض العراق الدخول بأي حلف مع تركيا والالتزام بقرار الجامعة العربية الداعي للوقوف على الحياد، برفض كافة التكتلات الحزبية وعلى رأسها كتلة الشرق الاوسط فعلى الوزارة التي تتسلم الحكم بعد إقالة الوزارة السعيدية ان تلغي جميع المراسيم وتطلق بنود الدستور الحبيسة، وتعيد للأحزاب والنقابات والجمعيات والصحف الحزبية العمل دون أي تضيق او اضطهاد".

ثم انتقدت المذكرة موقف بعض الأحزاب والقوى الوطنية الأخرى لتجميد نشاطها وتهويلها لقوة الحكومة... وواصلت "ان حزبنا يؤمن بأن ابسط عمل مشترك من قبلنا (يقصد من قبل القوى الوطنية) جميعا يززع الوزارة من الحكم فيجب القيام بعمل مشترك". ونصت المذكرة: "لقد طالبنا الاوساط المعنية بتنظيم إضراب سياسي عام لإزاحة الوزارة لكن حزبنا لم يتلق أي جواب من هؤلاء الاخوان".

ويمكن للقارئ الاستنتاج بان عدم تلقي "جواب الاخوان" كان يعني ان الأوضاع السياسية العامة في العراق لا تساعد على تحويل المظاهرات الخاطفة الى انتفاضة، ولا تساعد ايضا على الاضراب السياسي العام ونجاحه، بمعنى اخر لم يكن هناك قبول في تلك الفترة لهذه الأساليب لدى القوى والاحزاب الوطنية.

وعند التوقيع على الحلف التركي - الباكستاني في 1955/2/25، تواصلت المظاهرات الخاطفة ضد حلف بغداد التي فرقها الحكومة بالنار، واستشهد في السليمانية عضو آخر هو الشهيد بكر احمد الخياط، واعتقلت الشرطة العشرات من الشيوعيين والعديد من كوادر الحزب لتقمع المظاهرات الاحتجاجية بالقوة وترهب الناس كي لا ينزلوا الى الشوارع للتظاهر.

نشرت جريدة القاعة في 1955/5/1 ما يلي: "ان حزبنا الشيوعي العراقي الذي لا يعرف التراجع امام الصعوبات يتقدم بهذا المنهاج الوطني الآني.. الذي يعبر عن مصالح الأغلبية الساحقة من الشعب، ويتفق مع تطورات الوضعين الدولي والداخلي، ومع المصالح الوطنية الملحة العاجلة ويمد يد النضال الفعلي الى كل عراقي ينهض لتحقيق هذا المنهاج او بعض بنوده او بند من بنوده".

ومن الطبيعي ان لكل حزب الحق في ان يرسم منهجه الآني بشكل مستقل، أما عند الدعوة الى العمل الوطني المشترك الذي تضمنته مذكرة 1 أيار 1955 للحزب، فان ذلك يستوجب الاتفاق فيما بين الأحزاب على منهج آخر يعتمد في بنوده على اتفاق القوى والأحزاب الوطنية، ولا يلغي منهج الجبهة مطلقا المناهج التي تتخذها الأحزاب كل على حدة. ومن الناحية الأخرى لو قارنا المنهاج الآني، ببرنامج جبهة الكفاح الوطني ضد الاستعمار والحرب الذي تبنته اللجنة المركزية في كانون الثاني "يناير" 1954 والذي ناقشناه في فصل سابق نجد ان أهم فرق بينهما هو ان محور برنامج جبهة الكفاح الوطني هو الكفاح المشترك والمتدرج بين الأحزاب والقوى

الوطنية المستند الى الجماهير الشعبية من العمال والفلاحين، في حين ان المنهاج الانى يضع صيغة غير عملية في سياسية العلاقات الوطنية للحزب، ويطرح شعارات لا توافق عليها باقي القوى الوطنية، خاصة اذا كان الهدف من نشره هو جمع هذه القوى.

لقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك، ان الأوضاع العامة التي استجدت في البلاد بعد مجيء وزارة نوري السعيد ومراسيمها ودخولها في حلف بغداد، تقتضي بالضرورة جهودا إضافية من الحركة الوطنية بصورة عامة ومن الحزب الشيوعي خاصة، ومستوى أعلى من الممارسة لأجل وضع وتنفيذ الخطة الوطنية العامة، لمجابهة حلف بغداد وضد زج العراق فيه، وهذا ما لم توفره قيادة حميد عثمان الفردية الانعزالية.

ولكي يطلع القارئ على ما جاء في جريدة القاعدة الصادرة في أيار "مايو" 1955، بعنوان إطلاقات أيار "البرنامج الانى" والذي سنعرضه بشكل مكثف:

1- خروج العراق من الحلف التركي العراقي الإنكليزي، وعدم الارتباط بأي حلف عسكري مع الدول الاستعمارية او مع تركيا، والتعاون العربي في الحقل السياسي والاقتصادي والعسكري والثقافي ضد اي اعتداء، والتعاون الدولي على اساس المبادئ الخمسة الشهيرة (باندونج) واعادة العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي.

2- فسخ اتفاقية السعيد - ايدن الجائرة، (معاهدة نيسان "أبريل" 1955)، التي فرضت كبديل لمعاهدة 1930، وجلاء القوات البريطانية فورا وقلع منشأتها وقواعدها العسكرية.

3- إلغاء اتفاقية النقطة الرابعة ورفض (المساعدات العسكرية) وكافة أشكال المساعدة الامريكية ومنع تسرب الاحتكارات والرساميل الأمريكية التي تضع موارد البلاد لصالح الاستعدادات العسكرية.

4- إعادة النظر في امتيازات كافة الشركات الأجنبية وخاصة شركات النفط وطرد الخبراء المتوغلين بفضاضة في عموم شؤون الدولة.

5- إسقاط وزارة السعيد - الزمرة التي تلتف حول البلاط الرجعي وإقامة حكومة ائتلافية قوامها الائتلاف السياسي بين الأحزاب الوطنية والجماعات والشخصيات التي تتبنى وجه عام الأهداف المذكورة أعلاه، وتقوم بـ:

1- إطلاق الحريات الديمقراطية

2- تطهير جهاز الدولة من عملاء الاستعمار

3- إطلاق سراح السجناء والسجينات السياسيين، وإلغاء المعتقلات السياسية، ومحاكمة الخونة قتلة أبناء الشعب في السجون والشوارع، والتعويض لضحايا النضال ضد الاستعمار والجور الإقطاعي.

4- حل البرلمان الحالي، وإجراء انتخابات حرة، وإشراك المرأة فيها، وإيجاد تمثيل عادل للقوميات الأخرى.

5- اتخاذ خطوات عملية لتحسين حالة الجماهير المعاشية والصحية والثقافية وذلك:

أ - زيادة أجور العمال وإيجاد ضمان اجتماعي وتطبيق ثمان ساعات عمل وإيجاد تشريعات لضمان حقوق العمل وتأليف النقابات.

ب - هدم الملكيات العقارية الكبيرة، وتوزيعها على الفلاحين بقطع صغيرة، وإلغاء الديون الإقطاعية، وإلغاء التشريعات التي تبيع نهب الأراضي وإرجاع الأراضي المنهوبة.

ج - تحسين حالة الجنود المعيشية والصحية، وإعطاء أفراد الجيش الحقوق المتساوية للمواطن العراقي.

د - مكافحة التلاعب بالأسعار، ومنع تصدير المواد التي تفتقر إليها الجماهير.

هـ - مكافحة الأمراض، وتوسيع شبكة المستشفيات والمستوصفات.

و - توسيع نطاق التعليم وجعل التعليم الابتدائي والثانوي مجانياً.

6- إزالة العوائق الرجعية أمام تقدم الشعب الكردي، واحترام حقوقه القومية بما فيها الاستقلال الذاتي وجعل قوة ووحدة العراق رهن بالتعاون الاخوي المشترك بين الشعبين الشقيقين العربي والكردي على أساس المساواة في الحقوق، وإرجاع البرزانيين الى موطنهم، وتعويضهم عما لحقهم.

7- احترام جميع الاقليات المضطهدة.

8- إيجاد التشريعات التي تضمن كافة الحقوق السياسية والاقتصادية للمرأة وإلغاء المظالم الاجتماعية وفسح المجال أمام المرأة للمساهمة الفعالة في بناء كيان المجتمع.

9- إيجاد سياسة تؤدي الى التصنيع السريع للبلاد واستثمار الرساميل الوطنية واخراج العراق من طوق الاسترليني

وجاء في خاتمة الوثيقة: "صحيح ان الشعب العراقي يواجه عدوا جهنميا فتاكاً، غير ان قوى العمال والفلاحين والكسبة والحرفيين والمتقنين وأصحاب المصانع الوطنيين والملاكين الأحرار.. إذا اتحدت في جبهة وطنية موحدة واسعة، وإذا اعتمدت هذه الجبهة على النضال الجماهيري الثوري بمختلف أشكاله، تستطيع إحراز النصر بكل تأكيد".

واضح جداً، ان المنهاج الأنّي كان فوق طاقة القوى الوطنية، اي انه لم يكن بأي حال من الاحوال قادر على جمع هذه القوى وحزبنا في جبهة وطنية.

جاء في مذكرات الراحل كامل الجادرجي:

"بعد ان أصاب الجبهة بعض الجمود في نهاية عام 1954 وبداية عام 1955، في أثناء الحملة العنيفة من الإرهاب والقمع والتي وجهها نوري السعيد من أجل حلف بغداد، عاد الحديث حول إعادة تكوين الجبهة عام 1955". ومن الوثائق التي بين أيدينا وثيقة ذكر الأستاذ الجادرجي بشأنها، انه التقى بجماعة زاروه في بيته، وتحدثوا حول موضوع الجبهة، ومع انهم لم يذكروا له باسم من كانوا يتكلمون فإنه خمن ان لهم صلة بالشيو عيين وان الشيو عيين لهم يد في إرسالهم للاجتماع به.

وقد تحدث معهم في الموضوع مبينا رأيه في الوثيقة المذكورة (البرنامج الآتي) حيث اطلع الزوار على مذكرة مكتوبة تلخص رأيه وطلبوا نسخة مكتوبة منها، ولكن الاستاذ الجادرجي اعتذر عن ذلك وطلب منهم ان يقرؤوها بحضوره ويستوعبونها فقط، وفيما يلي نص ما كتبه الجادرجي في 1955/6/3:

"في حقيقة الأمر انه لا توجد بصفة عامة، رغبة قوية بالاشتغال في القضايا العامة التي لا تتصف بالانتهازية، وبتعبير أدق في القضايا التي لا يغلب عليها الطابع الشخصي إلا لدى العناصر اليسارية في البلد. وقصد بمفهوم (اليسارية) في هذا الصدد مفهوم شامل يضم كل من يحمل فكرة تقدمية، من أحرار الفكر الى أقصى اليسار.

ان هذه العناصر المتنوعة، مهما كان منهاجها معتدلا، سوف توصف بكونها شيوعية وتقاوم على هذا الأساس وتكافح مكافحة عنيفة ضاربة، إذا ما تكتلت فيما بينها لوحدها، لذلك يعتقد بانها لا يمكن ان تؤلف لوحدها في الوقت الحاضر قوة يعتد بها لغرض مقاومة (الجبهة الثانية) في سبيل احلال نظام ديمقراطي صحيح في البلد.

العناصر اليسارية يمكن ان تؤلف قوة يعتد بها، إذا ما تكتلت فيما بينها واتفقت مع العناصر الوطنية المستقلة وغيرها على منهج وطني يهدف الى تحقيق الديمقراطية.

العناصر اليسارية التي يمكن اعتبارها نواة للحركة، هي بحاجة ماسة الى مرجع يقره اليساريون ويرتضيه الوطنيون من مستقلين وغيرهم. ولكن هناك حقيقة جديرة بالاعتبار، هي ان اليساريين ليسوا جميعا يقررون هذه الضرورة وانما البعض يعتبر نفسه ككتلة، مرجعاً أصليا يجب ان يكون زمام الأمر بيده دون سواه. بينما العناصر اليسارية الأخرى وسائر الوطنيين والمستقلين وغيرهم لا يعتبرون أنفسهم في الواقع إلا جزءاً من الحركة.

وحدة العناصر اليسارية والوطنية والمستقلة وغيرها غير مستحيلة، فيما إذا تخلت بعض العناصر اليسارية عن تلك الفكرة، فكرة تزعم الغير، واستقرت على منهج معين غير استقرازي وسارت على خطة ثابتة لمدة طويلة، والتزمت التزاما تاما بذلك بكل إخلاص وبرهنات عليه عمليا.

لأجل تحقيق فكرة الجبهة الوطنية بصورة وطيدة، مبدئيا، سواء أكانت جبهة فعلية او (تفاهمية) وضمن استمرار تعاونها بدون إثارة مشاكل على الدوام، يجب ايجاد ضمانات عملية كافية تجعل العناصر الوطنية والمستقلة وسائر العناصر اليسارية

وغيرها ممن تؤلف الجبهة مطمئنة على انها لن تصبح آلة بيد جهة من جهات الجبهة. كما يجب ان تزول عن أذهان جميع تلك العناصر بان البعض منهم - من الجبهة - يحاول ان يجرهم دائماً الى اوضاع أو وقائع لم يكونوا قد فكروا بها أصلاً أو لم يكونوا قد اتفقوا عليها قبلاً. أي يجب على كل منظمة أو جهة ان تتجنب سياسة توريط غيرها أو استغلاله مهما كانت الدوافع والتفسيرات والتأويلات.

ان سياسة جعل الغير تجاه (الأمر الواقع) وبناء نتائج عليها سياسة غير مقبولة أصلاً، بل يجب ان تكون محرمة تحريماً قاطعاً في جميع الظروف والاحوال، في حالة مد الحركة الشعبية وفي حالة جزرها على السواء. كما يجب تجنب اختلاق التهم وكيها جزافاً والتشنيع بالغير عند وقوع أي خلاف في الرأي أو الخطأ مهما كان نوعه، ومهما كانت طبيعته، بل يجب على الدوام احترام وجهات نظر الغير احتراماً تاماً.

يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار طبيعة العناصر التي يراد تشريك المساعي معها من جميع الوجوه، إذ ان تلك العناصر لا يمكن في الحقيقة ان تنغمز بأية حركة وطنية أو شعبية في سبيل إحلال نظام ديمقراطي، الا إذا ضمنت بصورة عملية بأنها لن تعتبر سلباً للحركة، وشعرت في الصميم بأنها ليست طارئة على الحركة وأنها جزء منها من دون تحديد وقت أو مرحلة، وبتعبير أوضح يجب ألا تكون (المرحلة التاريخية) التي يرددها البعض بمناسبة ودون مناسبة موضوع بحث مطلقاً، لان إثارة هذا الموضوع وأمثاله، فضلاً عن كونه غير ذو قيمة عملية في اية حركة وطنية أو في أي نوع من أنواع التعاون، فانه من دون شك مضر بوحدة الحركة بالغ الضرر. إذ ان ترديد هذا الموضوع يزيل روحية التعاون الأصلية التي يجب ان تكون سائدة في كل عمل تعاوني أو سياسي أو اجتماعي.

يجب ان تبدل الجهود لإزالة الوهم السائد، بصفة عامة، لدى الرأي العام بان اليساريين أو التقدميين غير قوميين، وانهم لا يهتمون بالقومية العربية، وانما الاعتقاد الذي يجب ان يسود لدى الرأي العام العربي بصفة عامة، والعراقي بصفة خاصة في هذا الصدد، هو ان العرب أمة واحدة لها طابعها الخاص، وثقافتها الخاصة، وأحوالها الاجتماعية الخاصة مع تباين أقطارها في بعض الخصائص. وأن العرب كأمة يعني الكثير تمسكهم بقوميتهم الأصلية واعتزازهم بها يقرون جميع حقوق القوميات والاقليات التي يعيشون معها، وعلى هذا الأساس ان كل يساري أو تقدمي لا يمكن ان يكون إلا قومياً أصيلاً، ولكن قوميته هذا يجب لا تشوبها شائبة القومية الشوفينية في أي حال من الأحوال.

من الطبيعي ان يكون من المستحسن دخول من وصفوا بكونهم قوميين ضمن التعاون المنشود غير ان الجهود التي بذلت سابقاً في مختلف المناسبات في هذا الصدد كانت غير مشجعة لأسباب كثيرة، قد يكون من جملتها ذلك الوهم المشار إليه. ومع ذلك ان من غير المستحسن ان تهمل هذه الناحية المهمة في أي محاولة للتعاون

الشامل".

وبهذا ينهي الجادرجي ملاحظاته التي أوردها في الصفحات 662 - 660 من مذكراته.

نرجو من القارئ الكريم، ملاحظة الى ان حديث ومذكرة الجادرجي موجهة الى قيادة حميد عثمان وبرنامجہ الأني في ايار 1955، في حين سنرى ان زكي خيرى يذكر في كتابه (مذكرات شيوعي مخضرم) بانها كانت موجهة الى قيادة سلام عادل في عام 1957 تعليقاً على برنامج جبهة الاتحاد الوطني، وسوف نناقش اراء زكي التحريفية هذه، في فصل قادم عند تناول جبهة الاتحاد الوطني.

اجتماع اللجنة المركزية في حزيران 1955

بعد صدور وثيقة البرنامج الأنّي "اطلاقات أيار" التي كتبها حميد عثمان، ووصول الوثيقة الى منظمة الفرات الاوسط أوقف سلام عادل توزيعها، وكتب رسالة الى حميد عثمان يطلب فيها السماح له بالسفر الى بغداد لمناقشة هذه الوثيقة. وجاء الى بغداد فعلاً، والتقى بحميد عثمان، وناقشها معه، وقال له ان صدور وثيقة برنامجية مهمة يستوجب عقد اجتماع للجنة المركزية لمناقشتها وإقرارها. أما الآن، وقد صدرت فيجب إيقاف توزيعها، ودعوة اللجنة المركزية الى اجتماع.

عقد بعد ذلك اجتماع اللجنة المركزية في حزيران "يونيو" 1955 في بغداد. وتصدرت جدول الاعمال نقطة محاسبة حميد عثمان لعدم دعوته اللجنة المركزية للاجتماع قبل إصداره هذه الوثيقة، ومعرفة سبب إصداره بقرار فردي من قبله.

تحدث أعضاء اللجنة المركزية واحدا بعد الآخر عن الاهمية الاستثنائية للاجتماع في مثل تلك الظروف العصيبة التي يمر بها العراق وحركته الوطنية. وخلال الاجتماع ادّعى حميد عثمان المرض، وطلب ان يذهب الى بيته للراحة. وكلف سلام عادل بقيادة الاجتماع الذي ظل منعقدا. ولما لم يأت حميد عثمان في اليوم التالي، ذهب عضو اللجنة المركزية ناصر عبود الى بيته ليستفسر عن صحته، وعن السبب الذي أخره عن المجيء. ولكنه لم يجد حميد في بيته وقيل له إنه سافر الى مدينة كركوك مساء اليوم السابق. ولما علمت اللجنة المركزية بذلك، أرسلت ناصر عبود الى كركوك للعودة به، وفعلاً عاد به ناصر عبود الى اجتماع اللجنة المركزية حيث حوسب على هربه الى كركوك وتعريضه الاجتماع الى الخطر الجدي لو أُلقي القبض عليه خلال الرحلة. والظاهر ان نية حميد كانت شق الحزب من خلال اللجوء الى قيادة الفرع الكردي للحزب.

وقد حاسب أعضاء اللجنة المركزية حميد عثمان على القضايا الرئيسية التالية:

1 - انتهاجه نهجاً فردياً في معالجة قضية هامة وهي تعبئة الحزب وال جماهير وتحديد أساليب النضال لمقاومة حلف بغداد، وعدم مبادرته لإشراك اللجنة المركزية في وضع خطة عملية تتلاءم مع الظروف السياسي.

2 - دعوته، بصورة فردية لتنظيم مظاهرات انتحارية تعتمد على قوى الحزب الذاتية، وبالتالي معزولة عن الجماهير. فرط بكثير من الكوادر والاعضاء.

3 - لجوئه الى إصدار برنامج جديد بشكل فردي وبصورة مخالفة لأحكام النظام الداخلي.

4 - عدم دراسة الاسباب الكامنة وراء انكماش الاحزاب الوطنية بعد صدور مراسيم نوري السعيد، والكشف عن الاسباب الموضوعية التي أدت اليه. واتخاذ مواقف خاطئة تجاه بعض القوى الوطنية ومطالبتها بالقيام بإضراب سياسي عام الذي يتطلب توفر نهوض ثوري لم يكن موجوداً آنذاك، وفرط بإمكانية التعاون الوطني معها.

لقد أكد جميع من كتبوا عن فترة حميد عثمان بان سياسته لا تتفق مع الوضع الثوري الواقعي للبلاد في تلك الفترة وإن اهدافه المعلنة وتكتيكاته تفتقر إلى الحكمة وبعد النظر.

يقول بطاطو:

"وقد تجدر الإشارة هنا، باختصار، الى انه ورط الحزب الشيوعي، تكراراً، في مواجهات مكلفة ولا معنى لها مع الشرطة⁴⁸. وفي احدى المناسبات - ايلول (سبتمبر) 1954 - رفع شعار (الاضراب السياسي العام)⁴⁹. وفي مناسبة أخرى - كانون الثاني (يناير) 1955 - رفع شعار (الكفاح المسلح). وضغط عثمان كذلك باتجاه بناء (جيش شعبي ثوري) وباتجاه تغطية الريف بـ (القلاع الثورية). وما من شك في انه كان واقعاً خلال هذه الفترة تحت تأثير ماوتسي تونغ".

وللأسباب التي تتعلق بإدانتة كسكرتير للحزب تقرر تنحيته عن هذه المسؤولية وانتخبت اللجنة المركزية سلام عادل بالإجماع سكرتيراً لها. وعوقب حميد على هروبه بتجميد عضويته في اللجنة المركزية.

وبهذا الشأن، يقول زكي خيري ان قيادة الحزب قد اخبرت حميد بعد عودته "إذا عدت ثانية الى خرق الضبط الحزبي فسوف تطرد من الحزب وطرد فعلاً"⁵⁰ وهذا غير صحيح، فحميد لم يطرد من الحزب بتاتاً، حتى بعد ارتكابه اخطاء اخرى، وزكي يعرف تلك الحقائق جيداً. واليكم كيف سارت الامور بعدئذ:

بعد تنحية حميد عن قيادة الحزب، وفي اول اجتماع للجنة المركزية بعد انتخابه سكرتيراً لها، قدم سلام اقتراحاته والتي أقرت (قرارات تموز 1955) ومنها قرار عن ضرورة التفاوض مع الكتل الانشقاقية التي تعمل باسم الحزب الشيوعي (وهما منظمة راية الشغيلة ومنظمة وحدة النضال "جماعة عزيز شريف").

يبدأ سلام عادل بمفاوضته مع راية الشغيلة لإقناعها بأن الانشقاق عمل انتهازي وتخريبي، فصدور برنامج بهاء الدين نوري الخاطي لا يعني فقدان الحزب لشيوعيته، وبالتالي لا يبرر تشكيل حزب شيوعي جديد، لذا ينبغي حل منظماتهم والعودة الى الحزب فرادى، وأن نشاطهم خلال العامين المنصرمين لم يكن نشاطاً لمصلحة

48 - ملف الشرطة العراقية رقم 4424 (كتاب حنا بطاطو ص 343 هامش 23).

49 - القاعدة، العدد 12 منتصف ايلول (سبتمبر) 1954، ص 1 (حنا بطاطو ص 343 هامش 24).

50 - زكي وسعاد خيرى: "دراسات في تاريخ الحزب الشيوعي العراقي" ص 221.

الشيوعية، خاصة ان المبادئ اللينينية في التنظيم تحتم ذلك. (سبق ان الرفيق فهد طلب من التنظيم الذي كان يقوده زكي خيري "اللجنة الوطنية الثورية 1946-1948" حل التنظيم والعودة للحزب فرادى بعد حل المنظمة وهو ما فعلوه⁵¹).

وكان سلام يلتقي حميد ويطلعه على نشاطات الحزب ومنها هذه المفاوضات، ولهذا فعندما طلب حميد من سلام ضمه الى وفد الحزب الذي كان يفوض كتلة (راية الشغيلة) من أجل وحدة الحزب مبرراً ذلك برغبته بأنه يريد إزالة الانطباع غير الجيد الموجود لدى أعضاء (راية الشغيلة) عنه، واتهامه بأنه هو الذي ورطهم في قضية الانشقاق وتخلّى عنهم بعد ان طردهم الحزب من عضويته... فحصل الانشقاق. استجاب سلام لرغبته هذه لعلّ هذه الزيارة تزيل لدى حميد مشاعر الغبن التي ترسبت في أعماقه، وذهبا معا للتفاوض مع (راية الشغيلة) في بيت جمال الحيدري وخلال ذلك غاب حميد عن الجلسة لبعض الوقت عندما أراد غسل يديه، ولما سأل عنه سلام حين لم يعد الى الاجتماع، قال له الحيدري ضاحكاً: انه عرض عليّ ان ينظم الى راية الشغيلة!

كان من شأن هذا الالتحاق ان يضعف الموقف التفاوضي للحزب امام المنشقين عدا عن خطورته في حال فشلها إذ أنه يمتلك معلومات هامة عن الحزب بحكم عمله كمسؤول للجنة المركزية. وبعد شهر من انضمامه إليهم عاد للحزب منتقداً نفسه، وحتى في هذه الحالة لم يُطرد من الحزب، بل أقصى من اللجنة المركزية ونسب للعمل في الفرع الكردي لحزبنا.

وبعد بضعة أشهر، اي في صيف 1957 يرتكب حميد الخطأ الثالث، اذ يؤثر هو وصالح الحيدري على اعضاء لجنة الفرع الاخرين، لان يعتبروا الحزب الديمقراطي الكردستاني حزباً ماركسياً وليس حزباً قومياً الا بالمظهر الخارجي!! ولهذا يمكن التوحد معهم في حزب واحد بدلاً من حزبين في كردستان!! وفعلاً يبدوون في التفاوض مع الحزب الديمقراطي الكردستاني لحل تنظيم حزبنا، ثم كتبوا الى قيادة الحزب عن رأيهم في اجرائهم هذا. فرد سلام عادل عليهم بطلب حضور حميد وصالح الحيدري الى بغداد. وبعد مناقشات معهم توصلوا الى تخطئة توجههم هذا وقدموا نقداً ذاتياً (يجده القارئ في نهاية كراس "رد على افكار تصفوية" الموجود في نهاية الكتاب).

وبالرغم من نشر البيان الاول لجبهة الاتحاد الوطني والذي كان يستوجب تركيز جهود سلام على هذه القضية، لكنه اضطر للسفر الى كركوك والبقاء هناك يومين لأقناع بقية اعضاء لجنة الفرع بخطأ عملهم هذا.

ولم يكتف حميد بهذه الاخطاء، بل انه بعد فترة يترك حزبنا، وينظم الى الحزب الديمقراطي الكردستاني، ليصبح عضواً في لجنّتهم المركزية. وبعد ثورة تموز

⁵¹ - زكي خيري يلمح في المصدر السابق، عرضاً بذلك.

ينسحب ويترك العمل السياسي مؤقتاً. حيث ينشط بعد انقلاب شباط، فيكتب في إحدى صحف الانقلاب، في عمود، تحت اسم سليم سلطان، مهاجماً ومشهراً بحزبنا.

وحول نفس الفكرة كتب **عزيز الحاج** في أحد كتبه بأنه اعتقل زكي خيري وبهاء الدين نوري أبان انشقاق الحزب عام 1967، "لأن سلام عادل كان قد اتبع نفس الأسلوب مع حميد عثمان"...!! وليس عزيز الحاج وحده الذي تصور ذلك فإن عدد كبير من الرفاق (غير المعاصرين لتلك الأحداث) لا يتصورون بأن قيادة الحزب قد عاملت حميد بصبر طويل، وبروح عدم التقريط بالرفاق.

نعود مرة أخرى إلى سلام فبعد انتهاء اجتماع حزيران عاد سلام ليلاً والاجهاد الشديد بادياً عليه، فسألته عن قرارات الاجتماع، فأجابني قائلاً: لقد جُمِدت عضوية حميد عثمان في اللجنة المركزية، وانتخبوني بدلاً عنه سكرتيراً للجنة المركزية. فقلت له على عاتقي كلما يتسلم مهمة جديدة، "وما هي خطتك في المسؤولية الجديدة"؟ أجابني: توحيد الحزب والقضاء على الانشقاقات والعمل على إقامة الجبهة الوطنية.

ارتفع صوتي قائلة بفزع... عن أية وحدة نتحدث؟ لقد أصبحت بيننا (أقصد الحزب) وبين منظمة راية الشغيلة هوة عميقة!

سألني: ما هو اعتراضك؟

قلت له: ماذا سنقول للناس بعد أن ثقفناهم بعدم شيوعية جماعة الراية؟

لقد حدث انشقاق راية الشغيلة داخل السجن وبذلك أصبح الكثير من السجناء خارج صفوف الحزب. وكان في سجن النساء أخوات سجينات للسجناء المنشقين، فلم يرين بداً من قطع العلاقة بإخوانهن لأنهم انشقوا على الحزب وأصبحوا خارجه، على الرغم من أن هؤلاء المنشقين هم الذين كسبوا أخواتهم للحزب. وبما أنني كنت أنظم عدداً من أخوات السجناء خارج السجن، فقد راعني أن التقي بهن في الغد وابلغهن بقضية فتح المفاوضات مع المنشقين. وسألته سلام "ماذا سأقول لكل هؤلاء الرفاق والرفيقات...؟"

أجابني: هذا ليس جواباً. وما أريده منك يتمثل في جواب واضح على السؤال التالي، إذا حُلَّت منظمة الشغيلة تنظيمها، وانتقد أعضاؤها الانشقاق الذي قاموا به، وعادوا إلى الحزب فرادي.. هل هذا في مصلحة الحزب أم لا؟

فقلت له: طبعاً من مصلحة الحزب، ولكنه شيء يستحيل تحقيقه.

قال: إذن اعتراضك هو على صعوبة تنفيذ هذه الخطوة، معك حق، فالقضية صعبة التحقيق، ولكن يجب أن نبذل كل جهودنا من أجل تحقيق الوحدة.

ثم واصل سلام عادل حديثه عن أنه عندما تسلم كل وثائق الحزب التي بحوزة السكرتير السابق حميد عثمان، وجد بينها رسالة من جمال الحيدري (مسؤول منظمة راية الشغيلة) إلى قيادة الحزب يطلب فيها عقد لقاء بين الطرفين لبحث أوضاع العراق

بعد انضمامه الى حلف بغداد.

واضاف سلام عادل: سألت حميد عثمان كيف رد على هذه الرسالة. فأجابني: وبماذا أجيبهم؟ طبعاً أجبتهم بالرفض، وقلت لهم لإلقاء بيننا، الا بعد قيامكم بحل تنظيمكم واعترافكم بان الانشقاق عن الحزب كان عملاً تخريبياً، ثم تعودون فرادى الى الحزب. وبعدها لم يرسلوا جواباً.

فطلب سلام من اجتماع اللجنة المركزية تخويله بدء المفاوضات مع تنظيم راية الشغيلة بهدف إقناعهم بخطورة موقفهم الانشقاقي، وضرورة حل تنظيمهم وعودتهم فرادى الى الحزب. فخولته اللجنة المركزية بذلك. ثم خولته اللجنة المركزية أيضاً فتح الحوار مع منظمة "وحدة النضال" التي كان قد شكلها عزيز شريف (حزب الشعب سابقاً) في عام 1951.

وفيما يخص العلاقات الوطنية (العلاقة مع الاحزاب الوطنية الاخرى)، فقد كلفت اللجنة المركزية سلام عادل بإعادة العلاقات مع الاحزاب الوطنية بعد تصدعها، نتيجة أداء حميد عثمان الانعزالي في الحقل الوطني الذي تكلمنا عنه سابقاً.

وحول العمل من أجل وحدة الحزب يقول أحد الرفاق⁵²:

كانت ظلمات الإرهاب تتكاثر في سماء العراق، وقيد (حلف بغداد) يطبق بحلقاته الثقال على عنق الشعب... أما صاحبي فكان مفعماً بالعزيمة والأمل...

- "توحيد الحركة الشيوعية"! تلك هي بداية الطريق إلى توحيد القوى الوطنية كلها...! ان قادة لأحزاب الوطنية، على حق عندما يطالبوننا بأن نوحّد أنفسنا قبل ان نطالب الإتحاد معهم... ذلك هو منطلقنا إلى مجابهة العدو وقهره...!

وظل شهوراً مشغول الفكر والقلب... كان يردد: لا، لن نتساوم أبداً على حساب المبادئ في سبيل الوحدة مع الانشقاقيين...! لن تكون هذه وحدة مضمونة... أقصى التنازلات، ولكن ليس على حساب المبادئ!

عشت معه هذه الأيام والشهور، وشاركنه بهجة الاحتفاء بالنتيجة الطافرة... واتقدت حماسته في تلك الأيام، فانطلق يتصل بهذا أو ذاك من الشيوعيين القدماء وأنصار الفكرة الشيوعية... كان يقول:

"فلنجمع الصفوف، ولنفتح أذرعنا لجميع الذين يريدون ان يعملوا بإخلاص...! لن نترك أحداً منهم يتعفن وسط ذكرياته المريرة!"

52 - كراس "سلام عادل" ص23

قرارات اللجنة المركزية في تموز "يوليو" عام 1955

19

اجتمعت اللجنة المركزية بعد انتخاب سلام عادل، الذي قدم مجموعة من الاقتراحات لتحسين العمل التنظيمي والسياسي في الحزب. وقد صادقت اللجنة المركزية على تلك الاقتراحات ونشرتها في عدد تموز 1955 لنشرة مناضل الحزب الداخلية وهذه بعض المقطعات منها:

ان اللجنة المركزية للحزب ومنذ إعدام الرفيق فهد وعضوي المكتب السياسي زكي بسيم وحسين محمد الشبيبي، وبعد الضربات المتوالية التي مُني بها الحزب لم تُنتخب من قبل مؤتمر حزبي وتقدم الى المراكز القيادية عنصر لم يكن أهلاً لتبوءها، خرق سياسة الحزب وجره الى مواقف انعزالية مستغلاً ظروف الحزب السرية للإيغال في المركزية وتحويلها الى قيادة فردية بيروقراطية. ولجأ الى مختلف الأساليب الغريبة عن الشيوعيين في سبيل الاحتفاظ بمركزه ولذلك قررت اللجنة المركزية تجميده في حزيران "يونيو" عام 1955، وتنحيته من اللجنة المركزية في تموز "يوليو" 1955، وتنبيهه الى ان وضعه وهو في حماية الحزب وضبطه لا يمكن ان يستمر، إذا ما أصرَّ على سلوك محاولة الإيقاع بالحزب، ويعرض نفسه الى الطرد من الحزب. وشخصت اللجنة المركزية جملة من الأخطاء اليسارية الانعزالية في سياسة الحزب مبعثها القيادة الفردية وخرق المبادئ الأساسية للحياة الحزبية المتمثلة بالمركزية الديمقراطية والضبط الحديدي.

لقد فرطت سياسة (تشديد الصراع الداخلي في الحزب) بعناصر حزبية مخصصة، حافظ بعضها على مواقف شيوعية سليمة. أما بالنسبة للعناصر المتكثلة والتي عرفت باسم "راية الشغيلة" وقاموا بنشاط تخريبي وتكوين مركز ثان متذرعين بوجود الانحراف "اليساري" فان اللجنة المركزية ستبدي غاية المرونة لإرجاعهم الى حظيرة الحزب على شرط نبذ أيديولوجيتهم الانشقاقية المعادية للحزب والاعتراف بصراحة الشيوعي وجرأته بتحملهم مسؤولية الخروج على الوحدة التي هي أسمى مبدأ في الحزب خصوصاً وان مرور ما يقارب السنتين والنصف قد أوضح لهم بتجربتهم الخاصة النتائج التخريبية التي ترتبت على خطواتهم الانشقاقية. ومما يساعد في هذا المجال، هو ان هذه الجماعة قد توصلت مؤخراً الى الخطوط العامة نفسها التي سبق ان رسمها حزبنا في الظرف الراهن من مرحلتنا الوطنية الديمقراطية، وسلطة الجمهورية الديمقراطية كشعار إستراتيجي يضمن التصفية التامة للنظام شبه الإقطاعي شبه الاستعماري القائم... ان الصراع في التحدث عن سيقود الحركة يجب ان يتحول الى كفاح لإبداء الكفاءة القيادية الضرورية، والجماهير هي التي تسلم رأيها لمن تقتنع بكفاءته ونحن على ثقة تامة بان حزبنا له كامل المميزات الموضوعية والذاتية التي تؤهله لهذا الشرف العظيم.

وفي **التقرير التنظيمي** أكدت اللجنة المركزية على الالتزام بالنظام الداخلي فيما يخص المادة (49) والتي على أساسها ينبغي بناء الخلية على أساس مكان العمل، ودعا الى إعادة النظر في الخلايا المبنية على أساس السكن. كما دعا الى الالتزام بالمادة (50) التي تقضي بأن منظم الخلية هو أحد أعضاء الخلية. يتقدم كمنظم بسبب انضباطه وسبقه الى إنجاز الواجبات الحزبية والى تنمية ثقافته ومعلوماته الحزبية...

وبالنظر للظروف الاجتماعية رأت اللجنة المركزية فصل الرفيقات وربطهن في خلايا حزبية نسائية الا في حالات تنتفي فيها الأسباب الموجبة ولغرض توجيه النشاط الحزبي والديمقراطي بين جماهير النساء، تؤلف المنظمة المحلية لجنة تعرف باسم **"اللجنة النسائية"** ينتقى أعضاؤها من بين انشط منظمات الخلايا النسائية وهي مسؤولة مباشرة تجاه اللجنة المحلية.

كما قررت اللجنة المركزية تأليف **"لجنة النشاط الديمقراطي"** من أبرز منظمي اللجان الحزبية في المنظمات اللا حزبية التي من واجبها ضمان تأثير خطة الحزب بالنسبة للسياسة العليا لتلك المنظمة ولرسم التوجيهات الخاصة للرفاق العاملين فيها وترتبط لجنة النشاط الديمقراطي باللجنة المركزية.

شخصت اللجنة المركزية بأن التوجه على أساس إخضاع الحركة والتنظيم النقابي الى الظروف السرية في العمل هو توجه خاطئ من الأساس ومضر وسيبقى منفذا لتضييع الجهود المبذولة. فليس من المعقول أبدا اعتبار انه من الممكن الاقتصار على التنظيم السري في حركة تستهدف أوسع الجماهير... ان بعض الرفاق المناضلين النقابيين يعتبرون من الخطأ إبداء نشاط في نقابات لنا رأي معين في قيادتها وذلك في ظروف يعدم فيه وجود نقابات "كثيرة". ان هذا الاعتبار الانعزالي ضار جدا في توجيهنا لتنشيط حركة نقابية، فهذه النقابات المحدودة والتي لا يوجد غيرها هي أيضا من مكاسب طبقتنا العاملة ومن المفيد لجماهير العمال تحشدهم فيها من اجل المطالب اليومية. ودعا التقرير جميع الخلايا الحزبية ولا سيما خلايا المعامل، لتكريس جزء كبير من نشاطها الرئيسي لتنشيط النقابات المجازة وفي سبيل حملة واسعة من اجل نقابات جديدة في التحشيدات العمالية الكبيرة.

وبينت اللجنة المركزية، ان **الحلقة الرئيسية لتوطيد مواقع الحزب في الريف** هو بذل جهود خاصة لتطوير وتقديم كوادرات فلاحية محلية، تأخذ على عاتقها قيادة العمل عن طريق الإشراف والمراقبة والإرشاد الدائم لها، واستحداث مدارس حزبية محلية لأمد قصيرة وتعويدهم على تحمل المسؤولية وتنمية الاندفاع الذاتي لديهم.. وجاء عن الجمعيات الفلاحية "ان العمل الديمقراطي الواسع على أساس الجمعيات الفلاحية المحلية هو الأسلوب الأكثر ملاءمة لزج أوسع جماهير الفلاحين ضد سيطرة الإقطاع. ان الجمعيات الفلاحية يجب ان تتوجه لتحقيق المكاسب مهما كانت بسيطة.. وينبغي ان تضع في جدول العمل مطالب مختلف جماهير الفلاحين الفقيرة والمتوسطة والغنية وعبر الأعمال البسيطة والصغيرة وعبر حركات أوسع من اجل مطالب أكثر... ان

الجمعيات الفلاحية يجب ان تنظم بأبسط أشكال التنظيم والروابط فلا خلايا ولا حلقات وما أشبه، بل على أساس احتفالات واسعة وجلسة المضيف والدعوات والعونات لتنظيم قرى بأكملها.. وتتخذ التقاليد الاجتماعية المحلية وسيلة للتنظيم ولضمان الروابط، أما لجانها القيادية في القرى، فيتم اختيار عناصرها على أساس الثقة والاحترام الذي كسبه في الدفاع عن إخوانهم الفلاحين وعلى سجاياهم الاجتماعية".

ومما جاء في قرار اللجنة المركزية عن العمل في المنظمات الديمقراطية وحركة السلام "ان المنظمات الديمقراطية هي منظمات لا حزبية من حيث أيديولوجيتها وأساليب عملها.. ان توفير الديمقراطية الواسعة في هذه المنظمات هو شيء ضروري... بالنظر لطبيعتها الجماهيرية. ان أمثلة عديدة في السلوك الأمري والبيروقراطي تجاه المنظمات تتحملها قيادة حزبنا والرفاق العاملون فيها.. ان حزبنا يرغب من الصميم وهو مخلص في ان يرى هذه المنظمات تبني كيائها وتوطد نفوذها بين أوسع الجماهير من مختلف الاتجاهات السياسية وبين الجماهير البعيدة عن مجرى التيارات السياسية... وان كفاءات قيادية لا حزبية متوفرة بين هذه الجماهير الهائلة وهي أهلة لان تلعب دورها القيادي في هذه المجالات. ان حزبنا لن يقف في طريق انتظام هذه الجماهير ولا في طريق تقدم هذه الكفاءات القيادية، بل على العكس فانه سيبذل أقصى المساعدات المخلصة التي يتوقف على مجموع رفاقنا استيعابها وتنفيذها".

وبصدد النضال في سبيل الحريات الديمقراطية، جاء في القرارات: "ان النضال في سبيل الحريات الديمقراطية لا يمكن ان يكون مثمرا ما لم تكسب أوسع الجماهير في مجرى هذا النضال، وان الطريق الوحيد لكسب أوسع الجماهير هو النضال في سبيل مصالحها الحيوية المباشرة".

وانتقدت اللجنة المركزية خط سير الحزب السابق في العمل الجماهيري "كان من الضروري ان ندعو الى نضالات ممكنة للدفاع عن الحريات الديمقراطية وعن الدستور الذي تعرض للهجوم الرجعي الاستعماري وفي سبيل لجم قوى المعارضة للأحلاف وللتسلح ولتشديد تبعية قطرنا للدوائر الاستعمارية العالمية".

وجاء في تقرير اللجنة المركزية السياسي، تحليل للضرورة الاقتصادية الاجتماعية السياسية التي تعانها البلاد فأوضح:

1 - ان النظام الرجعي في العراق أصبح معزولا كليا داخليا وعربيا وعالميا ولاسيما بعد انضمامه الى حلف بغداد العدواني ليشكل بموجبه قاعدة للتآمر الاستعماري ضد جميع قوى التقدم والسلم في العالم وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي، وضد حركة التحرر الوطني العربية المتنامية، وأخل بالتزاماته في مؤتمر بانوونغ الذي عقد تحت شعار تخفيف حدة التوتر الدولي ومكافحة الاستعمار، وتدهورت مكانة العراق الدولية.

2 - ان هذا الانعزال للنظام الرجعي في العراق... وجد انعكاسه الحاد في الوضع الاقتصادي للبلاد حيث يزداد اختلال الميزان التجاري وتغرق البلاد بالبضائع الأجنبية، ويضيق المجال أمام الصناعات الوطنية بالرغم من وجود مقوماتها وضرورتها، ويزداد التضخم النقدي وتنقل ثرواتنا الوطنية الى الخارج وتفرض عليها الاحتكارات أسعاراً بخسة، وتتبدد موارد الدولة على التسلح ورواتب الغربيين الباذخة. ان وزارة الأعمار تهيمن على 70 % من عوائد النفط، لبناء الجسور والطرق لخدمة الأغراض العسكرية لحلف بغداد. في حين ينزح الألوف من الفلاحين هرباً من ظلم الإقطاع في الريف وبذلك يتضخم جيش العاطلين ويتدهور الوضع المعيشي للكادحين يقابله الثراء المفرط للإقطاعيين والعسكريين والبيروقراطيين وسماسرة الاستعمار".

ان المغزى التاريخي لاجتماع اللجنة المركزية في حزيران /تموز / 1955، يكمن في وضع يد الحزب على أهم أخطاء قيادة حميد عثمان من ناحية، ووضع الخطة التنظيمية والسياسية الصحيحة لإنهاض الحزب في نشاطه وفي مختلف المجالات الفكرية والسياسية وال جماهيرية وفي مجالات العلاقات الوطنية والتهيؤ لدخول المعركة الوطنية الكبرى من أجل خروج من حلف بغداد وتحقيق الحريات الديمقراطية وصولاً الى اقامة الحكم الوطني الديمقراطي.

وقد شخص الاجتماع أخطاء حميد عثمان في ثلاث محاور رئيسية، المحور الاول هو: قيادته الفردية، وقد عللها القرار، كونها ناتجة عن ان اللجنة المركزية لم تنتخب من قبل مؤتمر حزبي ولهذا تقدم الى المراكز القيادية عنصر لم يكن أهلاً لتبوءها... وأن هذا العنصر أوغل في المركزية، مستغلاً ظروف الحزب السرية، محوّلاً اياها الى قيادة فردية بيروقراطية. ولجأ الى مختلف الاساليب الغربية عن الشيوعيين في سبيل الاحتفاظ بمركزه كما أنه خرق المبادئ الاساسية للحياة الحزبية المتمثلة بالمركزية الديمقراطية والضبط الحديدي وتطبيق النظام الداخلي للحزب. وبإهماله مسؤوليات وصلاحيات الهيئات الحزبية فقد حوّل الحزب الى مجاميع من الاعضاء المرتبطين بالحزب بصلات فردية وبذلك خسر العضو الحزبي حقوقه في رسم سياسة الحزب بعد ان خسرت الهيئات الحزبية ذلك.

ان سياسته في تشديد الصراع الداخلي في الحزب، سواء عندما كان في السجن أو بعد خروجه وتسلمه المسؤولية قد قُربت بعناصر حزبية مغلقة. كما ان اشارة القرار الى أهمية انتخاب اللجنة المركزية في الكونغرس أو في المؤتمر من أجل تلافي وصول عناصر غير مؤهلة للقيادة، كانت خطوة كبيرة في الاتجاه الصحيح لتعزيز الديمقراطية في الحياة الحزبية الداخلية الى جانب التمسك بالنظام الداخلي فيما يخص الاعضاء والهيئات الحزبية من صلاحيات ومسؤوليات، واتخذت اللجنة المركزية عدداً من القرارات للنهوض بالتنظيم الحزبي وتحسين أدائه.

والمحور الثاني: كان خرقه لسياسة الحزب وجره الى سلسلة من الاخطاء السياسية الانعزالية تمثلت في دعوته بأن يقوم الحزب (لوحده) بانتفاضة لمجابهة حلف بغداد،

عن طريق المظاهرات المعزولة. وتوجهه لإخضاع الحركة والتنظيم النقابي الى الظروف السرية وأهمل العمل بين الجماهير حيث أكد اجتماع اللجنة المركزية 1955 "كان من الضروري ان ندعو الى نضالات ممكنة للدفاع عن الحريات الديمقراطية وعن الدستور وفي سبيل لحمة قوى المعارضة ضد الاحلاف والتسلح". كما أهمل العناية بالعمل في المنظمات الديمقراطية وبهذا الصدد اتخذت اللجنة المركزية عددا من القرارات التي ذكرناها أعلاه لتعديل سياسة الحزب الانعزالية في هذا المجال الحيوي من النشاط.

والمحور الثالث: كان يكمن في تكتيكات الحزب في مجال العلاقات الوطنية التي أتمت بالتشدد والحملة اليسارية واللهجة الأمرة التي أستعملها في مخاطبة القوى الأخرى، وتقريبه بما بني من علاقات خلال الجبهة الوطنية الانتخابية عام 1954، وتقديمه اقتراحات غير عملية في ذلك الظرف الملموس، ووضع الاحزاب الوطنية أمام أمرين لا ثالث لهما، وان كان بشكل غير مباشر، اما القبول باقتراحاته في المذكرة التي وجهها للأحزاب أو بالاصطفاف مع جبهه الارهاب والاحلاف والمستعمرين كما جاء في صيغة المذكرة التي قدمها باسم الحزب، الى تلك الاحزاب ثم عدم تفهمه لأسباب عدم استجابتها للإضراب السياسي العام الذي دعاها اليه في مذكرة شهر كانون الثاني "يناير" عام 1955. وبهذا الصدد اتخذ اجتماع اللجنة المركزية تموز "يوليو" 1955 قراراً بتحويل سلام عادل اعادة العلاقات الجيدة مع القوى الوطنية وتبنى خطته لإقامة الجبهة الوطنية الموحدة.

لقد حاول كل من سعاد وزكي خيري، في كتبهم الثلاث⁵³ التي عكست رأيهما بسياسة حميد عثمان من جهة، وبقرارات اللجنة المركزية المتخذة في شهر حزيران "يونيو" عام 1955 من جهة أخرى بشكل متناقض. ورغم تباين صيغ التعبير التي استخدمها، سنناقش رأيهما الذي كان واضحاً في الكتب الثلاثة بشيء من التفصيل، كجزء من مسؤوليتنا تجاه التاريخ ولكي نزيل الغموض الذي قد يشوب تتبع الأجيال الجديدة لتاريخ الحزب حول هذه المسألة المهمة فكرياً وسياسياً والمتعلقة بتجارب غنية في عمل الحزب الشيوعي العراقي.

1 - ان سعاد خيري في كتابها (تاريخ الحركة الثورية المعاصرة) تقع في تناقض حاد، فهي لم تنتقد او تُخطئ، اثناء عرضها لقرارات اللجنة المركزية في حزيران "يونيو" وتموز "يوليو" عام 1955 التي خطأت نهج حميد عثمان السياسي والتنظيمي في قيادة الحزب، والذي أضر بمواجهة الشعب لحلف بغداد، في حين انها (سعاد) وزكي خيري في كتاب (دراسات...) ⁵⁴ يقفان بعد عقد من الزمن موقفاً يسارياً انعزالياً

⁵³ -تاريخ الحركة الثورية المعاصرة 1974، دراسات في تاريخ الحزب الشيوعي العراقي 1984، صدى السنين 1994

⁵⁴ اختصار لعنوان كتاب "دراسات في تاريخ الحزب الشيوعي العراقي" لزكي وسعاد خيري.

ومغايير القرارات تموز "يوليو" لأنهما يغمران سياسة حميد عثمان بالمديح والإطراء، ويعتبرانها سياسة ثورية صحيحة، ويبدلان جهدهما في الوقت نفسه لإظهار قرارات اللجنة المركزية التي اتخذتها في عام 1955 بأنها قرارات ضعيفة وعاجزة أمام (ثورية) حميد عثمان.

2 - لقد ضمنا (زكي وسعاد خيرى) كتابهما (تاريخ⁵⁵.. ص 258) المقطع التالي من قرارات تموز التي اتخذتها اللجنة المركزية:

"لقد كان من الضروري ان ندعو الى نضالات ممكنة للدفاع عن الحريات الديمقراطية وعن الدستور الذي تعرض للهجوم الرجعي الاستعماري، في سبيل لحمة قوى المعارضة للأحلاف وللتسلح ولتشديد تبعية قطرنا للدوائر الاستعمارية العالمية.

ان النضال في سبيل الحريات الديمقراطية لا يمكن ان يكون مثمرا ما لم نكسب أوسع الجماهير في مجرى هذا النضال وان الطريق الوحيد لكسب أوسع الجماهير هو النضال في سبيل مصالحها الحيوية المباشرة..".

وقد حذف هذا المقطع من كتاب "دراسات..". بدون ذكر لهذا الحذف وتبيان اسبابه، ليس ذلك بدافع تبرئة سياسة حميد عثمان انسجاما مع اعتبارهما البرنامج الأنفي في كتاب (دراسات) (مشروعا كاملا لوحدة القوى الوطنية). أي أنه البرنامج الصحيح من بين كل خطط وبرامج حزبنا الشيوعي، أي منذ الميثاق الوطني للرفيق فهد وما بعده، في حين ان اللجنة المركزية خطأت هذا البرنامج بالذات ومنعت توزيعه.

3 - انتقدت سعاد خيرى في كتابها "تاريخ..." (ص 260)، السياسة التي أقرتها اللجنة المركزية للحزب في شهر تموز "يوليو" عام 1955 تجاه العمل الديمقراطي قائلة: "جرى استهانة في ضرورة مساهمة الحزب في قيادة المنظمات الديمقراطية لضمان سيرها في الخط الديمقراطي وتطورها. "وقد حذف هذا المقطع من كتابهما دراسات في تاريخ الحزب بدون ذكر لهذا الحذف واسبابه.

ولكن في عام 1989، اتصلت سعاد خيرى بيّ تلفونيا لدى مرورها بموسكو وأبلغتني بان زكي خيرى قد فهم مؤخرا "عمق الفهم اللينيني لسلام عادل المتجسد في قرارات تموز حول العمل الديمقراطي" ولما اقترحت عليها ان يعلن ذلك للقراء لان كتابها اعتبر مصدرا حزبيا عن تاريخ الحزب بسبب أشرف عضو المكتب السياسي زكي خيرى على الكتاب وكتابة مقدمته. أجابت انه يرفض ذلك (يرفض النقد الذاتي). ولكنهما حذفنا انتقادهما هذا للعمل الديمقراطي من كتاب دراسات في تاريخ الحزب الشيوعي العراقي.

والأطرف من ذلك هو ان سعاد بررت خطأ زكي في هذا المجال في محادثتها التلفونية، بقولها ان سلام عادل توصل الى هذا الأسلوب الجديد في العمل الحزبي لأنه

⁵⁵ - اختصار لعنوان كتاب "تاريخ الحركة الثورية المعاصرة" لسعاد خيرى.

كان مطلعاً على قرارات المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي.

ان مؤلفة الكتاب لم تعرف بان قرارات تموز "يوليو" 1955، كانت قد صدرت قبل أكثر من سنة من قرارات المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي والتي نشرت قبيل الكونغرس الثاني للحزب الشيوعي العراقي المنعقد في شهر أيلول "سبتمبر" عام 1956.

4 - ان زكي وسعاد خبري في كتابهما (دراسات...) قد اعتبرا ان وثيقة الكونغرس الثاني التي صدرت قبل النهوض الجماهيري، في انتفاضة 1956، قد اخطأت عندما لم يطالب الحزب فيها بحتمية الاشتراك في حكومة الجبهة، واعتبرا ان ذلك يخالف ما جاء في كراس "جبهة الكفاح الوطني" التي ذكرناها سابقاً، والتي طالب الحزب فيها بضرورة الاشتراك في حكومة الجبهة الوطنية.

ان ما ذكره غير صحيح، فكراس "جبهة الكفاح الوطني" لم يشترط ذلك (حتمية الاشتراك في حكومة الجبهة) بشكل مطلق، بل اشترطه في حالة واحدة وذلك عندما تجئ قوى الجبهة الوطنية للحكم على إثر انتفاضة شعبية عارمة (متاريس، ومناطق مغلقة... الخ) اي ان الجماهير هي التي تطيح بالحكومة القائمة وتأتي بحكم جديد لا يكون فيه للرجعية والعملاء اي نفوذ. وسمى الكراس هذا النوع من الحكومات (أفضل نوع للحكومة الائتلافية للجبهة الوطنية)

اما النوع الثاني من الحكومات (حكومة نصف وطنية نصف ديمقراطية)، فإنها تأتي في توازن قوى داخلي لا تحصل فيها القوى الوطنية الديمقراطية على الغلبة، ولكن على التعاون مع قوى السلطة وفي هذه الحالة لا يشترط دعم الحزب لإجراءات هذه الحكومة الايجابية اشترك الحزب فيها، بل يعتمد ذلك على الضغط من أسفل بقوة العمل الجماهيري لتعديل جوانبها السلبية. وبذلك يدفع الحزب مسيرتها الى امام ويبدل ميزان القوى الداخلي لصالح الحكومة الوطنية الائتلافية.

على ذلك فان لا سعاد ولا زكي خبري في تعقيبهما، قد استوعبا هذا الجانب من "كراس جبهة الكفاح الوطني" ولا قرارات الكونغرس الثاني التي سنأتي على ذكرها لاحقاً، ولا التقييمات اللاحقة لسلطة ثورة 14 تموز "يوليو" عام 1958 والتي سنبحثها بالتفصيل في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

سنتناول تقييمات خاطئة اخرى جاءت في مؤلف "نضال البعث" والتي على ضوءها يقيم هاني الفكيكي بشكل خاطئ موقف حزبنا من دخول العراق في حلف بغداد. حيث يكون انتقاده متناقضاً في كتابه "اوكار الهزيمة"، ففي (ص 29) كتب:

"ان طراوة عود الحزب (البعث) وحداثة عهده لم تتح له الانضمام الى الجبهة الوطنية الانتخابية "

مما يدل على ان وعي حزب البعث السياسي كان دون وعي الأحزاب التي انضمت الى الجبهة في انتخابات حزيران "يونيو" عام 1954. وفي الوقت نفسه فانه يقول بأن أعضاء حزب البعث صوتوا لمرشحي الحكومة ضد مرشحي الحزب الوطني الديمقراطي والاستقلال والشيوعيين. ولكنه عاد في (ص 34) فكتب عن تصدر حزب البعث لمظاهرات انتفاضة عام 1952 ضد النظام الملكي وهذا يعني في أحسن الأحوال انهم كانوا أكثر شجاعة في عام 1952 مما كانوا عليه في عام 1954 وأكثر وعياً ان صح التعبير.

وكتب عن اجتماع عقده رئيس حزبهم فؤاد الركابي في مكتب إسماعيل الغانم المحامي الذي رشح نفسه لانتخابات عام 1954 عن منطقة الأعظمية في بغداد، ممثلاً للحكومة وليس للمعارضة في ذلك الحين. وبعد كل ذلك كتب في (ص 43):

"عندما طرح مشروع (حلف بغداد) تحرك الشارع العراقي وعمت التظاهرات والإضرابات، وكان للبعث كحزب دور فاعل ووجود ملموس في هذه الأحداث". ولكي يثبت قوله هذا فترك كذبة حول طلب اتحاد الطلبة منه ان يوزع بياناً باسم الاتحاد تخليداً لذكرى انتفاضة الطلبة في جيکوسلوفاكيا ضد النازية، وكيف وقف حزب البعث ضد تخليد الذكرى بإعلان إضراب طلابي بحجة ان الداعين لتخليد ذكرى نضال الطلاب في جيکوسلوفاكيا ضد النازية لا يهتمون بمشكلة حلف بغداد، ثم يسهب الفكيكي في روايته ليؤكد في نهاية (ص 44 من كتابه) أسلوب العصابات الإرهابية التي يستخدمه حزب البعث فكتب:

"انضمت الى البعثيين وجمعت طلاباً آخرين، ورحنا بالقوة ندخل الصفوف صفّاً صفّاً ونطلب من الأستاذ المغادرة ومن الطلبة المشاركة في الإضراب وبعد مرور أقل من ساعة كان طلبة الثانوية الذين يتراوح عددهم بين (600 - 700) خارج مبنى الثانوية في الشارع العام". وهو الذي قال في مقطع يسبق هذا المقطع بان عدد البعثيين في الثانوية لا يزيد على السبعة وهو منهم، فكيف استطاعوا وبالقوة إخراج (700) الى الشارع والحكومة تتفرج على هذه المظاهرة ضد حلف بغداد؟ وكتب في (ص 45): "بعد نجاح الإضراب بالقوة اعتقلتني شرطة الأمن وقامت بنقلي مع بعض الزملاء الى البصرة وكان في المعتقل مجموعة كبيرة من المساجين السياسيين من مختلف أنحاء العراق غالبيتهم من الشيوعيين وقتلهم من البعث الناشئ."

لم يرد اسم حزب البعث في **مذكرات كامل الجادرجي** كأحد الأحزاب الوطنية المعارضة التي ناضلت طيلة عام 1955 الذي عقد فيه حلف بغداد، إذ لم يكن لهذا الحزب صوت أو تحرك سياسي لا مع الحزب الشيوعي ولا مع الأحزاب العلنية الأخرى ولم يكن له دور مؤثر في الساحة السياسية قبل انتفاضة عام 1956

ومن الكتاب الذين تناولوا قضية دخول العراق في حلف بغداد ورد فعل الحزب الشيوعي على الوزارة السعيدية ومراسيمها والدخول في حلف بغداد **الاستاذ حنا بطاطو** في كتابه العراق الكتاب الثاني (ص 345)

"وقد جاء رد الفعل من الحزب الشيوعي وحده، وجاء طائشاً"

"...قبل ذلك بقليل في حزيران، كان قد تسلم سياسة الحزب رجل متهور وعند هذه النقطة قرر الرجل فتح المعركة بينما كانت الحكمة تقتضي بتجنبها، وأمر اتباعه بالنزول الى شوارع بغداد وطلب منهم اقامة المتاريس وحرق مخافر الشرطة. ولم تكن هذه التكتيكات تتطابق مع الوسائل التي في حوزة الحزب".

المقصود بالرجل المتهور هو حميد عثمان، فقد كتب بطاطو في (ص13) من الكتاب الجزء الثالث "لم تؤد سياسة" النزول الى الشوارع" والنضال المباشر والشامل ضد الحكومة الذي سعى نافذ الصبر حميد عثمان الى إسقاط حلف بغداد بواسطتها، الى أي نتيجة".

ويتمادى الفكيكي في تخبطه فيذكر في (ص 75) من كتابه:

"لقد عومل البعثيون في بداية نشأتهم كأبناء ضالين ومتمردين، لكن قسوة النظام على الشيوعيين بلغت ذروتها، فاعتمدت السلطة قانون إسقاط الجنسية العراقية القديم وبدأت تطبقه في حق الشيوعيين من ذوي الأصول غير العربية، والسجون ملأها الشيوعيون وكنا نسمع الأخبار عن إضراباتهم عن الطعام وعن صداماتهم مع السجانين والشرطة، وكان لهذا كله ان ألحق بالشيوعيين ضعفاً ملحوظاً. أما البعث فكان عنده معتقلون ولم يكن عنده سجناء، الأمر الذي وفر له مناخ نمو أفضل، وربما لو كتب لـ 14 تموز ان تتأخر سنوات أخرى لاتسع البعث وزادت علاقته بالسلطة احتداماً!".

ان الشيوعيين الذين أسقطت عنهم الجنسية العراقية في شتاء عام 1955 هم بهاء الدين نوري، صادق الفلاح، توفيق منير، وزكي خيري، وكامل قرانجي، نجد بينهم اربعة عرب وكرديا واحدا وكلهم عراقيون أبا عن جد.

اما عن الضعف الملحوظ فهو تعبير غير دقيق، فحزبنا كان على رأس انتفاضة عام 1952 التي سيطرت على بغداد ليومين وأسقطت الوزارة، مما اضطر الحكومة الى اعلان الاحكام العرفية وإنزال الجيش الى الشوارع لقمع المظاهرات. وكانت الحكومة تخاف من هذه الخطوة، وهي على حق، فان نزول الجيش الى الشارع واحتكاكهم بجماهير الشعب المتظاهرة، كان خطوة مهمة باتجاه بدأ اهتمام رجال الجيش بالوضع السياسي مما سهل عليهم التعاون في البداية مع حزبنا في 1954، ثم مع القوى الاخرى في نهاية 1955 و1956 كما سيأتي الحديث في الفصل القادم.

من كراس (سلام عادل)

يقول أحد الرفاق:

لقد أسفرت المناقشات الجماعية المضنية عن وثيقة تاريخية هامة، أحدثت إنعطافاً جديداً في نهج الحزب السياسي، وأسهمت بدور كبير في توطيد، وحدته الفكرية،

والتنظيمية، والسياسية. وكان للرفيق حسين ولمجهوده الشخصي المباشر أكبر الأثر في رسم وصياغة هذه الوثيقة، التي أصبحت مرشداً لعمل الحزب وعاملاً من عوامل انتصاراته اللاحقة.

منذ ذلك، وسياسة الحزب تحظى بمساندة أوسع وأشمل من جانب الجماهير ودوره السياسي والأدبي يتوطد ويتعزز في صفوف الشعب والحركة الوطنية والقوات المسلحة، وبذلك تهيأت الظروف الملائمة لشن نضالات جماهيرية حازمة ضد حلف بغداد والمعاهدات الاستعمارية، ومن أجل إسقاط الحكم الملكي، الرجعي ومساندة مصر ضد العدوان الثلاثي. كما تهيأت الظروف الموضوعية والعوامل الذاتية لتوحيد القوى الوطنية في (جبهة الإتحاد الوطني) عام ١٩٥٧ التي لعبت دوراً حاسماً في تهيئة مستلزمات الانتصار لثورة الرابع عشر من تموز.

ذكريات... وكلمات من أعماق القلب

يقول أحد الرفاق⁵⁶:

في هذه المرة أيضاً وصلت الهدية الثمينة، وتلقفتها الأيدي المتلهفة إليها – إنها أتمن هدية تخترق جدران السجن الصحراوي النائي، لتصل الى السجناء السياسيين... كثيرة هي الهدايا التي ترد من هذا النوع، بيد ان النشرة الحزبية جلبت معها، في هذه المرة، امراً هاماً... لقد اعتاد الشيوخ والسجناء، خلال سنوات عديدة، على قراءة النشرات والصحف الحزبية السرية التي تصلهم بصورة ما، واعتادوا على قراءة أنباء نضال الحزب والجماهير وأنباء الإرهاب والأجرام من قبل الحكومات العميلة للاستعمار، وبالتالي المقالات التحليلية...

أما النشرة الجديدة فإنها تحمل "نبأاً" خاصاً يكفي مجرد سماعه لإثارة أعظم الانتباه لدى كل فرد من أعضاء المنظمة الحزبية داخل السجن، ولأعجب في ذلك! إنها تحمل نبأً تحية (ص)⁵⁷ من مركزه القيادي. ان (ص) أراد دفع الحزب في طريق الانعزالية والمغامرات فتصدى له أحسن أبناء الحزب وقذفوا به إلى خارج صفوفه. ان اللجنة المركزية للحزب هي التي اتخذت هذه الإجراءات، هي التي أقصت (ص) واتخذت التدابير لتصفية عواقب النهج الانعزالي الذي سار عليه (ص)... كانت النشرة الحزبية تحمل هذا النبأ!

لقد عرف الشيوخ العراقيون فيما بعد ان الرفيق حسين أحمد الرضي كان على رأس النضال الذي خاضته اللجنة المركزية ضد النهج الانعزالي المخالف للماركسية اللينينية. ووجدت اللجنة المركزية في شخصه أكفأ رفيق تسلم إليه الأمانة الكبرى: قيادة نشاط اللجنة المركزية والحزب كله.

ان هذه الصفحات من تأريخ حزبنا – شأن ما تلاها من صفحات مجيدة قبل وبعد

56 - كراس سلام عادل ص 28

57 - ص: المقصود حميد عثمان.

ثورة تموز 1958 – تقترب بتأريخ ونشاط السكرتير الأول للجنة المركزية الرفيق الرضي الذي كرس جميع طاقاته لخدمة قضية الشعب والطبقة العاملة، والذي احترق النضال كقائد لم يعرف اللين والهوادة تجاه أعداء الشعب والشيوعية.

ان الانعطاف الذي جرى في سياسة حزبنا عام 1955 وجد سبيله إلى داخل جدران السجون أيضاً، حيث كان الشيوعيون السجناء. لقد ازداد هؤلاء ثقة بالحزب وبالشعب، وازداد افاق تفكيرهم سعة. لقد أعيد بناء علاقات الشيوعيون السجناء مع قيادة حزبهم على أساس أمتن أشد مبدئية. وبدأ السجناء السياسيون بالعمل لإعادة تثقيف أنفسهم على هدى الماركسية اللينينية وحسب سياسة وتوجيهات الحزب الصائبة.

تطبيق قرارات تموز "يوليو" عام 1955

20

تضمن تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي المقدم الى الكونغرس الثاني المنعقد في شهر أيلول "سبتمبر" عام 1956 ان "حزبنا استطاع رغم الانتكاسات والمحن التي تعرض لها في السنوات الاخيرة ان يفرض وجوده كأقوى تنظيم سياسي في البلاد".

وفي هذا القول رد واضح على قول الفكيكي وغيره من مؤرخي البعث القائلين بأن الارهاب قد أضعف حزبنا كثيراً. صحيح ان الارهاب قد عرقل نمو الحزب ولولاه لكان حزبنا اقوى من وضعه الحقيقي بكثير. ثم يعالج التقرير اداء قيادة الحزب في تطبيق قرارات تموز "يوليو" المتخذة من اللجنة المركزية بشكل دقيق وملمس، نعرضها حسب أهميتها⁵⁸:

1 - تقوية البناء الحزبي: ونتيجة للخطة التي التزمها الحزب في تقويم حياته الداخلية، وإصلاح أخطائه السياسية والفكرية، فقد اتخذت جملة من التدابير لضمان الحقوق الحزبية للأعضاء، وتطبيق المشروعية الثورية في الحزب بمقدار ما تسمح بذلك الظروف الصعبة التي يمر فيها، كما أعيد تنظيم الهيئات القيادية الحزبية على أساس التطبيق الواعي للنظام الداخلي للحزب، وأجريت تصحيحات فكرية وتطبيقية ملموسة فيما يتعلق بتطوير النظرة الى القوى الوطنية وضمان السلوك السياسي الصحيح إزاءها".

"وشن الحزب كفاحاً متواصلاً ضد القيادة الفردية من اجل توسيع تطبيق المبادئ الجماعية، وضد سياسة التفريط والغرور، ونبذ جملة من الاساليب البيروقراطية في السياسة والتنظيم".

"وحارب التسبب والبرالية والثرثرة وشدد على ضرورات سرية العمل، واتخذ المزيد من تدابير الصيانة لأجهزة الحزب وكوادره".

"وخلال الفترة المبتدئة في شهر تموز "يوليو" عام 1955، عقدت اللجنة المركزية للحزب اجتماعين مهمين اتخذت خلالهما عدداً من القرارات يمكن القول بانها قد تحققت بصورة عامة، كما ان اغلبها قد تحقق كلياً، وكان من شأنها ان خططت للحزب نهجاً نضالياً واضحاً صحيحاً أثر بقوة لا في حياة الحزب الداخلية وحسب، بل أثر أيضاً في سياسته الوطنية، وصحافته وسلوك أعضائه، وكانت نتائج كل ذلك إيجابية وحسنة".

"وحاول الحزب جهده ان يواكب التطورات السياسية وان يؤثر في مجراها، كما

⁵⁸ - جميعها مأخوذة من تقرير اللجنة المركزية إلى الكونغرس الثاني (أيلول 1956).

سعى الى الاستجابة لواجباته النضالية، والاهتمام بمشاكل الجماهير الحيوية، والاسهام بنصيبه في العمل المشترك لمختلف القوى الوطنية".

2 - تقوية المنظمات الديمقراطية في المدن وفي الريف:

"وعلى الصعيد الجماهيري وجه الحزب اهتمامه شطر الفلاحين والعمال وجمهور الكادحين. ولم يحصل في تاريخ الحزب من قبل، ان كان للحزب قواعد وطيدة وواسعة في الريف مثل ما هو عليه الآن. كما ان بناء القواعد الحزبية في المعامل، وأماكن تركيز الطبقة العاملة هو في مركز اهتمام وتوجه منظمات الحزب، وسيتخذ في المدة القادمة اهتماما أكثر حزمًا من قبل جميع هيئات الحزب، رغم ما يواجه ذلك من صعوبات جدية. واعد وبعاد إرساء الأسس التي ينهض عليها عمل رفاقنا في الحركات والمنظمات الديمقراطية، بشكل يضمن وحدتها ويطور عملها ويوسع جماهيرها".

وفي هذه الفترة حدثت إضرابات عديدة، منها إضراب عمال شركة درومن المتعهدة ببناء الجسر الحديدي في شهر أيلول "سبتمبر" وإضراب عمال الحياكة في معمل الشهداء في تشرين الثاني "نوفمبر"، كما فضحت جريدة القاعدة في كانون الأول "ديسمبر"، استهتار الشركات واصحاب المعامل بحقوق العمال، وفي المقدمة شركة النفط، وشركة الميناء في البصرة، وجرى الاهتمام بحقوق العاملات العراقيات، وأرسلت عاملة عراقية للمساهمة في المؤتمر العالمي للنساء والشغيلات (من اجل الاجر المتساوي للعمل المتساوي) والذي دعا إليه اتحاد النقابات العالمي. كما حدثت إضرابات في قاعدة الشعبية. ومطبعة الرابطة، ومعمل الجص في عركوف قبل ذلك. وتساعدت الحركات الفلاحية بقيادة الجمعيات الفلاحية المطالبة بإلغاء مختلف أشكال الضرائب والखाوات وتحقيق المطالب التالية:

1 - جعل حصة الفلاح من المنتج ثلثين بدلا من الثلث.

2 - إلغاء ضريبة الميري الفاحشة وهي 10: من الحاصل (ضريبة الأرض).

3 - رفع السخرة، وعدم الاعتداء على الفلاحين.

وجراء صمود الفلاحين، اضطر الاقطاعيون مكرهين الى قبول المناصفة.

وانتعش العمل في المنظمات الجماهيرية، وتشكلت لجنة العمل الديمقراطي التي كان مسؤولها يتصل مباشرة بسلام عادل، وتقوم بقيادة رابطة الدفاع عن حقوق المرأة واتحاد الشبيبة الديمقراطي، واتحاد الطلبة العام وأصبحت هذه المنظمات أكثر جماهيرية باستهدافها كسب الجماهير النسائية والطلابية والشبابية الى اعمال واساليب أكثر شفافية تقرن العمل السري بالعلن، مستخدمة النشر العلني لأهدافها الوطنية والاجتماعية.

كما انتعشت حركة السلام وجذبت اليها أوساطا أوسع من مختلف القوميات والآراء

والمعتقدات، أخذت هذه المنظمات وحركة السلم تتابع حضور فعاليات المنظمات العالمية وتحثك بشعوب العالم تتعلم منها تجربتها في النضال، وتنقل لها التجربة الوطنية العراقية في هذه الميادين.

3 - تعزيز دور صحافة الحزب ووسائل النشر العلني:

لقد تعزز دور جريدة "القاعدة"، صحيفة الحزب المركزية في التعريف بسياسة الحزب، وخاصة في المجالين الوطني والعربي، وساعدت الى حد كبير في بلورة أهداف الحركة الوطنية في مجابهة حلف بغداد، وطرحت موضوع الجبهة الوطنية بملموسية أكبر، وعكست التفاعل بين رأي الحزب الشيوعي مع رأي الاحزاب الاخرى، بل وحتى التفاعل مع آراء بعض العناصر من الفئة الحاكمة لدى وقوفها ضد سياسة نوري السعيد الخيانية. ففي عدد أيلول "سبتمبر" عام 1955 من "القاعدة"، جرى فضح سياسة نوري السعيد في لندن المعادية لحركة التحرر العربي عموماً، جاء فيها: "كان اسيد نوري السعيد في لندن وواشنطن وأنقرة يهتفون له ويباركون أعماله، وتوقعوا ان البلاد العربية ستكون طوع أرادتهم في الانضمام الى حلفه المشؤوم. ولكن الشعوب العربية التي تعود هذا الرجل على الزراية بها واحتقارها، سرعان ما خيبت آماله وجابهت أحابيله بيقظة شاملة وبرد فعل عنيف".

وكتبت جريدة القاعدة في عددها لشهر تشرين الثاني "نوفمبر" عام 1955:

"وفضحت مصر شروط أمريكا لتزويدها بالسلاح، لن تقبل مصر الاسلحة بموجب قانون الأمن المتبادل الذي يبيح للولايات المتحدة التدخل بشؤون مصر الداخلية والاشراف على جيشها، والتحكم في سياستها الخارجية (كما تم بالنسبة للعراق) واشترطت فرنسا ان تكف مصر عن انتقاد سياستها التعسفية في المغرب العربي، ثم نشرت الحكومة المصرية الوثائق السرية التي تؤكد سعي الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا لتسليح حكومة إسرائيل واتخاذها أداة للاستفزاز والعدوان وتكدير السلام في الشرق الأوسط".

كما كتبت جريدة القاعدة في عدد تموز "يوليو" عام 1955:

"وليس المحكومون وحسب وانما الحاكمون قبل غيرهم وجدوا ان من المتعذر عليهم الاستمرار وفق الاساليب القديمة عندما يضعون نصب أعينهم هدف السير بالبلاد على المكشوف الى هاوية سحيقة. وطبيعي ان جماهير الشعب لو كانت راضية حقاً بالسياسة الراهنة لما كانت هناك أي ضرورة لنوري السعيد ورهطه لسلك هذا السبيل الصعب".

وعالجت النشرة الداخلية "مناضل الحزب" القضايا الحزبية الداخلية بنجاح وفي مقدماتها تثبيت الاساليب الصحيحة والديمقراطية لأسلوب عمل الهيئات الحزبية (الخلايا واللجان) وأسلوب القيادة الجماعية والنقد الذاتي ودور منظم الهيئة الحزبية القيادي، وكيفية تحاشي الفردية والبيروقراطية، وفسح المجال أمام أعضاء الهيئة

لممارسة حقوقهم إلى جانب قيامهم بواجباتهم".

كما جرت ممارسة النشر في الصحف العلنية (الى جانب النشرات السرية) بإبداع، مما لعب دورا في النهوض الفكري والسياسي للحركة الوطنية. ان جميع هذه النشاطات الديمقراطية موجودة في وثيقة الكونفرنس الثاني في ايلول 1956.

4 - تحريك الدور السياسي الوطني وكسر جليد الصمت

بعد صفقة الاسلحة التشيكوسلوفاكية الى الحكومة المصرية، كتبت جريدة القاعدة في عددها لشهر ايلول "سبتمبر" عام 1955 مقالا بينت فيه "ان الاتفاقية عقدت وفق التعامل التجاري البحت غير المقيد بأي شرط، كسرت فيه لأول مرة بعد الحرب العالمية الثانية احتكار تزويد الدول العربية بالأسلحة من الدول الاستعمارية وفقا للشروط المجحفة والمذلة للعرب ولسياسة حفظ التوازن في الشرق الاوسط بين ركيزتهم من جهة وبين الدول العربية من جهة أخرى".

وبعد ذلك أوضح عدد جريدة "القاعدة" لشهر تشرين الاول "اكتوبر" عام 1955:

1 - "ان مشاكلنا الآنية أصبحت أكثر وضوحا خلال هذه الفترة مما سيساعد على توحيد نضالات مختلف الاحزاب والمنظمات، لا من اجل تبديل شكلي في الوزارة وأشخاصها وحسب وانما من اجل انعطاف حقيقي بسياسة البلاد، يضمن اتجاها وطنيا متضامنا مع السياسة العربية الراهنة، وضد التكتلات العدوانية، ويطلق الحقوق الدستورية، ويرفع كابوس البوليس، ويتميز باتخاذ تدابير جدية لحماية ثروتنا واقتصادنا الوطني، والتخفيف من ضائقة الجماهير المعيشية "

2 - وبعد ان يبين المقال التطورات في الاوضاع العربية والعالمية التي تعزل أكثر فأكثر السياسة التي تمارسها حكومة نوري السعيد، فأنها في الوقت ذاته "توفر إمكانيات للقوى الوطنية والمعارضة لتغيير هذه السياسة بأخرى تتجاوب ومطامح الشعب".

3 - وتواصل القاعدة "ان اللجنة المركزية لحزبنا ترى ان التعارف والتقارب والاتفاق والتعاون بين القوى الوطنية، هو أمر ممكن وضروري وهو الطريق الوحيد لإحراز النصر، وإذا كان الجميع يتمنون النصر تمنياً حقيقياً ويريدونه بالفعل فليس هناك من عائق لا يمكن تذليله في طريق التفاهم والتعاون. ومن جانبنا نرى انه من المفيد تماما ومن الممكن ايضا اجراء اتفاقات حتى مع الذين لا يعارضون سوى وجه معين دون غيره من اوجه السياسة السعيدية، وليس لدينا أقل ميل لتجاهل فائدة الاتفاقات في نقطة او أكثر مع الذين يعملون من جانبهم معنا في النضال ضد هذه السياسة، وليس لدينا أقل ميل لفرض مناهجنا السياسية على الآخرين فيما عدا المسائل المتفقة عليها معهم.

4 - "ان اعادة النظر وتقليب صفحات الماضي ينبغي ان لا يكون معرقلا لوحدة النضال، بل يجب ان يخدمها ويساعد على تطويرها ويوثق لحمتها. ان طبيعة النضال

الصادق الحازم ضد حكومة نوري السعيد تستلزم سيادة الروح الايجابية العملية في علاقات القوى الوطنية، وتنسيق الجهود المختلفة وصيها في مجرى واحد بروح المسؤولية تجاه الشعب، وبروح تنشيط كفاحية القوى الوطنية والمعارضة وتقوية وحدتها الوطنية والثقة المتبادلة بينها، هو الاسلوب الممكن الوحيد الذي يستطيع تغيير السياسة القائمة المفروضة على البلاد".

وهكذا رفع الحزب شعاره الملموس ذا الشقين:

الاول: ندعو الى نضالات ممكنة للدفاع عن الدستور وتمتع الشعب بالحريات.

الثاني: في سبيل لحمة قوى المعارضة ضد الاحلاف والمشاريع الاستعمارية.

وبمعنى اخر الخروج من حلف بغداد، والحريات الدستورية والديمقراطية هما النقطتان اللتان تبلورتا من برنامج الجبهة في تلك الفترة.

ومنذ ايلول "سبتمبر" عام 1955، أي بعد مرور شهرين فقط على اجتماع اللجنة المركزية للحزب وتنحية حميد عثمان عن المسؤولية، وانتخاب سلام عادل سكرتيراً للحزب. وبعد ان أرسل الحزب الوثائق الجديدة وجرائد الحزب الى الاحزاب السياسية، نرى ان قادة الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال يقدمان الى الملك مذكرة مؤرخة 1955/10/18 حول الوضع وتفاقمه. وبعد ان شرحت سوء الاوضاع الداخلية وتدهورها والازمة الاقتصادية والاجتماعية، ولجوء السلطة الحاكمة حتى الى تقليص التعليم بإغلاقها عدد كبير من المدارس، ولجوء الحكومة الى سياسة المراسيم، "كلما اريد التصرف كيفياً او اخماد صوت للمعارضة.. وازدياد التصرفات الكيفية في الحكم واشتداد الطغيان والاستهتار في الجهاز الحكومي واستشراء الفساد".⁵⁹

وفي مجال السياسة الخارجية انتقدت المذكرة السياسة الخارجية للحكومة قائلة:

"فقد سببت عزل العراق عن شقيقاته الدول العربية وباعد بينه وبينها لتحالفه مع دول اقتطع بعضها اجزاء من الوطن العربي واقام علاقات مع العدو اسرائيل واتخذ موقفاً ضد المصالح العربية في مجالات السياسة الدولية حتى بعد توقيع الحلف وكان ذلك مدعاة لإضعاف كيان الجامعة العربية.. كما ورط هذا الاتجاه الخاطئ في السياسة الخارجية العراق في تكتلات عسكرية والتزامات خطيرة مما انتقص استقلاله وعرض كيانه ومستقبله الى مخاطر جسيمة خلافاً لإرادة الشعب العراقي والشعوب العربية الاخرى التي ترغب جميعها رغبة صادقة في التزام الحياد.. ان هذه السياسة الخارجية التي تنتهجها حكومة العراق لم تتورط بها اية حكومة عربية اخرى بالرغم من الضغط الخارجي الذي تعرضت له ولا تزال تتعرض له تلك الحكومات فكان من جراء ذلك ان اخذت سائر البلاد العربية تنظر الى العراق نظرة ارتياح واستياء وتذمر تاركة

59 - القاعدة. لشهر تشرين الثاني 1955.

اياء في عزلة مؤسفة "

وتنتهي المذكرة بالتأكيد "بان الوضع الراهن لا يجوز استمراره وان من الضروري المبادرة الى تغييره والتمهيد للعمل على اصلاح الوضع الداخلي وتدارك اخطاء السياسة الخارجية بحيث تؤمن للشعب حقه في الحياة الحرة وفرصة للرفاه الاقتصادي وفي التعليم وفي تحقيق امانيه القومية "

ولقد نشرت الصحف المصرية والسعودية واللبنانية نص هذه المذكرة وفي 2 تشرين ثاني 1955 قدم صالح جبر مذكرة الى الملك شرح فيها سوء الاوضاع السياسية والاقتصادية وطالب بالإصلاح وتمكين المواطنين في التمتع بالحقوق الطبيعية التي ضمنها لهم القانون الاساسي.⁶⁰

وقد جاء في كتاب **سعاد خيرى** ص 228 (من تاريخ الحركة الثورية المعاصرة في العراق) "تقدمت 142 شخصية من ممثلي الرأي العام بمذكرة الى الملك يعرضون فيها ما تعانيه الجماهير ومطالبين بإصلاح سريع وكذلك أصدر أنصار السلام عريضة جماهيرية وقعتها 700 مواطناً من البصرة. كما حدثت تمزقات جديدة في الاوساط الحاكمة العليا اتسمت بخروج سبعة من رؤساء الوزراء السابقين في مجلس الاعيان على هذا السياسة.

وعدا عن ذلك بدأت النوادي والمحافل مفعمة بنشاط ملحوظ بين الاوساط الوطنية والمستقلة والمعارضة التي تنتسج دائرتها باستمرار، وهي تؤكد ان الاوضاع الحاضرة لا مندوحة من تغييرها وانتهاج سياسة تخدم ارادة الشعب وطموحه الى الحرية والرفاه والاستقلال، وان الوزارة السعيدية لا تريد ان تصغي الى مطالب الشعب وإنها بمواصلتها بإصرار هذه السياسة المستهترة قد أدت الى توصل جميع الاطراف الى انه قد حان الوقوف لإزاحتها عن الحكم".

وبدأ الحوار السياسي لحزبنا في نهاية عام 1955 وبداية عام 1956، مع الشخصيات والوجوه الوطنية من اصدقاء الحزب لاستطلاع رأيهم والاستماع الى اقتراحاتهم للخروج بالبلاد من المأزق الذي هي فيه.

وبدأ الحزب اتصالاته مع الحزب الوطني الديمقراطي أولاً عبر عبد الوهاب محمود⁶¹، ثم عقدت لقاءات مباشرة بين سلام عادل وكامل الجادرجي رئيس الحزب الوطني الديمقراطي، ثم مع حزب الاستقلال.

وبدأت تتبلور تدريجياً فكرة التعاون الوطني. وأقر الجميع بأن المطالب الوطنية لا يمكن تحقيقها الا من خلال النضال الموحد الذي تخوضه فصائل الحركة الوطنية المختلفة. وتم الاتفاق على ان تبدأ هذه القوى والاحزاب الوطنية بتوحيد المواقف السياسية وتعزيز الصلات مع أطراف أخرى جديدة، ثم تتفق على ميثاق عمل وطني

60 - المصدر السابق.

61 - عبد الوهاب محمود: نقيب المحامين وهو شخصية وطنية وتقدمية معروفة وصديق قريب للحزب.

مشترك للعمل في جبهة وطنية موحدة سياسيا وتنظيميا. وقامت في أواخر العام لجنة واسعة مفتوحة من الشباب المثقف، شيوعيين ووطنيين، وديمقراطيين مستقلين، وقوميين حزبيين، ومستقلين. وكانت هذه اللجنة بلا اختصاص محدد، فمرة تبحث في الشؤون العربية، وأخرى في شؤون السلم، وثالثة في شؤون النقابات والمنظمات القائمة ورابعة في شؤون الادب والثقافة. وأبرز عمل سياسي قامت به هذه المجموعة هو تأييدها لإنشاء حزب المؤتمر الوطني الذي قدم طلبا بتأسيسه قادة الحزبين الوطني الديمقراطي والاستقلال.

والى جانب هذه اللجنة، عقدت اجتماعات لممثلي اتحاد الطلبة العام مع ممثلي القوى الطلابية الأخرى في سبيل توحيد الحركة الطلابية. واعطت هذه الاجتماعات نتائج إيجابية منها اندماج تنظيمات الطلبة في كردستان، وارسال وفد طلابي مشترك في صيف عام 1956 الى مؤتمر الطلبة الآسيوي الافريقي في باندونغ. وعقدت اجتماعات مشابهة للشبيبة ايضا، الا ان مساعي تأسيس منظمة تضم جميع القوى الوطنية لم تنجح في هذه المرحلة.

بادر ممثلو الحزب الشيوعي العراقي في ربيع عام 1956 الى الاتصال بممثلي حزب البعث الاشتراكي الذي كان قد عقد مؤتمره القطري الاول في كانون الاول "ديسمبر" 1955. كما اتحدت اجزاء الحزب الديمقراطي الكردستاني، وصدر بيان التأسيس باسم (الحزب الديمقراطي الموحد لكردستان العراق) وقامت فورا العلاقة بين ممثليه وممثلي حزبنا واستمرت الاتصالات والعلاقات الجيدة ثم طرح الحزب الديمقراطي الكردستاني على فرع الحزب الشيوعي في كردستان حل نفسه والاندماج بحزب الديمقراطي الكردستاني عام 1957. وخاض الحزب صراعا داخليا مع الكتلة التصفية في الفرع التي أيدت رأي الحزب الديمقراطي الكردستاني. وكان صراعا فكريا رصينا تكلم بالنجاح، حيث بذل الحزب جهودا مضنية لتوضيح موقفه من الحزب الديمقراطي الكردستاني، مبينا ان العلاقة بينهما لا تتعزز الا بنبذ فكرة دمج فرع حزبنا معهم، والعودة الى العلاقات الوطنية الجبهوية.

أما ممثلو حزب الاستقلال فقد تأخر تعاونهم مع الحزب الشيوعي العراقي حتى اواخر عام 1956 عندما أمتت مصر شركة قناة السويس، فالتهمت المشاعر الوطنية والقومية لدى العراقيين، ثم حدث العدوان الثلاثي على مصر، وجرفت انتفاضة خريف عام 1956، كل العوائق امام تحالف القوى الوطنية.

5- وحدة الحزب:

ان الخط السياسي للحزب الذي اقرته اللجنة المركزية في كانون الثاني "يناير" 1954، في تقريرها المعنون "جبهة الكفاح الوطني ضد الاستعمار والحرب"، قد ندد ببرنامج بهاء الدين نوري الذي اصدره كبرنامج جديد للحزب، ورفع فيه شعار الجمهورية الشعبية كشعار لمرحلة التحرر الوطني والذي أغضب البرجوازية والكادر الشيوعي المتقدم الذي كان في السجون. كما ان اجتماع شهر تموز "يوليو" 1955

أدان تشديد الصراع مع العناصر في كتلة "راية الشغيلة"، ومع مجموعة "وحدة النضال"⁶².

وقد بدأ الحوار في آب "اغسطس" 1955، وانتهى في حزيران "يونيو" 1956، وعلى اساس ان تحل الكتل نفسها، ويقدم اعضاؤها طلبات انتمائهم للحزب فرادى، وان تصدر قيادات الكتل بيانات قبل الحل تنتقد فيه نفسها نقدا ذاتيا للعمل الانشقاقي، وتدينه وتعلن تحملها المسؤولية في الخروج عن الوحدة. وقد اتبعت اللجنة المركزية تقليدا وضعه فهد مؤسس الحزب عند تعامله مع كتلة "اللجنة الوطنية الثورية" 1948 (التنظيم الذي شكله زكي خيري عام 1946)، اذ طلب منهم حل تنظيمهم اولاً والاعتراف بخطأ تنظيمهم قبل عودتهم للحزب.

أرسل سلام في بداية المحادثات رسالة الى جمال الحيدري سكرتير كتلة "راية الشغيلة" جوابا على رسالته الى الحزب التي وجدها سلام في اوراق حميد عثمان، بعد تحييته والتي نوهنا عنها سابقا، وجرى قبول مباشرة المحادثات. واستطاع الحزب اقناع جمال الحيدري بقرار اللجنة المركزية، لكن جمال بيّن ان هناك عناصر متشددة في كتلته، فعرض عليه سلام ان ينظم له لقاء بهم، وكان من هذه العناصر كاظم فرهود. أما العناصر غير المتشددة فمنهم الشهيد حسن عوينة. لكنه أثر مفاتحة سلام له تهرب من إعلان موافقته امامه علناً قبل موافقة قيادة الكتلة على الوحدة، بعدها سجن حسن عوينة وأُفُتق في السجن عواد الصفار الذي كان مسجوناً قبله بأهمية وحدة الحزب وعملا بنشاط لإقناع الاعضاء الآخرين من كتلتهم "راية الشغيلة" في السجن بوحدة الحزب.

مع بداية نشاط مفاوضات الوحدة، مع كاظم فرهود الذي كان وقتها مسؤول كتلة "راية الشغيلة" في مدينة كربلاء ومن العناصر المتشددة جدا ضد شروط الوحدة أرسل اليه الحيدري فجاء الى بغداد وحاوره سلام في جلسة حوار امتدت من الصباح الباكر الى منتصف الليل، موضحا له خطأ الانشقاق وخطورته على الحزب فهو يشغله عن مهامه الكبيرة في مجابهة حلف بغداد وحكم نوري السعيد وبذل الجهود من اجل الوحدة الوطنية في جبهة واحدة.

وافق **كاظم فرهود**، بعد منتصف الليل على قرار اللجنة المركزية بحل كتلة "راية الشغيلة" وتحميلهم مسؤولية الانشقاق وانضمامهم الى الحزب فرادى. قال له سلام عادل وهما يستعدان للنوم: أبو قاعدة بروح أبوك فد اغنية بصوتك الجميل حتى نقرر ان ننام بعد هذا المجهود.

التفت كاظم الى سلام بغضب وقال له: هسه وكت (وقت) اغنية؟!

رد عليه سلام ضاحكا: أبو قاعدة إذا اليوم واحنه نعيد وحدة الحزب ونتوجه لإقامة

62 - منظمة وحدة النضال: التنظيم السري لعزیز شریف تشكل 1950 وعادوا الى حزبنا في 1956 بعد نجاح وحدة الحزب.

الجبهة الوطنية مو وكتها بس شوكت؟

وبعد صمت قليل أرتفع صوت كاظم فرهود وهو يشدو بأغنية ريفية فراتية.

عاد (أبو قاعدة) الى كربلاء ليتحدث الى جماعته في الكتلة عن اهمية وحدة الحزب. وقال **جاسم الحلواني** الذي كان عضوا في لجنة كربلاء في ذلك الوقت في لقاء لي معه في الثمانينات:

"تعجبت جدا من الطرح الجديد لمسؤولي كاظم فرهود وتحديثه بحماس عن اهمية الوحدة عند رجوعه من بغداد، لأنه كان مناقضا لرأيه السابق، قبل اللقاء بسلام عادل".

شكل الحزب "حركة احرار العراق" في سوريا ولبنان لتوضيح نضال الشعب العراقي ضد حلف بغداد. وبعد اتمام وحدة الحزب عام 1956 كان عزيز شريف على رأس هذه اللجنة، مع الشهيد صفاء الحافظ وعبد القادر اسماعيل وكان د. مجيد مسعود مكلف بتنظيم العمل اليومي فيها، ولعبت اللجنة دوراً متواضعاً ضد العدوان الثلاثي على مصر...وفي ابراز مجريات امور انتفاضة العراق عام 1956.

كانت مناضل الحزب في هذه الفترة من المحادثات، قد نشرت قرارات تموز "يوليو" 1955، ونشرت القاعدة مقالات سياسية مهمة حول الوحدة الوطنية وبناء المعارضة الواسعة لحلف بغداد، كما ذكرنا.

يقول **جمال الحيدري** في محضر اجتماع اللجنة المركزية المنعقد في 1958/9/13:

"في حزيران (يونيو) 1956 عاودت الالتحاق بالحزب، بعد تصفية راية الشغيلة الانتهازية الانشاقية، بعد عدة أشهر من المفاوضات والمداولات التي لعبت فيها قيادة الحزب والرفاق عمار (سلام عادل) وعلي (جورج تلو) وحسن (هادي هاشم) ونعمان (محمد صالح العيلي) دورا ايجابيا وحاسما في مساعدتنا على تلخيص تجربة الحزب وتفهم مبدأ وحدة الحزب الذي هو أسمى مبادئه، تفهماً صحيحاً قائماً على اساس مبدئي ثوري متجرد من الذاتية والوصولية والصراع اللا مبدئي. وذلك على العكس تماما من موقف (حميد عثمان) الذي شجع الانقسامات بمختلف السبل، وأعاق جهود الحزب والرفاق المخلصين لقضية الشيوعية في وضع حد للنشاط الانشاقية. لقد كان تجميد (ص) حميد عثمان وابعاده عن قيادة الحزب وانتخاب عمار (سلام عادل) سكرتيراً للجنة المركزية 1955 نقطة تحول جديّة لتحسين عمله (الحزب) في كل الميادين الوطنية والاممية. وقد دخل الحزب منذ ذلك الحين مرحلة جديدة من التطور والنمو والنهوض لا يزال خطها التصاعدي الجماهيري والمبدئي الاممي البناء في تطور مستمر".

وكتب **زكي خيري** في مذكراته صدى السنين (ص173)، فقرة تثير الالتباس هي:

"عدنا الى نقرة السلطان والتقينا من جديد الرفاق بهاء الدين نوري وزملاءه في المحاكمة، والرفاق اليهود المسقطه عنهم الجنسية العراقية في السجن الجديد الكبير الذي يستوعب مئات السجناء، ولم يكن فيه أكثر من ثلاثين. وإلى جانبنا وضعوا راية الشغيلة وعلى رأسهم عزيز محمد، جاؤوا بهم من سجن بعقوبة أيضاً، وكانت علاقتنا بهم إيجابية، رغم أننا خلعنا عليهم لقب "راية الشغيلة البلاطية". وفي هذه الفترة انتخبت اللجنة المركزية حسين احمد الرضي سكرتيراً اول لها وبدأ الحوار مع جمال الحيدري الذي يقود تنظيم راية الشغيلة خارج السجن، وانتهى الحوار بالاتفاق على حل تنظيم راية الشغيلة، وعودة اعضائها الى احضان الحزب وقد تم ذلك قبل الحصول على موافقة السجناء من أعضائها".

ان صياغة هذا المقطع تجعل القارئ يعتقد ان حل "راية الشغيلة" قد تم بصفقة ثنائية بين سلام عادل وجمال الحيدري اولاً. وان الاتفاق على الوحدة لم يحصل على موافقة السجناء من اعضاء "راية الشغيلة" ثانياً. لقد ذكرنا حقيقة ان اللجنة المركزية قد خولت سلام في قراراتها في تموز "يوليو" 1955، ببدء المحادثات، حيث أشرك معه عضوي اللجنة المركزية محمد صالح العلي وجورج تلو في المحادثات بشهادة جمال الحيدري. اما ادعاء زكي خيري بالاتفاق قد تم قبل الحصول على موافقة السجناء فهو عار عن الصحة، لان بريد الحزب كان نشطاً جداً في تلك الفترة.

ومن الطريف ان زكي خيري يذكر حادثة ذات دلالة كبيرة هي ان السجناء لا ينقصهم الاطلاع على نضال حزبهم وتبادل الرأي معه حول الامور السياسية المهمة، حتى في الزنزانات الانفرادية في السجن الذي بناه الامريكان في بعقوبة بعد دخول العراق حلف بغداد، فقال في (ص179) من كتابه صدى السنين:

"ذات مرة دخل علينا في الزنزانة المدير العام للسجون عبد المجيد، وكان زميلاً لي في الصف السادس في مدرسة المأمونية الابتدائية، وسألنا عما إذا كان عندنا مطلب فشكوت اليه امر السياج الحديدي الجديد الذي يعزل بين الزوار والسجناء، وقلت له هذا مظهر غير إنساني فقال:

- هذا ضروري لئلا يناولكم اهلکم المناشير الشيوعية،

فأجبتة: - ولكن الشرطي يقف على رؤوسنا في المواجهة.

فقال: - تعطونه درهما...

وكان هو من قبل ضابطاً كبيراً في الجيش، ويحتقر الشرطة احتقاراً مسلياً، كما كانت العادة في الجيش العراقي، وعندما كان الحوار يدور بيننا كانت نسخة من آخر عدد من جريدة الحزب المركزية مخفية تحت اقدامي طي البطانية، ولو كان بيروقراطيونا محبين للفاكهة لأخرجت له النسخة وقلت له: يعني مثل هذه؟".

وهذا الحديث يدل دلالة قاطعة على ان بريد السجناء كان نشطاً وان السجناء كانوا على معرفة كاملة بالمفاوضات حول وحدة الحزب.

وضح سلام عادل عملية توحيد الحزب في معرض جوابه على سؤال لقراء جريدة (اتحاد الشعب) العلنية الناطقة باسم الحزب حول الظروف التي أدت الى تغيير اسم الجريدة المركزية للحزب من "القاعدة" الى "اتحاد الشعب"، فكتب في 1960/1/26:

"ان وجود تيارات ومنظمات انشاقية تعمل ضد الحزب الشيوعي وضد وحدته كان يعرقل حينئذ مهمة الحزب في تكريس جهوده لوحدة القوى الوطنية، لذلك فان كفاح الحزب ضد تلك التيارات والمنظمات أصبح جزءاً من كفاحه الوطني العام. لقد ادرك الحزب هذه الحقيقة بوضوح تام فاتجه الى تشديد فعاليته وكفاحه الحازم لفضح الافكار والتيارات الانقسامية من جهة والى معالجة مسألة تصفية تلك المنظمات بروح ايجابية من جهة اخرى... فكان ان دخل ممثلو الحزب الشيوعي العراقي وممثلو منظمتي "راية الشغيلة" و"وحدة الشيوعيين" مفاوضات سادها جو مبدئي عملي تكلفت في اواخر نيسان "ابريل" عام 1956 باعتراف منظمة "وحدة الشيوعيين" بخطأ قيامها واستمرار نشاطها وتنظيمها المستقل ما دام الحزب الشيوعي قائماً ويواصل كفاحه بعناد واستبسال وتقدم مناضلوها للانضمام للحزب الشيوعي، وخولت اللجنة المركزية إصدار بيان بذلك، فصدر البيان في 1956/4/25. كما تكلفت المفاوضات بإصدار كتلة "راية الشغيلة" بيانها المعروف في 1956/6/13 الذي اعترفت فيه بانها سلكت سلوكاً انشاقياً تخريبياً خاطئاً بتأسيس تنظيمها ومركزها القيادي المستقل والذي ذكرت فيه بأن خطواتها التي أسمتها "انتشالا" كانت مخالفة صريحة لمبادئ الماركسية - اللينينية التي توصي بالمحافظة على وحدة الحزب. وتقدم المناضلون الذين سبق لهم العمل في "راية الشغيلة" للانضمام للحزب مشفعين طلباتهم بالنقد الذاتي".

وأصدرت اللجنة المركزية بياناً في 1956/6/17، رحبت فيه بعودة المناضلين الحزبيين، ودعت الى تعزيز وتوطيد وحدة الحزب الشيوعي العراقي، وعرّى البيان والافكار الانشاقية، وانتقد كذلك المقاييس البيروقراطية التي عولجت بها مشاكل الرفاق الفكرية والسياسية.

ان اللجنة المركزية التي اتخذت قرارات تموز "يوليو" وأشرفت على تطبيقها حتى انعقاد الكونغرس الثاني في ايلول "سبتمبر" عام 1956 كانت تتكون من:

سلام عادل (سكرتير اللجنة)، فرحان طعمه، محمد صالح العبلي، هادي هاشم، عطشان ضيول الازيرجاوي وناصر عبود.

وبرزت كفاءة سلام عادل في معالجة الانشقاقات وتقاديفها قبل حدوثها بالطرق المبدئية والديمقراطية وتعامله مع هذه المشاكل بكل أناة وصبر وعدالة. لذا فان فترة قيادته للحزب شهدت تصفية الكتل الخارجة عنه، وانضمام من يريد من اعضائها اليه لمواصلة النضال داخل الحزب الشيوعي. ولم يحدث اي انشقاق جديد آخر في فترة

قيادته للحزب رغم ظروف النضال الصعبة سواء كان ذلك قبل ثورة 14 تموز "يوليو" او بعدها.

ان ما قدمناه في هذا الفصل هو صورة مفصلة وموثقة عن كيفية إعادة وحدة الحزب عام 1956، وهو رد واضح على ما ذكره **حنا بطاطو** في كتابه (العراق، الشيوعيون والبعثيون والضباط الاحرار) الجزء الثالث (ص16) فقد عرض موضوع الكتل الانشاقية كما لو انها اتحاد ثلاث منظمات شيوعية وفق اتفاق بينها لتمثيلها في اللجنة المركزية ك (كوتا) معينة.

ولمزيد من اطلاع القراء حول الموضوع فان الكونفرنس الثاني للحزب الذي انعقد في شهر ايلول "سبتمبر" عام 1956، أي بعد شهرين من تصفية هذه الكتل، هو الذي انتخب لجنة مركزية جديدة من بين اعضاء الكونفرنس. وحسب النظام الداخلي فان التصويت يجري بشكل سري ومباشر ومن يفوز بالأغلبية المطلقة يحصل على عضوية اللجنة المركزية، بعدها تجتمع اللجنة المركزية لتنتخب السكرتير الاول والمكتب السياسي. وقد اورد حنا بطاطو سهوا اسم عامر عبد الله من ضمن اعضاء اللجنة المركزية قبل الكونفرنس، فقد انتخب عامر للجنة المركزية في الكونفرنس الثاني، ثم انتخبته اللجنة المركزية هو وجمال الحيدري كعضوين في المكتب السياسي مباشرة بعد الكونفرنس.

تم بنجاح تنفيذ القرارات الخمسة التي اتخذتها اللجنة المركزية عام 1955 بتصفية الكتل وتحقيق وحدة الحزب فانتهت السنوات الصعبة من حياة وعمل الحزب بعد إعدام قيادته المنتخبة الاولى **الشهداء يوسف سلمان يوسف، وزكي بسيم، وحسين محمد الشيببي** عام 1949 وخرج الحزب أكثر قوة واتحادا ليلعب دوره الطبيعي في الحركة الوطنية العراقية وفي الاعداد لثورة 14 تموز "يوليو" عام 1958 المجيدة.

أيلول "سبتمبر" عام 1956

انعقد الكونفرنس الثاني للحزب الشيوعي العراقي، وهو أول كونفرنس يعقده الحزب بعد اختطاف وإعدام قيادة الحزب فهد - حازم - صارم، عام 1949 من قبل حكم نوري السعيد، فقد انعقد كونفرنس الحزب الأول عام 1944، بعدها عقد مؤتمره الأول عام 1945، واعتقلت الحكومة قيادة الحزب الجديدة المنتخبة حينذاك. وتناوب على قيادة الحزب خلال الفترة الممتدة من عام 1949 الى عام 1956 شيوعيون تحملوا المسؤولية وجمعوا ما تيسر لهم من الكادر ليوصل الحزب دوره ونشاطه، لكن بعضهم اقترف أخطاء وانحرافات في العمل السياسي أدت الى تشتت وانقسام الحزب وبرزت تكتلات منذ أواسط عام 1953 كما أسلفنا.

وسرعان ما تم وضع حد لهذه الانحرافات الانعزالية في شهر كانون الثاني "يناير" عام 1954 بإصدار اللجنة المركزية لتقرير "جبهة الكفاح الوطني ضد الاستعمار والحرب". ونجح الحزب بالتعاون مع الأحزاب السياسية المعارضة في إقامة الجبهة الانتخابية في شهر أيار "مايو" وشهر حزيران "يونيو" عام 1954. وبعد ذلك برزت انحرافات يسارية لقيادة حميد عثمان استغرقت وقتاً قصيراً نسبياً عالجتها اللجنة المركزية بقرارات جديدة في شهر تموز "يوليو" عام 1955، أو بالأحرى فأنها كانت خطة سياسية جديدة لمواجهة حلف بغداد تستند الى محاور عديدة هي، إعادة وحدة الحزب وتصفية الأفكار الانعزالية، وحدة الأحزاب والقوى الوطنية في جبهة موحدة، الاهتمام بالعمل في الجيش الذي كان قد بدأ منذ بداية عام 1954، الاهتمام بمشاكل الجماهير الشعبية في المدن، دعم النقابات العمالية والمنظمات الاجتماعية الديمقراطية وحركة أنصار السلام والاهتمام بمشاكل الفلاحين في الريف وإسناد مطالبهم بوضع حد لاستغلال الإقطاعيين وتنشيط الجمعيات الفلاحية.

كان انعقاد الكونفرنس الثاني للحزب مؤشراً قوياً على نجاح الحزب في تطبيق خطته (قرارات تموز) في كل الميادين. وقد انتخب الكونفرنس لجنة مركزية جديدة تطورت كفاءة كوادرها في خضم النضال بمن في ذلك الرفاق اللذين عادوا الى الحزب بعد النجاح في تصفية الكتل على أسس مبدئية. وانتخبت اللجنة المركزية مكتبها السياسي المتكون من سلام عادل سكرتير اللجنة المركزية وجمال الحيدري وعامر عبد الله. وقد أصبح عدد اعضاء اللجنة المركزية 14 عضواً من أبرزهم عبد الرحيم شريف ومحمد صالح العبلي وجورج تلو (أستشهد خمسة من هؤلاء الستة في أقيبة قصر النهاية عام 1963) وبعد نجاح هذا الكونفرنس طبع التقرير السياسي للجنة⁶³

⁶³ توجد القرارات بتفصيل اكبر في الملاحق في نهاية الكتاب

المركزية الذي ناقشه وصادق عليه الكونغرس تحت عنوان "خطتنا السياسية في سبيل التحرر الوطني والقومي".

لقد تضمنت وثيقة الكونغرس موضوعين أساسيين⁶⁴ وهما:

- 1 - الجبهة الوطنية الموحدة (ص 36 - 48).
 - 2 - حول السياسة التحررية العربية والمسألة القومية الكردية (ص 49 - 60).
- أولاً - الجبهة الوطنية الموحدة:**

ان هذا الجزء من وثيقة الكونغرس، تناول تثبيت أسس ومبادئ الجبهة الوطنية المنشودة وتضمن أجوبة الحزب الشيوعي العراقي على ما طرح خلال المحادثات التي بدأت منذ أشهر سبقت الكونغرس مع ممثلي أحزاب الحركة الوطنية.

1 - تطرح الجبهة الوطنية نفسها باعتبارها ضرورة تاريخية، واتحاداً وطنياً شعبياً شاملاً ينبغي ان يضم في إطاره أصحاب المصلحة في تغيير هذا الوضع واصلاحه من الفلاحين والعمال وجمهور الكادحين والتجار والزراع الى العسكريين ورجال الدين وكل الوطنيين من مختلف القوميات والأديان.

2 - ان الاختلاف في مدى الضرر الذي تعانیه الطبقات والفئات المختلفة من الشعب والذي يؤثر على مدى اندفاعهم في إجراء تحويلات جذرية في الوضع كله، لا يحول دون وجود (أهداف مشتركة) ينشدها الجميع. كما ان تباين أساليب العمل وطراز التفكير لا يحول هو الآخر دون إمكان الاتفاق على العمل المشترك من اجل بلوغ هذه الأهداف. ذلك ان سعيها يصطدم في الظرف الراهن بخضم مشترك، لذلك فإن ميدان الجبهة الوطنية هو ميدان الوحدة الوطنية والعمل المشترك.

3 - ان التحرر الوطني والتحرر القومي يعنيان التحرر من السياسة الاستعمارية المتمثلة بحلف بغداد وغيره من القيود الاستعمارية، لهذا فهو في مقدمة المهام المشتركة الخطيرة والملحة.

4 - الجبهة الوطنية إذن ليست جبهة طبقة من الطبقات أو حزب من الأحزاب، وانما هي ميدان عمل موحد لمختلف الأحزاب والقوى التي تمثل مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية.

5 - ان الطريق لبلوغ أهداف الجبهة هو طريق نضالي، ولهذا تطرح الجبهة نفسها بوصفها أداة نضالية واتحاداً جهادياً أخوياً يهم الجميع.

6 - وعندما يكون العدو المشترك المتمثل بالاستعمار وسياسته وأعوانه متحداً، تصبح مهمة قهر العدو وتغيير الوضع القائم مهمة عسيرة لا يمكن ان ينهض بها حزب بمفرده أو حركة بمفردها أو قوة بمفردها وانما جميع الأحزاب والحركات والقوى

⁶⁴ - جزء من وثيقة الكونغرس التي وضعت مع الوثائق في اخر الكتاب.

المتحدة في جبهة وطنية وطيدة.

7 - ان العمل في الجبهة الوطنية لن يعني قط ذوبان أي حزب أو حركة أو قوة في الجبهة الوطنية، كما لا يعني أي تدخل في شؤونها التنظيمية والإدارية، أو عرقلة نشاطاتها الخاصة وأعمالها، خارج النطاق الرسمي للجبهة وبصورة غير متعارضة مع اتجاهها ومثل هذا الوضع ينفي أساليب الإكراه والزجر والإحراج ويجعل دستور العمل قائماً على أساس الاختيار وحرية الإرادة والاتفاقيات الطوعية الاجتماعية والمساواة في الحقوق. والجبهة تنهي عن السلوك التخريبي الذي يكون من شأنه إضعاف قوة ما في الجبهة.

8 - والجبهة باعتبارها أداة نضالية مشتركة يؤثر على الجميع أمر قوتها وضعفها، تراصها أو تفككها، تبيح في الوقت نفسه، بل تستلزم النقد الأخوي البناء بين القوى العاملة فيها.

9 - والجبهة الوطنية، بوصفها اتحاداً اختياراً جهادياً مسؤولاً أمام الشعب، تضم جميع القوى العاملة فيها في موضوع مباراة أخوية مشروعة لإبداء الجدارة النضالية، والحصول على ثقة الشعب.

10 - والجبهة الوطنية التي تحرص على ان تستوعب في صفوفها كل القوى، ينبغي ان تحسب حساباً للتبدلات في مواقف الطبقات والفئات الاجتماعية نتيجة للتبدلات التي تطرأ على الظروف المحيطة، وعلى هذا الأساس يرفض الشيوعيون الجمود على الماضي، أو الحكم على هذا أو ذاك حكماً ذا طابع عقائدي، وانما العكس يغتبطون لكل موقف جديد يجري لصالح حركتنا التحررية القومية.

11 - وفي بلادنا حيث تلحق السياسة الاستعمارية، منذ زمن بعيد، أفدح الضرر بالبرجوازية الوطنية نتيجة غزو رأس المال الاحتكاري الأجنبي للسوق الوطني، وتوطد النظام شبه الإقطاعي في الريف وعرقلة تطور الصناعة في المدن وحرمان الممثلين الحقيقيين للبرجوازية الوطنية من المشاركة الفعلية في الحياة السياسية، نجد سلوك البرجوازية يتخذ طابعاً تقدماً كفاحياً، كما نجد أفكار التقدم والاشتراكية تأخذ طريقاً إلى صلب مفاهيمهم وأفكارهم.

وانتقدت وثيقة الكونفرنس الممارسات الخاطئة بين الأحزاب والقوى الوطنية، حيث نصت على:

1 - ان وجود المشاورة لغرض الاتفاق حول المسائل الكبرى... لا يمنع أي عضو في الجبهة الوطنية من ممارسة فعالياته الخاصة فيما يخدم هذه المسائل ومتابعة عمله المستقل في حقل الأهداف والأساليب الخاصة به وبالشكل الذي لا يتعارض مع الخط النضالي العام. لذا فان التصرف على أساس "إننا وحدنا في الميدان" وإننا وحدنا الجديرون بالقيادة هو شيء خاطئ واخلال جذري بحقيقة ان اتحاد القوى الوطنية هو في جبهة واحدة وليس في حزب واحد، ولا يمكن ان نحمل الجبهة أهدافاً وأفكاراً

وأساليب قد تكون مناقضة للطبيعة الطبقية لأحزابها.

2 - ان المواقف المشرفة التي وقفتها الجيوش العربية الشقيقة التي سارت في طريق التحرر، لا يمكن الا ان تلهم جيشنا العزيمة وتيقظ في جنوده وضباطه روح الإباء والوطنية. وإدراك هذه الحقيقة التي هي ذات طابع تطوري جديد، ينفي التحفظات ومواقف الحذر والانعزال إزاء الجيش من جانب بعض رجال الأحزاب. فالجيش قوة يمكن في الظروف الراهنة ان يحولها الشعب من أداة بيد الخصم الى قوة إسناد عظيمة لحركتنا التحررية.

3 - يذهب البعض الى استنتاج النتائج الخاطئة من أسلوبنا وفلسفتنا وأهدافنا البعيدة، معتبرين ان خطتنا في الجبهة الوطنية ليست أكثر من (مؤامرة) مكتومة أو مجرد وسيلة غرضها (الاستخدام) وتسخير القوى الوطنية في معركة التحرر الوطني ثم (نيلها في منتصف الطريق) ومتابعة السير بدونها نحو الاشتراكية والشيوعية. ان خصوم حركتنا الوطنية لا يقفون عند حد في تغذية هذا المفهوم واتخاذ وسيلة لتفريق الصفوف"⁶⁵.

ثانيا - حول السياسة التحررية العربية والمسألة القومية الكردية:

ان أهم ما نص عليه هذا الجزء من الوثيقة هو:

"ان حزبنا الشيوعي العراقي، مسترشدا بالماركسية اللينينية وأخذا بنظر الاعتبار واقع العراق القومي والسياسي، والنهضة العربية التحررية الصاعدة، والظروف الدولية المستجدة، ليستوحي في سياسته القومية الحقائق التالية:

1 - ان الأرض التي يقطنها الشعب العربي في العراق، هي جزء لا يتجزأ من أرض العروبة وان الشعب العربي في العراق جزء لا يتجزأ من كل الأمة العربية التي مزقتها المؤامرات الاستعمارية، فالأمة العربية هي أمة واحدة تمتلك جميع الخصائص القومية للأمة الواحدة.

2 - وان العراق، بحدوده الجغرافية الحالية التي رسمها الاستعمار يضم جزءا من كردستان، الممزقة الآن بين دول تركيا وإيران والعراق وفقا لاتفاقات بين الدول الاستعمارية بعد الحرب العالمية الأولى وان الشعب الكردي في العراق هو جزء من الأمة الكردية الموزعة في أجزاء كردستان الممزقة والأمة الكردية لها جميع خصائص الأمة.

3 - في العراق قوميتان رئيسيتان عربية وكردية، لذا فان حركة الجماهير العربية في العراق في الوقت الذي تنتهج فيه سياسة عربية تحررية ينبغي لها ان تؤازر وتشجع حركة الانبعاث القومي الكردي الرامية الى التحرر والوحدة. ومن الناحية الأخرى ليس ثمة طريق آخر أمام القوى الوطنية في كردستان سوى طريق الكفاح المشترك

⁶⁵ - المصدر السابق

مع الجماهير العربية في العراق ضد الاستعمار وأحلافه، طريق الكفاح المشترك مع الحركة التحررية العربية المساعدة في سبيل التحرر الوطني والقومي لجماهير الشعب العراقي، وتأمين الاستقلال الذاتي لكردستان العراق وفق اتحاد اختياري كفاحي أخوي يفتح أمام الشعب طريق التحرر الشامل والوحدة القومية بأسرها.

4 - ان الطريق الى الوحدة العربية يفتح على أساس زوال الاستعمار عن العالم العربي وتحقيق الإصلاحات الديمقراطية. وان كل تعاون بين الأقطار على أساس معاد للاستعمار وبعيد عن نفوذه وتدخله وفي جميع المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية خطوة الى أمام في طريق الوحدة العربية المنشودة.

5 - ان الاستقلال الذاتي لكردستان العراق (الحكم الذاتي) وفق اتحاد اختياري كفاحي أخوي هو تدبير موقوت بطروفه تقتضيه مصلحة الشعب الكردي نفسه وهو بهذا المعنى ليس حلاً نهائياً للمسألة الكردية ولا يمكن ان يكون بديلاً عن حق تقرير المصير للأمة الكردية وانما سيكون عاملاً مهماً في تحرير الأمة الكردية وتحقيق وحدتها القومية، وفي تهيئة الظروف الملائمة لممارسة الأمة الكردية حقها في تقرير المصير، بما في ذلك تكوين دولة مستقلة لكردستان كلها.

6 - ان الاعتراف المتبادل بحق تقرير المصير، وبمشروعية طموح الشعبين العربي والكردي الى التحرر والوحدة القومية، وإدراك حقيقة ان الاستعمار هو العائق أمام بلوغ العرب والأكراد لأمانيتهم القومية، هو الأساس الصخري الذي تقوم عليه وتتطور الاخوة العربية-الكردية في كفاح مشترك ضد الاستعمار.

7 - ان الحزب الشيوعي العراقي وخاصة فرعه في كردستان، في الوقت الذي سيواصل فيه التعبير عن كامل حقوق الشعب الكردي والعمل الجدي على بلوغ هذه الحقوق، يرى ضرورة شجب مفاهيم الانعزال القومي الضيقة والأعمال التي تنبعث من تقدير خاطئ لمغزى الكفاح المشترك.

كما يشجب حزبنا كل موقف من شأنه تجاهل مطالب وحقوق الشعب الكردي في التحرر والوحدة، أو تجاهل أهمية المساندة التي تقدمها الحركة التحررية الكردية للحركة العربية التحررية.

8 - ان ما يطالب به العرب اليوم، كخطوة مهمة في سبيل تسوية سلمية ديمقراطية عادلة لمشكلة فلسطين وهو تنفيذ قرارات الأمم المتحدة. هذه القرارات التي أيدتها 29 دولة آسيوية وأفريقية في مؤتمر باندونغ والتي رفضتها إسرائيل بتحريض من الاستعمار، بغية حمل العرب على الرضوخ للأمر الواقع.

أما القسم الرابع من الوثيقة فقد جاء "حول المسائل الداخلية في الحزب" وقد تطرقنا لها في فصل سابق، حول وحدة الحزب وتصفية الكتل المنشقة، وحول تطبيق النظام الداخلي للحزب وتحسين الحياة الحزبية واداء الهيئات الحزبية لمهامها النضالية.

ان الإسهاب في عرض وثيقة الكونفرنس الثاني للحزب الشيوعي العراقي المنعقد في شهر أيلول "سبتمبر" عام 1956 يستهدف توضيح بيان أهمية الكونفرنس المذكور والوثيقة الصادرة عنه في تاريخ العراق السياسي باعتبارها أول وثيقة صدرت عن الحزب تناولت وأسست للجبهة الوطنية كضرورة لقيام الجيش السياسي للثورة الوطنية التحررية منذ استشهاد مؤسس الحزب وسكرتيه فهد وقائديه عضوي المكتب السياسي زكي بسيم وحسين محمد الشبيبي.

يقول أحد الرفاق⁶⁶

"صيف عام ١٩٥٦، وقد تحققت وحدة الحزب، وتسلاح بأفكار المؤتمر العشرين، فقامت أمام الحزب مهمة توطيد هذه الوحدة فكرياً وسياسياً، ورسم خطة سياسية لمواجهة أحداث المستقبل... وانشغل (سلام) فكرياً وقلباً كعادته... اقترح عقد الكونفرنس الثاني للحزب وقال: لكي تأتي تقديراتنا واستنتاجاتنا على أفضل صورة من الكمال والدقة، وينبغي ان يأتي تقديرنا خلاصة رأي جماعي لكل كوادر الحزب...

أنجز التقرير، فأعد قائمة بمن ينبغي ان يؤخذ رأيهم فيه... كانت القائمة طويلة تضم جميع مسؤولي اللجان المحلية في العراق وكل الرفاق المتقدمين في بغداد، وبعض الرجال المثقفين من أصدقاء وأنصار الحزب، وحتى الرفاق في السجون والمعتربين في سوريا ولبنان... وعقد الكونفرنس الحزبي في مستهل خريف هذا العام، وفق تدابير محكمة للصيانة والسرية أشرف بنفسه عليها، وقاد هذا الاجتماع المرهق ثلاثة أيام بلياليها دون ان يغمض له جفن.

لم يبق غير وضع التقرير بصيغته النهائية... فنواصل العمل، وكان صاحبي قد تحول إلى شيخ ذاو من شدة الإعياء... ولكن ظل يعمل ويدقق.

أصبح التقرير جاهزاً للطبع... أي عنوان نختر له؟ خطتنا السياسية! وأضاف: "على ضوء قرارات المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي في الإتحاد السوفيتي".

وقبل ان يعود إلى البيت قال لذلك الرفيق:

سأقضي هذه الليلة مع عمال المطبعة... منذ ثلاثة أسابيع لم يمر بهم أحد. ما أقسى حياة هؤلاء الرفيقات والرفاق إنهم يعملون بصمت حتى إنهم لا يكادون يعرفون شيئاً عن أعمالهم الباهرة. لقد فرضنا عليهم نظاماً صارماً... ان لا يخرجوا من الدار، ان لا يزوروا ولا يزاروا! سأحدثهم عن حزبنا... عن نجاحاتنا، عن الأفق النيرة لحركتنا الوطنية..."

والهدف الآخر من الإسهاب في عرض الوثيقة هو لكي يتسنى لنا مناقشة ونقد ما كتبه بعض قادة الحزب حول هذه الوثيقة وتقييمهم لسياسة الحزب ودوره في تلك

66 - كراس "سلام عادل" ص24

نبدأ بكتاب **زكي خيري وسعاد خيري** "دراسات في تاريخ الحزب الشيوعي"، فقد طرحا آراءهما بشأن وثيقة الكونفرنس الثاني للحزب في الصفحات (225 - 233) من كتابهما. وأحدثت هذه الآراء الكثير من الالتباس عند الباحثين والمؤرخين.

1 - يتعامل المؤلفان مع وثيقة الكونفرنس على أساس أنها وثيقة برنامجية فقد جاء في (ص 225) من كتابهما تحت عنوان الكونفرنس الحزبي الثاني:

"عقد الكونفرنس الحزبي الثاني في أيلول عام 1956 في جو مشحون بأقصى درجات الإرهاب على أساس وثيقة برنامجية".

ان ما كتباه غير صحيح فعنوان الوثيقة الصادرة عن كونفرنس الحزب الثاني كما أوضحنا هو "خطتنا السياسية في سبيل التحرر الوطني والقومي". لهذا فان الوثيقة هي خطة سياسية تعالج هدفاً رئيسياً ماثلاً هو الخروج من حلف بغداد واستبدال سياسة الحكومة القائمة بسياسة وطنية تستهدف الانسحاب من حلف بغداد وإلغاء المراسيم السعيدية وإطلاق الحريات الديمقراطية عن طريق إقامة حكومة وطنية تستند الى تحالف الأحزاب والقوى الوطنية وجميع المعارضين للحلف حول هذا المطلب. ان هذه الخطة السياسية لم تتضمن كل أهداف برنامج الحد الأدنى لمرحلة التحرر الوطني مثل ميثاق عام 1945 الذي صادق عليه المؤتمر الأول للحزب.

2 - يعلق المؤلفان (خيري) في كتابهما على ما نصت عليه الوثيقة:

"ان ما يواجه بلادنا الآن وقبل كل شيء ضرورة تحويل السياسة القائمة من سياسة تعاون مع الاستعمار وتوافق مع الصهيونية وانعزال عن حركة التحرر العربي الى سياسة وطنية عربية مستقلة. ولذلك فان مهمة الانتقال الى الاشتراكية وتحويل السلطة السياسية الى أيدي العمال والفلاحين وحلفائهم ليست المهمة التي تواجهها حركتنا في الظرف الراهن".

بما يلي:

"عودة الى الورا، بالنسبة للشعار الإستراتيجي وخط واضح بين حكومة العمال وفقراء الفلاحين التي تعني دكتاتورية البروليتاريا الاشتراكية، وبين حكومة العمال والفلاحين جميعاً بمن فيهم الأغنياء والبرجوازية الوسطية والصغيرة، وهي دكتاتورية الشعب الديمقراطية الثورية، التي تعني انتصار الثورة الوطنية الديمقراطية الكامل، الذي لم تحققه ثورة 14 تموز جراء احتكار البرجوازية الوطنية للسلطة وعدم تمكين البروليتاريا من قيادة السلطة".

ان مسألة العودة الى الورا غير صحيحة، ذلك ان القول "ليست المهمة التي تواجهها حركتنا في الظرف الراهن"، لا يعني الانغلاق والتوقف عند الظرف الراهن في حالة تطوره الى ظرف جديد آخر، تطوره الى أمام وليس العودة الى الورا،

خاصة وان الحزب لديه برنامج واضح وضعت من قبل الرفيق فهد مؤسس الحزب.⁶⁷ كما ان الحزب يتحدث عن الاستراتيجية السياسي للحزب في وثيقة (رد على مفاهيم تصفوية) الموجودة في الوثائق.

يقول جاسم الحلواني⁶⁸

"فما هو الاستراتيجية السياسي؟ انه الخط السياسي العام للحزب الذي يوضع لمرحلة تاريخية كاملة، ويوجه لتنفيذ مهامها الأساسية، بالاستناد الى تناسب القوى داخليا وعالميا. ويتطلب ذلك بالنسبة لحزب شيوعي لم يتسلم السلطة بعد، تحديد ما يلي: الموقف من السلطة القائمة، وطبيعة البديل المطلوب، والقوى المؤهلة لتنفيذ هذه المهمة وطبيعة اصطفاها والقوى التي ينبغي تحييدها، وتحديد قوى الأعداء التي يجب توجيه الضربة الرئيسية لها، مع الأخذ بنظر الاعتبار توازن القوى عالميا".

يستطرد الحلواني فيقول:

"وما قاله زكي وسعاد خيرى من وجود خلط في وثيقة الكونفرنس بين شعاري (دكتاتورية البروليتارية الاشتراكية) و (دكتاتورية الشعب الديمقراطية الثورية) ... الخ نقول ان الحياة نفسها قد أثبتت صحة ما نصت عليه وثيقة الكونفرنس، وخطأت ما كتبه في كتابهما (فالنظرية رمادية اللون، ولكن شجرة الحياة خضراء متجددة) كما يقولون. ووثيقة الكونفرنس لم تشر الى هذه المقولات النظرية حول أشكال الدكتاتوريات لأنها نصت بكل تواضع على "ان ما يواجه بلادنا الان وقبل كل شيء ضرورة تحويل السياسة القائمة من سياسة تعاون مع الاستعمار وتوافق مع الصهيونية وانعزال عن حركة التحرر العربية الى سياسة وطنية عربية مستقلة. ولذلك فان مهمة الانتقال الى الاشتراكية وتحويل السلطة السياسية الى أيدي العمال والفلاحين وحلفائهم ليست هي المهمة التي تواجهها حركتنا في الظرف الراهن". ولكن رغم ذلك فلدينا ما نقوله حول الشعارات الاستراتيجية "مهما كانت أوجه النسبة بين الثورتين (الديمقراطية والاشتراكية) فهناك اختلافات معينة بينهما، حتى إذا قامت تلك الثورات الوطنية الديمقراطية في بلدان متحررة... لقد جرت تطورات واسعة وعميقة على خريطة العالم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، واغتنت الثورات الديمقراطية بمحتوى اجتماعي جديد.

وفي مرحلة التحرر الوطني، وبموجب الخط السياسي للحزب الشيوعي العراقي، ووفقاً للنظرية الماركسية اللينينية يكون العدو الرئيسي هو الاستعمار وحلفاؤه (الإقطاع والرجعية المحلية) ولهذا فان (دكتاتورية الشعب الديمقراطية الثورية) هي نوع السلطة التي تضم كل الطبقات المناهضة للاستعمار والإقطاع والرجعية المحلية

67 - ان قادة الحزب سيتحدثون عن ستراتييج الحزب السياسي في وثيقة (رد على افكار تصفوية) الموجودة في الوثائق.

68 - مقتطف من مقال غير منشور كتبه عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي جاسم الحلواني في عام 1986، رداً على كتاب (دراسات في تاريخ الحزب..)

بعد انتصار الثورة التحريرية. أي بقيادة الحزب الشيوعي وهو ما حصل في انتصار ثورة الصين وتأسيس الجمهورية الديمقراطية الشعبية، حيث تحالف في هذا البلد العمال والفلاحون والبرجوازية الصغيرة والكبيرة الوطنية. ولم تصف الا الملكيات الكبيرة الإقطاعية وملكيات خونة الشعب الذين تعاونوا مع الاستعمار. وفي كل الأحوال تعتبر هذه الثورة اشتراكية لان طبيعة أي سلطة تتحدد بقيادتها، فإذا كانت بقيادة الحزب الشيوعي فستكون السلطة شكلا من أشكال دكتاتورية البروليتاريا.

أما إذا انتصرت الثورة التحريرية "بتوازن قوى" آخر ولم يحز فيها حزب من الأحزاب أو طبقة من الطبقات على وضع متميز، فان وثيقة الكونفرنس تبين الطريق الى تغيير ميزان القوى لصالح حلف العمال والفلاحين وذلك بمواصلة الضغط من أسفل كما سنبين ذلك لاحقا. لكن انطلاقا من الفهم الخاطئ للزوجين خيري لمسألة استراتيجية الثورة الوطنية الديمقراطية وتمييزها عن استراتيجية الثورة الاشتراكية فقد أوقعهما بأخطاء كبيرة تجاه تقييم استراتيجية الحزب الشيوعي العراقي منذ قيامه حتى الان."

يستمر جاسم الحلواني عضو اللجنة المركزية للحزب:

"وانطلاقا من الفهم الخاطئ للشعار اللينيني، جرى تقييم سياسة الحزب الشيوعي العراقي في كتاب "دراسات في تاريخ الحزب الشيوعي العراقي"، فقد خطأ الكتاب الحزب في فترة قيادة الرفيق فهد، وكذلك قيادة الرفيق سلام عادل على الصعيد الاستراتيجي بشكل خاص، وحاول ترحيل الأخطاء اليمينية التي وقع فيها الحزب بعد ثورة 14 تموز "يوليو" عام 1958، تلك الأخطاء التي ضيّعت أكبر إمكانية في تاريخ الحزب منذ تأسيسه حتى يومنا هذا، لتطوّر الثورة الوطنية الديمقراطية الى ثورة اشتراكية، أي أنها رحّلت الى تلك العهود الأكثر إشراقا وعطاء في تاريخ الحزب والحركة الوطنية، خلافا للحقيقة والواقع، وبهدف التغطية على الجهة التي تتحمل المسؤولية الرئيسية عن الأخطاء وهي "كتلة المعارضة اليمينية" التي نشأت في قيادة الحزب بعد ثورة 14 تموز "يوليو" عام 1958 المجيدة، بالضد من قيادة سلام عادل ونهجه الثوري... كذلك يخطئ زكي خيرى في كتابه "دراسات..." الرفيق فهد على الصعيد الاستراتيجي حيث يقول:

"لم يدع فهد صراحة الى إسقاط النظام السياسي القائم وإقامة السلطة الديمقراطية الثورية بقيادة الطبقة الثورية العاملة، وانما قال في المادة الثانية من ميثاقنا الوطني (نناضل لإيجاد حكومة تعمل لمصلحة الشعب، وجهاز حكومي ديمقراطي صحيح في نظام حكومتنا) ... ولكن "ميثاقنا الوطني" لم يغط أهداف مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية حتى نهايتها، إذ لم يتناول قضية السلطة، القضية المركزية في الثورة الوطنية الديمقراطية.... ولا الإصلاح الزراعي الجذري".

يستطرد الحلواني:

وقبل الدخول في مناقشة هذه الأحكام لا بد من إبداء الملاحظات المنهجية التالية:
أولاً: ليس من الصحيح الحكم على سياسة حزب ما في عهد من العهود اعتماداً على وثيقة واحدة من وثائق الحزب.

ثانياً: ذكر خيرى في كتابه (دراسات...) في المقدمة بأنه (لم يحتو الكتاب أي حكم على سياسة الحزب الشيوعي ومواقفه غير مدعم بالوثائق الصادرة عن مؤتمراته وكونفرنساته واجتماعات لجنته المركزية ومكتبها السياسي) في حين لم يف الكتاب بهذا الوعد⁶⁹.

فمثلاً:

1 - يتضمن (الميثاق الوطني) الذي وضعه الرفيق فهد أهدافاً وطنية ديمقراطية تعبر بشكل صحيح عن حاجات الحركة الوطنية وتطورها في طور معين من أطوار المرحلة الوطنية الديمقراطية. وتجدر الإشارة إلى أن المؤتمر الرابع للحزب الشيوعي العراقي أوضح في مقدمة البرنامج بأن (الميثاق الوطني) حدد أهداف التحرر الوطني ونظام الحكم الديمقراطي. وكانت هذه هي الأهداف الأساسية المباشرة لذلك الطور من أطوار مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية⁷⁰.

وقيم المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي العراقي الميثاق الوطني (لقد صاغ الميثاق الوطني الأهداف الأساسية الملحة لثورتنا الديمقراطية المتلخصة في استقلال البلاد الحقيقي واستكمال سيادتها، الجلاء، وإلغاء معاهدة 1930 وملحقاتها، نظام وطني ديمقراطي... الخ).

2 - ومعلوم أن شعار (سلطة الديمقراطية الثورية بقيادة الطبقة العاملة) لم يرد في برنامج حزبنا الذي أقره المؤتمر الرابع والخامس، بالرغم من كل التطورات التي حدثت في العراق من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية منذ عهد الرفيق فهد في الأربعينات حتى الآن لعدم صوابه، حيث أن نصفه الأول (سلطة الديمقراطية الثورية) ينفي صواب نصفه الثاني (بقيادة الطبقة العاملة) والعكس صحيح أيضاً⁷¹.

3 - حول حلف العمال والفلاحين⁷²: وضحت وثيقة الكونفرنس دور العمال والفلاحين في الجبهة الوطنية ونضالها من أجل تغيير السياسة القائمة إلى سياسة وطنية وعربية مستقلة، كما يلي:

69 - أي أن زكي قد غير في كثير القضايا الموجودة في الوثائق أو جاء بما يخالفها بدون أن ينبه القارئ إلى ذلك.

70 - وثائق المؤتمر الرابع للحزب الشيوعي العراقي عام 1985.

71 - مقتطف من مقال غير منشور كتبه عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي جاسم الحلواني في عام 1986، رداً على كتاب دراسات في تاريخ الحزب الشيوعي العراقي.

72 - اعتذر للقارئ الكريم على تكرار هذا المقطع عن حلف العمال والفلاحين الذي جاء في وثيقة الكونفرنس ولكنني مضطراً للإشارة إليه لأن زكي ينكر وجوده في وثيقة الكونفرنس.

"ان سعي مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية المتضررة من اجل تغيير الوضع يتحدد مداه عادة بمقدار الضرر الذي يصيب هذه الطبقة أو تلك، ومدى وعيها لضرورة العمل من اجل إزالة هذا الضرر. فثمة طبقات شعبية كالعمال والفلاحين وجمهور الكادحين يلحقهم أذى عظيم في كل جوانب حياتهم من جراء بقاء هذا الوضع واستتقاله. ومثل هذه الحالة تحملهم على الاندفاع في سبيل إجراء تحويلات جذرية في الوضع كله، كما يطبع أسلوبهم في العمل، وطرار تفكيرهم بطابع ثوري خاص. وثمة طبقات وفئات اجتماعية أخرى لا يلحقها كل هذا الأذى، ولذلك فهي تعمل على إجراء تغييرات وإصلاحات كبرى أو جزئية بمقدار ما يتعلق الأمر بمصالحها ووعيها. ومثل هذه الحالة تطبع أسلوبها بالعمل وطرار تفكيرها بطابع خاص. ولكن الاختلافات في مدى ما تنتشده مختلف الطبقات من تغييرات وإصلاحات لا يحول دون وجود أهداف مشتركة ينشدها الجميع"⁷³.

وتستمر وثيقة الكونفرنس:

"وعلى الصعيد الجماهيري وجه الحزب اهتمامه شطر الفلاحين والعمال وجمهور الكادحين. ولم يحصل في تاريخ الحزب من قبل، ان كان للحزب قواعد وطيدة وواسعة في الريف، مثل ما هي عليه الان. كما ان بناء القواعد الحزبية في المعامل وأماكن تركيز الطبقة العاملة هو في مركز اهتمام وتوجه منظمات الحزب، وستتخذ في المدة القادمة اهتماماً أكثر حزمًا من قبل جميع هيئات الحزب، رغم ما يواجه ذلك من صعوبات جدية... واعيد وبعاد إرساء الأسس التي ينهض عليها عمل رفاقنا في الحركات والمنظمات الديمقراطية، وبشكل يضمن وحدتها ويطور عملها وجماهيريتها"⁷⁴.

وقد قامت منظمات الحزب الشيوعي العراقي بحملة لتوجيه الجماهير من اجل المطالبة بحقوقها المعيشية، فشملت الريف العراقي بشماله وجنوبه حملة واسعة من تقديم المذكرات المطالبية وتشكيل الوفود المطالبة بالحد من جور الإقطاع. وكانت جريدة "اتحاد الشعب" تنشر مطالب الفلاحين وتعبئ الرأي العام لإسنادها وتفضح أساليب الحكومة في محاربتها للحركة الفلاحية وإسنادها للإقطاع. كما واصل العمال نضالاتهم البطولية. فقد كانت جريدة الحزب المركزية تنشر رسائل العمال في شركة نفط كركوك، وعمال الميناء في البصرة، وعمال البلدية في زاخو ومطاليهم. ونشرت عن إضراب العمال الأجانب في شركة بناء سد دوكان وتضامن العمال العراقيين معهم. وعن إضراب القصابين في مدينة الموصل احتجاجا على الرسوم البلدية، حيث أعلنوا الإضراب قبيل انعقاد كونفرنس الحزب في اليوم الأول من شهر أيلول "سبتمبر" عام 1956 تلاه الإعلان عن حالة الطوارئ. وإذ تحفزت المشاعر الاحتجاجية والروح الحماسية التي صاحبت تأميم مصر لقتال السويس، فإنها كلها

73 - وثيقة الكونفرنس الثاني للحزب الشيوعي العراقي ص 36 و 37.

74 - المصدر السابق ص 66.

أدت الى الانتفاضة الشعبية للتضامن مع مصر بعد العدوان الثلاثي عليها في 29 من شهر تشرين الأول "أكتوبر"، أعني انتفاضة تشرين الثاني "نوفمبر" عام 1956 التي سنتحدث عنها في الفصل القادم.

نظرا للحالة الملموسة للأوضاع السياسية عام 1956، حيث صادر نوري السعيد ومراسيمه الحريات والمؤسسات الديمقراطية، كالبرلمان والصحافة الحرة والأحزاب والمنظمات والنقابات، بعد إدخاله العراق في حلف بغداد، نضجت فكرة ان يكون **محور النضال الوطني هو الجبهة الوطنية الموحدة** والمستندة الى الحلف النضالي بين العمال والفلاحين وسائر الطبقات والفئات المناهضة لسياسة نوري السعيد مع إبراز الأهمية الخاصة لنضال العمال والفلاحين. كما أكدت الوثيقة على توازن القوى الملموس الذي سيأتي بحكومة وطنية تبدل هذه السياسة، وبمثل هذه الحكومة لا يشترط الحزب الشيوعي المساهمة فيها لغرض إسنادها، بل انه سيساندها وفي الوقت نفسه سينتقد الجانب السلبي لممارساتها ويقود النضال الجماهيري للضغط عليها من أسفل لتعديل سياستها وفرض التوجهات الصحيحة عليها في مختلف ميادين الحياة السياسية والاجتماعية من خلال مختلف أساليب العمل الجماهيري للضغط عليها من أسفل. وهذا الضغط لا يقتصر على العرائض والوفود والإضرابات والاحتجاجات والمظاهرات، بل إنه إذا اقتضى الأمر سيتطور الى مستويات أعلى من وسائل الضغط.

ان الحزب قبل ثورة تموز كان يعلم بان ضباط الانقلاب العسكري المقبل سوف لا يحققون الا القليل مما وعدوا به⁷⁵ إذا لم يسارع الحزب بعد الثورة لحشد الجماهير لكي تمارس الضغط من أسفل لتحقيق مطالبها. وبعد مرور بضعة أشهر على الثورة وفي شهر أيلول (سبتمبر) عام 1958، عندما أصبح ميزان القوى يتغير لصالح الجماهير الشعبية طرح اجتماع اللجنة المركزية الموسع للحزب الشيوعي في الشهر ذاته شعار إزالة التناقض بين تركيب السلطة القائم، اي اشراك الحزب في الوزارة، وبين القوى التي ساهمت فعليا في الثورة وإسنادها، وبيّن الطريق الى ذلك وهو (إرساء الحكم على أسس ديمقراطية) أي انتخابات ومجلس تأسيسي ثم حكومة يقرها البرلمان حسب نتائج الانتخابات بشكل حكم ائتلافي.

بينما نرى ان **زكي وسعاد خيري** ذكرا في (ص 231) من كتابهما (دراسات....) ما يلي:

"ان الحكومة الوطنية كما وصفها (الكونفرنس الثاني) والتي لا تشترط حتى مساهمة الحزب الشيوعي فيها لا يمكن ان تنجز الثورة الوطنية الديمقراطية وتنتقل

75 - لم يفِ قاسم بوعده في صباح 14 تموز، بأشراك الحزب الشيوعي في الوزارة، أسوة ببقية أعضاء الجبهة، ولكن ذلك لم يفت في عضد الحزب، فقد بادر منذ صباح الثورة الى تقديم المطالب التي على الثورة انجازها للحفاظ على نجاح الثورة وتحقيق مطالب الشعب.

الى الثورة الاشتراكية"⁷⁶. ونسأل عن القائل بأن الكونفرنس الثاني قد ذكر ان هذه الحكومة تستطيع إنجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية؟

ان الكونفرنس قد طرح مهام محددة ولم يجر الحديث عن انجاز الثورة الوطنية الديمقراطية والانتقال الى الاشتراكية، اما حكومة ما بعد الثورة فلا تستطيع تحقيق اهدافها من دون نضال الحزب والقوى الديمقراطية الأخرى من اجل إرساء الحكم على أسس ديمقراطية أولاً، ومن اجل تحقيق أوسع تطبيقات الديمقراطية ثانياً، مما يتيح فرصاً كبيرة لتغيير ميزان القوى لصالح التقدم ولصالح ان يكون التغيير في السلطة مستمراً عن طريق الضغط من أسفل وربما من أعلى إذا تحققت الحكومة الائتلافية.

وجاء في وثيقة الكونفرنس الثاني ص34:

"سيجد حزبنا من واجبه، كما هو واجب أي جبهة وطنية، ان يراقب وينقد ويوجه هذه الحكومة (الوطنية) لضمان عدم انحرافها عن النهج الوطني المستقل. كما ان من واجبه فضحها وابعادها إذا ما تكررت للإرادة الشعبية وذهبت الى حد الإخلال الجذري بمسؤولياتها"

ولكن الزوجين **خيري** يردان على هذا المقطع "أي ان على الحزب الشيوعي ان يكتفي بالمراقبة والنقد أسوة ببقية الجهات الوطنية الأخرى، أي البرجوازية، وليس كما يوصي لينين باستخدام الضغط من أسفل ومن أعلى لضمان تحقيق مهام الثورة الوطنية الديمقراطية".

أما عن الضغط من أعلى (من القمة)، اي الاشتراك في الحكومة، أوضح **لينين**:

"ففي أي ظروف يكون مفيداً هذا الشكل الجديد للنضال، النضال (من القمة) الذي أقره مؤتمر الحزب؟ بديهى انه لا يمكن التحدث الان عن طريق الظروف الملموسة، كالنسبة بين مختلف القوى، الخ، والقرار يمتنع عن تحديد هذه الشروط سلفاً... وهكذا فان القرار بعد ان يوضح سياسة الحزب في العمل من القمة... يتناول أيضاً الحالة التي لا يمكننا فيها العمل (من القمة). أي ان الاشتراك بالحكومة ليس إلزامياً للحزب الشيوعي فهو رهن الظروف المحيطة به"⁷⁷.

علماً ان المؤتمر الذي يتحدث عن قراره هو المؤتمر الثالث للحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي (الحزب الشيوعي الروسي)، وكان قد عقد قبل الثورة الروسية عام 1905، وهي ثورة مسلحة، بوقت قصير.

ولتوضيح ذلك، نقول ان هناك حالات يكون فيها الاشتراك في الحكومة مضرّاً

76 - أما عن أنجاز كافة مهام الثورة الوطنية الديمقراطية، فان الزوجان خيري نفسيهما قالاً في كتاب (دراسات....) ص6 بان البرجوازية لم تعد تنجز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية منذ الثورة الفرنسية.
77- لينين - المؤلفات الكاملة - المجلد الثاني ص 410 - دار التقدم، موسكو.

بمصلحة الحزب، عندما تكون الاكثرية في تلك الحكومة غير شيوعية او غير متوافقة فكرياً مع الحزب الشيوعي، عند ذاك تستطيع بأكثريتها اصدار قرارات ليست في مصلحة الشعب. لذلك فالاشتراك في الحكومة يكون مشروط بالظرف الملموس، اي عندما يتحدد شكل وتوازن القوى داخل هذه الحكومة.

ونعتقد بوجود فرق بين الاشتراك في الحكم بدون انتخابات وبين الاشتراك في حكومة ائتلافية تأتي بعد انتخابات برلمانية، وتمثل الأحزاب فيها على ضوء ما حصلت عليه من أصوات وتكون مسؤولة أمام البرلمان وأمام الشعب. ان صيغة الاشتراك بالحكم بدون انتخابات لا تتيح ممارسة الضغط من أعلى وبالتناسب الطردي مع تصاعد الضغط من أسفل الذي تقوم به الجماهير الشعبية الا بنطاق محدود جداً. وتجربة الحزب الشيوعي العراقي بدخول الدكتوراة نزيهة الدليمي الى الوزارة في عام 1959، بتعين من قاسم، هو خير دليل على ما نقول في عدم جدوى هذا النوع من الاشتراك حيث كان قاسم يقود الحكم بشكل فردي وليس للدكتوراة امكانية للضغط عليه لإعادة النظر في قراراته.

ان عدم إشراك الحزب الشيوعي العراقي في الحكومة بعد نجاح ثورة تموز "يوليو" مباشرة لا يعني وجوب ترك الجبهة الوطنية لان البعض من قواها وأحزابها لم يوافق على اشتراك الحزب في الحكومة، فترك الجبهة في ذلك الوقت يعبر في أحسن الأحوال "عن قصر نظر سياسي غير جائز وليس سياسة ثورية جدية" كما يقول ديمتروف في كتابه الجبهة الوطنية الموحدة (ص 137).

يقول لينين:

و"بصرف النظر عن إمكان اشتراك الاشتراكية – الديمقراطية، (الأحزاب الشيوعية)، في الحكومة الثورية المؤقتة، من اللازم ان نقوم في صفوف أوسع الأوساط البروليتارية الى الترويج للفكرة التالية، وهي انه من الضروري ان تقوم (البروليتاريا المسلحة) التي تقودها الاشتراكية الديمقراطية بضغط مستمر على الحكومة المؤقتة، لأجل حماية مكتسبات الثورة وتوطيدها وتوسيعها".

ويقول ديمتروف:

"ان الشيوعيين سيساندون حكومة الجبهة الموحدة ما دامت ستتناضل فعلا ضد أعداء الشعب وتطلق حرية العمل للحزب الشيوعي. أما مسألة اشتراك الشيوعيين في الحكومة فتتوقف كلياً على الوضع الملموس. وان مثل هذه القضية ستحسم في كل حالة على حدة ولا يمكن هنا إعطاء أي وصفة جاهزة".⁷⁸

وبما ان ثورة تموز عام 1958 قد بدأت بانقلاب عسكري ساندته الجماهير في المدن والأرياف والتي لا تمتلك ما للجيش من سلاح، فأحدث ذلك تناسبا للقوى لصالح

⁷⁸- ديمتروف، جورجي. الجبهة الوطنية الموحدة (ص137) دار 30 اذار للطبع بلغاريا

الجيش الذي أخذ زمام السلطة بيده، وعلى الحزب الشيوعي ان يناضل للضغط من الاسفل لإجبارها على اتخاذ وتنفيذ قرارات في مصلحة الشعب.

ولقد حقق الضغط من أسفل بالوسائل السلمية البحتة في العام الأول من الثورة إنجازات ديمقراطية، أهمها عرقلة ضغط الرجعية المحلية، وكان عاملاً في صد مؤامراتها.

كان لدى عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي عامر عبد الله في هذه الأجواء أراء في الأسابيع الأولى بعد الثورة تصب في الكف عن الضغط الجماهيري السلمي لكي يعطي الحزب، حسب وجهة نظره، المجال للجميع للتمتع بنجاح الثورة وحتى يمنح الحزب حكومة عبد الكريم قاسم مجالا لتتنجز أعمالها ومهامها. وهذا الرأي بالذات كان محور الخلاف في قيادة الحزب منذ الأيام الأولى للثورة، كما سنأتي على ذكر ذلك في فصول قادمة.

ان وثيقة الكونفرنس الثاني كانت حجر الزاوية في قيام جبهة الاتحاد الوطني في شهر شباط "فبراير" عام 1957. وهذه الجبهة شكلت الدافع الأول للنهوض الثوري في البلاد، رغم الإرهاب، ولها دور كبير في تحريك القوى العسكرية وبعث نشاطها. وأثر ذلك النهوض الثوري في إقناع المعسكر الاشتراكي بضرورة دعم نضال الشعب العراقي وقضيته العادلة، وثورته المقبلة، وطموحه الى الغد الأفضل. وهذا يعني ان قرارات الكونفرنس قد تلتها خطوات عملية ناجحة، فقد تحقق قيام الجبهة الوطنية لأول مرة في تاريخ العراق، وهذه ساعدت على تنشيط اللجنة العليا للضباط الاحرار للقيام بثورة تموز في حين ان افكار زكي هذه، لم تحقق الجبهة في عام 1967، مما ضيع فرصة مهمة، لو كانت تحققت، لما قفز البعث ثانياً للسلطة في 1968.

يقول **ماركس** في كتابه الشهير (نقد برنامج غوته): "ان كل خطوة عملية تخطوها الحركة العمالية أهم من دزينة من البرامج". هل من المعقول ان زكي خيرى لم يقرأ هذا الكتاب المهم جداً، والذي يتناول قضية برامج الاحزاب الشيوعية خصوصاً ان زكي كان يهتم بقضايا البرامج؟

سننوقف عند ما أورده **نصير الكاظمي**⁷⁹ في كتابه "الحزب الشيوعي والمسألة الزراعية" (ص 273) من الفصل العاشر، حول وثيقة الكونفرنس الثاني للحزب (ان الحزب الشيوعي لم يتوصل الى تحديد استراتيجية للمرحلة بشكل واضح ومحدد)

والسؤال ماذا يعني بتحديد استراتيجية محددة؟

فان الحزب في وثيقة الكونفرنس قد طالب بحكومة ديمقراطية تخلص البلد من حلف بغداد وتطلق الحريات الديمقراطية...الخ ثم توسع الحزب في مفهوم الحريات

79 - نصير الكاظمي: هو الكاتب والمؤرخ عزيز سباهي.

الديمقراطية ضمن برنامج جبهة الاتحاد الوطني في اذار 1957 حيث طالب الثورة المقبلة بتنفيذها.

وفي العشرين من شهر آب "أغسطس" عام 1957 نشر الحزب كراس كتبه سلام عادل (رد على مفاهيم برجوازية قومية تصفية) وفيه تحدث عن استراتيجية الحزب الشيوعي في الصفحات (31، 20، 10، 5).

فماذا بحث الكاظمي ولم يجده في وثائق الحزب لتلك الفترة؟

ان الكاظمي نشر كتابه "الحزب الشيوعي والمسألة الزراعية" في عام 1986، أي بعد عامين من صدور (دراسات في تاريخ الحزب الشيوعي) لزكي وسعاد خيرى، واعتقد انه قد تأثر بتحليل زكي خيرى، فكما يبدو ان الكاظمي لم يتمكن من الحصول على وثيقة الكونفرنس بنصها الأصلي ولم يطلع عليها، لأنه كما قال لي لم يطلع على أرشيف الحزب.

كان على الكاظمي ان يخبر القارئ بان مصدر هذا التحليل كتاب زكي خيرى وليس وثيقة الكونفرنس، عند ذلك سيستطيع القارئ معرفة ان الخطأ في اراء زكي وليس في الوثيقة.

وتستمر اراء الكاظمي غير الدقيقة هذه عندما يقول "الا ان الحزب لم يطور فهمه للسمات الجوهرية للثورة الديمقراطية ولم يتابع بكفاية تأثير الصراع الأساسي بين الاشتراكية والرأسمالية على الثورة في العراق".

لا اعرف ماذا يقصد الكاظمي بقوله هذا... ان الحديث عن وثيقة الكونفرنس الصادرة عام 1956 وقبل قيام جبهة الاتحاد الوطني، فهل يقصد ان المطلوب منها ان تطالب بإنجاز الثورة الوطنية الديمقراطية كما طالب زكي وسعاد خيرى في كتابهما (دراسات....) وهو ان على الحزب ان يطالب بالإنجاز التام للثورة الوطنية الديمقراطية في وثيقة الكونفرنس الثاني. ولكن زكي خيرى قد تراجع في مذكراته "صدى السنين" (ص 293) عن ذلك "لقد ساهمت بنشاط في صياغة وثائق الكونفرنس الثالث عام 1967، وأدركت الان فقط ان الصياغات النظرية يجب ان لا توضع في برنامج الحزب الشيوعي، فمحلها المناسب هو الدراسات النظرية، حيث يجب ان يكون الحزب واضحا كل الوضوح دون ان يخفي أي شيء من مبادئه وان يتقف بها أعضائه والجمهور بدأب، لا بالتلقين، بل بالحوار والنقاش". ان رأي خيرى هذا يعد تراجعاً جذرياً عما جاء في كتابه "دراسات في تاريخ الحزب الشيوعي العراقي" حيث طالب ان تتضمن وثيقة الكونفرنس الثاني الصادرة عام 1956 مسألة إنجاز الثورة الوطنية الديمقراطية. وهذه القضية من القضايا النظرية التي لم يكن ممكنا طرحها على الجبهة الوطنية العريضة. ورغم ان نقده هذا غامض ومبتور فقد كان عليه ان يقوم بنقد ذاتي صريح وواضح.

اما فيما يخص القسم الثاني من نقد الكاظمي في نفس المقطع "لم يتابع الحزب

بكفاية تأثير الصراع الاساسي بين الاشتراكية والرأسمالية على الثورة في العراق". وهذا الرأي دليل واضح على ان الكاظمي لم يطلع على الوثيقة، التي فيها مقاطع كثيرة قد تناولت اهمية الصراع بين الاشتراكية والرأسمالية وتأثيره على الثورة في العراق خصوصاً ص 34 من الكراس.

ووقع **نصير الكاظمي** في خطأ آخر هو انه نسب كراس "رد على مفاهيم برجوازية قومية تصفية" الى جمال الحيدري، في وقت كان فيه الحيدري قد غادر العراق منذ ربيع عام 1957 ولم يعد إليه الا بعد شهر تشرين الأول "أكتوبر" عام 1957، أي بعد صدور الكراس، وكانت عائلته تعرف ذلك لأنه سافر ورجع عبر كردستان العراق وهذا يرد على قول الكاظمي بأنه حصل على هذه المعلومة عن تأليف جمال للكراس من أخوته.

كتب **نصير الكاظمي** في (ص 273) من كتابه (الحزب الشيوعي والمسألة الزراعية) "وقد انعكس هذا الأمر في النقص الذي شاب البرنامج (يقصد الخطة السياسية) الذي توصل إليه الكونفرانس الثاني للحزب عام 1956 وعجزه عن تحديد موقف سليم من المسألة المركزية في الثورة"، (يقصد قضية السلطة). نقول:

ان الوثيقة صدرت من الكونفرانس في شهر أيلول "سبتمبر" عام 1956، أي قبل انتفاضة 1956 وقبل قيام جبهة الاتحاد الوطني التي شكلت في شهر شباط "فبراير" عام 1957، والكاظمي يريد ان تحدد الوثيقة مقدماً بيد من تكون السلطة القادمة، بيد البرجوازية أم بقيادة الطبقة العاملة! إذ "ان السلطة يقررها توازن القوى قبل كل شيء"، فهل ان توازن القوى في ظل إرهاب عام 1956 كان يتيح للحزب ان يطالب بسلطة بقيادة الطبقة العاملة؟! كما طالب الكونفرانس الثالث للحزب عام 1967؟ ان وثيقة الكونفرانس قد أتاحت للحزب ان يقف في شهر حزيران "يونيو" عام 1959 على أبواب الحكومة الائتلافية، في حين ان وثيقة الكونفرانس الثالث لم تؤد الا الى أكوام من الأخطاء.

"ان السياسة فن الممكنات من الأمور" وإنها ليست فن الأمنيات الجميلة.

وكتب **نصير الكاظمي** في (ص 274) من كتابه: "وقد بدا هذا النقص واضحاً حين واجه الحزب بعد ثورة تموز أوضاعاً معقدة... ان هذا النقص كان أخطر حتى مما قدره الاجتماع الموسع للجنة المركزية الذي انعقد في السادس من أيلول (سبتمبر) عام 1958". ان الكاظمي في رأيه هذا وضع نفسه في موضع حرج فأولاً: ان الاجتماع الموسع للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي المنعقد في شهر أيلول "سبتمبر" عام 1958 والوثائق الصادرة عنه لم تتعرض الى سلطة الطبقة العاملة قط. وانه (الاجتماع) أقر خط الحزب السياسي منذ توجيهات 12 تموز "يوليو" عام 1958، باتباع أسلوب الضغط الجماهيري من أسفل على السلطة الوطنية. وثانياً: جاء في تقرير اللجنة المركزية المنعقد في التاريخ المذكور، "انه ان الألوان لإشراك الحزب الشيوعي في السلطة السياسية لحل التناقض بين ما تريده الجماهير وبين الواقع الفعلي

لهذه السلطة". وفي ربيع عام 1959 أكد الحزب أهمية ان تقوم حكومة ائتلافية في البلاد، أي ان تكون الحكومة حكومة احزاب لا حكومة اشخاص. وثالثاً: ثبت الحزب الشيوعي العراقي في وثائقه اندحار الاتجاه اليميني الذي برز في الأسبوع الأول من الثورة والذي أراد الاستسلام لضغط عبد السلام عارف لإيقاف التحرك الجماهيري وأكد في اجتماع اللجنة المركزية للحزب المنعقد في شهر أيلول "سبتمبر" عام 1958، انه رغم الانتصار ضد الخطر اليميني فانه يعتبر الخطر الأكبر الذي يهدد الحزب. وهذا ما اكده الواقع ايضا.

في شهر أيلول "سبتمبر" عام 1956، يوم كان الطغيان يزمجر فيقصف برعوده الأفتدة الخائرة، قال سلام عادل مختتماً الكونغرس الثاني للحزب:

"ان حزبنا الذي خرج من قلب هذا الشعب، وترعرع على هذه الأرض الكريمة، سيظل أميناً للشعب الذي أنجب، وللارض التي نبت عليها.

لقد عرف عراقنا منذ القديم بأنه أرض العزة والكرامة ووطن الأفذاذ من رجال الحرية ورواد الفكر، وعرف شعبنا منذ القديم، بأنه الشعب الذي استعصى على طغيان الحكم، وبطش الولاة، وبربرية الغزاة.

فمنذ قرون، وثورات الجماهير وانتفاضات عبيد الأرض، تشتعل على أرض العراق.... في سهول الجنوب وعلى ذرى كردستان. لقد هزم الباطل في العراق مرة بعد أخرى، وأخفقت على مر الأزمان، كل السياسات التي أريد بها لهذا الشعب ان يستكين ويخضع، ويحني هامته تحت وقع سياط الغزاة والمعتدين.

لقد ظل هذا الشعب أميناً لأمجاده التاريخية ولتقاليده النضالية. ومن جيل الى جيل كانت راية النضال تنتقل، وحولها يتساقط الشهداء.

...واليوم إذ يجهز الاستعمار بكل قوته وبمعاونة أشرس عملائه على حرية هذا الشعب، محاولاً ان يطفئ حماسه ويسخر من تاريخه، تنبري من بين الصفوف، كما انبرت في السابق، طلائع الأحرار من أبناء العراق، فتنزل الى ساحة الصراع قوية واثقة من نفسها، أمينة على تاريخ الوطن وتقاليد الأسلاف، مصممة تصميمها لا رجعة فيه على ذلك صرح السياسة المعادية للشعب، ورد كرامة الوطن الجريح.

ان الشيوعيين العراقيين، الذين يحملون في قلوبهم آمال الأمة، ويجسدون في عملهم الكفاحي وفي ميزتهم الثورية، أفضل سجايا المواطن العراقي الباسل الشهم، سيتابعون الى النهاية رسالتهم التاريخية التي وهب حياته ثمناً لها قائدهم الراحل فهد والرفيقان حازم وصارم، وغيرهم من الرجال البواسل في قافلة الشهداء... سيظل الشيوعيون العراقيون يتابعون سيرهم الدائب النشيط في درب المقدس الذي سلكه من قبلهم شعلان أبو الجون، والحاج نجم البقال، والخالصي والشيرازي وشيخ محمود وأبو التمن وحسن الأخرس ومصطفى خوشناو...

سيظلون كما خبرهم الشعب في أيام المحن، رجالاً متفانين لا يعرفون الخور ولا

التردد، أسخياء في البذل والتضحية، لا يضمنون بحياتهم وحريرتهم وأعز ما يملكون في سبيل حرية الشعب وعزة الوطن.

ان عقرب الزمن يشير الى ان نهاية حكم الاستعمار وعمالئه وشبكة لا محال... وشعوب العالم بأجمعها تنهض في سبيل حريتها وكرامتها، وفي سبيل تحررها الوطني والقومي... ولن يتخلف شعبنا العراقي الأبى عن ركب العروبة السائر الى أمام في هذا الموكب الجليل المتعاطم الزاخر بالحيوية.

ان آفاق المستقبل القريب مفعمة بالأمل، وأمام القوى الوطنية ان تعالج الموقف بيقظة تامة وبروح واثقة مقدامة... وان أقصى ما يكافح حزبنا من اجله هو ان يحقق التزاماته التي قطعها لجماهير الشعب، وان يبرر الثقة العظمى التي وضعتها فيه، وان ينهض بقسطه في هذا الواجب التاريخي النبيل".

وحول اسلوب عمل سلام في جميع رفاق الحزب يقول أحد الرفاق⁸⁰:

في صبح ربيعي بليل النسمات... قال: هيا معي لنذهب الى الرفيق فلان وصاحبه. انهما يعتقدان انهما تعرضا الى معاملة غير عادلة على عهد القيادة السابقة... فلنجلس معهما ونعالج المشكلة... ينبغي ان نرفع الغبن عن كل رفيق ونعيد الشرعية الى حياة الحزب. ان حزبنا بحاجة الى جميع كل الكفاءات في تيار واحد. هذا الرفيق مثلاً، اعرفه صعب المراس ومعقد بعض الشيء، ولكنه يؤمن بالشيوعية، وله خبرة بالعمل بين الفلاحين... لماذا نتركه يشكو وينشر التذمر حول المحيطين به!

80 - كراس سلام هادل ص23.

انتفاضة عام 1956 التضامن مع مصر ضد العدوان الثلاثي

22

"أسفرت الحرب العالمية الأخيرة عن تحول جذري في ميزان القوى لصالح معسكر الشعوب والاشتراكية. فلقد تم القضاء على دول المحور الثلاث وخرجت دولتان من دول الاستعمار الكبرى هما بريطانيا وفرنسا، وقد فقدتا الكثير من قوتها ونفوذهما وانحسر ظل الاستعمار من رقعة شاسعة. وفي الجبهة المقابلة اتسعت رقعة العالم الاشتراكي وسجلت فترة ما بعد الحرب تعاظما شديدا لأفكار الحرية.

هذا الوضع لم يرق لأقطاب الاستعمار ولذلك نجد الولايات المتحدة الأمريكية التي لم تتعرض لويلات الحرب وانما أثرت منها إثراء فاحشا تعمل بالاشتراك مع حلفائها لإنقاذ مواقع الاستعمار المتزعزعة وبالتالي إعداد العدة لشن الحرب ضد الاتحاد السوفيتي ومعسكر الاشتراكية على أمل بسط سيطرة الاستعمار الأمريكي على العالم".⁸¹

"وقد استهدف الشرق الأوسط لهجوم السياسة الاستعمارية منذ السنة الأولى لانتهاه الحرب واتخذ هذا الهجوم أشكالا مختلفة كان أبرزها محاولات الدول الاستعمارية إرغام بلدان هذه المنطقة على الاشتراك في مشاريعها الحربية التي شاعت ان تطلق عليها "مشاريع الدفاع عن العالم الحر"⁸²

"ولقد هب الشعب العراقي هبة بطولية في تشرين الثاني عام 1956 مطالبا برفض مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط"⁸³

"وفي صيف 1953 زار دالس وزير خارجية الولايات المتحدة بلدان الشرق الأوسط وإذ لمس شدة المقاومة لمشاريع التكتلات الاستعمارية في مصر وسورية ولبنان وغيرها ارتأى ضرورة نقل النشاط الاستعماري لتكوين التكتلات الى مثلث أنقرة - كراجي - بغداد، فكانت فكرة (الحزام الشمالي) ومن ثم فكرة (حلف بغداد)"⁸⁴

"ومنذ أوائل عام 1954 على وجه الخصوص تطور النضال العربي ضد الأحلاف الأجنبية فتوصلت مصر الى عقد اتفاقية الجلاء مع بريطانيا ورفضت السعودية اتفاقية الأمن المتبادل مع الولايات المتحدة ثم استطاعت سورية ان تسقط النظام الدكتاتوري

81 - كراس (انتفاضة 1956 ومهامنا في الظرف الراهن) الصادر في الاول من ايار "مايو" 1957 من منشورات الحزب الشيوعي العراقي موقع باسم المكتب السياسي للحزب ومذكور بشكل أوسع في الملاحق في نهاية الكتاب.

82 - المصدر السابق.

83 - المصدر السابق.

84 - المصدر السابق.

وتختلط لنفسها سياسة عربية تحريرية نشطة⁸⁵

وهنا لجأت الامبريالية الى الإرغام ففُرض بالقوة حلف بغداد على العراق عام 1955 بعد ان عطلت إرادة الشعب تعطيلاً تاماً، كما فُرض على إيران بعد ان أغرق حركتها التحررية بالدماء.

وحين نهضت مصر وسورية والعربية السعودية والأردن وغيرها من البلدان الشقيقة وراحت تتحالف وتوطد أركان سيادتها الوطنية، خصوصاً بعد الخطوة العظيمة التي خطتها مصر بتأميم شركة قناة السويس، نجد أقطاب الاستعمار، لا يفتنون يصرحون، ان حلف بغداد لا هدف له الا حماية آبار البترول في الشرق الأوسط وانهم على استعداد للقتال في سبيل حماية هذه الثروات التي بدونها لا يستطيع العالم العربي ان يقف على قدميه⁸⁶

ولذلك فانهم بعد ان تعطلت بأيديهم أسلحتهم التقليدية راحوا يفكرون بالوسيلة الأخيرة، وسيلة التدخل المسلح لتحطيم الجبهات العربية المتحالفة.

غير انه بالنظر الى ان جميع البلدان العربية المتحالفة هي أقطار ذات سيادة وأعضاء في الأمم المتحدة، والتطورات الدولية التي من أهمها وقوف الاتحاد السوفيتي على رأس المعسكر الاشتراكي الجبار، فإن التدخل المسلح المباشر يصبح مهمة في غاية الصعوبة على المستعمرين، ولكن رغم ذلك، فان خطر احتلال البلدان العربية بالجيوش الأجنبية أو على الأقل إنزال جيوش أجنبية في مواقع معينة منها لا يزال في مركز اهتمام الدوائر الاستعمارية، وقد بدا ذلك جلياً عندما استعملت مصر حقها في تأميم قناة السويس. لذلك فان خطراً جدياً يكمن في احتمال لجوء إسرائيل الى القيام باستفزاز مسلح واسع على الحدود العربية واتخاذ ذلك ذريعة لإرسال الجيوش الأجنبية الى الشرق الأدنى، بقصد الاعتداء على سيادة البلدان العربية وتهديم تحالفها، أو على الأقل تشديد الضغط عليها لحملها على الرضوخ والانضمام الى حلف بغداد⁸⁷.

في 1956/11/29، بدأ العدوان الثلاثي "البريطاني - الفرنسي - الإسرائيلي" على مصر، وفي اليوم التالي تحرك الشعب العراقي معلناً تضامنه مع مصر مطالباً بالوقوف بحزم بجانب مصر وطوال الأشهر الثلاثة التي أعقبت العدوان على مصر شملت العراق موجة من المظاهرات والإضرابات وأعمال الاحتجاج والاصطدامات العنيفة⁸⁸

85 - المصدر السابق.

86 - الوثيقة الصادرة عن الكونغرس الثاني للحزب الشيوعي العراقي المنعقد في شهر أيلول "سبتمبر" عام 1956 ص 27 و28.

87 - المصدر السابق.

88 - كراس (انتفاضة 1956 ومهامنا في الظرف الراهن) الصادر في الأول من أيار "مايو" 1957. من منشورات الحزب الشيوعي العراقي موقع باسم المكتب السياسي للحزب.

ولقد حددت وثيقة الحزب الشيوعي المعنونة بـ "انتفاضة 1956 ومهامنا في الظرف الراهن" في صفحتها الثامنة المحتوى العميق للانتفاضة كما يلي:

1 - ترتبط الحركة الوطنية في العراق ارتباطاً عضوياً بحركة الأمة العربية من أجل التحرر والوحدة فهي تتأثر وتتأثر فيها إيجاباً وسلباً وبالرغم من كل الجهود التي بذلت ولا تزال تبذل من جانب الاستعمار وأعوانه لعزل العراق من حضيرة التحالف العربي".

2 - لذلك كانت البلدان العربية المنحرفة على حق عندما لم تكثف برفض الانضمام إلى حلف بغداد وإنما شنت نضالاً حازماً لإخراج العراق من هذا الحلف وضمه إلى الأسرة العربية فوجود العراق ضمن الأسرة العربية وهو البلد العربي القوي بشعبه والغني بثرواته وموارده، وهو مصدر قوة كبيرة لحركة التحرر العربية... أن وجود العراق في حلف بغداد قد جعل منه مركز عدوان وتآمر على الأمة العربية".

3 - فإذا كان الشعب العراقي يسعى ويكافح للخروج من حلف بغداد والانضمام إلى الأسرة العربية المتحالفة بوجه الاستعمار، وإذا كانت الشعوب العربية الشقيقة تعمل للقضاء على هذا الحلف وتمديد المؤازرة للشعب العراقي وتتنظر بطموح وأمل إلى الساعة التي سينطلق فيها العراق من أسر عبوديته ويعود إلى حظيرة التضامن العربي فليس هذا إلا تأكيداً لذلك الترابط التاريخي بين الحركة الوطنية في العراق والحركة التحررية العربية".

"ولذلك كان الشعار الرئيسي للانتفاضة الشعبية الأخيرة هو الانتصار لمصر وللسياسة العربية التحررية التي تقودها مصر وذلك عن طريق دحر ميثاق بغداد وسياسة بغداد عدوة مصر والعرب أجمعين"⁸⁹

أن حركة العرب التحررية تعني النضال ضد السيطرة الاستعمارية بكل أشكالها ومظاهرها... وطبيعي أن سير الحركة العربية في هذا الطريق يعني منازلة الاستعمار في أخطر ميادينها، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار جسامة الثروات الطبيعية في بلادنا العربية ومنها البترول الذي هو في الواقع عنصر الحياة الرئيسي لعدد من الدول الاستعمارية وإذا أخذنا بنظر الاعتبار كذلك موقع بلادنا الاستراتيجي الفريد"⁹⁰.

89 - المصدر السابق ص 9.

90 - المصدر السابق ص 10.

تطورات الأحداث قبيل وخلال انتفاضة تشرين عام 1956

23

رأينا كيف أشارت وثيقة الكونفرنس الثاني للحزب الشيوعي العراقي "ان الاستعماريين وحلفاءهم في الداخل، لن يخلوا مواقعهم بسهولة"⁹¹.

فلنرى كيف جرت الأحداث:

كان موعد انعقاد مؤتمر لندن يوم 16 من شهر آب "أغسطس" عام 1956، وهو اجتماع قمة لزعماء أمريكا وبريطانيا وفرنسا وغيرهم، هدف الى وضع خطط للرد على خطوة مصر تأميم قناة السويس، لكن مصر أعلنت أنها لن تتراجع عن التأميم وسترد على أي عدوان وتذود عن سيادتها وحريتها، فحصلت بهذا الموقف على تضامن جميع الشعوب العربية والأكثرية الغالبة من رؤساء وملوك الدول العربية وتحول يوم السادس عشر من شهر آب "أغسطس" الى (يوم تضامن مع مصر في أرجاء الوطن العربي).

فأصدر الحزب الشيوعي العراقي بيانا في يوم 1956/8/13 تحت عنوان⁹² "الحزب الشيوعي العراقي يدعو الى الإضراب العام تضامنا مع الشعوب العربية لنصرة مصر"

وفي يوم 16 آب أضربت بغداد والموصل والرمادي والحي والحلة وجملة مدن أخرى.

وقد دعا للإضراب حزب المؤتمر الوطني والحزب الشيوعي وحزب البعث، ودعوا كذلك الى القيام بمظاهرة رفعت الاعلام العربية وشعارات الوحدة والتضامن، ولكن الشرطة أمطرتها بالرصاص واعتقلت أكثر من 20 متظاهرا وأسقطت الاعلام العربية التي رفعها المتظاهرون. وطوقت السفارة المصرية بالشرطة والجواسيس لملاحقة الوفود التي قصدتها للتأييد أو للتطوع وطلبت التحقيقات الجنائية من بعض الموقوفين شتم الرئيس جمال عبد الناصر وقادة السياسة العربية التحررية. فقد كانت الحكومة تدعم العدوان كما اشارت مذكرات كثير من ساسة تلك الفترة، وقد عكست وسائل الاعلام موقف التجاهل واللامبالاة، في حين قمعت الحكومة كل اساليب الاحتجاج بمنتهى القسوة.

وشمل الإضراب العام جميع المدن السورية والأردنية واندلعت فيها المظاهرات. وأضرب المصريون عن أعمالهم وتعطلت بذلك المطارات عن العمل. وأضربت المدن اللبنانية وسارت الجماهير في بيروت بمظاهرة كبرى توجهت الى ساحة

91 - الوثيقة الصادرة عن الكونفرنس الثاني للحزب الشيوعي العراقي ص 27.

92 - البيان موجز في الملاحق في نهاية الكتاب

البرلمان. وكان الإضراب شاملاً لجميع مدن قطاع غزة وليبيا والسودان. وأضربت جميع الهيئات السياسية والعمالية والتجارية في العاصمة المغربية الرباط. وشمل الإضراب جميع المدن التونسية. وشن ثوار الجزائر سبع هجمات على القوات الفرنسية المحتلة. وأضرِب الشعب العربي في البحرين وعدن والمحميات العربية، وقامت مظاهرات ضخمة في الكويت، ووضعت المملكة العربية السعودية عشرة ملايين دولار تحت تصرف الحكومة المصرية. وتظاهرت الجاليات العربية في بعض العواصم الأوروبية.

كتبت جريدة اتحاد الشعب⁹³ في شهر أيلول (سبتمبر) عام 1956 مقالا تحت عنوان "الاتحاد الوطني هو السبيل الوحيد لإحباط مؤامرات الاستعمار وعملائه" نص على ان:

ان نجاح الإضراب العام يوم 16 آب في بغداد والموصل والحي والشامية والرمادي وغيرها من المدن جاء مصداقا لصواب تأكيدات حزبنا على أهمية الاتحاد بالنسبة للقضايا الوطنية التي تجابه البلاد.

2 - وجاء مصداقا لتقديرات حزبنا بان ميزان القوى في اللحظة الراهنة هو الى جانب الحركة الوطنية إذا هي وحدث صفوفها.

3 - ان بعض القوى الوطنية بحاجة الى التعمق في تفهم المحتوى العربي والعالمي لحركتنا الوطنية، بحاجة الى ان تعين سياستها على أساس التطورات الجديدة، وان تستبعد نظرات الجمود والحذر والشكوكية إزاء بعضها البعض، وان تعالج مواقفها على أساس الشعور بالمسؤولية تجاه مصالح الوطن والشعب والعروبة.

وفي مقال آخر نشرته جريدة اتحاد الشعب لشهر أيلول (سبتمبر) عام 1956 تحت عنوان "غدر ونفاق" تعقيبا على بيان الحكومة وموقفها من مصر، طالب الحكومة بـ:

- 1 - الانسحاب من ميثاق بغداد هو إخلاص حقيقي لقضية العروبة.
- 2 - وقف الإرهاب وإطلاق طاقة الشعب لنصرة مصر.
- 3 - التخلي عن محالفة الدول الاستعمارية وعقد الموائيق الثنائية مع الدول العربية هو عمل مخلص من أجل وحدة العرب.
- 4 - ان تهديد المستعمرين بقطع النفط عنهم والسماح للشعب بتأليف (منظمات المقاومة الشعبية) هو نصرة حقيقية لمصر.
- 5 - الخروج من منطقة الإسترليني واسترداد أثمان سندات الخزينة البريطانية وسحب الأرصدة والودائع وغطاء العملة.
- 6- إنذار الدول الاستعمارية بتصفية معاملاتها ومؤسساتها وشركاتها وطردها

⁹³ -جريدة الحزب الشيوعي العراقي السرية انذاك.

خبرائها هو موقف وطني يخدم العراق ويخدم مصر.

أما رد فعل النظام الملكي السعدي على نجاح الإضراب العام فقد تجلّى في تعامله اللاحق مع إضراب القصابين في الموصل وجعل من ذلك الإضراب ذريعة لإصدار مرسوم الطوارئ رقم (1) لسنة 1956، حيث استخدم المرسوم لضرب انتفاضة الشعب ضد العدوان الثلاثي في شهر تشرين "نوفمبر" عام 1956، إضافة إلى استخدامه ضد القصابين.

إن مرسوم الطوارئ خول رئيس الوزراء ومجلس الوزراء إعلان حالة الطوارئ في أي منطقة يستشعرون فيها مصدرًا للخطر، وعن هذا الطريق يراقبون الرسائل والصحافة ويمنعون الاجتماعات ويراقبون السفر ويعتقلون الأشخاص ليقدموهم إلى المحاكم الخاصة في مناطق الطوارئ. ولا تميز أحكام المحاكم الخاصة إلا لدى محكمة تمييز خاصة. وكان مرسوم الطوارئ إجراء احترازيًا ضد تعبير الشعب عن إرادته من إضرابات واحتجاجات ومظاهرات. وقد نشر هذا المرسوم المرحوم عبد الرزاق الحسني في كتابه تاريخ الوزارات الجزء العاشر (ص 33 - 36) ومنشور أيضًا في جريدة الوقائع العراقية الرسمية العدد 3863 بتاريخ 1956/9/10.

وجاء في مذكرات كامل الجادرجي تحت عنوان المؤتمرات الخارجية (ص 647):

"تميز عام 1956 إلى جانب النشاطات الداخلية التي ذكرناها، بنشاط أعضاء من الحزب الوطني الديمقراطي خارج العراق إلى جانب الوطنيين العراقيين الآخرين. فقد شارك هؤلاء ومن بينهم كامل الجادرجي وحسين جميل وهديب الحاج حمود، في المؤتمرات العربية والعامة التي عقدت في البلدان العربية لمكافحة الاستعمار في ذلك الوقت، مثل المؤتمر العربي في دمشق في أيلول "سبتمبر" 1956 وحضره عن العراق، كامل الجادرجي، محمد مهدي كبة، صديق شنشل، عبد الجبار الجومرد، محمد الصواف وجميل كبة".

وقد اشترك الجادرجي بعد ذلك في الهيئة التي انبثقت عن المؤتمر "لجنة الاتصال للمؤتمر الشعبي العربي" وكان في القاهرة عند وقوع العدوان الثلاثي في 29 تشرين الأول "أكتوبر" 1956، فأرسل برقية باسم لجنة الاتصال للمؤتمر الشعبي العربي إلى مجلس الأعيان العراقي في 14/11/1956، يطالب فيها "بإنزال العقوبة في حق المتآمرين الذين ارتكبوا الخيانة العظمى بالسماح للبترول العربي في العراق أن يتدفق إلى حيفا لتستخدمه إسرائيل والإنكليز والفرنسيون للقضاء على الأمة العربية". وعند عودة الأستاذ الجادرجي في أواخر شهر تشرين الثاني (نوفمبر) إلى بغداد، أوقف ثم حوكم أمام المجلس العرفي العسكري وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات وصدر الحكم في 1956/11/29.

عندما بدأ العدوان الثلاثي على مصر في 1956/10/29، اجتمع ممثلو الأحزاب الوطنية الأربعة، الحزب الوطني الديمقراطي والحزب الشيوعي العراقي وحزب

الاستقلال وحزب البعث وبعض الديمقراطيين المستقلين، وتدارسوا الموقف واتخذوا قرارات مهمة مثل استمرار الاجتماعات المشتركة وتأليف قيادة ميدانية مشتركة للمظاهرات. ولكن السلطات ألقت القبض على القيادة الميدانية التي تشكلت من ممثلي الأحزاب المذكورة في مساء اليوم ذاته، وتم اعتقال عدد كبير من قادة الأحزاب، وآخرين من الأحزاب الأخرى.

ولكن الإضرابات انتشرت في المعامل والمدارس والكليات وفي المدن العراقية المختلفة وقامت (200) مظاهرة في ثلاثين مدينة رافقتها الإضرابات. وكان الشيوعيون في طليعة كل إضراب أو اعتصام أو عمل احتجاجي. وراحت قيادة الحزب ترقب تطور الأحداث بحرص وتعمل بسرعة وتراقب استعداد الجماهير لخوض المعركة السياسية بغية تطوير مساهمتها وتوسيع وتقوية زخمها. ولجأ الحزب إلى تكتيك تأليب الشعور العام ومحاولة تحويل التجمعات الشعبية إلى مظاهرات، وزج لهذا الغرض بخيرة كوادر وأعضاء الحزب بغية شحذ جذوة الشعور الوطني واجتذاب الجماهير إلى العمل.

وكانت الوزارة السعيدية تخشى كل مظاهرة تقوم في العراق انتصاراً لمصر. وقد أصدرت أوامرها إلى قوات الأمن بوجوب قمع أي حركة من هذا القبيل واستخدمت الشرطة الرصاص بعد الهتاف الأول للمتظاهرين ونزول طلائع المظاهرة إلى الشارع.

وفي صباح اليوم الأول للانتفاضة ذهب إلى بيت جمال الحيدري الذي كان مسؤولاً عن لجنة بغداد آنذاك، بطلب من سلام عادل لتبليغه رسالة. رأيت جمال وقد كان لتوه قادماً من الأشراف على مظاهرات بغداد. وكان في بيت الصفار⁹⁴ حيث بدأ الرفيق عواد الصفار بتناول طعام الغداء مع أهله.

طلب الرفيق جمال الحيدري مني ومن عواد الذهاب فوراً إلى باب المعظم لدعوة الجماهير المتجمعة في المنطقة المحيطة بكلية الآداب ودعوتها لاحتحام الكلية وإذا لم نفلح في ذلك فعلى أحدنا (عواد أو أنا) التسلل إلى داخل الكلية من باب خلفي عسى أن نتمكن من تبليغ عضو اللجنة المركزية محمد صالح العبلي الذي كان في داخل الكلية للخروج مع الجماهير المعتصمة فيها إلى الشارع وقيادة المظاهرات.

خرجت مع عواد واخته رضية وذهبنا إلى التجمع أمام كلية الآداب وعند ذلك افترقنا، فاتجه عواد مع القائد الشيوعي صالح دكلة⁹⁵ الذي كان هناك وقادا المظاهرة التي اتجهت نحو شارع غازي (الكفاح حالياً)، رغم كثافة رصاص الشرطة.

94 - بيت الصفار: عائلة ثورية تضامنت مع ولدها الشهيد عواد الصفار، عندما احترق العمل الحزبي، فانتقلت معه إلى بغداد من النجف. وقد ساعدت والدته وأخواته في توفير البيوت الحزبية - حتى بعد استشهاد - وقد قدمت هذه العائلة مساعدات جمة للحزب، وعانت من الاعتقالات والتعذيب قبل وبعد ثورة تموز.

95 - صالح دكلة: كان آنذاك عضو لجنة بغداد، ثم أصبح عضواً في اللجنة المركزية.

ولما لم أستطع دخول الكلية لوجود عدد كبير من الشرطة، توجهت الى مجموعة أخرى من الناس لأحرضهم على الاشتراك في المظاهرة. انطلقت المجموعة التي كانت حولي باتجاه المظاهرة، التي على رأسها عواد الصفار وصالح دكلة. وقرب محطة بنزين الفضل انهال علينا الرصاص بكثافة. واستشهد الرفيق **عواد رضا الصفار** أحد قادة الانتفاضة وعضو لجنة بغداد للحزب، واختطفت الشرطة جثته. وأخبر صالح دكلة الحزب عن استشهاده.

يقول **عبد الرزاق الحسني**:

"وقد حدثت في مدينة النجف في الرابع والعشرين من تشرين الثاني 1956 حادثة تلفت الأنظار إذ بينما دق الجرس في (مدرسة الخورنق) استعدادا لدخول الطلبة الى صفوفهم وهم ينشدون الأناشيد الحماسية تأييدا لمصر العزيزة، حضر معاون الشرطة مع سيارة فيها رشاش واحتل المدرسة..."⁹⁶.

يستمر الحسني:

"جاء في افادة حاكم التحقيق:

...وكيفية ذلك ان المعاون وبمساعدة شرطته كسروا القفل ودخلوا المدرسة مسلحين بالهراوات والمسدسات، وكل واحد كان يحمل ثلاثة أشكال من السلاح، واخذوا يرمون الطلاب بالرصاص ويضربونهم بالخنجر والهراوات وتوفي الطالب عبد الحسين حفيد العالم المعروف سيد حسين الحماوي. وقتل طالب آخر في مدرسة (السدير) وخمسة من الأهليين في المدينة. فهاجت البلدة وماجت وأغلقت الحوانيت والمتاجر وحتى المخازن احتجاجا على هذا التحدي الصريح. واضرب العلماء عن أداء واجباتهم الدينية فلم يخرجوا لصلاة الجماعة، ولم يسمحوا لاحد من رجال الحكومة بالدخول الى منازلهم لتقديم الاعتذار عما حدث فاضطرت الحكومة الى نقل قوة الشرطة في النجف (وهي زهاء مائة شرطي) واستبدلتهم بقوات خاصة جاءت بها من أطراف الموصل وأوعزت الى الجيش ان يحتل المدينة للسيطرة على الوضع العام وما لبثت ان أصدرت هذا البيان الرسمي:

"حدثت في 24 من الشهر الجاري مظاهرة في النجف بتحريض فئة معينة اشترك فيها عدد من الطلاب والأهليين على نحو يخل بالأمن والسكينة العامة! فاضطرت قوات الأمن الى تفريقهم فأصيب عدد من أفراد الشرطة وبعض المتظاهرين بإصابات مختلفة توفى على أثرها مع الأسف اثنان وهما 1 - عبد الحسين الشيخ راضي 2 - احمد علي الدجيلي".

وبالرغم من ذلك لقد استمر الإضراب في النجف أسبوعا كاملا ديست خلاله كرامة الحكومة وانتهكت قوانينها ومزقت الأعلام التي كانت ترفرف على دوائرها فعمدت

⁹⁶ - عبد الرزاق الحسني - تاريخ الوزارات ج10 ص 104 - 106

السلطة الى القوة وأطلقت النار على بعض المتظاهرين في "مرقد الإمام علي" فقتل اثنان: عبد الأمير ناصر الصايغ وأموري بن علي القباخاني. فخرجت المدينة عن بكرة أبيها تريد انتزاع جثث القتلى من مستشفيات الحكومة لدفنها في احتفاء شعبي خاص بينما أصرت قوات الأمن على دفنهم من قبلها، الأمر الذي أدى الى مصادمات أخرى اضطر معها رجال الدين والمحامون الى توجيه برقيات استنكار الى الملك وهم: الشيخ محمد كاظم راضي، السيد محسن الحكيم، السيد علي بحر العلوم، وبرقية المحامين وقعها خمسة عشر محام.

وعن مظاهرات النجف، يتحدث **حسين سلطان** في حديث مسجل له، حيث كان وقت الانتفاضة مسؤولاً لمنظمة الحزب الشيوعي في المدينة:

"بعد حدوث العدوان الثلاثي الغاشم على مصر وتطبيقا لقرارات الكونغرس الثاني لحزبنا قررت اللجنة المحلية للنجف الاتصال بحزبي الاستقلال والبعث وكانت النجف تشكل أكبر مراكز نفوذ هذين الحزبين، وطرحنا عليهم المساهمة معنا للقيام بالمظاهرات الاحتجاجية ضد العدوان الثلاثي. وتقرر ان تبدأ المدارس الثانوية بالإضراب والخروج بمظاهرة، وتهيئ الجماهير لإسنادها وبالفعل نجحت المظاهرة الأولى المشتركة والتي سقط فيها قتيلان. وفي اليوم التالي ساهم رجال الدين في تشييع الجنازتين مما أعطى زخماً للانتفاضة وفي اليوم الثالث ولت الشرطة الأدبار وأخذت المظاهرات تدور في المدينة. وفي المساء وصل الى مدينة النجف عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي محمد صالح العلي حاملاً قرار المكتب السياسي للحزب بإيقاف التظاهر في النجف، ولما استأثرت اللجنة المحلية للحزب من القرار سألهم العلي: هل تستطيعون الاحتفاظ بالمدينة شهراً واحداً ريثما يتطور الأمر بالمدن الأخرى؟ فأجابوا: كلا. قال: إذن انسحبوا بعد هذا الانتصار الذي تحقق، لكي تبقى القوى الشعبية بمعنويات عالية، لأننا سوف نحتاجها في وقت قادم آخر. وأخبرهم العلي بما حدث في مدينة الحي وكيف استباحتها الشرطة وحوشية (أتباع) الإقطاعيين.

ثم ذهب مندوب عن لجنة الحزب الشيوعي في المدينة الى ممثلين عن فرعي حزب البعث وحزب الاستقلال وشرح لهم الحالة، لكنهم رفضوا اقتراح الحزب وأصروا على التظاهر في اليوم التالي.

وفعلاً خرجت مظاهرات الحزبين المذكورين في اليوم التالي، ولكن الشرطة استعادت مواقعها وسببت خسائر جديدة بين المتظاهرين. وهكذا انتهت انتفاضة النجف وهي أول فعالية مشتركة للأحزاب الوطنية الثلاث في تلك المدينة.

وتسبب الخلاف الذي حصل حول إيقاف التظاهر ورجوع الشرطة الى مواقعها وضرب المظاهرة، بان تظهر الحكومة وكأنها هي التي أوقفت المظاهرات بالقمع بينما لو تمَّ الاتفاق على الانسحاب لكان ذلك ربما أفضل "

كتب الحسني:

"لم تكذ أنباء إضراب ومظاهرات النجف تصل الى بغداد حتى عمت العاصمة موجة من العنف، فقد اضرب الناس عن فتح حوانيتهم وتعطلت حركة السوق وأغلقت المطاعم والصيدليات، فصدر بيان قائد القوات العسكرية في بغداد في 1956/11/28 الذي نص على:

(في الوقت الذي تمر فيه البلاد بظروف دقيقة تتطلب منا توحيد الجهود وتضافرها لضمان نصره القضية العربية! تسعى بعض الفئات من حملة المبادئ الهدامة التي ما انفكت تعرقل الجهود! وعليه نحذر أفراد الشعب أرباب المهن واصحاب المحلات التجارية وغيرها بأنهم سيعرضون أنفسهم الى نفس العقوبات في حالة استجابتهم لتلك التحريضات المقصود منها خلق الفوضى بإغلاق محلاتهم التجارية وغيرها أو ان يتقاعسوا عن الأخبار عن المحرضين... الخ).

ومضت الحكومة فأوعزت الى رؤساء الوحدات الإدارية ان يحملوا رؤساء العشائر على إرسال برقيات يؤيدون فيها سياسة الحكومة إزاء المشاغبين والهدامين.. وإذا بعدد كبير من الكلاب السائبة تنطلق الى الشوارع العامة وعليها ثيابا بيضاء كتب عليها بالحبر الأحمر (أنا وعشيرتي نؤيد سياستكم الرشيدة)⁹⁷.

وقد سرت موجة الإضرابات والمظاهرات الى الألوية الشمالية، كركوك، واربيل، والسليمانية، والموصل.

أصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي بيانا في 1956/12/11 جاء فيه: "ان مسألة العنف هي بالنسبة لنا مسألة يقررها سلوك الخصم عندما لا يريد ان ينزل على إرادة الشعب. فبالرغم من ان شعبنا قد عبر عن هذه الإرادة بأساليب سلمية مختلفة، سواء بذكرات الاحتجاج التي قدمتها الهيئات الوطنية أو بالذكرات الجماهيرية أو بالإضرابات العامة واخيرا بموجة الإضرابات والمظاهرات التي شملت جميع مدن العراق، فان العدو لم ينكص على عقبيه ولم تجد هذه الأساليب في زحزحته عن مواقعه وانما على العكس قد استفزت هذه الأساليب عدوانيته وشراسته، فكان رد الفعل قويا جدا ومتناسبا مع تمسك الاستعمار بسياسته ومصالحه... وهكذا تصاعد تيار الإرهاب الى درجة لم يسبق لها مثيل في البلاد وفرضوا على الشعب معركة دموية رهيبة لإبقائه مصفدا بأغلال حلف بغداد وبضروب الاستغلال الاستعماري ولكبح نضاله المشروع للتظاهر مع الأقطار العربية في معركة الحرية والشرف...".

ودعت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي في بيانها هذا الى "تطوير أساليب الكفاح والتنظيم ورفعها الى درجة أكثر حزما وفعالية لمواجهة الأساليب العنيفة التي شرع العدو يستخدمها دون تردد أو هوادة، بأساليب فعالة ومؤثرة" ودعت

97 - المصدر السابق ص 105 و106.

في ختام بيانها الى اليقظة وشحذ العزائم ومضاعفة الجهود والتأهب لهجوم حاسم للقضاء على بؤرة الدس والتأمر والعدوان في بلادنا العربية.

وأظهر أبناء مدينة الحي استعدادا للعصيان المسلح وتطوير أساليب الكفاح ضد النظام الملكي القائم في منتصف شهر كانون الأول "ديسمبر" عام 1956، وكانت انتفاضة الحي نموذجاً لبطولات شعب صمم على الانتصار. وقبل ان نصف مجريات هذه الانتفاضة، نتقصى ما قاله عدد من المشاركين في قيادتها عن طبيعة عمل الحزب في الفترة التي سبقت العدوان الثلاثي وفي انتفاضة عام 1956.

يقول **باقر إبراهيم** العضو السابق للمكتب السياسي في مقابلة مسجلة معه عام 1984:

"كنت آنذاك سكرتيراً للجنة المحلية للحزب الشيوعي في لواء الحلة والتي تتكون من كادر جيد لا بأس به، بينهم العمال والفلاحون والكوادر الحزبية المحترفة ورفاق من أبناء المدن. وساهمت محلية الحلة، والتي كانت تابعة لها أيضاً منظمات واسعة تشمل بعض نواحي الديوانية وريف الكوفة وريف بغداد والمحمودية وكان يرتبط بنا حتى ريف الكوت. وساهمت المنظمة بنشاط في انتفاضة 1956، كما ساهمت في الانتفاضة القوى الوطنية الأخرى ممثلة بالحزب الوطني الديمقراطي ومن شخصياتها البارزة النائب عن الحلة مصطفى النائب وشارك أيضاً حزب البعث وبعض الفئات والأحزاب القومية الأخرى وعناصر وطنية مستقلة مؤثرة وحركة السلم وشخصيتها البارزة الشيخ عبد الكريم الماشطة الذي كان له نفوذ واسع في المدينة كلهم قد شاركوا في الانتفاضة أيضاً.

عندما خرجت من السجن في عام 1955، حولني الحزب الى كادر محترف لقيادة محلية الحلة، في البداية عضواً في المحلية بعدها عملت في سكرتارياتها. وفي هذه الفترة، فترة النشاط الجماهيري وبروز دور الحركة الوطنية فان نشاط الحزب كان يقتصر بتوجيهات ومبادرات قيادة الحزب التي كان على رأسها سلام عادل... لقد التقيت لأول مرة بسلام عادل في كونفرنس الفرات الأوسط الذي عقد لمناقشة قرارات الكونفرنس الثاني لحزبنا الشيوعي، وعقد الكونفرنس ربما في بداية تشرين الأول 1956، وضم رفاقاً من جميع كوادر المنطقة وكانت نسبة التمثيل جيدة من مدن الحلة والكوفة والسماوة ومن الديوانية والنجف ومن مدن كثيرة أخرى. طبعاً فيهم العمال وبينهم الفلاحون والكسبة والكوادر الحزبية المحترفة القديمة وكذلك الشابة الجيدة... وبالطبع، من خلال ممارستي وتتبعي لأفكار سلام عادل ودوره سواء في الكونفرنس الثاني أيلول 1956، أو فيما بعد، عند شرح هذه القرارات، سواء في كونفرنس الفرات أو خارجه، أو في المقالات في الصحافة الحزبية أو في اللقاءات الأخرى التي أعقبت ذلك، أستطيع ان أؤكد بان دور الرفيق سلام عادل هو الدور المبادر المؤثر والنشط في صياغة هذه القرارات، وفي بلورتها وفي اغنائها وفي تطويرها فيما بعد".

وفي مقابلة مسجلة مع **عامر عبد الله** في شهر آذار "مارس" عام 1983 أوضح:

"يمكن القول ان حجم الحزب في ذلك الوقت في فترة (1955-1956) لم يكن كبيراً ولكنه كان مثل السهم المنطلق، وهامش الحزب المحيط به كبيراً جداً. والحزب حقاً على صغره كان موجوداً في كل مكان، فهو موجود في الشارع، موجود في المصنع، موجود في المزرعة، موجود في المدينة موجود في القرية وفي الريف وفي كل مكان... إنني اعتبر أيضاً ان ما تم أثناء كونفرنس الحزب الثاني عام 1956 عمل جليل، لماذا؟ كان فيه توجه جماهيري كامل، فيه فصل محدد عن الجبهة الوطنية هذا كان الاتجاه، ولكن بنفس الوقت كان هناك فصل مكرس لحياة الحزب الداخلية وتثبيت الشرعية داخل الحزب. وأضرب مثلاً في دور الحزب أثناء العدوان على مصر، والذي حدث بعيد انعقاد الكونفرنس الثاني، وجبهة الاتحاد الوطني لم تكن قائمة في ذلك الوقت ولكن الحوار كان موجوداً، صدقاً أن الحزب الشيوعي، وليس كما تدعي بعض الأحزاب، كان هو المنظم الأساسي لجميع الفعاليات لنصرة مصر في ذلك الوقت، فكيف تتصور بان حزباً بهذا العدد الصغير من الأعضاء ولكن المليئين بالأمال والنشاط والتفاني قد استطاعوا ان ينظموا أثناء العدوان على مصر وطوال بضعة اشهر حتى أوائل 1957، المظاهرات في مختلف أنحاء العراق وفي ذات الوقت استطعنا ان نطبع ونوزع من المنشورات ما يعادل حوالي نصف مليون منشور. وكنا مكرسين كلياً لذلك نهى المنشورات، واذكر تماماً كيف ان الشهيد العبلي كان يأخذها بنفسه على دراجته الى المطبعة السرية ويعود محملاً بها ليجري توزيعها فوراً... وفي الحقيقة فان كل المسؤولين وسلام عادل كانوا شباباً في ذلك الوقت، فقد كانت انطلاقة في حياة الحزب. فبعد استشهاد الرفيق فهد والرفاق الخالدين الآخرين جاءت قيادات شابة وجريئة وأخذت على عاتقها المسؤولية، ولكن ما حدث أبان قيادة سلام عادل حدثت انطلاقة على المحاور الأساسية للحزب، (قلب الفئة الحاكمة وفك جميع الروابط بالاستعمار وتحقيق الاستقلال الناجز والسيادة الوطنية)، وكانت هذه الأهداف في حينها تبدو وكأنها شيء من الحلم، ولكن كانت هناك عزيمة صادقة وجدية مستحوذة على نفوس الجميع"⁹⁸.

من كراس سلام عادل

جاء في رسالة لأحد رفاقه:

كان سلام عادل على صراحته وحزمه، في الدفاع عن المبادئ ومصالح الحزب، ذا قلب عطوف، يتفقد شؤون رفاقه في النضال... يحبهم ويحترمهم... دون ان يضع أي حاجز بينه وبين أي رفيق من رفاق الحزب... لذلك احبه الجميع، وفتحوا له قلوبهم، يبادلونه افراحهم وآلامهم... ويشركونه في حل مشاكلهم الخاصة.

98 - جميع المقابلات مع الرفاق، المشار إليها، قام باجرائها وتسجيلها الرفيق سعد عزام لغرض إخراج فلم عن سيرة "سلام عادل" باستثناء المقابلات مع الرفيقين حسين سلطان وثابت حبيب التي أجريتها وسجلتها بنفسه وأنزلها على الورق الرفيق سعد عزام.

وقال أحد الرفاق:

في أواخر تموز 1958، أطلق سراحى، مع عدد من رفاقي المسجونين، فتوجهت الى بغداد، فالتقيت في نفس اليوم، ولأول مرة، بشاب اسمر طويل القامة نحيفها، يطفح البشر والمرح من وجهه، انسان بسيط متواضع، تعكس كل كلمة من كلماته، الثقة المتناهية بالحزب الشيوعي العراقي، والطبقة العاملة والشعب، هادئ متزن، قليل الكلام، تتخلل أحاديثه النكات اللطيفة يؤثر على سامعيه بما يتفوه به، فتزيد فيهم الثقة بالحزب والحماس في النضال... شاب يرغمك، بهدوئه واحترامه اياك، على ان تحترمه... انه حسين الرضي.

كتبت جريدة اتحاد الشعب السرية في العدد الأول عام 1956 وبعد وحدة الحزب: "لقد تعلمت جماهير الحي دروساً كثيرة من تجاربها الخاصة، فراحت تتكثّل وتقسد على الإقطاع صولته وطغيانه، وإزاء ذلك شدد سيف الإرهاب على المدينة غير أن ذلك لم يعد بأية نتيجة على مدبريه وإنما كان عاملاً على تصليب الجماهير ورفع وعيها وحماسها ورص صفوفها بعزيمة أكبر. وهكذا وجدت الحركة الوطنية في الحي قلعة حصينة من قلاع الكفاح الوطني ضد الاستعمار والإقطاع وحلف بغداد وطغمة نوري السعيد".

تقول سعاد خيري:

"هبت جماهير الحي الباسلة تشارك شعبنا مظاهراته وإضراباته. غير أن الحكومة ومعها الإقطاعيون من آل ياسين كانوا يتحينون الفرص لضرب المدينة والانتقام منها فعمدت الحكومة إلى خطف بعض الوطنيين واعتقال البعض الآخر عند سفرهم خارج المدينة".⁹⁹

وفي ليلة 16-17/12/1956، استقدمت إلى المدينة تحت جنح الظلام قوات إضافية من الشرطة، كما تدفق إليها (حوشية) الإقطاعيين واشتركوا معاً في كل الأعمال الشرسة تجاه أهالي المدينة من النساء والرجال والأطفال. وبدأت الشرطة تحرشاتها بالأهالي في الساعة الواحدة بعد منتصف تلك الليلة، فراحت تنتهك حرّامات المنازل وتعتقل وتعتدي موجهة مختلف أنواع الإهانات والشتم إلى ساكنيها وهاجمت بيتاً يسكنه عضو بارز في الحزب الشيوعي مستعملة الرشاشات لفتح بابها، فاستيقظ سكان المحلة وهالهم هذا الاستهتار فهجموا على الشرطة التي لاذت بالفرار. وفي صباح 12/17 أعلنت المدينة الإضراب العام الذي دام حتى الساعة العاشرة قبل الظهر معربة فيه عن تضامنها مع الشعوب العربية وعن احتجاجها على محاكمة القادة الوطنيين العراقيين، كامل الجادرجي، رئيس الحزب الوطني الديمقراطي، ومحمد مهدي كبة رئيس حزب الاستقلال، من قبل حكومة نوري السعيد.

احتلت الشرطة سوق مدينة الحي ومناطقها المهمة الأخرى منذ الفجر وشرعت ترغم الأهالي على فتح حوانيتهم، لكنها أخفقت في ذلك، فدفعها إخفاقها إلى القيام بحملة واسعة من الاعتقالات بعد انتهاء الإضراب، مما أدى إلى معاودة الإضراب العام في المدينة احتجاجاً على فظاظة الشرطة وإرهابها واعتقالاتها.

هاجمت الشرطة أحد أعضاء الحزب الشيوعي بالرصاص لاعتقاله، فاضطر دفاعاً

⁹⁹ - سعاد خيري - من تاريخ الثورة المعاصرة في العراق ص 290.

عن نفسه الى مقاومة الشرطة المهاجمة بمساندة أبناء المدينة الذين هبوا لنجدته. وبعد معركة دامت أكثر من 15 دقيقة جرح فيها أحد المهاجمين فرت الشرطة. فانطلقت الجماهير في مظاهرة صاخبة متواصلة دامت الى ما بعد الساعة الثامنة مساء وحاولت الشرطة تفريقها بالرصاص، لكن المتظاهرين أرغموها على الفرار.

ظلت المدينة ساهرة تلك الليلة حتى الصباح ونظمت فيها فرق للحراسة. وفي صباح اليوم التالي وجد الناس ان قوات كبيرة من الشرطة تطوق المدينة ومعها ستة مدافع ورشاشات وكميات كبيرة من العتاد والسيارات المسلحة وسيارات الإسعاف وأقامت المتاريس والاستحكامات.

أرسل متصرف (محافظ) اللواء ومدير الشرطة في طلب عدد من وجوه المدينة في حوالي الساعة التاسعة والنصف من صباح يوم 12/18 للتفاوض معهم. وفي نحو العاشرة والرابع من صباح اليوم نفسه عاد الوفد يحمل إنذار الحكومة، بوجوب تسليم 40 شخصا من أبنائها في موعد أقصاه الساعة الحادية عشرة قبل الظهر وعدم التعرض للشرطة التي ستدخل الى سوق المدينة وترابط فيه لتعتقل من تريد وإلا فانه (المتصرف) سيأمر بقصف المدينة.

ولم يشخص المتصرف من هم الأربعون شخصا المطلوبون للاعتقال واكتفى بالقول (ان المدينة تعرفهم) قاصدا قادة النضال من شيوعيين وديمقراطيين... وبعد ذلك جددت المدينة إضرابها مجددا مطالبة بإطلاق سراح المعتقلين من أبنائها الذين اضربوا مثلهم مثل مائة مليون مضرب في البلدان العربية. مطالبين بأن تكف الشرطة عن إرهابها واستهتارها بحياة المواطنين.

وعند الضحى حيث كان لا يزال الوفد عند المتصرف، جاء رجل ليبلغ الأهالي بان المعتقلين سيطلق سراحهم، فاستبشرت المدينة بعد ظهور أربعة من المعتقلين وبدأ أصحاب المحلات بفتح أبواب محلاتهم. ولكن الظاهر ان الأمر كان خدعة بهدف تخدير يقظة الجماهير، وإخفاء نية الحكومة بالعدوان. فقد بلغ عدد الشرطة التي واصلت الحكومة إرسالها الى الحي 1500 شرطي مع قادتهم من الضباط، مطوقة المدينة وسيطرت على منازلها وعزلتها عما حولها ومنعت الدخول والخروج منها واحتلت أبنية دائرة إسالة الماء والكهرباء. فتحفرت الجماهير للدفاع عن نفسها. وحوالي الظهرية زحفت الشرطة من كل جانب لاحتلال مدينة الحي وهي تطلق سيلا من الرصاص وأطلقت المدفعية ثمانى قذائف.

وقد جوبهت قوات الشرطة بمقاومة باسلة أرغمتها على التراجع، لكنها عاودت هجماتها والمقاومون البواسل يردّون عليها محاطين بأبناء المدينة المحاصرة طوال النهار والليل. واستعملت الشرطة القنابل المضينة لتكشف مراكز المقاومة فتمكنت من احتلال الدور وأحاطت مناطق المقاومة وراحت تصلّيها بالنيران.

كانت الجماهير تقاوم بعزيمة وصمود وضرب العديد من الرجال والنساء، بل

وحتى الأطفال أروع آيات الفداء والبطولة، وفي إحدى مراكز المقاومة لم يبق من المقاومين الا امرأة أبت الاستسلام للشرطة التي حاصرتها، فواصلت مقاومتها برميهم بالحجارة، واخيرا أصابتها صلية رشاش فصرعتها وتركها تتخبط في بركة من دماؤها، وقبيل الفجر وجد المقاومون أنفسهم تحت النيران مباشرة، فأدركوا انهم غير قادرين على الاستمرار في المقاومة.

انطلقت الشرطة في المدينة بعدها تهاجم البيوت وتعتقل الناس حتى بلغ عدد المعتقلين ألفي مواطن وجرى نهب البيوت، ثم رابطت في الشوارع والسوق وعلى سطوح المنازل وفنشت جميع البيوت بدون استثناء وحفر رجال الشرطة أرضها وهدموا جدرانها وسقوفها يفتشون عن مخازن السلاح! وشملت الاعتقالات النساء والأطفال وعذب المعتقلون حتى ان طفلا في الثامنة من عمره عذب يومين متتاليين. ودخلت الشرطة على الشهيد حميد فرحان حنون وكان مصابا بجراح قاتلة فضربه معاون الشرطة وداس على رأسه حتى لفظ أنفاسه.

وهكذا استباحوا مدينة الحي. وقد عرف من الشهداء، حميد فرحان حنون، كاظم عبد الصايغ وزكية زوجة راضي شويلية.

وراح المجلس العرفي يصدر أحكاما انتقامية، فحكم على 16 مواطنا بالأشغال الشاقة لمدة 15 سنة وعلى ستة مواطنين لمدة عشر سنوات لكل منهم.

انتقل المجلس العسكري الى سجن الكوت في يوم 1956/12/28 لمواجهة البطلين الجماهيريين الشيوعيين علي الشيخ حمود وعطا مهدي الدباس وقد وضعا مسبقاً في غرفة الإعدام ومقيدان بالسلاسل الثقيلة، ولم يمنحا فرصة الدفاع عن نفسيهما. ثم أصدر المجلس العرفي العسكري حكم الإعدام بحقهما ولم يبلغا بذلك حتى فجر يوم 1956/12/29، وعندما بلغ مأمور السجن الشهيدين بفحوى الحكم عليهما. كان عطا مهدي الدباس يلفظ أنفاسه الأخيرة من نتيجة التعذيب الوحشي الذي تعرض له، لكنه اقتنيد الى المشنقة وعلق بها رغم أنه كان قد فارق الحياة. أما علي الشيخ حمود فقد أعدت له مشنقة في ساحة الصفا التي كانت تنطلق منها المظاهرات المنددة بالحكومة والمطالبة بسقوطها والواقعة وسط مدينة الحي البطلة. ووقف الشهيد علي الشيخ حمود قبل إعدامه موقفا بطوليا يليق بالشيوعيين الأبطال، فهتف للشعب والوطن.

وحينما وصلت أنباء الفظائع التي ارتكبتها الحكومة والإقطاعيون من شيوخ مدينة الحي، تظاهر أبناء مدن الكوت وكربلاء والنجف والحلة احتجاجا على ممارسات الحكومة القمعية وإرهاب الشرطة.

ومع ذلك تمكنت الحكومة العميلة للاستعمار من قمع انتفاضة الشعب العراقي تضامناً مع مصر والخروج من حلف بغداد بكل قسوة، حيث ذهب ضحية ذلك كوكبة من الشباب الوطنيين في مختلف مدن العراق وهم الشهداء:

عواد رضا الصفار ومحمد سلمان في بغداد، أحمد الدجيلي وعبد الحسين الشيخ

راضي وعبد الأمير القباخاني وعبد الأمير ناصر الصايغ وعبد الحسين الحمامي من النجف، حميد فرحان حنون وكاظم عبد الصايغ وزكية شويلية وعلي الشيخ حمود وعطا مهدي الدباس من الحي، لؤي توفيق ثابت من الموصل، ناجي نعمة السماوي الطالب في دار المعلمين العالية وغيرهم من الشهداء الذين استولت الشرطة على جثثهم.

كما ساقطت المجالس العرفية العسكرية التي تأسست بموجب مرسوم الطوارئ المئات من الوطنيين الى السجون والمعتقلات. وتعتبر الانتفاضة الباسلة في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام 1956 تمرينا أخيرا للشعب العراقي من أجل التخلص من حلف بغداد والطغمة الحاكمة التي أقرته.

واقراراً للحقائق حول انتفاضة عام 1956، سنتوقف عند بعض كتابات عدد من السياسيين العراقيين حولها، فقد كتب الدكتور فائق بطي في كتابه (الصحافة اليسارية في العراق) ص 124 و: 125

"أما انتفاضة 1956 في العراق، فأنها وإن لم تحقق هدفها المباشر في إسقاط نظام حكم نوري السعيد والخروج من ميثاق بغداد (الحلف العسكري) إلا أنها أدت الى النتائج الإيجابية التالية، كما أوردتها الحزب الشيوعي العراقي السري في معرض تقييمه الكامل للانتفاضة:

عززت شعور التضامن ووحدة المصير بين الشعب العراقي والشعوب العربية الأخرى، لعبت دوراً في إحباط تأمر نوري السعيد على سوريا، أيقظت وعي الجماهير أكثر على حقيقة الأهداف العدوانية لحلف بغداد ومدى خطورته على حركة التحرر العربي، جذبت الى ميدان النضال الوطني والقومي قوى وطنية جديدة، أفهمت الرأي العام العالمي ان السياسة العراقية آيلة الى السقوط وان حلف بغداد ومن ورائه السياسة الاستعمارية إنما يقوم على أساس متزعزع لا يلبث ان ينهار، ثقفت كل القوى والأحزاب الوطنية بنواقصها وأخطائها، وعززت الى حد كبير وحدة هذه القوى، وبددت الكثير من المفاهيم التي كانت تعرقل وحدتها وجعلتها اشد تماسكا وأكثر قدرة على العمل المشترك، وكشفت عن نقاط الضعف في الجبهة المعادية ومدى الضرر الذي يلحقه قطع النفط عن الدول الاستعمارية معززة شعبية شعار تأمين النفط".

وكتب الدكتور سامي خالد في مقالته الموسومة (الدور الطليعي للحزب الشيوعي العراقي في النضالات الوطنية 1934-1958) المنشورة في مجلة الثقافة الجديدة العدد الثامن الصادر في عام 1969 (ص 19 و 20) عن انتفاضة 1956 ما يلي:

"وفي تشرين الثاني هب شعب العراق مساندا مصر الباسلة في نضالها ضد العدوان الانكلو فرنسي الإسرائيلي الذي حدث في 10/29/1956 وطالب الشعب العراقي بسقوط الحكم الملكي في العراق وحلف بغداد وشملت التظاهرات (30) مدينة في العراق وانطلقت فيها (200) تظاهرة وفعالية جماهيرية استمرت شهرين.

واضطرت حكومة نوري السعيد الى إعلان الأحكام العرفية وغلق الكليات والمدارس. لقد كان الشيوعيون مثل كل مرة في الطليعة وأول شهيد للانتفاضة كان شيوياً وهو الشهيد عواد رضا الصفار. لقد كان من أبرز نتائج الانتفاضة كونها عززت وحدة القوى الوطنية ونبهتها الى أخطائها وضرورة وحدتها والتصاقها بال جماهير كما عززت التضامن الكفاحي بين الشعوب العربية وكشفت وعرت سياسة الحكومة العراقية، انه بحق التميرين الأخير لثورة تموز 1958".

وكتب إسماعيل العارف¹⁰⁰ في كتابه (أسرار ثورة تموز) ص 122 بصدد انتفاضة عام 1956:

"كان هذا¹⁰¹ موقف نوري السعيد لا الشعب العراقي الذي هب معلنا في مظاهرات صاخبة سخطه على الاعتداء الأثيم وطالبت جميع الفئات السياسية الوطنية بانسحاب العراق من حلف بغداد فوراً ومساعدة مصر بقطع النفط عن بريطانيا وتجميد مصالحها الاقتصادية وروابطها السياسية مع العراق. كما طالب الشعب بقطع العلاقات الدبلوماسية مع كل من بريطانيا وفرنسا. الا ان الحكومة العراقية اتخذت اشد الإجراءات التعسفية ضد الشعب العراقي فزجت الطلاب والسياسيين في السجون وعطلت المدارس والكليات وفصلت عددا كبيرا من الطلاب والأساتذة واحيل عدد كبير منهم ممن أسهم في المظاهرات الى المجالس العرفية التي أصدرت بحقهم مختلف الأحكام الجائرة".

يقول أحد الرفاق¹⁰²:

بدا وكأن الشعب وقد غلب على امره، واستحوذت على النفوس الخائرة مشاعر القنوط...قال لي الرفيق الشهيد، وكان كعادته رابط الجأش: لن تذهب دماء الشهداء هدرأ. لن نترك الجماهير فريسة لمشاعر الانخدال...كانت انتفاضة بطولية وتجربة ثورية فريدة رفعت نضال شعبنا الى مستوى جديد. هذا مالا تدركه الجماهير البسيطة...ينبغي ان نضع امامها وامام حزبنا خلاصة مرشدة لهذه التجربة.

وبمبادرة منه، قررت قيادة الحزب دراسة هذه الانتفاضة واستخلاص النتائج منها، وتخطيط سبيل الكفاح الثوري الجديد، والهام الجماهير بالنصر المحتم القريب. وانطلق الحزب يوثق روابطه بالشعب، ويوسع صلاته بالمنظمات الثورية في الجيش، ويعزز قواعده بين الجنود والضباط ويتوج مساعيه بتأسيس (جبهة الاتحاد الوطني).

ومثل ما جاء في تقديرات الحزب كانت انتفاضة 1956-1957 "التميرين الاخير

100 - اسماعيل العارف: احد العناصر العسكرية التي انضمت للضباط الاحرار ثم ابعد الى امريكا، عاد للعراق بعد مؤامرة الشواف وعين قائداً لاحدى الفرق العسكرية، ثم وزيراً. لعب دوراً غامضاً في انقلاب شباط. نشر كتابه هذا بعد انقلاب شباط بعدة سنوات.

101 - (هذا) المقصود به قمع الانتفاضة.

102 - كراس سلام عادل ص 26.

لثورتنا الوطنية الديمقراطية".

"ان الانتفاضة الوطنية (تشرين الأول "أكتوبر" - كانون الأول "ديسمبر") التي نهض بها الشعب العراقي إيفاء بواجباته القومية إزاء مصر العروبة ومن أجل تخليص بلادنا من كابوس الاستعمار وأحلافه وعملائه، وكذلك النتائج التي ترتبت عليها، أثارت كثيراً من الأسئلة في أذهان الوطنيين حزبيين ولا حزبيين"¹⁰³.

لذلك اهتمت قيادة الحزب الشيوعي اهتماماً استثنائياً بدراسة الانتفاضة واهتمت بالأوضاع الملموسة، للتوصل الى الاستنتاجات اللازمة لمعرفة طبيعة المعركة التحررية المقبلة ولوضع مهام الحركة الوطنية على أسس علمية.

كتب سلام عادل، استناداً الى نقاشات اجتماع اللجنة المركزية للحزب خلال شهر شباط "فبراير" عام 1957، وبعد المداولة مع قسم من كوادر الحزب، تقريراً بعنوان "انتفاضة 1956 ومهامنا في الظرف الراهن" في كراس في الأول من شهر أيار "مايو" عام 1957 صدر بتوقيع المكتب السياسي.

ونعرض في هذا الفصل مقاطع من هذا التقرير حول المسائل العقدية موضوع البحث في هذه الوثيقة والاستنتاجات اللاحقة التي تضمنتها، حيث أصبحت أساساً في تخطيط الحزب لنجاح ثورة 14 تموز عام 1958.

"قلنا ان انتفاضة 1956 قد وقعت في ظروف صراع حاسم بين الأمة العربية وحلفائها من جهة وبين الاستعمار من جهة أخرى. كما أنها تمت في ظروف محلية وعربية وعالمية وضعت الشعب العراقي وجهاً لوجه أمام مهمات النضال من أجل تحويل جذري للسياسة التي تدير شؤون البلاد"¹⁰⁴.

"ولم يكن صحيحاً ولا ممكناً تجزئة مطالب الشعب أو تلطيفها أو المساومة عليها. فلقد كان يكفي ان يرفع شعار الانتصار للعروبة أو مساندة مصر أو مجرد الهتاف بحياة جمال عبد الناصر لكي يفهم الخصم وتفهم الجماهير الواثبة ان المطالبة هنا إنما تنصب على ضرورة الاستجابة للمطالب الأساسية في التحرر الوطني والقومي. وكان يكفي رفع شعار إسقاط الحكومة ليفهم ان المقصود من ذلك هو الخروج من حلف بغداد وبالتالي الانضمام الى السياسة التحررية العربية."¹⁰⁵

ومن هنا كانت مقاومة الاستعمار وعملائه لانتفاضة الشعب الأخيرة بالغة الشدة والجنون ولم يبدِ العدو أبان هذه الانتفاضة وخلالها أي بادرة للمناورة أو التراجع كما

103 - جميع المقطعات الواردة في هذا الفصل هي من كراس "انتفاضة 1956 ومهامنا في الظرف الراهن" الصادر من المكتب السياسي في 1957/5/1.

104 - المصدر السابق (ص12).

105 - المصدر السابق (ص12).

فعل في وثبة كانون مثلاً.

عدم استطاعة الانتفاضة تحقيق اهدافها التحررية

"وفي وسط هذه الظروف المحفوفة بالصعاب انطلق الشعب في انتفاضته الأخيرة وقامت نضالات مختلفة في ما يقرب من ثلاثين مدينة من مدن العراق في إضرابات عامة وجزئية ومظاهرات تزيد على (المائتين) وفي صدامات أبدت فيها الجماهير بسالة فائقة بالإضافة الى النشاط السياسي المعارض واعمال الاحتجاج التي قام رجال الأحزاب والساسة المستقلون، وقد كسبت الانتفاضة مساندة معنوية كبيرة من الأقطار العربية بشعوبها وأحزابها وصحفها وإذاعاتها وهيئاتها الدينية والاجتماعية وحكوماتها المتحررة ولكن ذلك كله لم يؤد الى رجحان كفة الشعب المناضل ولم تستطع انتفاضته المجيدة ان تحقق أهدافها التحررية والسبب في ذلك إنها لم تجتذب الى المعركة القوى الرئيسية والحاسمة ونعني بها قوى العمال والفلاحين، كما لم تجتذب كذلك جماهير الشعب الكردي. فلو ان هذه القوى قد نزلت الى الساحة لرجح بالتأكيد ميزان القوى الى جانب الحركة الوطنية ولغلب العدو على أمره. ففيما عدا الحي البطلة والنجم والموصل والشامية وبعض النضالات في بغداد، كان الطلبة هم القوى الغالبة التي ساهمت في المعركة. وطبيعي ان لهذه الظاهرة أسبابها، ففي البلدان المستعمرة والتابعة ينبري الطلبة والمثقفون في كثير من الأحيان الى مقدمة الصفوف سيما في المعارك ذات الطابع السياسي التحرري باعتبارهم أقرب صلة الى الآخذ بأسباب المعرفة والاطلاع والتشرب بالوعي السياسي"¹⁰⁶.

"ان نضالات اقتصادية يشنها عشرات الألوف من العمال العراقيين في احتكارات النفط وغيرها من المؤسسات الأجنبية، حيث تصطدم هذه النضالات مباشرة بالسياسة الاستعمارية أو في المرافق والمؤسسات الحكومية كالسكك والميناء حيث تصطدم هذه النضالات مباشرة بالسياسة التي تحمي مصالح الاستعمار وتعادي الشعب، هي في كل وقت نضالات صحيحة وضرورية وذات تأثير سياسي مباشر ولا تتعارض مع مقتضيات ومصالح النضال التحرري وانما بالعكس تشكل جزءاً أساسياً منه وتساهم مساهمة فعالة في تعزيز فعاليته وقوته. ومثل ذلك ينطبق أيضاً على نضالات الفلاحين ضد مظالم الإقطاع الذي هو الدعامة القوية للسياسة الاستعمارية المفروضة على الشعب"¹⁰⁷.

"أما بالنسبة لضعف مساهمة الشعب الكردي في الانتفاضة الأخيرة فنشير الى ما يلي: من المعلوم ان حركتنا الوطنية لا تستطيع ان تحقق نصراً حاسماً دون اجتذاب جماهير الشعب الكردي الى ساحة الكفاح المشترك جنباً الى جنب مع جماهير الشعب العربي ضد الاستعمار وهنا هذه الحقيقة يجب ان تستوعب كاملة لا من قبل حزبنا

106 - المصدر السابق ص 18.

107 - المصدر السابق ص 26.

وحسب بل من قبل جميع أقسام حركتنا الوطنية والقومية وان استمرار عدم إعطاء هذه الحقيقة الكبرى أهميتها اللازمة من قبل بعض الأوساط العربية والكردية من شأنه ان يعرقل تعبئة الشعب في النضال العام ويسوق الحركة الى مزالق وانحرافات وربما الى خطر شق الصفوف مما يعادل تقديم أكبر خدمة لأعداء الشعب في سياستهم (فرق تسد) الاستعمارية"108.

"ان انتفاضة الشعب الأخيرة كان عليها ان تسير الى مدى أبعد في نتائجها الإيجابية لو ان القوى الوطنية استطاعت ان تدفع الى الميدان بكل أو معظم القوى التي لها استعداد معين لتغيير الأوضاع القائمة وان تقودها قيادة صحيحة... فهناك أسباب تاريخية كان لها آثار مهمة على قوة الحركة الوطنية وتنظيمها وكفاءتها العملية"109.

"ويكفي ان نشير الى ان الأحكام العرفية وحالة الطوارئ قد أعلنت في العراق ثلاث عشرة مرة خلال العشرين سنة المنصرمة وان فترات الحكم العرفي وحالة الطوارئ قد دامت أكثر من فترات الحكم الاعتيادي وفي خلال هذه السنوات تحمل حزبنا من بين الأحزاب اشد الضربات وأقساها وحرماناً من أكفأ قادته وأكثر كوادره خبرة وتجربة وراحت السجون تُطبق سنوات طوالاً على المئات من الشيوعيين"110.

"أما بالنسبة للقوى الوطنية الأخرى-أحزاب البرجوازية الوطنية والمنظمات الديمقراطية والنقابات والمؤسسات المهنية وغيرها من الحركات الوطنية والإنسانية والاجتماعية وحركة السلام فمن المعلوم أنها تحتاج الى الحد الأدنى من الحرية لكي تعمل وتستمر وتتطور وتقوم بدورها التعبوي الواسع للجماهير... ان طبيعة العلائق الإنتاجية السائدة في البلاد... وسيادة العلائق شبه الإقطاعية في الريف وهيمنة رأس مال الأجنبي الاحتكاري على مراكز النشاط الإنتاجي الرئيسية مما يعرقل بكل الوسائل نمو الصناعة الوطنية قد أدى الى ان القواعد الاجتماعية للبرجوازية الوطنية ظلت صغيرة نسبياً... مما يحدد دور أحزاب البرجوازية الوطنية في الكفاح الوطني رغم ان لقيادتها نفوذاً أدبياً وسياسياً في مختلف الأوساط الشعبية، وهي تتشن نضالاً يتسم بالأصالة الجذرية مما يكسبها نفوذاً كبيراً في أوساط البرجوازية الصغيرة التي تكثر في المدن والقرى"111.

"تلك هي الأسباب التاريخية التي أثرت على قوة الحركة الوطنية وأضعفت تنظيمها وطاقتها الكفاحية الأمر الذي ترك أثره السلبي على موقفها وقدرتها على مواجهة انتفاضة الشعب الأخيرة وقيادتها بكفاءة ومهارة... وبالرغم من ان القوى الوطنية قد ساهمت كلها وعلى قدر طاقتها في نضالات مشتركة الا ان النقص الأساسي في عملها كان يتركز في أنها لن تدخل المعركة وفق خطة موحدة واضحة. والسبب

108 - المصدر السابق ص 26.

109 - المصدر السابق ص 30.

110 - المصدر السابق ص 31.

111 - المصدر السابق ص 32.

في ذلك يعود الى بعض المواقف السلبية التي كانت تضعها بعض الأحزاب الوطنية في مسألة التعاون والعمل الموحد"¹¹².

"وقد سجل حزبنا تقديراته في تقرير اللجنة المركزية الذي نوقش في كونفرنس أيلول، ودعا مخلصاً الى نبذ الذكريات السيئة والتحفظات وضيق الأفق والى مواجهة أحداث المستقبل باتحاد وطني وخطة مشتركة. وقد شدد حزبنا سعيه في الأيام التي سبقت الانتفاضة الأخيرة على ان هذه المساعي لم تسفر الا عن أقل النتائج وفي أيام الانتفاضة ذاتها كان العمل من اجل توحيد المواقف يصطدم هو الآخر بتلك بعض الجهات الوطنية وبتحفظاتها... واخيراً أدركت القوى الوطنية ضرورة الاتحاد والعمل وفق أهداف وخطط مشتركة وراحت تعمل بإخلاص في هذا السبيل، ولكن هذه الخطوة جاءت متأخرة عن أوانها. وليس هنالك من لا يقدر هذه الخطوة ويرحب بها، ولكن من حق كل وطني ان يأسف لتأخر القوى الوطنية في تحقيقها لوحدها مما أدى الى دخولها الى المعركة دون خطة موحدة"¹¹³.

"وبعد فهل نحن بحاجة الى إعادة النظر بالسياسة الحاضرة لحزبنا في الجبهة الوطنية بعد كل ما عاناه حزبنا والحركة الوطنية والشعب كله في سياسة الانعزال والتطرف اليساري والتفريط بالقوى؟ كلا إنما سنرعى هذه السياسة بكل قوة وسنسعى الى تطويرها بكل ما نملك من جهد، بل أننا لنجد أنفسنا بحاجة الى الذهاب الى أبعد مما ذهبنا إليه حتى الآن في هذه السياسة واتخاذ مواقف أكثر إيجابية مع القوى الوطنية المتأخية في الجبهة الموحدة لعلنا بأن هذا هو الطريق الوحيد لنجاحنا في معركة تحررنا من الاستعمار ومن حكم أعوانه وأذنبه.

وبصدد دعوة الحزب في أيام الانتفاضة الى ضرورة تطوير أساليب الكفاح لمواجهة تعنت العدو وبطشه ذهب بعض الرفاق الى تأويلات شتى في تقدير هذا الموقف"¹¹⁴.

"ولغرض إيضاح الموقف من هذه المسألة ومن اجل تبديد بعض الارتباك والمفاهيم المغلوطة نعرض ما يلي:

حول طبيعة معركتنا التحررية كما أقرها كونفرنس أيلول

توصلت قيادة الحزب الى تحديد طبيعة معركتنا التحررية باعتبارها (المعركة) ذات طابع سلمي غالب. وواضح من هذه الصياغة ان الحزب لم يقصد عندما أضاف الى الطابع السلمي صفة "الغالبية" الى ان يرجح هذا الطابع السلمي دون ان يستبعد إمكانية اتخاذ هذا النضال شكل انتفاض شعبي. ولذلك جاء في نص الصياغة التي تضمنها قرار اللجنة المركزية حول الشكل الذي قد يتخذه نضالنا التحرري بأنه.. شكل

112 - المصدر السابق ص 33.

113 - المصدر السابق ص 34.

114 - المصدر السابق ص 46.

من النضال الثوري.. يمكن ان يكون ذا طابع سلمي قائم في الأساس على تعبئة القوى الوطنية في جبهة واسعة والضغط بها على نحو مركز وبأشكال مختلفة مؤثرة.. ولا يمنع ان يكون طابع هذا النضال سلمياً أيضاً إذا ما اتخذ في ظرف معين شكل وثبة شعبية هي من مفاخر الشعب العراقي وتقاليد الثورة المجيدة"¹¹⁵.

"وليست هذه التحديدات هي كل ما ورد بصدد صياغة الطابع العام لمعركتنا التحررية وانما هنالك استدراكات أخرى وردت في تقرير اللجنة المركزية المقدم الى كونفرنس أيلول فقد ورد في الصفحة الرابعة من التقرير المشار إليه ما يلي (نحن الشيوعيين العراقيين لا رغبة لدينا بالعنف وسلوك سبيل القوة وانما نسعى الى تحقيق أهداف حركتنا التحررية بأيسر السبل وأقل التضحيات. الا أننا لن نتردد في مواجهة العنف بمثله في غمرة الحركة الشعبية إذا ما أصر المستعمرون وعملاؤهم على تزيف أو قمع إرادة الشعب)"¹¹⁶.

ثم أكد التقرير الصعوبات الخاصة التي يواجهها نضال الحزب التحرري في العراق بسبب ثروته النفطية الغزيرة وموقعه الاستراتيجي وأسواقه البكر وتكالب قوى الاستعمار للسيطرة عليه لينتهي باستنتاج هو ان "الاستعماريين وحلفاءهم في الداخل لن يخلوا مواقعهم بسهولة".

وهكذا نجد ان تحديد الطبيعة السلمية الغالبة لمعركة الحزب التحررية لم تخل من تحفظات وشروط واستدراكات، كما لم يستبعد اللجوء الى العنف. لذلك جاء في (ص17) من وثائق كونفرنس الحزب الثاني "ان مسألة العنف بالنسبة لنا هي مسألة يقرها سلوك الخصم عندما لا يريد ان ينزل على إرادة الشعب".

"ثم جاءت انتفاضة الشعب الأخيرة فأوضحت بجلاء ان الخصم لا يريد ان ينزل على إرادة الشعب. فبالرغم من ان شعبنا (قد عبر عن هذه الإرادة بأساليب سلمية مختلفة، سواء بذكرات الاجماع التي قدمتها الهيئات الوطنية أو بالذكرات الجماهيرية أو الإضرابات العامة واخيراً بموجة الإضرابات والمظاهرات التي شملت أكثر مدن العراق) كما جاء في بيان اللجنة المركزية الصادر في 1956/12/11 فإن العدو لم ينكص على عقبه ولم تجد هذه الأساليب في زحزحته عن مواقعه وانما على العكس فقد استفزت عدوانيته وشرسته"¹¹⁷.

"وإذن فإن الموقف الذي اتخذه الخصم في ضرب مشاعر الجماهير عرض الحائط وسلوك سبيل القسوة والهمجية قد كان مدعاة لوضع مسألة تحويل أساليب الكفاح السلمي موضع البحث الملح. وهذا ما دعت إليه اللجنة المركزية في بيانها المؤرخ 1956/12/11 عندما دعت الى تطوير أساليب الكفاح والتنظيم ورفعها الى درجات أكثر حزمًا وفعالية مستندة في ذلك الى ضرورة مواجهة الأساليب العنيفة التي شرع

115 - المصدر السابق ص 47.

116 - المصدر السابق ص 48.

117 - المصدر السابق ص 48.

العدو يستخدمها دون تردد أو هوادة.. بأساليب فعالة ومؤثرة"118.

ثم دعت اللجنة المركزية في ختام بيانها الى اليقظة وشحذ العزائم ومضاعفة الجهود والتأهب لهجوم حاسم للقضاء على بؤرة الدس والتآمر والعدوان في بلادنا والبلاد العربية.

وفي ص (67 و68) من "وثيقة انتفاضة 1956 ومهامنا في الظرف الراهن" تحدد الوثيقة مهام الحركة الوطنية في الظرف الراهن بـ:

أولاً - المحافظة على وحدة الحركة الوطنية وتطويرها باعتبار ان هذه الوحدة هي مفتاح النصر.

ثانياً - ولكيلا تبقى هذه الوحدة محدودة الكيان ينبغي بذل أقصى الجهود لتنظيم جماهير الشعب في الجبهة الوطنية وتجميع القوى... على صعيد الأهداف الوطنية المشتركة.

ثالثاً - ومن الضروري بذل مجهود جدي لكسب العناصر والقوى المستقلة.

رابعاً - وينبغي ان تتجه (التنظيمات الوطنية) الى تنظيم أوسع الجماهير الشعبية عرباً وأكراداً دون ان تفرط بأي طبقة وبأي مرتبة أو جماعة وطنية كما ينبغي لها ان تتبنى مطالب مختلف مراتب الشعب بقوميتيه الرئيسيتين العربية والكردية وتربطها بالأهداف الوطنية الأساسية.

خامساً - وينبغي أخيراً ان تقرن هذه التنظيمات نشاطها التنظيمي بالنشاط السياسي فتشدد يقظتها تجاه مؤامرات الاستعمار وعملائه.

وسائل المقاومة الشعبية

ان الأسلوب الدموي والعنفي الذي لجأت إليه الحكومة لقمع انتفاضة عام 1956، قد أثار الانتباه الى أهمية دراسة مواجهة هذا العنف، واقتنعت الأحزاب الوطنية بعد ان تلمست أساليب الإرهاب الحكومي بضرورة إسقاط الحكم الملكي بالقوة. وبعد ان درس الحزب نواقص الانتفاضة اتخذ عدة قرارات منها تأسيس مقاومة شعبية خاصة بالحزب الشيوعي تتألف من نخبة مختارة من الأعضاء والعضوات من العناصر التي تجد في نفسها القدرة على النضال في المقاومة. وتقرر ان يفتح كل منظم الخلايا والهيئات الحزبية أعضاء الحزب الذين يقودهم كلا على افراد ويسأله عن رأيه في الدخول في هذا التنظيم الذي يكون معرضاً فيه لشتى المخاطر، حيث يتطلب سرعة الحركة والبديهة والإبداع في تنفيذ المهام.

وقد فاتحني عضو المكتب السياسي للحزب الشهيد جمال الحيدري الذي كان مسؤولاً عن لجنة بغداد التي كنت عضوة فيها بالانضمام الى المقاومة الشعبية، وبعد

118 - المصدر السابق ص 49.

موافقتي وإبداء استعدادي لأكون عضوة فيها، طلب مني مفاتحة عضوات الحزب اللواتي أجد فيهن الكفاءة واطرڪ لهن قرار الموافقة أو الرفض. فوافقت كل الرفيقات اللواتي فاتحتهن بالموضوع.

وبعد ان اتفقت اللجنة المركزية على ان الأسلوب الغالب في معركة التحرر الوطني العراقية سيكون عنفياً، تم طرح رأيين، الأول يدعو الى تعميق علاقة الحزب بالجيش والعمل في صفوفه وكان سلام عادل صاحب هذا الرأي، فيما دعا عضو اللجنة المركزية عامر عبد الله الى اغتيال نوري السعيد والعناصر العميلة الأخرى في جهاز الحكم. وقد تأثر أكثرية أعضاء اللجنة المركزية برأي عامر عبد الله ومنهم جمال الحيدري ومحمد صالح العبلي. وبنى سلام عادل حجته لدعم رأيه على ان إمكانيات جديدة قد نشأت لقيام الجبهة الوطنية بين مختلف الأحزاب السياسية والشخصيات الوطنية المعارضة بعد ان رأت الأحزاب بأمر عينها استهتار السلطة بأرواح أبناء الشعب ومصيرهم أثناء الانتفاضة، وبعد ان رأت العناصر الوطنية داخل صفوف الجيش بربرية النظام فإنها توصلت الى ان لا مخرج لها وللشعب العراقي من الأزمة التي أوصل الحكم الملكي العراق إليها سوى التعاون الوثيق مع القوى والأحزاب الوطنية الأخرى في المجتمع المدني من اجل الإطاحة بالنظام لذا **يجب على الحزب التوجه بحزم نحو إقامة الجبهة الوطنية وتوسيع عمله في الجيش**. وحاول سلام عادل إقناع عامر عبد الله وبقية أعضاء اللجنة المركزية بخطأ رأيهم، لكنهم أصروا عليه فاقترح عليهم ان يقوم بكتابة رأيه برسالة يوجهها الى كوادر الحزب. ولحسن الحظ تمكنت من العثور على هذه الرسالة التي أوقف تعميمها بعد تراجع أكثرية أعضاء المركزية عن رأيهم واطلاع أعضاء اللجنة المركزية فقط عليه (الرسالة منشورة في الفصل القادم).

يتحدث **حسين سلطان** في لقاء أجرته معه وهو مسجل على شريط كاسيت:

"بعد ان نجحنا في بعض التفجيرات وضعنا قائمة بأسماء عملاء الاستعمار في المنطقة (الفرات الأوسط) لغرض اغتيالهم، ثم جاءت رسالة مستعجلة من قيادة الحزب تطلب منا التوقف، وأوصل لنا هذا القرار عضو اللجنة المركزية محمد صالح العبلي الذي جلب إلينا في مدينة النجف متفجرات وعلمنا على استعمالها قبل ذلك، فقلنا لماذا نتوقف والناس فرحت وشمتمت بالعدو. ثم تسلمت رسالة من سكرتير الحزب سلام عادل دعاني فيها للحضور الى بغداد، وأول سؤال طرحته عليه عند اجتماعي به هو، لماذا نتوقف؟ وبعد ان استمع الى وجهة نظري المعارضة لوقف الأعمال العنيفة (الاغتيالات)، أجاب سلام: ان التفجيرات والاغتيالات محدودة التأثير، ما رأيك لو نستبدلها بالطائرات والدبابات والأسلحة الحديثة؟ (يقصد الاستعانة بالجيش لإسقاط النظام)، قلت له: طبعاً هذا أفضل من التحول الى فرقة اغتيالات، وبعد ان شرح لي أسباب إقدامه على وقف التفجيرات والاغتيالات، وافقته على ذلك، فقال لي إذن اذهب الى اللجنة العسكرية في الديوانية فقد رتبت لك موعداً معهم في بيت الضابط كاظم عبد الكريم لأنك ستتولى قيادتها".

قال الشهيد **جمال الحيدري** في اجتماع اللجنة المركزية المنعقد في 13/9/1962

"رغم تأثير ونواقص وأفكار بعض الرفاق التي كانت تقلل من شأن الجماهير ونضالها وتتجه نحو الاغتيالات والمغامرات تحت تأثير خيبة الأمل بالنضال الجماهيري ويتأثير أفكار ومناورات جمال عبد الناصر التي تسربت إلى صفوفنا حيث كان عامر عبد الله وأنا شخصيا تحت تأثيرها، فأنا الرفيق سلام عادل لعب دورا بارزا من أجل صيانة مبادئ الحزب وتعزيز خطه الجماهيري الثوري الصحيح وإعادة الاهتمام اللازم بالعمل في الجيش".

وقال **عزيز الشيخ** في الاجتماع نفسه "كان عامر عبد الله يقول أيام الانتفاضة عام 1956 ان مجرد اغتيال نوري السعيد سيرفع مقام الحزب الى القمة! في نظر الشعب العراقي".

وأضيف بهذا الشأن ان سلام عادل قد أعطى عامر عبد الله والعلّي مدة شهر يعملان فيها لتنفيذ خطتهم ومنحهم صلاحية الاتصال بالمنظمات، أما إذا لم يعط التنفيذ الثمار التي يرجونها فيجب إيقاف تلك الاستعدادات فورا والاستعاضة عن هذا العمل بتركيز النضال على العمل الجماهيري وداخل الجيش، فلا يمكن إشغال التنظيم الحزبي أكثر من شهر لتنفيذ فكرة خاطئة كهذه، وهذا ما حصل فعلا ففشلوا في اغتيال نوري السعيد وغيره من رجالات الحكم رغم إشغالهم العديد من المنظمات الحزبية.

وكتب **عامر عبد الله** في مقال نشره في العدد 144 من مجلة الثقافة الجديدة بعنوان (خواطر وذكريات) (ص 25) عن ملامح من عمله على تنفيذ هذه الفكرة:

"أثمرت مساعيها في سوريا لتدبير بعض الأسلحة والقنابل والمفرقات وكانت حمولة ثقيلة... واصطحبني في سيارة عبر الصحراء الشهيد عبد الجبار وهبي وكنت قد رجوته ان يحضر من (دير الزور) حيث كان يعمل مدرسا. وكانت رحلة شاقة عبر مئات الأميال على طريق وعرة، وكان السماء أرادت هي الأخرى ان تسهم بإطالة هذا السفر، فراحت تصب علينا وابلا من المطر لم ينقطع ثلاثة أيام بلياليها... وكان أبو سعيد هو الآخر من ذوي الخيال الرحيب والحلم والمخاطرات، فرغم الضنى والإرهاق والسهرة كان يقول كم تستهويني مثل هذه الأعمال...! بلغنا القرية التي قصدناها، ووفقا للموعد المقرر للقاء بالرفيق الموفد من الحزب، تم هذا اللقاء في سوق القرية ولأول مرة أدركنا ان البعير غير قادر على حمل أكثر من (مائة كيلو) لمسافات طويلة...".

ولم يغفل الحزب الشيوعي نضاله ضد ظاهرة التطير اليساري¹¹⁹ التي أخذت تستهين بكل أساليب النضال السلمية وتؤكد على ضرورة الاقتصاد على الكفاح

119 كانت خيبة أمل هؤلاء الكوادر بالعمل الجماهيري، السبب وراء افكار الاغتيالات تلك، بعد عدم استطاعة المظاهرات الضخمة اسقاط الحكومة العميلة في انتفاضة 1956، في حين ان سلام رأى المخرج في تعميق عمل الجبهة الوطنية.

المسلح، وجاء في نشرة داخلية أصدرها الحزب الشيوعي العراقي بتاريخ 1957/8/8، لتفنيد هذه الآراء:

"أولا - نحن لا نعتقد ولا نثق الجماهير بأن الأساليب البسيطة هي كل ما تتطلبه معركة تحريرنا الوطني، بل نؤمن ونثق الجماهير بأن انتصارنا الحاسم لن يتم الا عن طريق انتفاضة شعبية واسعة نستعد فيها لمجابهة العدو بكل أساليب النضال الضرورية بما في ذلك أساليب القوة والعنف لدمر أجهزة القمع الوحشية التي فرضها الاستعمار وأعوانه.

ثانيا - وان الحقيقة المارة الذكر لا تنفي استمرار الكفاح السلمي، إذ ان تعبئة الجماهير وتنظيمها لا يمكن تطويرها فقط بتطوير أساليب الكفاح أو باقتصار النشاط العملي على التهيؤ فقط لممارسة هذه الأساليب، بل ان ذلك غير ممكن الا بكفاحات سلمية سياسية، واقتصادية، وفكرية متنوعة، ومتكررة.

ان استبعاد الأساليب السلمية تستر وراءها غالبا العجز عن القيام بعمل تعبوي تنظيمي، والاستسلام للتطور العفوي للحركة".

أما العمل في الجيش أو الاعتماد عليه في إسقاط الحكم فقد لاقى قبولا لدى الأوساط الوطنية عدا تحفظ كامل الجادرجي على هذا الأسلوب ودعوته الى استخدام الأساليب السلمية في النضال. ولكن لم تكن هناك معارضة واضحة من الحزب الوطني الديمقراطي، خاصة بعد تسلم قيادته من قبل محمد حديد بعد سجن الجادرجي.

الرفاق الاعزاء

تحية رفاقية

في المدة الأخيرة على الأخص، أخذت تتردد في الأوساط الوطنية وحتى لدى بعض الرفاق، فكرة القيام بعمل فردي تجاه واحد أو أكثر من الفئة الحاكمة للخروج من الأزمة السياسية الراهنة. وواضح ان اشتداد الضغط الاستعماري، الاقتصادي والسياسي، وانعدام الحريات الديمقراطية والمصاعب التي تواجه الحركة الوطنية، والدور القذر البارز الذي يلعبه نوري السعيد في الاستهانة بمطالب الجماهير والتأمر عليها وعلى الشعب العربي في كل مكان، كل ذلك دفع مثل هذه الفكرة الى الوجود وساعدها على الانتشار.

ومن المعروف قطعاً، إننا كماركسيين - لينينيين، نتجه في الكفاح الوطني وجهة أخرى، وجهة تعبئة وتنظيم وتوحيد أوسع القوى الجماهيرية وزجها في صراع مكشوف ضد قوى وتنظيم الاستعمار وعملائه الخونة.. وعلى هذا المبدأ الصريح القويم تهض جميع تكتيكاتنا. وليس هنالك ما يبرر على الإطلاق إعادة النظر في هذا المبدأ المستمد من الإدراك الصحيح لجوهر التبدلات الاجتماعية ومن التجارب التي لا تحصى في كفاح الشعوب من أجل تحريرها وتقدمها، أو التقليل من أهميته على حساب إعطاء أهمية أكبر للتكتيكات الفردية. وهو لم ولن يصبح عتيقاً أو بالياً الا لدى المغامرة، التي تؤدي بالفعل الى حرف نضال حركتنا الشعبية عن وجهة سيرها المحتمة تاريخياً.

ان المناضلين الذين وقعوا ضحية هذا المفهوم الفردي يبررون عادة آراءهم بالمغالاة بالدور "الخاص" الذي يقوم به فرد معين في إرهاب الشعب، وفي تجميع قوى الرجعية. ومما لا ريب فيه ان من بين رهط العملاء يوجد دائماً، وفي كل زمان ومكان، من هم أكثر إيغالا في معاداة الشعب، ومن هم أكثر قدرة في القيام بالأدوار القذرة... ولكن هذه الحقيقة الموجودة بشكل متفاوت، في هذا المكان أو ذاك، لا تجيز بالطبع حرف نضال الجماهير، وتعليق آمالها على أساليب فردية خاطئة في الكفاح، لا تجيز تخدير المناضلين عن واجباتهم الأساسية في تنظيم الجماهير وصرف أفكارهم الى سراب خادع.

فالإرهاب الفردي يلجأ إليه عادة الاستعمار وأعوانه ضد القادة الوطنيين البارزين أو ضد أولئك الذين يديرون له ظهرهم فيقفون مواقف جدية مضرة بمصالحه الاستغلالية. وهنالك أمثلة كثيرة في تاريخ شعبنا، كاغتيال الرفيق فهد ورفيقه، واغتيال ضاري الحمود في السجن، وإعدام قادة الانتفاضة الوطنية في النجف عام

1919...الخ. ولعل اغتيال عدنان المالكي في سوريا قبل أكثر من عام، من أمثلة صارخة على الأساليب الأثيمة التي تلجأ إليها دوائر الاستعمار.

ويحدثنا التاريخ أيضا ان الاستعمار والرجعية، قد يلجأن الى أساليب الإرهاب الفردي بقصد خلق الذرائع والتبريرات لتهديد أمن الشعب وسلامته، وبقصد فرض الإرهاب كما حصل بمناسبة حرائق القاهرة مثلا عام 1952 وفهود بغداد عام 1941 وأمثلة كثيرة أخرى.

وتتجر أحيانا القوى القصيرة النفس في الحركة الوطنية بدافع من سطحيته في إدراك جوهر الظواهر الاجتماعية الى أساليب الإرهاب الفردي. وكثيرا ما تغذي وتنتشر مفاهيم العمل الفردي من قبل الاستعمار وأعدائه بقصد أضعاف ثقة الجماهير بالحركة الوطنية وبأساليب النضال الشعبي، وبالتالي حرف نضالهم وتعليق آمالها بأساليب ثانوية وغير جدية تماما في الكفاح، والتي يحمل فشلها بين طياته روح الانهزام واليأس والقنوط.

وغالبا ما يكون التذرع بظروفا "الخاصة" في كل رأي غريب يطلق في الحركة، وبالنسبة لهذه القضية تعطى تقديرات مبالغ فيها للغاية عن الوضع "الخاص" لهذا العمل أو ذاك. وبغض النظر عن حقيقة ان الحركات الوطنية في كل مكان قد جابهت ألوانا من الخونة كان فيهم أمثال كوسينلنغ وبيتان وكايتشك وسنغمانري وفرانكو وزاهدي، الذين هم على محجة الرهان مع نوري السعيد وسائر رهط الخونة ان لم يكونوا أحقر وأدهى منه.

وواضح ان المناضلين وسائر الوطنيين الذين ينحون هذا المنحى من التفكير يفتشون عن منفذ للخروج من الأزمة الراهنة التي يحكم فيها البلاد نفر من عملاء الاستعمار رغم إرادة الشعب وعلى الضد من مصالحه الوطنية. لقد أكد حزبنا في كل حين بأن هذا المنفذ يمكن ان نتحسسه بجلاء في وثبة كانون وفي إضراب الموصل أوائل أيلول الماضي، وفي الإضراب العام لنصرة مصر 16 آب. ان هذا المنفذ يكمن في الوحدة الكفاحية للقوى الوطنية، التي هي نقطة الانطلاق بالنسبة لأوسع جماهير الشعب الراغبة في تغيير الأوضاع الراهنة بالبلاد.

وقد أظهرت تجارب حركتنا الوطنية بمزيد من الجلاء بان جماهير الشعب استجابت دائما بأروع ما تكون الاستجابة للدعوات التي أصدرتها القوى الوطنية وهي موحدة، أو عندما أجمعت على دعوة الجماهير في كل عمل معين، ان هذا يكمن في إعطائنا تقديرا صائبا لتلك القوى الجماهيرية التي هي ليست مستعدة للعمل، استجابت لدعوة حزب معين بمفرده، ولكنها تظهر الاستعداد الكامل للاستجابة لدعوات القوى الوطنية المتحدة أو المجتمعة.

ان الأحداث تمر بسرعة، والحركة العربية تشق طريقها في ممارسات ضد الاستعمار، وتسير الحركة الوطنية في قطرنا نحو معارضة الأحداث القائمة، وينبغي

ان لا نتأخر في أداء رسالتنا ودورنا التاريخي في تعبئتها وتوجيهها وجهة صائبة،
ومن الخطأ التوقف عند أو هام ومفاهيم مضللة وتعليق الآمال عليها.

سكرتير اللجنة المركزية/ سلام عادل

1956/10/24

بعد صدور البرنامج الآتي، أصيبت القوى الوطنية بخيبة أمل، فقام الحزب الوطني الديمقراطي بالتضامن مع حزب الاستقلال، بمحاولة لكسب صالح جبر الذي يتأسس حزب الأمة الاشتراكي (حزب الاقطاعيين الشيعة)، الذي كان معارضاً لنوري السعيد، عسى ان يتحالف معهم في جبهة وطنية ضد حلف بغداد وحكومة نوري السعيد. وبعد مفاوضات استمرت بعض الوقت تراجع صالح جبر عن توقيع برنامج يطالب بالخروج من حلف بغداد.¹²⁰

وفي هذه الفترة تم ابعاد حميد عثمان عن قيادة الحزب، ونُشرت قرارات تموز التي اختطت طريقاً مغايراً للسياسة الانعزالية السابقة، حينذاك استعاد الحزب الوطني الديمقراطي والاستقلال أملهما بإمكانية العمل المشترك مع حزبنا، وان كان ذلك قد تم بحذر شديد.

ثم صدرت وثيقة الكونغرس الثاني، فعمقت امكانية العمل الجبهوي

أثر فشل عملية تعاون الوطني الديمقراطي والاستقلال مع صالح جبر، توجه الحزبان الى التوحد في حزب المؤتمر الوطني، وقدموا طلباً رسمياً مديلاً بتوقيع ممثلي قيادتي الحزبين كهيئة مؤسسة للحزب الجديد. ولكن الحكومة رفضت الطلب، وواصلت الهيئة المؤسسة النشاط داخليا وعربيا حتى انتفاضة تشرين 1956.

وشهدت الساحة السياسية في تلك الفترة احداثاً هامة، فقد تصاعدت الفعاليات الجماهيرية واخذت اشكالا واسعة وعنيفة فعمت الاضرابات الطلابية في المدن وتطورت الى انتفاضة شعبية واسعة احتجاجاً على العدوان الثلاثي على مصر عام 1956. كما تصاعدت بالمقابل أساليب القمع والارهاب التي لجأت اليها السلطة لصد تلك التحركات الجماهيرية والوقوف بوجهها. وانعكس ذلك في حملات الارهاب لتفريق المظاهرات بالقوة واستخدام الرصاص ضد ابناء الشعب مما نتج عنه سقوط العديد من الشهداء واعتقل المئات من المتظاهرين والسياسيين الفاعلين وزج بهم في السجون وظالت الحملة الارهابية بعض قادة الاحزاب الوطنية فقد حكم على كامل الجادرجي، رئيس الحزب الوطني الديمقراطي بالسجن ثلاث سنوات وبالنفي لقادة حزب الاستقلال السيدين فائق السامرائي وصديق شنشل وأعدم الشيوعيان علي الشيخ حمود وعطا مهدي الدباس في الحي.

ان مجمل الاحداث وضعت أمام القوى الوطنية مهمة آنية وملحة وضرورية لمقاومة الهجمة الشرسة للسلطة ولتحقيق اهداف الشعب، بإقامة تحالف وطني كفيل

¹²⁰ - يوجد بعض التفاصيل في نهاية الكتاب تحت عنوان (توقف عمل الجبهة الوطنية 1954)

بعدها دخل إلى ساحة المفاوضات الثنائية، حزب البعث العربي الاشتراكي مع الحزب الشيوعي والأحزاب الوطنية الأخرى، بعد عقده المؤتمر القطري الأول في كانون الأول (ديسمبر) 1955، حيث كرست زعامة فؤاد الركابي¹²¹ للقيادة القطرية. وكان الركابي يتمتع بقدرات أهله لان يُكسب البعث أيام قيادته طابعا واقعيا (وليس عفليا) مما أضفى على البعث سياسية إيجابية في التعامل مع الأحزاب الوطنية. ان الاتصالات والمباحثات بين الحزب الشيوعي وحزب البعث تطورت إلى تنسيق في العمل الميداني مع الأحزاب الوطنية الأخرى خلال انتفاضة تشرين الثاني (نوفمبر) 1956 ضد العدوان الثلاثي. وقبل ذلك أهدى الحزب الشيوعي مطبعة إلى حزب البعث، كما تم تدريب معاذ عبد الرحيم على أسلوب العمل في المطبعة السرية وعلى الطباعة الحديثة، وكان الركابي نفسه معجبا بتنظيم وتكتيكات الشيوعيين.

يقول هاني الفكيكي:

"كان التوتر السياسي بلغ أشده في 1956 و1957، واتسعت الإضرابات العمالية والطلابية والتحركات الفلاحية، كذلك حكم بالسجن على كامل الجادري، وبالإقامة الجبرية والنفي على فائق السامرائي وصديق شنشل"¹²².

"واتخذت العلاقة بين الأحزاب السياسية في مطلع 1956 بعداً عملياً جديداً حيث تم الاتفاق على تشكيل (اللجنة الطلابية العليا)، التي اشرفت على قيادة التظاهرات وتعبئة الطلبة وجمهور واسع من الناس ضمت:

ثابت حبيب (شيوعي) ورسمي العامل (وطني ديمقراطي) وصادق الحسني (استقلال) وحبيب محمد كريم (الحزب الديمقراطي الكردي) وحازم جواد (بعث)¹²³

"وبالرغم من ان حبيب محمد كريم مثل الاكراد في اللجنة الطلابية العليا، ألا ان الاكراد بقوا خارج جبهة الاتحاد الوطني التي انبثقت عام 1957 بسبب (الفيثو) الذي وضعه حزب الاستقلال والبعثيون. إذ بينما كان الشيوعيون يؤكدون على كردية الشعب الكردي ويطالبون بحقوقه القومية، كان بعضنا يبحث عن مراجع وكتب تؤكد على الاصل العربي للأكراد!!"¹²⁴

وفي (ص78) من اوكار الهزيمة يقول الفكيكي: "اما الجهود الاخرى التي باءت

121 - فؤاد الركابي: مؤسس حزب البعث في العراق عام 1954 ورئيس الحزب الى عام 1959، فر للخارج اثر فشل المحاولة التي نظمها لاغتيال قاسم، فانتخب علي صالح السعدي بدلاً منه لرئاسة الحزب. قتل في السجن بعد استلام زمرة البكر - صدام الحكم.

122 - هاني الفكيكي - أوكار الهزيمة ص 84.

123 - المصدر السابق - ص 75.

124 - المصدر السابق - ص 76.

بالفشل فكانت محاولات التوسع بين العمال والفلاحين، اذ انتصبت في وجهنا عقبات ثلاث:

- الوجود الكردي في الشمال وحلف الاكراد مع الشيوعيين.

- قوة الشيوعيين في الارياف والوسط العمالي.

- الجنوب الشيعي المتحفظ عن الفكر القومي العربي، وتجربته مع الحكم القومي في العراق وسياسته الطائفية.

وكان هناك دائما غموض في فكر الحزب وطروحاته النظرية والسياسية تجاه مشاكل المجتمع العراقي وتركيزه على الامة والوحدة والنضال ضد الاستعمار، مع التقصير في تبني هموم المواطن اليومية وربطها بالقضايا الاستراتيجية المذكورة.

ان السياسة الصائبة التي انتهجها الحزب الشيوعي العراقي في تلك الظروف، والتي كانت قد وضعت خطوطها الرئيسية اللجنة المركزية في اجتماعها في تموز (يوليو) 1955 وأقرها وطورها الكونغرس الثاني للحزب 1956، قد اعطته زخما كبيرا للتأثير في سير الاحداث السياسية باتجاه تجميع القوى الوطنية في جبهة واحدة.

وقد بدأ التقارب بين الحزب الشيوعي والحزبين القوميين العربيين حزب الاستقلال وحزب البعث قبيل واثاء وبعد العدوان الثلاثي على مصر وفي خضم الانتفاضة الشعبية التضامنية مع مصر، وبعد أیغال الاستبداد السعدي في العنف، وتأكد من الدور الكبير الذي قام به الشيوعيين في تلك الانتفاضة، فأصبح واضحاً بأن أي تفكير جدي بأسقاط النظام لا يمكن أنجاه بدون مساهمة الحزب.

وتواصلت المحادثات بين سكرتير الحزب الشيوعي سلام عادل ونائب رئيس الحزب الوطني الديمقراطي محمد حديد، بعد ان حكم المجلس العرفي على الجادرجي بالسجن ثلاث سنوات في اثناء انتفاضة 1956. وكانت هذه العلاقات تتطور بشكل جيد، حيث تبلورت من خلال المحادثات الثنائية اهداف برنامج الاتحاد الوطني. واشترك نقيب المحامين عبد الوهاب محمود في هذه المحادثات بشكل فعال، وهو صديق للحزب الشيوعي حيث كان يزور كامل الجادرجي في السجن، ويأخذ رأيه في خطوات التقدم فيها، ويعرض عليه آراء القوى التقدمية.

وفي مقابلة مع الاستاذ محمد حديد أجرتها الثقافة الجديدة بمناسبة الذكرى الحادية عشر لثورة الرابع عشر من تموز ونشرت عام 1969، تحدث فيها عن الاتصالات بين الاحزاب في تلك الفترة التي سبقت قيام الجبهة قانلاً: "في ظل تلك الاحداث الجسيمة كانت الاتصالات واللقاءات تستمر وتتوالى بين قادة الاحزاب الوطنية ممن كان خارج المعتقلات والسجون. وتجاه الاخطار الجسيمة التي كانت تهدد العراق والبلاد العربية الاخرى، واستمرار حلف بغداد وبقاء انظمة الحكم الرجعية العميلة، وازدياد الاضطهاد والتعسف كان لابد من التقاء الاحزاب الوطنية من خلال اتصالاتها لتنسيق عملها ومواقفها وتوصلها الى ضرورة تحويل ذلك التنسيق الى تنظيم جبهوي

يضم الاحزاب الوطنية في تنظيم واحد، ويعمل لتحقيق اهدافها المشتركة. وقد كانت اللقاءات والاتصالات تجري في اول الامر بصورة ثنائية بين هذا الحزب وذاك من الاحزاب الوطنية العاملة وهي الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال والحزب الشيوعي العراقي وحزب البعث... ثم استدعت بعض المواقف ان تجرى مداولات بين هذه الاحزاب جميعا الى ان تطور الوضع الى تأليف الجبهة الوطنية فعلا... اما فيما يخص حزب البارتى (الحزب الديمقراطي الكردستاني) الذى لم يكن تنظيمه ونشاطه في ذلك الحين قد وصل الى مستوى جميع القطر... كما كانت هناك بعض الحساسيات لدى الفئات القومية (العربية) تجاه البارتى الذى لم تكن اهدافه قد توضحت بعد آنذاك... ولهذا السبب لم ينظم الى الجبهة عند قيامها".

كتب عزيز الشيخ في كراس الجبهة الوطنية¹²⁵:

"نعود فنقول انه رغم كل العقبات الجديدة، ورغم التيارات والأفكار الخاطئة انتصر شعار الجبهة الوطنية الموحدة. حيث قامت جبهة فعلية في نيران معارك التضامن القومي مع مصر. وتلا ذلك مباشرة قيام (جبهة الاتحاد الوطني)، وأصدرت لجنتها العليا بيانها الأول بتاريخ 1957/3/9 أوضحت الأسباب الموجبة لقيام الجبهة وحددت فيه المطالب الوطنية الكبرى كما يلي:

- 1 - تنحية وزارة نوري السعيد وحل المجلس النيابي.
 - 2 - الخروج من حلف بغداد، وتوحيد سياسة العراق مع سياسة البلاد العربية المتحررة.
 - 3 - مقاومة التدخل الاستعماري بثتى أشكاله ومصادره، وانتهاج سياسة عربية مستقل اساسها الحياد الايجابي.
 - 4 - إطلاق الحريات الديمقراطية الدستورية.
 - 5 - إلغاء الإدارة العرفية وإطلاق سراح السجناء والمعتقلين والموقوفين السياسيين، وإعادة المدرسين والموظفين والمستخدمين والطلاب المفصولين لأسباب سياسية.
- وكان قد تم الاتفاق على هذه الاهداف في شباط (فبراير) 1957.

ومع ان الاهداف الخمسة لم تكن لتحدد موقف الجبهة من بعض المشاكل الداخلية الحيوية، واهمها ما يتعلق بحياة الجماهير الشعبية الواسعة العمال والفلاحين وسائر الكادحين، وما يخص اقتصادنا الوطني المتدهور، والمشاكل الاجتماعية الاخرى غير إنها كانت تشخص الحلقة الرئيسية في سلسلة الاهداف الوطنية الديمقراطية: ألا وهي مسألة التحرر من الاستعمار وتحقيق الحريات الديمقراطية. كما ان بيانات الجبهة

¹²⁵ - اصدر الحزب، عام 1959 كراس (جبهة الاتحاد الوطني والمهام الملقة على عاتقها في الظرف الراهن) بقلم عزيز الشيخ. وقد طلب الحزب في توجهاته الاهتمام بهذا الكراس ودراسته في المنظمات الحزبية. وقد وضعنا مقتطفات من الكراس مع الوثائق في نهاية الكتاب.

المتلاحقة عالجت بعض المشاكل الداخلية المذكورة".

ويستمر عزيز الشيخ:

"ولما لم تضم جبهة الاتحاد الوطني، الحزب الديمقراطي الكردستاني لأسباب فكرية وسياسية عديدة سواء كانت تتعلق بمواقف الاحزاب القومية العربية او بالحزب الديمقراطي الكردستاني نفسه، فقد اقام الحزب الشيوعي العراقي مع الحزب المذكور علاقات وشيجة ومحادثات ضافية، أدت الى قيام جبهة ثنائية بينهما لها ميثاقها الذي تضمن الحقوق القومية المشروعة للشعب الكردي، والتي لم ينص عليها ميثاق جبهة الاتحاد الوطني، وبذلك كان الحزب الشيوعي العراقي صلة الوصل بين جبهة الاتحاد الوطني والحزب الديمقراطي الكردستاني في تحديد المواقف السياسية ضد حلف بغداد ومواثيقه وفي سبيل الحريات الديمقراطية، حيث نص عليها ميثاق الجبهة الثنائية الى جانب الحقوق القومية للشعب الكردي.

وماذا يعني قيام جبهة الاتحاد الوطني في العراق؟

- كان مجرد إعلان عن قيام جبهة الاتحاد الوطني نصرا تاريخيا لامعا للحركة الوطنية.

- وقد أدى قيامها إلى تبني الاهداف الرئيسية المشتركة للحركة.

- وتوحيد جميع القوى، الحزبية واللا حزبية، ولقّها حول تلك الاهداف، وهدم سدود الحذر بين الاحزاب الوطنية.

- وعزل الأفكار والتيارات الغربية في الحركة الوطنية وإضعافها، وقتل تأثيرها التخريبي بين الاوساط الشعبية.

- وإضعاف التردد واللامبالية بين المواطنين.

- واتخاذ مواقف موحدة واضحة تجاه كل حدث سياسي وطني وقومي.

- وتنسيق خطط الكفاح الوطني لمختلف الاحزاب والجماعات، وتطوير اساليب عملها عموماً، وتبادل الخبر والتجارب والعادات التنظيمية فيما بينها"¹²⁶.

وكان من اهم النتائج التي تمخض عن الاعلان قيام الجبهة، عدا عن النهوض الثوري في البلاد، ان اللجنة العليا للضباط الاحرار برئاسة قاسم أعادت نشاطها بعد قيام الجبهة.

يقول ليث الزبيدي¹²⁷ "وتنامي الوعي الوطني والقومي واشتداد قوة الحركة الوطنية لاسيما بعد تشكيل الجبهة الوطنية الموحدة عام 1957 قد انعكس في صفوف

¹²⁶ - عزيز الشيخ: كراس "جبهة الاتحاد الوطني" من منشورات الحزب الشيوعي العراقي صدر عام 1959.

¹²⁷ - ليث الزبيدي: كتب ونشر اطروحة الدكتوراة بعنوان (ثورة 14 تموز) في ظل حكومة البعث، مستخدماً وثائق حزب البعث.

الضباط الاحرار، وكان من الطبيعي ان تنسجم اتجاهات هذا الوعي مع التيارات الوطنية التي كانت سائدة في البلاد".

يقول محمد حديد في حديثه للثقافة الجديدة "وقد كان قيام جبهة الاتحاد الوطني من اهم العوامل التي ساعدت على تكوين اللجنة العليا للضباط الاحرار".

ان هذا الرأي يؤكده الكثير من الباحثين الذين أرخوا لثورة تموز، وان اسماعيل العارف في كتابه "اسرار ثورة تموز" يوضح بأن اللجنة العليا قد تكونت بشكلها النهائي بعد عودة عبد الكريم قاسم من الاردن في شباط 1957 اي بعد تشكيل قيام جبهة الاتحاد الوطني.

ويقول عزيز الشيخ في كراس (جبهة الاتحاد الوطني)

"ان المبادئ والاساليب التنظيمية الاساسية لجبهة الاتحاد الوطني تتلخص في انها ليست مجرد ائتلاف سياسي بين الاحزاب الوطنية، بل هي جهاز منظم وموحد وواسع.

- إنها جهاز تنفيذي فعال باستطاعته تحويل الآراء والاهداف والخطط المتفق عليها من قبل الاطراف الممثلة في اللجنة السياسية القاندة الى حركة شعبية.

- ولكي تكون الجبهة قادرة فعلا على تنفيذ الالتزامات التي تقطعها على نفسها امام الشعب، يجب ان يكون لها جهاز تنظيمي على نطاق القطر¹²⁸.

- ليست الجبهة حزبا سياسيا، بل اتحادا متينا لعدد من الاحزاب الوطنية المختلفة في اساليب عملها وفي عقائدها الفكرية وفي اهدافها البعيدة. ولذا لا يمكن للجبهة الاخذ بأسلوب تنظيمي كحزب واحد

- لهذا فان الاسس التنظيمية التي اعتمدتها الجبهة هي:

1 - يجب تمثيل جميع الأحزاب المشتركة في الجبهة، وضم عناصر لا حزبية إلى مختلف لجان الجبهة.

2 - لا يتخذ أي قرار ملزم إلا إذا اجمع عليه ممثلو جميع الأحزاب.

3 - تظل جميع الأحزاب الداخلة في الجبهة مستقلة عن بعضها سياسيا، وكذا بالنسبة للعناصر اللا حزبية.

4 - قرارات الجبهة ملزمة للتنفيذ من قبل جميع الأطراف. أما في الأمور المختلف عليها

فيحق لكل حزب ان يدعو الى رأيه الخاص، على ان يكون ذلك التبشير بالرأي

128 - التأكيد في أصل الوثيقة.

بالأسلوب الديمقراطي، أسلوب النقاش الودي والاقناع السليم.

ولكن إذا حاول أي حزب فرض رأيه عن طريق الضغط والاكراه والعنف فان ذلك

يعتبر مناقضا لروح الميثاق وخرقاً لأهداف الجبهة وللأسلوب الديمقراطي التي أجمعت جميع الاطراف على انتهائه ويعتبر هذا الطرف خارجا عن الاجماع.

5 - ان الاشتراك في الجبهة لا يعني السكوت عن نواقصها أو عن نواقص أحد أطرافها.

فالنقد والنقد الذاتي هو قانون التطور لكل شيء على ان نحسن استعماله.

6 - ان قيادة الجبهة المتمثلة في اللجنة العليا يجب ان تمتلك المبادرة القيادية، وهي مسئولة عن نتائج ترك المشاكل الوطنية معلقة دون حل مناسب وصحيح. وعليها ان تعمل لتذليل الصعاب التي تجابه عملها القيادي، وتمارس النقد الايجابي للقوى المعرّقة والتي تنقل خطوات الجبهة وتنقل عليها فرص المبادرة.

7 - ان على جبهة الاتحاد الوطني ان تسعى حثيثا من اجل تحقيق الحريات الديمقراطية لتنظيم الشعب بأساليب تتسم بالعلنية والمشروعية، في مختلف انواع التنظيمات، حزبية كانت او اجتماعية ديمقراطية ام نقابية".

عن آراء زكي خيري حول جبهة الاتحاد الوطني

بالإضافة إلى ما ذكرناه أعلاه نورد هنا ما جاء في كتاب زكي خيري (صدى السنين ص185).

"قام حسين الرضي السكرتير الأول الجديد للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي بزيارة كامل الجادرجي رئيس الحزب الوطني الديمقراطي في ربيع 1957 تمهيدا لعقد جبهة الاتحاد الوطني. قدم الجادرجي شروط التحالف إلى حسين الرضي، وقد نشرت فيما بعد في مذكرات الجادرجي، واذكر منها: أولا: إلا يبشر الحزب الشيوعي العراقي بمراحل الثورة. والمقصود الثورة غير المنقطعة التي بشر بها ماركس، من الثورة الديمقراطية الى الثورة الاشتراكية من دون فترة انقطاع بينهما. وثانيا: ان لا يقوم الحزب الشيوعي بنشاط مستقل يضع الأحزاب الأخرى أمام الأمر الواقع. وثالثا: ولم يضع هذا الشرط الثالث كشرط من الشروط، بل كأمر مسلم به هو ان يكون هناك "مرجع" للجبهة ولم يسمه قيادة ولم يشترط نفسه مرجعا من باب التواضع بيد انه كان من المسلم به سواء في أوساط المعارضة أم لدى الطبقة الحاكمة، ان الجادرجي هو عميد المعارضة أيا كان تركيبتها.

وهكذا وجد الجادرجي حلاً للمعادلة الصعبة وهي ان يستعمل الحزب الشيوعي

كقوة جماهيرية ضاربة وان يضع حدا لنشاطه المستقل ولطموحه لتطوير الثورة ودفعها الى ابعد من المدى الذي تريده البرجوازية لها.

ولم يشترط الجادرجي التوقيع على اتفاقية خطية، بل على اعتبارها اتفاقية جنتلمان لفرط لطفه ولياقته".

أود ان أوضح بعض النقاط الرئيسية حول تلك الآراء والمعلومات (ولقد سبق ان تعرضت لهذه القضية عند الحديث عن موقف الجادرجي من برنامج حميد عثمان):

1 - لم يعقد اجتماع بين السكرتير الأول للحزب والاستاذ كامل الجادرجي في ربيع 1957. ولم يكن ذلك اللقاء ممكناً لكون الجادرجي في حينها كان في السجن بعد صدور حكم عليه بالحبس لمدة ثلاث سنوات عقب انتفاضة 1956. أما سلام عادل فكان مطارداً ومختفياً عن أنظار السلطة بسبب هروبه من الإبعاد والإقامة الجبرية في عام 1953 وكانت السلطة على علم بخبر انتخابه سكرتيراً للحزب.

2 - لم تقدم في ذلك التاريخ أية مذكرة باسم الحزب الوطني الديمقراطي أو باسم رئيسه. وكانت قيادة الحزب قد تسلمت مذكرة شفوية منه في 3/6/1955 أثناء قيادة حميد عثمان، ويظهر إنها قدمت عقب إصدار "إطلاقات أيار" وقد أشارت إليها في مذكرات الجادرجي في (ص662-660).

3 - في ذلك الوقت الذي يشير إليه زكي خيري "ربيع 1957" كانت الجبهة قائمة وتم توقيع جميع وثائقها بعد الانتهاء من المفاوضات والمناقشات حولها في شهر شباط ونشر بيان بإعلان قيامها في آذار 1957. ان الأسس التنظيمية التي قامت عليها الجبهة هي كما ذكرناها في سبع فقرات ص191.

ويظهر جلياً إنها لم تشترط إقناع أي طرف من أطرافها بالامتناع عن التبشير لأفكاره الخاصة أو ان يتمتع عن النشاط المستقل. وأن الحقوق والواجبات متساوية بين جميع الأطراف بما فيها حزبنا الشيوعي. كما لم نشترط أو نحدد قيادة أي منها للجبهة.

ومن المنطقي والواضح بأنه لم يكن للجبهة ان تنشأ وتمارس نشاطها لو ان أي طرف من أطرافها قد اشترط قيادته لها بما فيها حزبنا، فهو شرط تعجيزي، ويعني في التطبيق العملي التخلي عن سياسة التحالف الوطني. ورغم ان الثورة الاشتراكية لم تطرح في برامج الحزب الشيوعي العراقي كبرنامج أي التنفيذ منذ عام 1954 وحتى وقتنا الراهن، فأنا نرى خطأ رأي زكي حول اشتراط قيادة الحزب الشيوعي مقدما ولأي مرحلة من مراحل التطور الثوري للمجتمع. "ان الطبقة العاملة وحزبها لا تبني زعامتها للحركة الوطنية بان تعلن نفسها أنها هي القائدة، ولا بالمطالبة بها ببساطة. ان مسألة ما إذا كانت الطبقة العاملة أم الرأسماليون الوطنيون هم الذين سيقودون الأمة، مسألة محدودة تماماً ولو إنها شكل معقد من أشكال الكفاح. ففي مسرى هذا الكفاح وحده وحسب، في مسرى المعركة التي يراد ربحها في الدفاع عن

الاستقلال الوطني وتعزيزه يمكن تجربة الطبقتين المتخاصمتين من خلال تحالفهما وتجربة أحزابهما" 129

ولزكي خيرى تجربته الخاصة غير الناجحة في هذا المضمار. فقد كانت الظروف في عام 1967 مهية وناضجة، بل وملحة لعقد تحالف وطني، ولكن ذلك لم يتحقق، فقد حمل زكي خيرى مشروعه للتحالف مشروطاً "قيادة الطبقة العاملة" فرفضته جميع القوى الوطنية السياسية في ذلك الحين وهو ما ذكره بالتفصيل في كتابه "دراسات في تاريخ الحزب الشيوعي" (ص481).

وبذلك أهدرت فرصة تاريخية مناسبة لعقد تحالف وطني، كان من شأنه الاستفادة من ضعف السلطة الرجعية الحاكمة آنذاك (حكومة عبد الرحمن عارف)، وتصاعد الحركة الجماهيرية الواسعة والذي انعكس في العديد من الفعاليات الهامة أبرزها فوز القوى المعارضة للسلطة في انتخابات المحامين والطلبة وغيرها.

ان افتقار الحركة الوطنية للتحالف فيما بينها، كان من الأسباب الرئيسية الذي استغلته الأوساط الاستعمارية والرجعية لإجهاض التصاعد الثوري لدى الجماهير، فلجأت إلى التحالف مع الجناح اليميني لحزب البعث ودفعته لاستلام السلطة في 17/7/1968.

وفي تاريخ حزبنا تجربة قيمة في هذا الشأن، لم يجر الاستفادة منها مع الأسف، من قبل زكي خيرى ومؤيديه، ففي عام 1955 نشر حميد عثمان برنامجاً الأنى، بهدف جر القوى الوطنية لأقامة الجبهة الوطنية، ولكن برنامجهم عمق الفارقة الوطنية، بتقييده شروط تعجيزية، ولولا الانعطاف الحاسم في سياسة الحزب الذي تحقق بعد تنحية حميد عثمان من قيادة الحزب وتخطئة سياسته اليسارية الثورية (اللفظية)، لما أمكن للحزب أنجاز جبهة الكفاح الوطني في عام 1957.

4 - أما قول زكي خيرى بأن "جبهة الاتحاد الوطني قد حملت بذرة تفككها في ميثاقها منذ البدء". فهو قول حق يراد به باطل، إذ لكل جبهة أو تحالف أهداف محددة تنتهي بتحقيق تلك الأهداف. أو في حالة التخلي عنها من قبل طرف أو عدة أطراف لاحقاً. فالجبهة الانتخابية التي قامت عام 1954 قد احتوت هي الأخرى على بذرة تفككها بإنجاز الأهداف التي قامت على أساسها لتحقيقها. أما جبهة 1957 فقد تفككت بسبب تخلي بعض أطرافها عن إنجاز كامل أهدافها، ظناً منها بأنها تستطيع الاستفادة من الظروف التي استجدت بعد ثورة 14 تموز للانفراد بالسلطة، ومنها من تعاون مع الرجعية وضلع في التآمر لتحقيقه بالاستفادة من مواقعه ونفوذه داخلها كالجناح اليميني لحزب البعث وشريحة من حزب الاستقلال، ومنها من وجد في التحالف الكامل مع سلطة عبد الكريم قاسم طريقاً للوصول إلى أهدافه الذاتية كمحمد حديد ومؤيديه. ولم

129 - وديس جاك - عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البريطاني في عام 1960 - مهمات الحزب الشيوعي في مرحلة ما بعد الاستقلال. الطبعة العربية ص19.

يكن بالإمكان ابدأ وضع شرط مسبق يمنع أي طرف من أطراف الجبهة بالتخلي عنها لاحقاً. ولا نعرف، ولن نعرف، أي شكل من أشكال التحالف الذي يحوي مثل ذلك الشرط.

5- وبخصوص قول زكي وسعاد خيرى في المصدر نفسه "ان تنازل قوى الجبهة (للضباط الأحرار) للاضطلاع بدور تفجير الثورة قد مهد السبيل لفرض الدكتاتورية العسكرية فقد أصبح رئيسهم رئيساً لمجلس الوزراء وقائداً عاماً للقوات المسلحة" ¹³⁰. فهو قراءة غير واقعية وغير موضوعية للإحداث. ان الجبهة لم تتنازل للضباط الأحرار، فهي لم تكن تمتلك سلطة على حركتهم. وكل ما هناك هو ان لقوى الجبهة، كلاً على انفراد، تأثيرها الخاص في حركة الضباط الأحرار. كما كان لحزبنا تنظيمه وتأثيره. وحقا كان بإمكان الجبهة ان تلعب الدور القيادي في حركة الضباط الأحرار بعد الثورة، لو تكاتفت وتوحدت جهودها بعد الثورة، وهو ما لم يحصل، مما أدى بالنتيجة إلى تفتت الحركة نفسها وتهيئة الظروف المناسبة لإقامة حكم دكتاتوري فردي تزعمه عبد الكريم قاسم القائد الفعلي لحركة الضباط الأحرار.

لقد كانت لحركة الضباط الأحرار قيادتها المستقلة الخاصة بها وهي وإن تأثرت ببرامج الأحزاب والقوى الوطنية واستفادت من نتائج نضالها الجماهيري المتواصل خلال عشرات السنين وما راكمته من عوامل إضعاف السلطة فإن العلاقة بينها وبين الجبهة لم ترق إلى حد ان تكون تحت قيادة الجبهة وتقوم بتنفيذ قراراتها، بل ان الحركة لم تتبن علناً كامل أهداف الجبهة.

وكل المعلومات والمذكرات التي نشرت من قبل العسكريين المشاركين فيها تعكس هذه الحقيقة بوضوح. فقد كانت (حركة الضباط الأحرار) تخطط لإزالة النظام الملكي، ولم تكن تشرك جميع القوى الوطنية بكل تفاصيل تلك الخطط إلا بالقدر الذي تستفيد هي منها. وكان من شأن الانعزال عنها تماماً (أي لو تخلت الجبهة عن دعم الثورة)، ان يتركها تواجه الحكم الملكي لوحدها، وبذلك تفقد الحركة الوطنية فرصة تاريخية.

ولم يكن زج القوى الوطنية لنفسها في الثورة هو سبب انتكاسة ثورة تموز، بل ان العكس هو الصحيح. فقد حصلت الانتكاسة بسبب تشتت وفرقة القوى الوطنية ورضوخ بعضها لتوجه الضباط الأحرار بعد انتصار الثورة.

130 - دراسات في تاريخ الحزب الشيوعي العراقي ص333

في عام 1957 تعرض الحزب لمخاطر الأفكار التحريفية القومية التصفوية الغربية، انعكست من خلال مقترحات تقدم بها فرع الحزب في كردستان بحل نفسه والاندماج مع الحزب الوطني الكردستاني. ولمعالجة هذه الظاهرة الخاطئة والخطيرة على الحزب، كتب سلام عادل كراساً تعرض فيه إليها، وناقشها بالتفصيل وقد تم تعميمه على جميع منظمات الحزب لتحسينها ضد الأفكار اليمينية الاستسلامية.

وفيما يلي مقدمة الكراس التي تشير إلى تلك الظاهرة، أما الكراس نفسه فنشره مع الوثائق المرفقة بهذا الكتاب:

"في أواخر حزيران الفائت تلقت قيادة الحزب عدداً من الرسائل والتقارير من الرفاق العاملين في قيادة المنظمات الحزبية في كردستان. وهي تحمل آراء ومقترحات تتعرض ليس لسياسة الحزب العملية فقط، بل ولأسس بناء الحزب ووحدته ولمبادئ الماركسية اللينينية ولضرورات وحدة كفاح الشعبين العربي والكردي ضد الاستعمار والرجعية في العراق.

ولقد اتضح منها ان رفيقين من قادة إحدى منظمات الحزب عوضاً من ان ينشطوا في اتجاه سياسة الحزب لتوحيد القوى الوطنية في كردستان فأنهم دخلوا، دون تخويل من قيادة الحزب أو من لجنة فرع كردستان، في مفاوضات مع ممثلين من الحزب الديمقراطي الموحد في كردستان (البارتي) من اجل "وحدة" ليس لها أي أساس فكري أو سياسي أو اجتماعي أي من اجل "وحدة" انتهائية على حساب مصلحة الشعب العراقي بما فيها الشعب الكردي وعلى حساب الحزب الشيوعي والمبادئ الماركسية اللينينية التي ينهض عليها كيانه وعلى حساب الدور الذي ينبغي ان يقوم به في الحركة الوطنية والقومية، فضلاً عن ان هذين الرفيقتين قد تصرفا بروح منافية للتمسك الدقيق بوحدة الحزب في مجالها الخاص. ولكن قيادة فرع حزبنا الشيوعي في كردستان بدلاً من ان تقف موقفاً صريحاً وقوياً تجاه هذا الانحراف القومي البرجوازي التصفوي فأنها انساقت هي بدورها فيه ودعت إلى اجتماع لا مبرر له حضره - عدا لجنة الفرع - رفيقان من قادة المنظمات الحزبية، وأيدت مجمل الآراء والاستنتاجات التي تميز هذا الانحراف القومي البرجوازي التصفوي الصريح ورفعت تقارير ومحاضر ورسائل بهذا الشأن إلى قيادة الحزب طالبة منها الإقرار بها وتبنيها، كما أرفق بعض الرفاق رسائلهم بتحدٍ بين لقيادة الحزب ولمبدأ المركزية الديمقراطية فيه.

ولا شك ان هذا الانحراف لم يكن شيئاً مفاجئاً بشكله العام. فنظرة الانعزال القومي المضللة الانفصالية بين مثقفي البرجوازية الصغيرة الكردية لها جذور تاريخية واجتماعية متشعبة وهي تجد التشجيع كل التشجيع من القوى المعادية لوحدة الشعب

العراقي بعربه وأكراده ضد الاستعمار الأنجلو أمريكي وصنائعه المحليين. ومالم يقف الوطنيون والقوميون الصادقون من الأكراد والعرب وفي مقدمتهم الشيوعيون موقفاً حازماً وصريحاً إزاءها، وفي الدفاع عن الوحدة الشعبية المتينة فأنها ستؤثر، لا في حرف نضال جماهير الشعبين العربي والكردي عن طريقها الصحيح الوحيد للتحرر الوطني والقومي وحسب، بل يمكن ان تتسلل إلى صفوف المناضلين الطليعيين الشيوعيين أيضاً.

لقد وجه الحزب رفاقه خلال السنتين المنصرمتين بوجه خاص إلى ضرورة وأهمية استيعاب الحركة القومية لتلبية مطالبها ومشاعرها وبين ان الشيوعيين، لهم من المؤهلات الكاملة والأصالة للوقوف لا في طليعة الحركة الوطنية وحسب، بل في طليعة الحركة القومية العربية والكردية في قطرنا أيضاً. إلا أنه يبدو ان بعض الرفاق الذين لم يستوعبوا أفكار الحزب وسياسته استيعاباً كاملاً ومنهم الرفاق جابر وشاكر وقه لغان وشريف وقه لا، قد تفهموا أفكار الحزب وسياسته فهماً خاطئاً لم يعطهم الصيانة الضرورية تجاه روح الانعزال القومي المعادية للشعب الكردي ولسائر جماهير الشعب أيضاً. كما ان بعض الأوضاع الذاتية التي تتعلق ببعض الرفاق المعنيين قد سهلت انزلاقهم في هذا المجرى المناهض لأفكار الحزب وسياسته ووحده. ولا شك ان الحزب كان قد بذل جهداً فكرياً مناسباً لتوضيح وشرح سياسته في المسألة القومية ولمساعدة المناضلين في التخلص من الأفكار الذاتية المترسبة من أوضاع سابقة. وتجاه المشكلة التي أثاروها الآن، ورفاق آخرون فإن قيادة الحزب بذلت جهدها لعدم تكرار الأمثلة السيئة التي سبق ان عولجت بها حالات من هذا القبيل. وقد وقفت قيادة الحزب بحزم مبدئي لا تتطرق إليه روح التلطيف والمهادنة تجاه ما يمس مصلحة الحزب والحركة والشعب. وفي الوقت نفسه فأنها اعتمدت على ثقها بإخلاص هؤلاء الرفاق لأمتهم وشعبهم وحزبهم والشيوعية، وضعت نصب عينيها العمل على تصحيح أفكارهم ومواقفهم والمحافظة عليهم أمناء في الحزب الشيوعي الذي كرسوا كل طاقاتهم وإمكانياتهم لخدمته ومن اجل بنائه وتقدمه. وقد انعقدت عدة اجتماعات لهذا الغرض مع قيادة الحزب وكذلك بين الرفاق أنفسهم، كما ان قيادة الحزب وجهت إلى الرفاق المعنيين رسالة ترد فيها على أفكارهم الخاطئة الواردة في تقاريرهم ورسائلهم ونوقشت هذه الرسالة في اجتماع عقد للرفاق.

وبالفعل فان هذه الجهود المستندة إلى قوة المبادئ وسياسة الحزب الصحيحة قد أجزت انعطافاً لدى الرفاق المعنيين من حيث نظرهم للمسائل المطروحة وبدأت تنهار في أذهانهم الأفكار الخاطئة التي كانوا يتبنونها وأعلنوا تمسكهم التام بسياسة الحزب.

ولكن ذلك لم يجعل من المسألة شيئاً منتهياً، بل الأمر على العكس فقد تنبه الحزب بقوة إلى ضرورة رفع كفاحه الفكري ضد الأفكار الغريبة التي تحيطنا فتشكل ضغطاً مستمراً يرمي الى حرف المنظمات والرفاق في تطبيقهم لسياسة الحزب.. وعندما تتسلل مثل هذه الأفكار الى خيرة رفاقنا في كردستان فإن ذلك يعني ان هنالك خطراً لا يمكن الاستهانة به من جرائها خصوصاً في الظروف الحادة والمتشابكة التي تمر

بها حركتنا الوطنية والتي يحاول فيها المستعمرون الياسون التثبيت بكل شيء للخروج من أزمته والحفاظ على نفوذهم ومصالحهم الاستغلالية الجشعة... وليس عبثاً ان ينشط الآن صنائع المستعمرين وخصوصاً صنائع الأمريكان والخونة والجواسيس لتحفيز "حركة قومية" كردية في الظاهر، وتخدم الاستعمار في الواقع، حركة لا يمكن ان يكون نشاطها بأي حال من الأحوال، الا خيانة صريحة لقضيتنا الوطنية ولقضية الشعب الكردي نفسه الذي ليس أمامه مطلقاً سوى طريق الكفاح المشترك مع الشعب العربي في العراق ومع سائر الاقليات القومية فيه من اجل الاستقلال والتحرر الوطني والديمقراطية. والشعب الكردي لا يمكن ان يسير وراء حركات مشبوهة تستهدف استبدال شكل من الاستعمار بأخر أشد ضراوة وبشاعة منه، يتسلم فيه الزمام صنائع الأمريكان وخدمهم وهو لا يمكن ان يستعيز عن تحرره الوطني الناجز في عراق حر مستقل تمارس فيه قومياته الرئيسة العربية والكردية حقوقاً ديمقراطية متساوية بحركة انفصالية تسير دواليها دسائس المستعمرين الأمريكان أو باستقلال مزيف يضع الشعب الكردي مرة ثانية أمام مهمات التحرر الوطني من الاستعمار وصنائه.

وكجزء من كفاح الحزب الفكري والسياسي ضد دسائس الاستعمار والرجعية ومن اجل رفع يقظة الرفاق إزاءها فإن قيادة الحزب ارتأت نشر رسالتها إلى قادة المنظمات في كردستان وكذلك نشر بعض المقتطفات التي تلقي ضوءاً على تراجع الرفاق عن أفكارهم الخاطئة وتمسكهم بسياسة الحزب ولا شك ان هذا الكراس سيقلى اهتماماً كبيراً من جميع مناضلي الحزب وخصوصاً في كردستان وكذلك من سائر الوطنيين والقوميين المعادين للاستعمار والرجعية الخائنة.

وقد يخطر ببال البعض ان من المستحسن تجنب مناقشة طبيعة وسياسة الحزب الديمقراطي الموحد في كردستان (البارتي) في هذا الوقت الذي يتجه فيه نشاط الحزب الرئيسي من اجل تقوية لحمة القوى الوطنية، ولكن هذا الرأي خاطئ من الأساس وذلك:

أولاً - ان البارتي يصر ويوغل في سلوك خاطئ معاد لحزبنا ولأفكار الماركسية اللينينية وتبني سياسة انتهازية تزرع البلبلة والتشويش في صفوف المناضلين وتؤدي بحركة الشعب الكردي إلى الانحراف نحو الانعزالية فالانفصالية. وإن حمل البارتي على التخلي عن هذه الأفكار وتلك السياسة هو بحد ذاته تقوية واضحة للحركة الوطنية والقومية.

ثانياً - ان مجهود حزبنا من اجل الجبهة الوطنية الموحدة لا يتنافى ولا يتعارض مع كفاحه الفكري الخاص من اجل توضيح وتثبيت أفكاره وسياسته التي تتفق تماماً مع مصلحة حركتنا الوطنية والقومية وبالتالي تخدم تطورهما ومستقبلهما ولا يتنافى مع إبداء رأينا في طبيعة الأحزاب القائمة ومع نقدنا لمواقفها وآرائها الخاطئة.

ثالثاً - ان حزبنا في موقفه هذا لا يتخلى، بل يتمسك بحرص أكثر بآرائه ومقترحاته

الواردة في هذا الكراس حول إعادة النظر في علاقة حزبنا بما يكفل تجنب منظماتها في كردستان أخطار المماحكة والتنافر ومن أجل التقدم بخطوة جديدة في سبيل الجبهة الوطنية الموحدة في العراق.

ونحن ننتهز هذه الفرصة للتأكيد مرة أخرى بأننا على استعداد تام لمُد أيدينا لكل من يمد لنا يداً واحدة، إذا كان الأمر يتعلق بخدمة جماهير شعبنا العراقي ومصلحة تحرر وطننا من طغيان الاستعمار وعملائه الرجعيين.

20 آب 1957

لقد واجه الحزب تلك المشكلة في فترة تاريخية دقيقة. فقد أنشئت الجبهة الوطنية قبل فترة قصيرة في شباط 1957 وكان سلام عادل في فترة ورود اقتراح الفرع لوحده في المكتب السياسي لتواجد عضويه الآخرين، جمال الحيدري وعامر عبد الله، في الخارج منذ ربيع ذلك العام ولهذا كان الفرع على صلة مباشرة بسلام، وتصدى للمشكلة بنفسه. وقد استطاع تحقيق نجاح فيها دون خسائر تذكر حسبما رواه لي الرفيق مام قادر الذي كان عضواً في لجنة الفرع في تلك الفترة.

التهئية الداخلية للثورة

صعد الحزب الحركة الاضرابية بين العمال، كجزء من التمهيد والتعبئة للثورة ولإنهاء الحكم واستنفاد قواه ولشل تذبذب بعض الفئات وجذبها الى صفوف الحركة.

وشهدت سنتا 1957 و1958 العديد من الإضرابات العمالية من اجل تحقيق مطالب عادلة وهي رفع الأجور وتحسين ظروف العمل. فأضرب 450 عاملا من عمال معمل نسيج الوصي في الرابع والعشرين من شهر آذار "مارس" عام 1957. وأضرب 700 عامل من عمال الكونكريت في المنصور، إضافة الى إضراب العمال الزراعيين في العشرين من شهر نيسان "أبريل" عام 1957 وإضراب 600 عامل من عمال شركة الغزل والنسيج كما أضرب عمال معمل البلوكات في شركة زبلن بمدينة تكريت وعمال شركة هوكتيف الألمانية.

وساهم العمال العراقيون في شهر أيلول "سبتمبر" عام 1957 في مؤتمر العمال العالمي مع بقية مندوبي الدول العربية من العمال.

وعلقت جريدة "اتحاد الشعب" الصادرة في شهر أيار (مايو) عام 1958 على صدور القانون الجديد للعمل، بان الحقوق التي تضمنها قانون العمل رقم 72 لسنة 1936 قد جاءت نتيجة نضال العمال في أهم المشاريع، كالنفط والسكك والميناء وذلك في الفترة الممتدة بين عامي 1929 - 1936، ويأتي القانون الجديد حصيلة لنضال العمال من أجل حقوقهم فهو ليس مئة على أحد.

تميز سلام عادل بقدرته على فهم مطالب الفلاحين وصياغتها في شعارات واضحة ومفهومة. وساعد ذلك على تعبئة قوى الريف وأعدادها للمساهمة بالثورة والدفاع عنها، إذا ما اقتضى الأمر ذلك. وتكمن أهمية أعداد الفلاحين لهذا الدور في امتلاكهم امكانيات مؤثرة فبمقدورهم المساهمة الفعالة والمسلحة في شل أي تحرك للإقطاعيين إذا ما قرروا القيام بأي عمل مضاد. فضلا عن معاناتهم من الاضطهاد والقمع ولديهم مطلبهم المشروع بالأرض.

وتعاضد نشاط الحزب الشيوعي العراقي بين الفلاحين، وتغلغل بينهم شعارات الجمعيات الفلاحية السرية وأهدافها والتي حددها منهاج الجمعيات الفلاحية الذي أصدره الحزب منذ أوائل عام 1955 وتوسعت وتعاضدت الى عام 1957 مما أدى الى قيام نضالات جماعية فلاحية لتحقيق أهداف الحركة الفلاحية.

"كُتبت جريدة "صوت الفرات" واصفة تحول الحركة الفلاحية الى قوة ثورية قادرة على المساهمة في اكتساح الحكم العميل، إذا ما عممت تجربتها على جميع أنحاء البلاد فقالت:

(طلبت الحكومة كثيرا لمشاريع الأعمار... لكن شعبنا الذي يتلظى بواقعه الأليم يعرف بطلان هذه الدعاوى الفارغة. فمن بين المشاريع التي كثر التبع بها هو مشروع المسيب الكبير، الذي زُعم انه سيروي ملايين الدونمات التي ستوزع على الفلاحين. وحينما تأكد الفلاحون من أكاذيب دعوة الحكومة لهم بمنحهم الأرض ورأوا بأعينهم جريان المياه بالمشروع، قاموا بزحف عام من كل جانب، بعدما اجتمعوا من عشائر متعددة واختاروا بعضهم ليقوموا بالتوزيع، ثم استقر كل فلاح بوحدة استثمارية اختارها هو، وظلوا عدة ليالي يتعارفون بينهم وهم يغنون ويهزجون الهوسات الوطنية التي تعبر عن إصرارهم على فرض إرادتهم وإيمانهم بقرب زوال الحكم العميل) " 132

يقول نصير الكاظمي (عزيز سباهي):

"منذ منتصف العقد السادس ظهر نشاط الحزب الشيوعي واضحا في الريف. وكان ميدان النشاط هذه المرة الفرات الأوسط. لقد تميزت النضالات هنا بتواترها وبسعة التضامن الذي ساد منطقة الفلاحين وبالتنظيم الأفضل... كما تتصف الجماهير الفلاحية هنا بالاستعداد الموروث للانتفاض على السلطة، وبكرها للمستعمرين الإنكليز، وكثير منهم حمل السلاح بنفسه ضد الاحتلال البريطاني وضد الحكومات التي نصبها.

لعب الحزب الشيوعي الدور المعبى والمنظم للنضالات الفلاحية وقد اكتسب خبرة نضالية في العمل بين الفلاحين، مكنته من ان يرسم الشعارات المناسبة التي يدركها الفلاحون والتي تعكس مصالحهم، وقد ركز بوجه خاص على العمل من اجل تحقيق (المنصفة) في الحاصل إذ كان شعاراً واضحاً ومفهوماً من جانب الفلاحين الذين استجابوا له بسرعة. كذلك عمل على ان يتدرج بالنضالات التي يقترحها للفلاحين بدءاً من تقديم العرائض وتنظيم الوفود والارتقاء بها الى مستويات أعلى.

لقد ساعدتهم هذه النضالات على إدراك الحقيقة التي ظل الحزب ينبه لها في كل ما ينشره للفلاحين وهي ان السلطة القائمة آنذاك لا يمكن ان تكون ضد الملاكين وجورهم، وهي تدافع عن مصالحهم على حساب الفلاحين أنفسهم ولا يمكن للسلطة ان تكون محايدة في ذلك الصراع.

لقد تحولت الجمعيات الفلاحية السرية الى قادة فعلية لنضالات

131 - سعاد خيرى - من تاريخ الحركات الثورية المعاصرة ص 328.

132 - المصدر السابق ص 328.

الفلاحين... واستجابت بسرعة الى دعوة الحزب لتكوين الفرق الفلاحية المسلحة" 133.
يقول باقر ابراهيم:

"ان حزبنا الشيوعي بعد صدور بيان اللجنة العليا في تكوين جبهة الاتحاد الوطني. توجه في منظمات الفرات الأوسط، لتكوين وفد لمخاطبة بعض الشخصيات الكبيرة المؤثرة في المنطقة، وخصوصاً من وجهاء العشائر من الذين عندهم بعض النزعات الوطنية المعادية للإنكليز وضد نوري السعيد أو ضد النظام العميل. فتوجه وفد من عناصر ومن كوادر حزبية وأيضاً من شخصيات عشائرية تستطيع ان تتصل بهؤلاء وان تخاطبهم وأتذكر منهم مثلاً حاتم الحسن رئيس عشائر بني حسن وهو شخصية معروفة وبارزة وعندما زاره الوفد استقبلهم بترحاب وأعرب عن سروره لصدور بيان اللجنة العليا لجبهة الاتحاد الوطني وقال إنني معكم وحاضر لكل شيء" 134.

وشهدت مختلف مدن العراق نشاطاً تعبويّاً لتوثيق التعاون الوطني على جميع الأصعدة، اقترن بنشاط المنظمات الاجتماعية الديمقراطية التي كان الشيوعيون يلعبون فيها دوراً متميزاً وهي، اتحاد الطلبة العام واتحاد الشبيبة الديمقراطي ورابطة الدفاع عن حقوق المرأة الى جانب نشاط حركة السلام، ونقابات الأطباء، والمحامين، والمعلمين.

جاء في جريدة (اتحاد الشعب):

"ان مسألة إقامة اللجان الوطنية ونشرها في مختلف أرجاء القطر، هي الحلقة الرئيسية التي ينبغي ان تنصرف إليها كل الجهود في اللحظة الراهنة، وبدون حل هذه المسألة ستبقى وحدة القوى الوطنية في اللجنة العليا لجبهة الاتحاد الوطني تدور في حلقة ضيقة من حيث نشاطها وتأثيرها في مجرى الأحداث السياسية".

ووجهت الجريدة في العدد نفسه النداء التالي:

أيها المواطن الغيور، بادر بنفسك دون ان تنتظر إيعازاً، الى الاتصال بأبناء محلتك أو قرينتك أو بالمشتغلين معك في محل عملك، في السوق أو المعمل أو المؤسسة التي أنت فيها أو بأبناء مهنتك أو بالمقربين منك، بصرف النظر عن معتقداتهم أو قومياتهم لتكوين (لجنة وطنية) تتصل بال جماهير وتشرح لها المطالبات الوطنية الكبرى التي أعلنها بيان الجبهة" 135.

لقد انصرف الحزب بكلّيته لتكوين حركة جماهيرية تستند إليها الثورة القادمة لإسقاط نظام الحكم القائم. وعندما شكل الأيوبي الوزارة في شهر حزيران (يونيو) عام 1957، أصدر الحزب الشيوعي العراقي بياناً أكد فيه بأن هذه الحكومة ستواصل

133 - نصير الكاظمي. الحزب الشيوعي والمسألة الزراعية في العراق (ص 234 و 235).

134 - مقابلة مسجلة على شريط كاسيت مع باقر إبراهيم الذي كان، في ذلك الوقت، عضواً في لجنة منطقة الفرات الأوسط للحزب الشيوعي العراقي.

135 - جريدة اتحاد الشعب السرية الصادرة في أوائل شهر حزيران "يونيو" عام 1957.

تحقيق ذات الأهداف الاستعمارية لحكومة نوري السعيد في الميدانين الداخلي والعربي مع تغيير طفيف في الوسائل والمظاهر.

جاء فيه:

"ولا شك ان حركتنا الوطنية تستطيع ويجب ان تستفيد من هذا الوضع وتركز خطتها أولاً في تعبئة الجماهير وزجها في نضالات موضوعية وعامة لحمل السلطات الرجعية على التراجع الى أبعد الحدود الممكنة وتحقيق بعض المطالبات الجماهيرية وثانياً تثبيت هذه الخطوات وتعزيزها وثالثاً التأكيد على المطالبات الوطنية مثل الخروج من حلف بغداد وفك الارتباط بمبدأ أيزنهاور" ¹³⁶.

ونشرت جريدة أتحاد الشعب:

"وتصاعدت حملة التنكيل والتعذيب بالسجناء السياسيين عام 1957 (مرة أخرى نعود للتحديث للرأي العام العراقي والعربي والعالمي عما يلاقيه السجناء الأحرار في سجن بعقوبة. فوراء البوابة السوداء لهذا السجن يجري أبشع أنواع التنكيل بحق معارضي حلف بغداد ومبدأ أيزنهاور والمناضلين في سبيل حقوق الشعب العراقي الدستورية وفي سبيل حرية الأمة العربية ووحدة... ولم يعد أحد يجهل أساليب التعذيب التي تتبعها إدارة سجن بعقوبة تجاه هؤلاء المناضلين وبإشراف من "لجنة مكافحة النشاط الهدام" التابعة لحلف بغداد... إننا نناشد كل الوطنيين الشرفاء ورجال المعارضة الوطنيين ورجال القانون وكل ضمير إنساني ان يرفع صوته استنكاراً لهذه الأساليب الوحشية" ¹³⁷.

من كراس سلام عادل الذي نشره رفاقه بعد استشهاد

كانت يد الثورة تطرق على الأبواب... فانصرف إليها بكل مشاعره... وشرع يساهم بأفكاره وقلمه في اقتراح خطة انتصارها والسبيل الذي ينبغي ان تسلكه في مسيرتها اللاحقة... كان يخاطر بالاتصال بهذا أو ذاك من الضباط، ويسعى إلى توحيد جهود الثوار وبث الثقة والعزيمة في صفوفهم.

كان حزبنا على موعد مع هذه الثورة في خريف عام ١٩٥٦... قال لي: سأكتب رسالة إلى رفاقنا القياديين في السجن أشير لهم فيها بشكل خفي بأن ساعة خلاصهم من أسر العدو قد باتت وشيكة... وسأكتب لهم عن الانتصارات التي حققها الحزب في مختلف الحقول... لقد عشت طويلاً تجربة السجن السياسي، وعرفت أي غذاء روحي ملهم تحمله إليهم أنباء انتصارات الحزب والشعب... ان رفاقنا السجناء يعيشون وراء أسوار خانقة ظلماء، فلنفتح لهم نافذة على عالمنا المشحونة آفاقه بالأمال... وكتب هذه الرسالة!

136 - نشرة داخلية للأعضاء أصدرها الحزب الشيوعي العراقي في 8 / 8 / 1957.

137 - جريدة اتحاد الشعب تشرين الأول "أكتوبر" عام 1957.

اعترضت طريق الثورة عقبات، فتأجل مياعداها مرة ومرتين وثلاثة... وحل الرابع عشر من تموز يحمل معه إشراقة فجره الأول نبأ سقوط نظام العبودية والأغلال... وكان سلام في الطليعة... مع الجماهير في شوارع بغداد يهتف لانتصار الشعب.

انتفاضة فلاحي الديوانية:

عاد سلام عادل الى العراق في منتصف شهر أيار (مايو) 1958 بعد رحلته الى موسكو والصين والمانيا للحصول على دعم الأحزاب الشيوعية الخارجية ومساندتهم لثورة العراق المقبلة، وتوصل بعد فشل حركة 11 مايس العسكرية، بأن هناك إمكانيات أخرى كان قد ذكرها تقرير (جبهة الكفاح الوطني ضد الاستعمار والحرب) وخلصتها هي ان يقوم الفلاحون في الريف بانتفاضة تساندها المدن وينضم الجيش إليها.

وتوجه الحزب ليهيئ كل الإمكانيات لانتفاضة الديوانية المسلحة، واعلم أعضاء اللجنة العليا لجبهة الاتحاد الوطني بهذه الخطة، الذين أبدوا موافقتهم عليها واستعدادهم للمساهمة في تنفيذها.

وفي ربيع عام 1958، رفع 300 فلاح السلاح في الدغارة والرميثة وتجمعوا برأياتهم وسلاحهم وأهازيجهم مطالبين بتطبيق مرسوم المناصفة.. وقد هيا الحزب المحامين للدفاع عنهم، وهيا الطلاب وجماهير الديوانية لمساندة المظاهرات وقد ذهبت وفود منهم الى الصحف التي تناولت الموضوع. وكان مقدراً لهذه الانتفاضة ان تتوسع وتجر مناطق فلاحية أخرى وبعض المدن (الديوانية والحلة) مع وجود إمكانية ان يتدخل الجيش (الفرقة الأولى) لمساندتهم.

ورغم ان لجنة منطقة الفرات الأوسط للحزب الشيوعي كانت قد تعرضت الى حملة اعتقالات شملت ثلاثة من قيادتها وهم (صالح الرازقي عضو اللجنة المركزية وحسين سلطان مرشح اللجنة المركزية وبقاير إبراهيم) لكن الأوضاع العامة وتصادد دور الجمعيات الفلاحية وحماس الفلاحين ساعدا على تحقيق انتفاضة الديوانية بعد ان تمت دراستها بدقة من قبل قيادة الحزب مع لجنة التنظيم الفلاحي، وقدرت ان الظروف جد مناسبة لتنفيذها.

"رفع الفلاحون في منطقة خيري ومنهم آل خليفة، العماريون والعفاجة سلاحهم صبيحة 1958/5/29 وهوسوا في مناطقهم ويقرر عددهم بـ 350 فلاحاً. هرب الملاكون هلعاً الى المدينة مستنجدين بالسلطة، وبعد ثلاثة أيام أرسلت السلطات باصاً محملاً بالشرطة لقمع انتفاضتهم، ولكن الفلاحين أوقفوا هوساتهم وتظاهروا بالترجع حتى يوم 1958/6/2 حتى تم لهم الاتصال مع الجمعيات الفلاحية في ناحية البدير (ناحية التحرير حالياً) فتجددت الهوسات في عموم المناطق في شمالي وشرقي الديوانية بعد ان كانت مقتصرة حسب الخطة على تحريك المناطق الضعيفة أولاً ودعمها بالمناطق القوية ثانياً، وهذا ما حدث فعلاً. وقد لاقت الحركة تأييداً واسعاً من

وقد أصدر الحزب الشيوعي العراقي بياناً في 3/6/1958، أعلن فيه مساندته المطلقة لانتفاضة الفلاحين وحث فيه الشعب على مساندتها والذي جاء فيه:

"ن الحل كما يبدو جلياً وبسيطاً، ألا وهو تطبيق مرسوم المناصفة. أما العناد والطغيان باستفزاز الفلاحين وإثارة الصدامات معهم، فلن يزيد الوضع إلا تعقيداً، وتدخل الحكومة بهذا الشكل الأهوج وتصريح المسؤولين بأنهم لن يعطوا المناصفة للفلاحين ولو كانت من حقهم (لأن الشيوعيين تدخلوا في الأمر)، سيحول الأمر الى معركة سياسية واسعة تقع عواقبها الوخيمة على الحكومة نفسها وتلقي عليها وزراً جديداً يضاف الى أوزارها الثقيلة المتراكمة".

وتقدمت وفود من المحامين الوطنيين للمطالبة بحق الفلاحين بالمناصفة فاستعملت السلطات أسلوب المناورة لكسب الوقت وأخبروا الفلاحين بأن حقوقهم مصانة ومتوقفة على تقديم العرائض كل فلاح بمفرده ويطالب بالمناصفة وليتركوا الهوسات.

ولتفادي البلبلة تقرر عقد اجتماع لقادة الحركة الفلاحية في عموم المناطق المنتفضة مساء العشرين من شهر حزيران "يونيو" عام 1958، حضره أكثر من 40 مناضلاً شيوعياً وقرروا بعد التداول: ان طلب المسؤولين بتقديم العرائض فردياً ما هو إلا مناورة. ومن اجل تقوية الفرصة عليهم في إشاعة البلبلة بين صفوف الفلاحين البسطاء، نرى تقديم العرائض كتجربة من كل منطقة من قبل عدد قليل مع استمرار الهوسات وتشديدها.

وبالفعل استمرت الهوسات في عموم المناطق. وبلغ مجموع الفلاحين المسلحين 700 فلاح أقسموا جميعاً على مواصلة النضال حتى تحقيق مطالبهم.

وقدم الفلاحون إنذاراتهم الى حكام العدل ودفعوا الرسوم القانونية وحددوا مدة كافية لتنفيذ قسمة الحاصل وفق مرسوم المناصفة.

لقد أوقفت السلطات الملاك نجم آل عبود لمدة 22 يوماً بتهمة تحريض الفلاحين، على ان رسائل التأييد والاستعداد لخوض المعركة توالى من فلاحي الشامية والفيصلية والحزمة والقاسم والمدحتية والمحاويل ومن مناطق متعددة أخرى، كما ارتفعت الشعارات التضامنية مع الفلاحين في كل مكان في بغداد والحلة والديوانية وغيرها من مدن العراق.

وأخذت الانتفاضة الفلاحية تتعاظم وتمتد، وهرب الملاكون من المناطق المنتفضة، وجرت قسمة الحاصل مناصفة دون حضور (الملاك) واستمرت الهوسات.

وأصدر الحزب الشيوعي العراقي بياناً آخر حول حركة فلاحي الديوانية من اجل

المناصفة في الثالث من شهر تموز "يوليو" 1958 جاء فيه:

"ان فلاحى الديوانية يكافحون من اجل حق قانوني عادل وبسيط، وهم في سبيل ذلك طرّقوا بالفعل جميع السبل القانونية، بينما دأب نفر من الملاكين على خرق القانون وتحديه والاعتداء على حقوق الفلاحين. وبين هؤلاء وأولئك تقف السلطات الحاكمة موقف المتجاهل لحقوق الفلاحين والمدافع عن باطل الملاكين وعتوهم، إنها تضرب عرض الحائط أولى واجباتها في الدفاع عن الحقوق القانونية للمواطنين...وعدا ذلك فإن تفسير فوجين من الشرطة من بغداد الى الديوانية لا يمكن تفسيره بسوى كونه امتداداً لهذه السياسة التي اعتادت الحكومة على ممارستها. ومن حق الجميع ان يعتبروا هذه التدابير الحكومية تهديداً أكيداً ليس لمطالب آلاف الفلاحين وحسب، بل ولحياتهم الآمنة، هؤلاء الفلاحين المناضلين الذين سعوا وعقدوا العزم على الدفاع عن حقوقهم مهما كلفهم ذلك من ثمن عزيز، وهم يستمدون العزم والتصميم من تأييد إخوانهم الفلاحين وسائر جماهير الشعب في كل مكان ومن مؤازرة رجال القانون ومجموع الحركة الوطنية في البلاد".

وبقى الفلاحون في أعلى مزاج ثوري حتى صبيحة الرابع عشر من تموز، فذهبت جموع الفلاحين بكامل سلاحها من عموم المناطق المنتفضة وطوقوا مدينة الديوانية ليمنعوا الاتصال بين قائد الفرقة الذي أعلن تمرده على الثورة وبين الإقطاعيين وحالوا دون تحركه ضد الثورة بالزحف نحو بغداد الثورة.

وقدم وفد منهم مذكرة إلى ضباط الفرقة الأولى في الديوانية يعلنون فيها تأييدهم للثورة واستعدادهم للدفاع عنها.

الاستعداد الخارجي للثورة.

أولى الحزب الاستعداد الخارجي للثورة أهمية كبيرة، فالعراق يتميز بأهمية خاصة في السياسة الاستعمارية. فهو عضو مهم في حلف بغداد، وإن نجاح الثورة سيؤدي الى خروجه من الحلف لاحقاً، وتفكيك حلقة رئيسية من الحلقات الاستعمارية في الشرق الأوسط، ودفع حركة التحرر الوطني العربية في هذه المنطقة خطوات الى الأمام، وفي ذلك هزيمة لبريطانيا والقوى المحلية الرجعية المتحالفة معها. وعلى هذا الاساس يشكل العراق ثقلأ هامأ ويؤثر بصورة ملموسة على توازن القوى دوليا.

وكان من الطبيعي ان يتوجه الحزب بأنظاره الى الاتحاد السوفيتي وحلفائه للحصول على دعمهم ومساندتهم بالدرجة الاولى، فهم الأقدر على شل تحركات القوى الامبريالية من التدخل المباشر لنجدة حلفائهم في الداخل عند قيام الثورة.

لم يكن الحزب الشيوعي وحده مدركا لضرورة واهمية الدعم الخارجي في نجاح الثورة وديمومة الحكم الوطني مستقبلا، بل ان القوى السياسية الاخرى تعطي العامل الخارجي دورا أكبر وبعضها يوليه الدور الحاسم على حساب العوامل الداخلية. وقد عكس ذلك الواقع ما كتبه **عامر عبد الله** في العدد 57 من جريدة الغد الديمقراطي

"كان قاسم يؤكد لنا ان مستلزمات انتصار الثورة في الداخل باتت مضمونة... وكان يرى ان الثورة المصرية كانت بسيطة وميسورة التنفيذ على خلاف الثورة التي يجري إعدادها في العراق. وكان أخطر ما في الأمر بالنسبة لمصير الثورة في العراق هو خطر التدخل العسكري من جانب الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وتركيا، بحكم وجود العراق في حلف بغداد... كان مطلب قاسم بتأمين موقف إمداد مسلح من جانب الاتحاد السوفيتي وجيهاً وصائباً وضرورياً ان لم نقل شرطاً حاسماً لضمان انتصار الثورة في ظروف العراق".

ان إدراك الحزب لدور العوامل الخارجية في انتصار الثورة، على أهميتها القصوى، لا يعطيها الأولوية على حساب العوامل الداخلية الحاسمة، وبذلك يتميز عن تلك النظرة البرجوازية لقضية الثورة كما جاء في المقتطف اعلاه.

وعلى هذا الاساس اولى الحزب اهمية رئيسية لـ: رص صفوفه وتوحيد القوى الوطنية حول سياسة صائبة مدعومة بنشاط جماهيري واسع النطاق كضمانة وركيزة اساسية للحصول على الاسناد والدعم الخارجي وايضاً كشرط رئيسي لجدوى وفاعلية هذا الدعم.

ان "تسلح" الحزب بالإنجازات التي حققها في تهيئة وإنضاج شروط الانتصار داخلياً بالإضافة الى ان العلاقة المتينة القائمة بين الاحزاب الشيوعية وحزبنا والثقة التي توليها اياه، بسبب صواب ونضج سياسته تلك وتنفيذها بنجاح وابداع، قد أهلتها للقيام بدور رئيسي للحصول على دعم واسناد الدول الاشتراكية والقوى التقدمية المعادية للإمبريالية في العالم.

ان الخطر الخارجي لم يكن متأتياً من بريطانيا، ذات المصالح المباشرة وحدها، فقد شخص الحزب والقوى الوطنية النوايا الامريكية في المنطقة من خلال ما سمي بمشروع آيزنهاور لملى فراغ!

كتبت جريدة الحزب "اتحاد الشعب" قائلة:

"اندفعت أمريكا بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر لإنقاذ السياسة الاستعمارية، الى تمزيق الصف العربي وتشجيع إسرائيل على مواصلة العدوان. ان هذه السياسة تحاول ان تشق طريقها وراء ذريعتين: الأولى ضد الخطر الشيوعي! والثانية تقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية. وبموجب نظرية آيزنهاور حول ملء الفراغ الحاصل بالمنطقة بعد تدهور مركز بريطانيا وفرنسا إثر فشل العدوان. ان مشروع آيزنهاور لم يجد مصيراً أفضل من مصير حلف بغداد"¹³⁹.

وقد شجبت صحف أحزاب جبهة الاتحاد الوطني مشروع آيزنهاور ودعت الى

139 - جريدة اتحاد الشعب الصادرة في شهر شباط "فبراير" عام 1957.

وكتبت صحيفة "خه بات كوردستان" الناطقة باسم الحزب الديمقراطي الكردستاني الموحد مقالاً بعنوان "الشعب الكردي وحوادث الشرق الأوسط" جاء فيه:

"نظرة على حوادث الشرق الأوسط الأخيرة تكشف لنا توسع وتطور القوى الوطنية والديمقراطية لشعوب هذه المنطقة من جهة، واندحار القوى الاستعمارية وصنيعتها الرجعية من جهة أخرى، وذلك دليل على فشل جميع الجهود ومحاولات الاستعماريين لخداع شعوب هذه المنطقة لربطهم بعجلة الاستعمار ومشعلي الحروب بواسطة حلف بغداد الحربي الاستفزازي عدو الأكراد والعرب ومحبي السلم وشعوب العالم".

جهود ونشاط الحزب لتأمين الدعم الخارجي للثورة

اتصل عبد الكريم قاسم بالحزب الشيوعي العراقي واقترح عليه العمل على تأمين دعم ومساندة الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية للثورة التحررية العراقية المقبلة ضد الاستعمار وضد حلف بغداد. واقترح إرسال أحد قياديين الحزب الى هذه الدول لهذا الغرض.

استجابت قيادة الحزب لمقترح عبد الكريم قاسم وقررت إرسال عامر عبد الله للقيام بهذه المهمة في ربيع عام 1957، وبعد فترة وجيزة تسلم الحزب تقرير موفده. ومن خلال المعلومات الواردة فيه ادرك الحزب ان مهمته لم تكمل بالنتائج المرجوة والمتوقعة وتقرر معاودة بذل الجهود، بالاستفادة من ترؤس سلام عادل لوفد الحزب الشيوعي العراقي الى مؤتمر الأحزاب الشيوعية والعمالية الذي انعقد في موسكو بمناسبة الذكرى الأربعين لثورة أكتوبر في شهر تشرين الثاني "نوفمبر" عام 1957، وكانت مناسبة جيدة لإجراء محادثات مباشرة مع قادة الأحزاب الشقيقة وتعريفهم بسياسة الحزب والوضع السياسي في العراق ونضوج العوامل الداخلية لانتصار الثورة، وذلك للحصول على دعمها واسنادها باتخاذ الاجراءات الكفيلة بردع القوى الامبريالية من التدخل المباشر وتأييد الثورة في العراق في حالة قيامها.

ألقى سلام عادل كلمة الحزب الشيوعي العراقي في المؤتمر ومكث في موسكو بعد انفضاضه لعقد محادثات مع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي، فاستطاع كسب ثقة واحترام من قابلهم وإقناعهم بأهمية تقديم الدعم للثورة العراقية المنتظرة. وحصل على موعد لمقابلة نيكيتا خروشوف الأمين العام للحزب الشيوعي السوفيتي الذي أقتنع بمطلب حزبنا ووعد سلام بأن الاتحاد السوفيتي سيقف الى جانب الشعب العراقي ويساند ثورته المقبلة ضد الاستعمار ومن اجل تحرره وسيادته الوطنية.

وقد حصل سلام عادل من خلال لقاءاته مع قادة الأحزاب الشقيقة على تفهمهم لموقف الحزب ولسياسته لأسقاط النظام الملكي، ووعده بإسناد تلك السياسة ودعمهم

الكامل للقوى الوطنية في نضالها العادل ضد الامبريالية.

وعندما اندلعت الثورة، نظم الاتحاد السوفيتي مناورات أجراها على الحدود التركية الإيرانية وتم الاعتراف بالنظام الثوري الجديد في العراق بعد 24 ساعة من قيام الثورة ونجاحها عن استعداد الاتحاد وحلفائه لتقديم الدعم العسكري للحكومة الجديدة، إذا ما تعرض العراق لأي عدوان خارجي تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والشركاء الآخرون في حلف بغداد.

بعد ان أنجز سلام عادل مهمته في الاتحاد السوفيتي وحصوله على وعد من خروشوف بإسناد الثورة وتأييدها، سافر الى الصين الشعبية وقابل هناك ماوتسي تونغ سكرتير الحزب الشيوعي الصيني ومسؤولين صينيين آخرين في الحزب. وحصل من ماوتسي تونغ على وعد بالتضامن التام مع شعب العراق وثورته المقبلة ضد الاستعمار وحلف بغداد.

رجع سلام عادل من الصين الى جمهورية ألمانيا الديمقراطية في شهر نيسان "أبريل" عام 1958، وأجرى مقابلة مع مجلة (شؤون الحركة العمالية الأممية) وأجاب على الأسئلة التي وجهتها له المجلة بشأن موقف الحزب من الوحدة السورية المصرية، ونظرا لكبس مطبعة الحزب في خريف عام 1957 من قبل الشرطة وصدور العدد الخامس من جريدة القاعدة مطبوعة بالرونو، فقد أهدى الحزب الاشتراكي الألماني الموحد، اعتزازا بالحزب الشيوعي العراقي وتعبيرا عن التضامن والتأييد لسياسته، المطبعة السرية للمقاومة الألمانية ضد النازية. وقام سلام بنقلها معه الى بغداد.

ان اجابات سلام عادل على اسئلة المجلة الالمانية تعكس افكار واءاء الحزب وتوجهاته الرئيسية في تلك الفترة، وننشر نصها لأهميتها في معرفة تلك الافكار: وفيما يلي نص المقابلة:

سؤال: ما هي الجذور التاريخية التي تعزز موقف الشعوب العربية في جهودها للوصول الى الوحدة؟ جواب - لقد لعبت الحضارة العربية دورها في تطور الإنسانية، وتسلطت أكثر من أربعة قرون وتوسعت الى الصين والى فرنسا. ومع التقهقر البطيء للعرب تقوى الإقطاعيون. إذ ان ما حصل في أوربا حصل أيضا في المناطق العربية، حيث رافق ضعف الدولة واضمحلالها تقوية الإقطاعيين في ان واحد. وهذا ما سهل للأجانب احتلال البلدان العربية فعانت شعوبها ظلماً مضاعفاً، ظلم الإقطاعيين من جهة وظلم المحتلين الأجانب من جهة أخرى.

لقد ناضل الشعب العربي منذ ذلك الحين ضد العبودية المزدوجة نضالاً دائماً قدم فيه التضحيات. وما تعداد سكان العراق الا مثل معبر عن تضحياته. ففي عهد الحضارة العربية سكن العراق 30 مليون نسمة وأصبحوا الآن ستة ملايين فقط.

في منتصف القرن التاسع عشر وصل نضال الشعوب العربية الى مرحلة جديدة، حيث كانت بداية هذه المرحلة في مصر عندما بدأت تتشكل فيها طبقة برجوازية قوية.

لقد كان لحركة التحرر الوطنية آنذاك عدوان هما: الاوتوقراطية التركية والسلطة الأوربية. ومع الضعف المستمر للسلطة التركية تقوى نفوذ السلطات الاستعمارية الأوربية، كما رافق ذلك اتفاقيات مختلفة لتقسيم البلدان العربية الى مناطق نفوذ وفي الوقت نفسه حاول الاستعماريون الإنكليز شق الحركة العربية الموحدة، بكسب بعض قادة الحركة العربية الى جانبهم ووضعوا الخطط لإنشاء دولة يهودية في فلسطين الا ان الشعوب العربية لم ترض بوضعها الذي ساقها إليه الاستعماريون فعبرت عن عدم ارتياحها بانتفاضات لا تحصى في كل مكان من الشرق العربي، كما في سنة 1919 في مصر، وفي سنة 1924 في سورية، وفي العشرينات في العراق وشمال أفريقيا. كل هذه الانتفاضات أدت الى تقوية الشعوب العربية في كفاحها من اجل التحرر الوطني والوحدة وعمقت الكراهية ضد المستعمرين وضد عملائهم من العرب.

بعد الحرب العالمية الثانية اتخذت الحركة التحررية العربية دورا جديدا، ساعد على ذلك تكوين المعسكر الاشتراكي، وضعفت مراكز الإنكليز والفرنسيين الاستعماريين في منطقة الشرق الأوسط، وتمكنت بعض الدول العربية من الحصول على استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة لنضال الشعب فيها وبموازرة الاتحاد السوفيتي في مجلس الأمن.

وبالنسبة لمسألة القومية العربية، فحسب اعتقادنا ان الشعوب العربية تكوّن قومية لوحدها، إذا أخذت مقومات القومية بنظر الاعتبار، على الرغم من ان بعض القوميات موجودة، كنواة وليست بشكلها الكامل.

وللأمة العربية بمختلف شعوبها تاريخ مشترك، لغة مشتركة، وأرض مشتركة ولها تطور اقتصادي متقارب. إننا نعتقد بان الاتجاه بالسياسة الاقتصادية في كافة البلاد العربية، نحو خلق ظروف اقتصادية منسجمة يحقق وحدة اقتصادية شاملة تساعد على تكامل مقومات القومية.. ومن اجل التوصل الى نتيجة صائبة، يجب النظر الى مسألة القومية العربية ومسألة الوحدة الاقتصادية المشتركة من خلال حركتهم وتطورهم.

سؤال: ما هي نظرة الحزب الشيوعي العراقي الى تأسيس كل من الجمهورية العربية المتحدة، والاتحاد العراقي - الأردني؟

جواب - لم تكن الحركة من اجل توحيد البلدان العربية مرتبطة دائما بمطالب الشعوب العربية التي تدافع عن مصالحها، وعلى سبيل المثال مشروع الهلال الخصيب ومشروع سوريا الكبرى. ان الاستعماريين يستغلون الأفكار القومية العربية للوصول الى مآربهم. ولقد أشرنا نحن الشيوعيين الى الطريق الصحيح وقلنا ان الشعوب العربية لا تتمكن من تحقيق وحدتها الا عن طريق نضالها الحازم ضد الاستعمار ومؤامراته، وهذا ما تعمله الآن الجماهير الواسعة للشعب العربي في كل مكان. ومن هذا المنطلق ننظر الى كل من الاتحاد العراقي - الأردني والجمهورية العربية المتحدة، فالأول يعني ان الأردن اشترك عمليا في حلف بغداد، الأداة

الاستعمارية التي تهدف- بالإضافة الى أهدافها العدوانية ضد البلدان الاشتراكية - الى تقوية الاستعمار في منطقة الشرقين الأدنى والأوسط. لذا فان الحزب الشيوعي قد عبر بصراحة عن استنكاره لهذا الاتحاد العربي وحكم عليه، بينما حيا حزبنا تكوين الجمهورية العربية المتحدة باعتبارها خطوة إيجابية ضد المشاريع الاستعمارية في منطقة الشرقين الأدنى والأوسط وخاصة ضد حلف بغداد. لقد جاء تكوين الجمهورية العربية المتحدة نتيجة تطور الأحداث في مصر وسورية في السنة الماضية، حيث تلقى الاستعماريون في كلا البلدين ضربات حازمة. الى جانب ذلك تمكنت الجماهير الواسعة في كلا البلدين- في نضالها ضد الاستعمار- ان تحصل على مؤازرة المعسكر الاشتراكي الذي تدخل دائما وبحزم من اجل حماية مصالح الشعوب العربية. إننا نعتبر الجمهورية العربية المتحدة أساسا للاتحاد العربي الشامل المرتقب.

ان الجمهورية العربية المتحدة تتمكن من القيام بأعباء مسؤولياتها التاريخية فقط عندما تقدر حقيقة النوايا الاستعمارية وتستمر في نضالها ضد الاستعمار وتأخذ بنظر الاعتبار خبر وتجارب كافة الشعوب العربية ومعاداتها للاستعمار وطموحها الى الديمقراطية، وعندما تحرر سياستها من بعض أفكار "رجال السوق".

في السنوات الأخيرة تغلغت الأفكار الديمقراطية في رؤوس كافة المواطنين العرب. وخلال التطور الاقتصادي للبلدان العربية اتخذت المصالح الطبقية في هذه البلدان صورها الحادة الواضحة. ان وظيفة الجمهورية العربية المتحدة هي دعم كافة القوى الشعبية لتوحيدها في نضال مشترك ضد الاستعمار ويمكن الوصول الى هذا الهدف، عندما تحترم الجمهورية العربية المتحدة مصالح كافة الطبقات الشعبية في البلدان العربية، وعندما تتحقق الحريات الديمقراطية للشعب، فقط بهذا الأسلوب تتمكن الجمهورية العربية المتحدة من تحطيم كافة المؤامرات الاستعمارية بنجاح، وبهذا الأسلوب فقط تتمكن من جذب الجماهير الواسعة في البلدان العربية حولها.

أما بالنسبة للعراق، فإننا عندما يتحرر العراق من الاستعمار ومن عبودية حلف بغداد نتحد لأسباب مختلفة، بالجمهورية العربية المتحدة بشكل اتحاد فدرالي، ونريد في الوقت نفسه حريات ديمقراطية كاملة لكافة القوى الوطنية التي برهنت على صدق عزمها في نضالها الحازم ضد الاستعمار. نحن نريد هذه الحريات لكي نتمكن من توجيه ضرباتنا المبيدة ضد عملاء الاستعمار الفعاليين.

سؤال: ما هي أهم المميزات الحاضرة لحركة التحرر الوطني للشعوب العربية وما هي القوى الطبقية الفعالة فيها؟

جواب - ان القومية العربية ليست اليوم مسألة عدد من الأحزاب أو عدد من القادة، بل هي حركة جماهيرية جبارة لكافة الشعوب العربية في حركة التحرر الوطني ضد الاستعمار. ان حركة الشعوب العربية هي في الوقت الحاضر في مرحلة التحرر الوطني والديمقراطي. والوصول الى اتحاد الشعوب العربية هو قسم من هذه المرحلة، ولا تدخل في جدول أعمال هذه المرحلة مسألة الانتقال الى الاشتراكية، والقوى

الأساسية لحركة التحرر الوطني هي جماهير العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة والبرجوازية المعادية للاستعمار.

في مختلف البلدان العربية وكذلك في العراق تكونت جبهات نضالية وطنية من مختلف القوى ومن مختلف الفئات التي تشمل جماهير واسعة من الشعب والتي توجه نضالها ضد الاستعمار وضد الرجعية في البلدان العربية، وفي هذه الجبهات النضالية تنعكس بصورة طبيعية المصالح الطبقية المختلفة. ولا بأس ان أشير الى دور البرجوازية، فالبرجوازية ومصالحها في البلدان المستعمرة وأشباه المستعمرة أو المستقلة حديثاً، تختلف عن البرجوازية الاستعمارية في البلدان الرأسمالية المتطورة. ففي بلدان المستعمرات وأشباهها يوجد اضطهاد عام أو تهديد مستمر يشمل البرجوازية في هذه البلدان أيضاً. بالإضافة الى ان البرجوازية في بلدان المستعمرات وأشباهها قد تكونت في وقت متأخر جداً، في وقت سيطرت فيه الأيديولوجية الاشتراكية على جميع أنحاء العالم. وكنتيجة لذلك نجد قسماً كبيراً من البرجوازية يقف ضد الاستعمار وحتى إنها تحمل شعارات "الاشتراكية" ولو كان ذلك بصورة غامضة مبهمة وباسم هذه الشعارات تشن البرجوازية الوطنية بعض الحملات ضد الرأسمال الاحتكاري الأجنبي وضد سلطة الإقطاع. وتحت هذه الشعارات تؤمم البرجوازية أحياناً ثروات طبيعية ومؤسسات احتكارية. نحن نؤيد سياسة كهذه من قبل البرجوازية، بغية تطور الاقتصاد الوطني ومن اجل الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين ونشرح للعمال والفلاحين الجوانب الديمقراطية لهذه المقاييس البرجوازية، ولكننا في الوقت ذاته نشرح لجماهير العمال والفلاحين سطحية هذه الشعارات "الاشتراكية" وعدم نهوضها على أسس علمية بالقياس الى الإنشاء الحازم للنظام الاشتراكي في البلدان الاشتراكية. ومع ذلك فإننا لا نتجاهل مضمون مرحلتنا الحاضرة باعتبارها مرحلة التحرر الوطني التي وضحت أهدافها.

ان الأحزاب الشيوعية في البلدان العربية تنظر من خلال شروط مرحلتها الحاضرة الى مهمتها الرئيسية، بتحريك الجماهير، من اجل الاستمرار وتقوية النضال ضد الاستعمار وللدفاع عن مصالح العمال والفلاحين.

ان الشعوب العربية قد اقتنعت منذ مرحلة طويلة من الزمن، عن وعي وإدراك، بنشاط وشجاعة وتضحية الشيوعيين في البلدان العربية في نضالهم ضد الاستعمار، لذلك فان العرب في كل مكان يحترموهم ويثقون بهم ثقة كبيرة.

سؤال: ما هي الظروف التي يناضل فيها الحزب الشيوعي العراقي وأين تتجه مهماته الرئيسية في النضال؟

جواب: تأسس الحزب الشيوعي سنة 1934، ومنذ تأسيسه عمل الحزب بشكل سري. وخلال نضاله الحازم ضد الاستعمار ومن اجل الدفاع عن مصالح الشعب، حصل الحزب الشيوعي العراقي على تأييد وموازة الجماهير الواسعة للعمال والفلاحين والمتقنين. وتحت قيادة الحزب تطورت بالتالي حركته الجماهيرية التي

أخذت على عاتقها مهمات النضال ضد الاستعمار وضد عملائه الخونة.

ان أحداث التأييد والموازة لمصر كان لها أهمية كبرى، حيث تمكن الحزب من تنظيم أكثر من 200 مظاهرة في 30 مدينة أثناء الاعتداء الاستعماري الغاشم على مصر في خريف عام 1956.

ان السلطة الرجعية الحاكمة في العراق، تشن حملة وحشية ضد الحركة التحررية بصورة عامة وضد الشيوعيين بصورة خاصة، باعتبارهم أكثر القوى فعالية. لقد قدم الشيوعيون تضحيات كبيرة في نضالهم ضد الرجعية، حيث زج آلاف من أحسن رفاقنا في غياهب السجون لمدد طويلة، وان أكثر من مائة رفيق استشهد في المعتقلات والسجون وفي المظاهرات. وفي شباط 1949 أعدم الطغمة الحاكمة ثلاثة من قادة الحزب الشيوعي. وبعد حوادث خريف 1956 أعدمت السلطات عدد من رفاقنا أيضا. ورغم هذا الإرهاب الوحشي، رفع الحزب الشيوعي العراقي راية الشيوعية عاليا، واليوم نجد ان الحزب أقوى من أي وقت مضى، حيث أصبح للحزب نفوذ جماهيري كبير في كافة المجالات، ويمكننا ان نقول، ان الحزب الشيوعي رأس رمح للحركة التحررية في البلاد. ولقد تشكلت جبهة موحدة باسم "جبهة الاتحاد الوطني" في العراق. ان هذه الجبهة مؤلفة من كافة القوى الوطنية في العراق، كما ان نفوذها ينمو يوما بعد يوم، وشعاراتها تحرك دائما جماهير واسعة، وهذه الشعارات تشكل عمليا منهاج الجبهة الموحدة. تدعو الجبهة الى خروج العراق من حلف بغداد، وإلغاء الاتفاقية الإنكليزية العراقية، ورفض مشروع ايزنهاور، إعادة العلاقات الديبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي- التي سبق ان قطعتها السلطات الحاكمة العراقية سنة 1954- والتعاون مع كافة الشعوب العربية والنضال من اجل تحقيق الحريات الديمقراطية، حماية الثروات الطبيعية في العراق وتطوير الاقتصاد الوطني العراقي بتحسين ظروف معيشة الشعب، وإطلاق سراح كافة السجناء والمعتقلين السياسيين.

ان التأييد المستمر القوي والمتعاضم لهذا المنهاج، والجبهة الموحدة بين الجماهير الواسعة، والنجاحات الكبيرة المتتالية للحركات التحررية الوطنية في كافة البلدان العربية، والانهيال السريع للنظام الاستعماري، ثم التأييد والتضامن العظيمين من كافة القوى التقدمية في العالم وعلى الأخص من المعسكر الاشتراكي، ان هذه كلها تقوينا وتعزز من يقيننا بأن نضالنا العادل سيقودنا الى نصر كامل.

وقبل عودته الى الوطن وأثناء مروره في سوريا طلب سلام عادل تنظيم لقاء له مع جمال عبد الناصر، ولغيايب جمال عن سوريا، تم اللقاء مع نائبه كمال رفعت وحضره الى جانب سلام، عامر عبد الله وعزيز شريف.

وفي هذا اللقاء استعرض الجانب العراقي الوضع السياسي في العراق مؤكداً على خصوصية وضعه وظروفه وضرورة مراعاتها واخذها بنظر الاعتبار عند اي شكل من اشكال التعاون مع حركته الوطنية والتضامن معها في النضال المشترك ضد الاستعمار. اما كمال رفعت فقد ركز على الاشادة بدور مصر في التضامن مع الشعب

العراقي بعيدا عن الخصوصيات وأشار بصورة رئيسية الى الدور المتميز الذي تقوم بها اذاعة صوت العرب في هذا المجال.

لقد ترك الاجتماع انطبعا سلبيا لدى الوفد العراقي، حول طريقة معالجة اوضاع العراق السياسية واهمال خصوصيتها لدى فكر القيادة المصرية، عدا عدم تقديرهم اهمية الجبهة الوطنية ودورها الرئيسي في الحياة السياسية للبلد، كما عكسها كمال رفعت في ذلك اللقاء.

عاد سلام عادل الى الوطن في شهر أيار "مايو" عام 1958، بعد نجاحه في الحصول على وعد بدعم وإسناد أكبر دولتين اشتراكيتين في العالم لثورة العراق القادمة إضافة الى وعد من ألمانيا بدعمها، بينما سافر عامر عبد الله الى بلغاريا وجيكوسلوفاكيا للغرض نفسه.

وشاركت المنظمات الجماهيرية مع الحزب في كسب الرأي العام العالمي لنصرة الشعب العراقي في نضاله ضد الاستعمار والحكم الرجعي.

ولقد وجد الحزب الشيوعي العراقي في مساهمة الشبيبة العراقية في التحضير والمشاركة في مهرجان الطلبة والشباب العالمي الذي أقيم في موسكو بين 28 من شهر تموز "يوليو" الى 12 من شهر آب "أغسطس" عام 1957، مناسبة لا تعوز لتعبئة الشباب والطلبة والنساء والنقابات كمنظمات جماهيرية من اجل إسناد ودعم الشعب العراقي على الصعيد الداخلي. وأعد الوفد المسافرين الى المهرجان للقيام بعمل دعائي من اجل التضامن مع الشعب العراقي وضد حلف بغداد. فكان ذلك نشاطا مزدوجا للتهيئة للثورة داخليا وخارجيا.

وبرغم الإرهاب جرى إعداد وفد يتكون من 120 شاباً وشابة للسفر الى موسكو والمشاركة في المهرجان، بينهم وجوه سياسية واجتماعية بارزة. وترأس الوفد الشهيد محمد صالح العبلي عضو اللجنة المركزية للحزب. وكان من أعضائه أيضا الدكتور صفاء الحافظ وعبد الجبار وهبي (أبو سعيد) ويوسف العاني ونظيمة وهبي وغيرهم من الوجوه السياسية والفنية والنقابية. وكانت مهمة الوفد الأساسية هي، إيصال صوت الشعب العراقي الى الرأي العام العالمي والعربي وإبراز أهمية كفاحه أو التضامن معه للتخلص من السيطرة الاستعمارية ومن حلف بغداد وجميع مظالم الحكم العميل.

وقد نشط الوفد في موسكو نشاطا ملحوظا وأجريت مع أعضائه المقابلات الصحفية في الصحف ومع راديو موسكو باللغة العربية. وكان لنشاطه وقع إيجابي كبير بين الأوساط الشعبية في العراق، والرأيين العامين العربي والعالمي. وما ان دخل الوفد برأياته الساحة الحمراء في موسكو باسم شبيبة العراق التي لم تستطع أسوار حلف بغداد من عرقلة وصولها، حتى لفت أنظار الوفود الأخرى والقيادة السوفيتية، فلوح لهم الجميع تضامنا وتقديرا. وتمكن أغلبية أعضاء الوفد من الرجوع الى العراق، عبر سوريا بشكل سري، تلافيا لملاحقة الأمن، ومع ذلك فقد وقع عدد قليل منهم بأيدي

منذ اذاعة البيان الاول للثورة، معلنا عن انتصارها، بالقضاء على النظام الملكي واقامة الجمهورية، اصبحت امام الحزب مهمات جديدة افرزها الواقع الجديد في حياة البلد.

وفي المقام الاول باتت مهمة توطيد وصيانة الثورة من التآمر الاستعماري المباشر، هي المهمة الرئيسية والملحة. وكما أشرنا سابقا كان الحزب مهيباً مسبقاً لمثل تلك التطورات اذ ان منظماته القيادية كانت على علم باحتمال قيام الحدث الكبير واعطيت لها الخطوط العامة للتوجيهات الرئيسية لمواجهتها.

ان اللافت للنظر في تلك التوجيهات كونها قد اخذت بنظر الاعتبار لا حالة الانتصار وحسب، بل وحالة الفشل ايضاً. ان هذه الحقيقة تكشف بجلاء عن البعد الاستراتيجي لنظرية الحزب وسلام عادل في معالجة القضايا المصيرية.

تقول التعليمات الصادرة في 12/تموز/1958 ما يلي:

توجيه عام

نظراً للأوضاع السياسية المتأزمة، الداخلية والعربية، ووجود احتمالات تطورها بين آونة وأخرى.. وبغية ضمان وحدة النشاط السياسي لمنظمتنا الحزبية في الظروف الطارئة أو المعقدة نرى من الضروري التأكيد في الوقت الحاضر على ان شعاراتنا الأساسية هي:

1 - الخروج من ميثاق بغداد، وإلغاء الاتفاقية الثنائية مع بريطانيا والوقوف ضد مبدأ ايزنهاور.

2 - إطلاق الحريات الديمقراطية لجماهير الشعب (حرية التنظيم الحزبي والنقابي وحرية النشر والاجتماع... الخ) وعلان العفو العام عن المحكومين السياسيين وإطلاق سراحهم، والغاء المراسيم والقوانين الدستورية التي تستهدف ضرب الحركة الوطنية.

3 - اتخاذ التدابير الفعالة لحماية ثرواتنا الوطنية واقتصادنا الوطني والعمل على حل المشاكل المعاشية لجماهير الشعب.

4 - قيام حكومة تنتهج سياسة وطنية عربية مستقلة تدعم نضال الشعب اللبناني وسائر الشعوب العربية وتخدم السلم.. وتحول "الاتحاد العربي" الى اتحاد حقيقي بين العراق والأردن يضمن مصالح شعبنا ويخدم النضال ضد الاستعمار والصهيونية ومن أجل الوحدة العربية، واقامة اتحاد فدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة.

ونرى من المناسب التأكيد على: (1) ضرورة تجنب إبراز شعارات مبهمة أو متطرفة أو تلك التي تمجد هذا الزعيم أو ذلك من قادة الحركة الوطنية أو العربية على حساب طمس شعاراتنا الأساسية، أو التقليل من شأن نضال الجماهير الشعبية والجهة الوطنية. (2) ضرورة إبداء اليقظة السياسية العالية تجاه مختلف المناورات والمؤامرات، وتجاه نشاط عملاء الاستعمار، والعمل بحزم وبأمانة تامة لسياسة الحزب. واعتبار ان واجبنا الأساسي في كل الظروف هو تعبئة أوسع الجماهير الشعبية ولفها حول الشعارات الصائبة في اللحظة المعينة، وحول الشعارات الكبرى لحركتنا الوطنية الديمقراطية.

12 تموز 1958

ان ما اتخذه الحزب من إجراءات قبيل اندلاع الثورة يستحق التوقف عنده ولو باختصار شديد، ولنأخذ مثلاً واحداً على ذلك:

في مساء العاشر من تموز أو صباح اليوم التالي تم ابلاغ الحزب بواسطة رشيد مطلق بموعد بدء التحرك العسكري. كذلك تم تبليغ الحزب الوطني الديمقراطي، ولم يبلغ حزب الاستقلال ولا حزب البعث، بموعد قيام الثورة، كما جاء في كتاب ليث الزبيدي.

يقول ثابت حبيب العاني¹⁴⁰

"يوم 12 تموز بعد الظهر كان لنا موعد ولقاء في بيت تابع للحزب في الكاظمية... فذهبت الى الموعد وكان هناك صالح دكلة.. كنا نحن الاثنين في اللجنة المركزية.. وبعدها جاء الشهيد جمال الحيدري وحدثنا عن الأوضاع السياسية في البلاد وتطوراتها... وأعطانا صورة واضحة بان هناك عملاً خطيراً قادماً يتطلب مساعدة الشيوعيين وأصدقاء الشيوعيين وحتى جماهير الشعب، وطلب منا التوجه الى كوادر الحزب، وتنظيف البيوت من الأدبيات الحزبية كأجراء احترازي وقال إذا جرى الحدث يجب علينا المساهمة والالتزام بتوجيهات الحزب وشعاراته. وعدم إطلاق شعارات متطرفة. وفي نهاية اللقاء سلمنا نشرة داخلية تاريخها 12 تموز".

وتقول الدكتورة نزيهة الدليمي¹⁴¹:

"أذكر جيداً ذلك اليوم 12 تموز، عندما ذهبت الى البيت الحزبي ذاته في الكاظمية بناء على موعد أرسل إلي، ولم أجد جمال الحيدري، بل كان هناك صالح دكلة وعضوان آخران من لجنة بغداد، فقد رتبت المواعيد بحيث لا يلتقي أكثر من ثلاثة في

140 - حديث مسجل على شريط كاسيت مع ثابت حبيب العاني: عضو اللجنة المركزية بعد ثورة تموز، عضو المكتب السياسي في الستينات.

141 - الدكتورة نزيهة الدليمي: عضو اللجنة المركزية لحزبنا، ورئيسة رابطة المرأة العراقية، كانت اول وزيرة في العراق والعالم العربي، عندما استوزرها عبد الكريم قاسم في تموز 1959، سياسية لامعة على الصعيدين الوطني والعالمي، خصوصاً دورها في اتحاد النساء العالمي.

البيت في ان واحد، وقد بلغنا صالح دكلة بالموضوع وسلمنا النشرة الداخلية وهي تحتوي على شعارات الحزب وتوجيهاته عندما يقع الحدث المنتظر. وتركنا الدار سريعا لكي نقوم بالتبليغات وإيصال التوجيهات. كل حسب الخط الحزبي الذي كان ينظمه."

كان للتبليغ والتوجيهات المبكرة انعكاسها الايجابي على نشاط الشيوعيين والمؤيدين في القطاعين المدني والعسكري منذ اللحظات الاولى لإعلان البيان الاول للثورة.

مساهمة الشيوعيين العسكريين في الثورة

عن دور الضباط الشيوعيين، تحدث **ثابت حبيب العاني**، في مقابلة مسجلة قائلا:

"تم اعتقال الشهيد فاضل البياتي مسؤول التنظيم العسكري للحزب في يوم 12 تموز 1958 قبل يومين من ثورة تموز، لذلك فان قسما من رفاقنا الضباط، الذين كانت صلتهم بفاضل البياتي، لم تصلهم التوجيهات. أما الضباط الذين كانت صلاتهم بعناصر أخرى فتسلموها.

كان عملنا بالجيش متنوعا ومتعدد الأشكال والأساليب. مثلا كانت لنا مجموعة رفاق من الضباط عملت في منظمة يسمونها "منظمة القسم" وكان يقودها شباب ولدى الانتماء الى منظماتهم يدفع المنتمي مبلغاً قدره ربع دينار ويؤدي القسم، ولهذا سميت منظماتهم بـ "منظمة القسم".

ويقول العضو المرشح للجنة المركزية، آنذاك، والذي كان مسؤولاً عن خط الحزب العسكري في الفرقة الأولى، **المرحوم حسين سلطان** في مقابلة مسجلة معه، بان جميع الخطوط العسكرية التي تنتمي لنا في الجيش قد اتحدت في بداية عام 1958 مع تنظيم عبد الكريم قاسم. وبأنه هو ومسؤول الفرات الأوسط اللذين سجنا في أواخر عام 1957 قد تسلما رسالة في السجن من سكرتير الحزب سلام عادل تنبئهما بان جهود الحزب قد اثمرت في توحيد خطوطنا العسكرية مع تنظيمات اخرى، وأنهما علما بعدئذ انها تحت قيادة عبد الكريم قاسم وتتمركز في (معسكر) المنصورية. وتكلفت جهود المجموعة بالنجاح فانضم إليه خط خزل السعدي وإبراهيم العلي وخليل العلي وفاضل طه الدوري والزهيري وغيرهم.

وعن مساهمة الضباط الشيوعيين في تنفيذ الثورة يقول **ثابت حبيب العاني** في المقابلة آنفة الذكر:

"خطط قاسم وعارف الاستيلاء على المواقع الحساسة في بغداد كآلاتي: يزحف اللواء العشرون وعندما يصل بغداد تتوزع المهام كآلاتي:

قسم منه يذهب الى معسكر الرشيد حيث كان يعيش رئيس أركان الجيش لاعتقاله.

وقسم يذهب الى وزارة الدفاع ومديرية الشرطة العامة ومتصرفية بغداد.

وقسم يذهب الى بيت نوري السعيد.

وقسم يذهب الى شرطة النجدة.

وقسم يذهب الى الإذاعة.

وقسم يذهب الى المطار على أساس ان العائلة المالكة ستغادر الى تركيا صباح 14 تموز لحضور اجتماع حلف بغداد.

وقسم يذهب الى قصر الرحاب.

وكان هناك ضباط خارج اللواء العشرين وفي مواقع عسكرية في بغداد مبلغين بالحدث الثوري من قبل عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف منهم:

جاسم العزاوي، سعيد مطر، ستار سبع العبوسي، ومصطفى عبد الله".

يواصل ثابت حبيب:

"كانت مهمة علي شريف (وهو ضابط كردي) مع الدراجي السيطرة على وزارة الدفاع ومديرية الشرطة العامة ومتصرفية بغداد. وكانت مهمة رفيقنا نوري الوثة الذي كان أمر مخزن العتاد في المنصورية وجلولاء تزويد اللواء العشرين بالسلح والعتاد".¹⁴² وكانت مهمة سعيد مطر وجاسم العزاوي اعتقال رئيس أركان الجيش رفيق عارف الذي كان يقيم في معسكر الرشيد، فعلا ذهابا الى معسكر الرشيد وحاصرا بيت رئيس أركان الجيش واعتقله بدون إطلاق رصاصة واحدة. وفي يوم 13 تموز جمع مصطفى عبد الله، ضباط الصف عنده في سرية التدريب في الوشاش وقال لهم غدا يحدث شيء (أكو شي) فتعالوا نكسر المخزن ونأخذ أسلحة وعتادا، ان نجحنا فخير على خير وان لم ننجح فقولوا أجبرنا الرئيس مصطفى عبد الله وأخذنا بالقوة.. فقالوا له حاضر (احنه عندك). وفي الصباح الباكر من اول يوم الثورة هرع مصطفى لمساعدة رفيقه الضابط الشيوعي ستار العبوسي من مدرسة الأسلحة الخفيفة في الوشاش والآخرين معه الذين كانوا قد حاصروا قصر الرحاب دون ان تتوفر لديهم أسلحة كافية، وبمشاركة ضباط الصف والجنود تم الاستيلاء على قصر الرحاب.

وفي تلك الأثناء أيضا كان عبد الرزاق غصيبة (وهو آنئذ عضو في الحزب

¹⁴² - وبهذا الصدد يذكر إسماعيل العارف في (ص 172) من كتابه أسرار ثورة تموز:

"في مقابلة مع العقيد الركن كمال مصطفى أجريتها عام 1967 قال: أقنعني عبد السلام عارف عندما كنت أضع خطة المسير باتجاه بغداد، ان أضع فوجه في المؤخرة وكان يبغى من وراء ذلك استلام سيارة محملة بالعتاد أعدها كريم قاسم في معسكر المنصورية مغلفة بخيمة لاختفاء محتوياتها".

هذه السيارة كان قد سلمها نوري الوثة وقد عاقب انقلابيو شباط 1963 الضباط الشيوعي نوري الوثة على دوره الجسور في 14 تموز باعتقاله واستشهد اثناء نقله الى السجن الصحراوي في نقرة السلطان بقطار الموت سي الصيت...

الشيوعي) من كتيبة مدرعات صلاح الدين في الوشاش أيضا، وعندما سمع بالخبر توجه رأسا بالمدرعات الى قصر الرحاب وساعد الآخرين في السيطرة على القصر واحتلاله ومن ثم ذهب الى الإذاعة.

هؤلاء الضباط جميعا كانوا مرتبطين مع فاضل البياتي مسؤول الخط العسكري للحزب الشيوعي العراقي عشية ثورة تموز وهذه هي الأدوار الهامة التي ادوها ومساهماتهم الفعالة في انتصار الثورة.

يقول **ثابت العاني**: "ان الشهيد وصفي طاهر لم يكن في اللواء العشرين، ولكنه بُلغ وأعطيت له مهام إدلاء متعددة.. لقد أخذ قوة ومعه بهجت سعيد وتوجهوا الى بيت نوري السعيد لاعتقاله حياً، باعتبار ان وصفي كان مرافقه ويعرف بيته. ولهذا كان الاتفاق على عدم إطلاق الرصاص. وعند وصولهم الدار، كانت قوة الحراسة قد تركته وبسبب ارتبائه أطلق بهجت النار عشوائيا فنبهت اطلاقاته نوري السعيد وأقلت من الاعتقال في حينها."

تلك بعض من ادوار الشيوعيين الهامة في الثورة: حسن خضر في الإذاعة... الشهيد وصفي طاهر في بيت نوري السعيد، علي شريف في وزارة الدفاع، سعيد مطر في معسكر الرشيد، مصطفى عبد الله وعبد الرزاق غصيبة في قصر الرحاب.. اضافة الى الدور البطولي الذي قام به قاسم امين الجنابي باعتقاله قائد الفرقة الثالثة بعد البيان الاول مباشرة حسب رواية ثابت العاني.

يقول **ثابت العاني**:

"ولعب العسكريون الشيوعيون دورا مهما في إحباط محاولات التعرض للثورة وإفشالها، وخاصة تحرك قائد الفرقة الأولى في الديوانية. ويشار هنا الى مبادرات الرئيس الأول كاظم عبد الكريم والرئيس جواد كاظم التعيسي والملازم الأول احسان البياتي"¹⁴³.

وقد كان للمظاهرات المسلحة التي قام بها فلاحو الديوانية يوم 14 تموز 1958 ومحاصرته لمقر الفرقة الأولى إثر حاسم في قمع التحرك. إذ سبق وأشرنا الى انتفاضة فلاحو الديوانية المسلحة في الفصل السابق وكيف إنها استمرت حتى يوم الثورة.

يقول **الشاهد عبد الجليل الجنابي**:

"انطلقت المظاهرات في الديوانية بأعنف ما تكون من المشاعر، وحاولت ان تقتحم الثكنة وان تتظاهر امام الفرقة، ولكن بعض القطاعات الموجودة هناك والانضباط

¹⁴³ ثابت حبيب العاني. مجلة الثقافة الجديدة. العدد 266 الصادر في عام 1995.

منعوه من ذلك... واستمرت المظاهرات ليلاً ونهاراً طيلة يومي 15 و16 تموز 144.

يقول إبراهيم الجبوري:

"وفي الناصرية عندما سمعت نبأ الثورة استطعت تنظيم مليشيا محلية للسيطرة على المدينة، لان المتصرف ومدير الشرطة تركاها. اتصلت ببعض العشائر الموالية ومنها عشيرة (البدور) فدخلوا المدينة بأسلحتهم. كان رشيد مصلح¹⁴⁵ (أمرا للحامية)، وسمعت انه وضع الفوج بالإنذار وأمر بالتقدم والالتحاق (بعمري علي). أمرت منظمتي بان تقوم باعتقال العقيد فائق عبد الجبار ورشيد مصلح إذا حاولا توزيع السلاح والعتاد. واتصلت برشيد مصلح ظهراً بالتليفون مستفسراً عن أسباب تأخره في إرسال برقية تأييد فراح يدلي بأعذار واهية. فذهبت في الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الرابع عشر من تموز الى الحامية وأقنعت به إرسال البرقية"¹⁴⁶.

يقول اسماعيل العارف:

"وكان يخشى من قيام اللواء الأول الموجود في معسكر المسيب الذي يبعد عن بغداد بحوالي ستين ميلاً ويقوده الزعيم الركن رفيع عارف شقيق رئيس أركان الجيش ويعتبر في نظر النظام الملكي حامي بغداد والسلطة الملكية. غير ان مجموعة الضباط الأحرار فيه والمتعاطفين مع الثورة ومنهم الرئيس عبد الجبار عبد الكريم وطارق عباس حلمي وأكرم محمود والمقدم فاضل عباس المهداوي حاصروه وأستسلم أمر اللواء دون مقاومة مقتنعاً بالأمر الواقع"¹⁴⁷.

الإسناد الشعبي للثورة في بغداد - دور الحزب الشيوعي العراقي

يقول سليم إسماعيل¹⁴⁸:

"عصر يوم 13 تموز ذهب سلام عادل الى بيت مطبعة الحزب واجتمع فيه مع عضو المكتب السياسي للحزب الشهيد جمال الحيدري ووضع اللمسات الأخيرة لما يجب عمله في يوم الثورة.

وفي منتصف ليلة 13 - 14 من شهر تموز قام سلام عادل يرافقه كمال عمر نظمي

144 - محكمة الشعب الجزء التاسع ص 255.

145 - رشيد مصلح هو صاحب البيان رقم 13 الذي صدر صبيحة انقلاب 8 شباط الأسود 1963 والذي دعا فيه الى قتل الشيوعيين. وقد أعد مصلح باعتباره جاسوساً في السبعينات.

146 - إبراهيم الجبوري. مذكرات إبراهيم الجبوري (أحد الشيوعيين الذين ساهموا في تأسيس منظمة الضباط وضباط الصف والجنود في الديوانية التي أسسها الحزب الشيوعي).

147 - إسماعيل العارف - أسرار ثورة تموز. (ص 175).

148 - سليم إسماعيل: عضو اللجنة المركزية ومسؤول بيت المطبعة آنذاك.

149 بجولة في سيارة الأخير استطلعا فيها المناطق الحساسة من بغداد وذلك قبيل التحرك العسكري للجيش ولم يلاحظا أي تحركات غير عادية".

وقبل ذلك عاد سلام عادل الى بيتنا¹⁵⁰ مساء يوم 13 تموز وبلغني بموعد الثورة وهو فجر الغد، وأعطاني تعليماته التي يجب ان أنفذها، وهي تبليغ بعض الشخصيات الوطنية ومنهم والدي ناجي يوسف بعدم المبيت في بيوتهم، وأن أكون على صلة به تلفونياً وأعطاني أرقام التلفونات التي يمكنني الاتصال به عليها، بعدها قام بتبليغ ما تبقى من الخطوط التنظيمية الحزبية بتوجيهات الحزب الخاصة بالثورة.

سمعت البيان الأول من إذاعة بغداد وانتظرت حتى الساعة السادسة حيث تبدأ حركة الباصات... صعدت الى الباص المتوجه الى منطقة باب المعظم فلاحظت صمّتا غير طبيعي بين الراكبين. وفي الموقف الثاني صعد الى الباص مجموعة من عمال البناء وبادروا بالتهنئة قائلين "عيدكم مبارك يا جماعة" قاصدين التهنئة بالثورة، فلم أتمالك نفسي ورددت على تهنئتهم بالزغاريد وبدأ الجميع الحديث عن الجمهورية. وعندما وصلنا منطقة الكسرة اتصلت تلفونياً بسلام عادل حتى أنقل مشاهداتي المبكرة عن الناس إليه فلم أجده في البيت. ثم وجدت نفسي أخطب بالمظاهرين الذين انطلقت مظاهرتهم تأييدا للثورة من منطقة باب المعظم الى شارع الرشيد.

سرت بعد ذلك بين المتظاهرين أهتف بشعارات الحزب التي جاءت في توجيه في 12 تموز. وعبرت المسيرة الضخمة الى صوب الكرخ وهي تردد الاهازيج لإسناد الثورة.

وبعد سماع سلام عادل بيان الثورة الأول من الراديو ذهب أولا الى اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، الذي رسمت فيه الخطوط العريضة لنشاط الحزب ودوره في صيانة الجمهورية الفتية. وتقرر إرسال برقية تهنئة الى قيادة الثورة بتوقيع سكرتير الحزب الشيوعي العراقي سلام عادل، وإصدار بيان من الحزب الى الشعب العراقي، فقرر سلام عادل ان يذهب بنفسه الى بريد الأعظمية بصحبة الكادر الحزبي دلي مريوش لإرسال البرقية، تدشيناً لمرحلة جديدة من حياة الحزب العلنية.

فوجئ موظف البريد الذي تسلم البرقية بالتوقيع الذي حملته وهو "سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي" ونظر حوله ثم ذهب ليعلم بقية الموظفين بذلك وهو لا يخفي اغتباطه. وتعالى هتاف الموظفين بحياة الحزب الشيوعي. وفيما يلي نص البرقية:

149- كمال عمر نظمي: عضو وأحد كوادر حزبنا منذ 1954 وكان صلة الوصل بين حزبنا واللجنة العليا للجبهة وبعد الكرم قاسم، وكان أخوه أيضا كادراً في حزبنا، وهما أبناء وزير سابق.

150- الحديث لثمينة ناجي يوسف.

بغداد - مجلس السيادة للجمهورية العراقية

رئيس مجلس الوزراء السيد عبد الكريم قاسم

نهنكنم من صميم قلوبنا على خطواتكم المباركة التي وضعت نهاية حاسمة لعهد طويل من المآسي والمحن التي قاسى منها شعبنا المجاهد النبيل على يد الاستعمار وأعداء الاستعمار.

إننا نعبر عن تفاؤلنا بأن هذه الخطوة الحاسمة ستكون فاتحة عهد جديد، عهد حرية وتطور عراقنا الحبيب، وتبوء شعبنا البطل مركزه في الموكب الظافر، موكب العروبة المتحررة الناهضة المحبة للسلام، وموكب الإنسانية العاملة من أجل تحريرها وإلى الأبد من أنبار الاضطهاد والاستعمار.

ان شعبنا العراقي، بعربه وأكراده، سيسجل لكم بفخر جراتكم وتفانيكم من أجل تحقيق أهدافه الوطنية الكبرى، وهو يحمي ويصون بدمائه الغالية جمهوريته الوطنية الفتية. وانه لعل ثقة كبرى من قدرته على القيام بهذا الواجب المقدس، ومن مساندة القوى التحررية العربية في جميع ديارها وعلى رأسها الجمهورية العربية المتحدة، ومن قوى الحرية والسلام في جميع أنحاء العالم وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي.

ان اللجنة المركزية لحزبنا الشيوعي العراقي تضع قوى الحزب الى جانب مؤازرتكم وللدفاع عن جمهوريتنا البتلة.

سلام عادل

سكرتير

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي

14 تموز 1958

ثم ساهم سلام عادل في عدد من المظاهرات الجماهيرية التي انطلقت في يوم الثورة، وأخذ ينتقل بين تجمعات المواطنين ويستمع الى تعليقات الناس ويتحسس نبض الثورة.

تقول الدكتورة نزيهة الدليمي في حديث مسجل لها:

"صباح يوم 14 تموز سمعنا بيان الثورة الأول، فخرج الناس بشكل عفوي وبحماس واندفاع، وخرجنا الى الشوارع لكي ننفذ تعليمات حزبنا التي تضمنتها النشرة الداخلية بعنوان "التوجيه العام" الى كافة منظمات الحزب بتاريخ 12 تموز. خرجت أنا من بيتنا في شارع المغرب وتوجهت الى الشارع العام، وبعد عدة خطوات كنت في وسط المظاهرات القادمة من الاعظمية، ومن الكاظمية عبر الاعظمية، وقبل ان تصل الى البلاط، شاهدت سلام عادل وهو يرتدي سترة وبنطلونا، وبالنسبة لي رأيت

أول مرة بتلك الهيئة وليس بالملابس العربية التي كان يتنكر بها، وأقترب مني قائلاً "أنني الآن قادم من البريد، حيث أرسلت برقية باسم اللجنة المركزية تهنئة بانتصار الثورة... وكان هذا، بعد العمل السري الطويل شيئاً هزناً تماماً.. وبعد ذلك قال عليكم ان تنشطوا من أجل نشر شعارات الحزب في هذه المظاهرة وألا تكونوا سلبيين.. لأن مختلف القوى السياسية في الشارع، وأشار الى مجموعة قليلة من المتظاهرين تحمل صورة عبد الناصر، فأكد ما جاء في التوجيهات الحزبية (ضرورة تجنب إبراز شعارات مبهمّة أو متطرفة أو تلك التي تمجد هذا الزعيم أو ذاك من قادة الحركة الوطنية أو العربية على حساب طمس شعاراتنا الأساسية). وبعد هذا الكلام وبعد ان سار الى جوارى عدة مئات من الخطوات اندمج مع خضم المتظاهرين وتوارى عن نظري.

وسرت في المظاهرات حتى عبرت معها الى جانب الكرخ عبر جسر الشهداء، وكان الناس يعبرون عن فرحتهم بتقديم اللبن البارد أو الشربت البارد، وبالهلاهل من قبل النساء. وكانت شعارات الحزب الشيوعي تصل الى الناس بالهتافات والهوسات المنطلقة من الحناجر في جو من الحماس والفرح الغامر. ولقد ظلت الشوارع الرئيسية في بغداد بجانب الرصافة والكرخ تعج بمئات الألوف من الناس، حتى ساعة بدء منع التجول مساءً".

يقول جرجيس فتح الله في كتابه (العراق في عهد الكريم قاسم):

"ولو لم تلب جماهير الشعب نداء الاستغاثة من الناطق العسكري بدار الإذاعة... لتنتشر تجمعاتها كل إرادة أو تحبط أي مقاومة محتملة، لما أمكننا ان نتسامح مع تلك الحركة العسكرية لننعتها بالثورة ولا التاريخ ان يدخلها في عداد الثورات الشعبية"¹⁵¹.

يقول صبيح علي غالب:

"الموضوع الذي اود ان أبينه اننا نناقش ثورة 14 تموز وليس انقلاب تموز، اعتقد ان كل الاخوان يؤيدونني في ذلك. عندما نقول ثورة فذلك لان الضباط ليسوا وحدهم فقط الذين قاموا بتنفيذها وانما كل الشعب العراقي كان معهم، والضباط هم جزء من الشعب"¹⁵².

علماً ان نداءات الإذاعة قد بدأت بعد قراءة البيان الأول في الساعة السادسة صباحاً، ولم يكتمل بعد الاستيلاء على قصر الرحاب الذي تقيم فيه العائلة المالكة بشكل كامل، وخلال فترة المسيرات الجماهيرية تكاملت حلقات السيطرة التامة على بغداد.

151 - جرجيس فتح الله. العراق في عهد قاسم - الجزء الثاني (ص 522).

152 - صبيح علي غالب - الذاكرة التاريخية - ص 33.

ان موقف الحزب الشيوعي من الثورة وأبرز تصوراتهِ وتوجهاته قد عكسها، بالإضافة الى ما جاء في التوجيهات وبرقية سلام، بيان الحزب الذي صدر في يوم الثورة والذي تجدون نصه مع الوثائق في نهاية الكتاب.

يتحدث ثابت حبيب عن اول ايام الثورة فيقول:

"عندما سمعت الطلقات الأولى نهضت وحالا نزلت من سطح الدار، وسألنتني أم حسان وأخي الى أين أنت ذاهب.. فقلت لهم ثورة، اتصلت حالا بمكتب سيارات الأجرة الذي كان يقع قرب بريد العلوية... وطلبت سيارة... وعند حضور السيارة طلبت من السائق إيصالي الى الكرادة... أول ما فكرت به الذهاب الى الرفيق عبد الرزاق الصافي.. وفي الطريق طلبت من السائق فتح الراديو وقلت له: افتح بغداد فقال: عمي ماذا حدث؟ فقلت: عزيزي افتح بغداد وكنت جالسا بجانبه.. فتح الراديو وبدأت الإذاعة بسم الله الرحمن الرحيم وبعدها أذيع بيان الثورة الأول ففرح السائق وأخذ يقبلي وأوصلني الى بيت عبد الرزاق الصافي فبلغته بالخبر وأخذته معي وذهبنا الى بيت علي ياسين وكان في قيادة المتففين، وأنا وعبد الرزاق إضافة الى قيادتنا للطلبة كنا نقود منطقة الكاظمية.. فاتجهنا الى الكاظمية وبدأنا بالاتصال مع الرفاق وسلمناهم التوجيهات وأكدنا ضرورة التقيد بها وتجنيد كل الطاقات والإمكانات للشارع... وتوجهنا الى ساحة التحرير ورأينا هناك جماهير غفيرة، وكان بعضها يهتف بشعارات موالية لعبد الناصر وشعارات لم تبلغ بها. كانت في الساحة شجرة، فوقفت عليها وبدأت أهتف بشعارات حزينا وكان هناك رفاق عرفوني فتضامنوا معي بسرعة وطغت شعاراتنا في ذلك الحشد الجماهيري. وقد كان لي موعد مع الشهيد سلام عادل وعندما التقينا كان صوتي قد اختفى.. فقال لي أنت تهتف؟ أنت قائد.. أنت موجه.. وأخرج ورقة وقلما وبدأ بكتابة نشرة التعليمات الأولية لثورة تموز. اختارني الشهيد سلام عادل للعمل معه وكان مقرنا في مشتمل كمال وبديع عمر نظمي الواقع على نهر دجلة فقد أصبح مقراً لعملنا أنا والشهيد سلام عادل والشهيد جمال الحيدري وعزيز الشيخ وكنت موجوداً عندما كتب أبو إيمان المذكرة الأولى الى عبد الكريم قاسم"¹⁵³.

وكما ذكر اعلاه فإن سلام عادل، بعد ان سار في عدد من المظاهرات الجماهيرية، كتب تعليمات مستعجلة في صباح يوم ثورة 14 تموز، اي بعد ساعات من قيامها، الى الكادر واعضاء الحزب، تضمنت:

تعليمات مستعجلة

أيدوا بحرارة بالبرقيات، الجمهورية، أكدوا في البرقيات على الجبهة الوطنية

153 - مقابلة مسجلة على شريط كاسيت مع ثابت حبيب العاني.

والاتحاد الفيدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة.
نظموا المظاهرات المساندة في كل المناطق تحت شعاراتنا.
شكلوا لجان الدفاع ومساندة حركة الانقلاب. ولتكن لجان قوية وشعبية.
عبئوا الشعب حولكم في معركة دعم الحركة.
اليقظة وعدم زج الرفاق الكوادر والمختفين في الاعمال المكشوفة. حافظوا على
سرية تنظيماتنا واعمالنا.
اليقظة... اساس المحافظة على عملنا المستمر لدعم هذا النصر الذي بذلنا الجهود
من اجل تحقيقه.
نظموا صلتكم بنا بواسطة من تعرفونهم من المناضلين هنا.
تمسكوا بشدة بتعليمات الحزب وخطه السياسي مع ايجابية عالية، والتعاون مع
الجهات الاخرى.
نظموا الجماهير العمالية والفلاحية تحت قيادتنا في مساندة هذه الحركة.
والى تعليمات قادمة

عن المكتب السياسي صباح 14 تموز

وقد امتلأت شوارع بغداد بشعارات الحزب الشيوعي العراقي التي تضمنتها
توجيهات الحزب كتابة وهتافاً وهي الخروج من حلف بغداد، الحريات الديمقراطية،
إسناد الحكومة الوطنية وصيانة الجمهورية والاتحاد الفدرالي مع الجمهورية العربية
المتحدة... الخ.

مذكرة الحزب الشيوعي العراقي الى الزعيم عبد الكريم قاسم

تحية حارة

لا شك ان برقيتنا قد وصلتكم أمس. مرة أخرى نحبيكم ونرجو لكم الخير والنجاح
في المهمة النبيلة التي أخذتموها على عاتقكم، ولا يسعنا الان سوى ان نبين بعض
ملاحظاتنا العاجلة التي نعتقد بأهميتها في اللحظة الراهنة.

1 - ان الحركة قد سجلت نصراً سريعاً حاسماً. ومن البديهي ان كسب النصر أسهل
من المحافظة عليه وتعزيزه. ولنا ثقة بان الجرأة والحزم اللذين رافقا النصر ولعبا
دوراً أساسياً في تحقيقه، ستتوقف عليهما في المستقبل أيضاً المحافظة على هذا النصر
وتعزيزه.

ان الذي يدعونا الى تأكيد هذه البديهية هو اننا خبرنا كثيراً من الساسة. إننا نمر

الان بمعركتنا وفي ذاكرتنا تجارب مريرة من تاريخ كفاح شعبنا ومن تاريخ شعوب أخرى فهناك من يسوقنا دائما الى ما يخدر يقظتنا وعزما باسم المحافظة على الهدوء والسكينة وباسم قطع الطريق على (الفوضى) وهم يشعرون أو لا يشعرون، يريدون أو لا يريدون يسوقون حركتنا الى مزالق يستغلها الخصم لينفذ الى صفوفنا محاولا تشتيتها والى مواقعنا محاولا إرغامنا على التخلي عنها.

لنتذكر جيدا أمثلة قريبة الى ذاكرتنا، لنتذكر ماذا كانت نتائج مثل هذه الدعوة التي صدرت خلال وزارة محمد الصدر عام 1948، والتي أدت الى هجوم انتقامي شامل قام به عملاء الاستعمار على حركتنا الوطنية بمجموعها وذهب ضحية ذلك الهجوم حتى أولئك الذين كانوا يدعون الى الهدوء والسكينة، أو لنتذكر حكومة مصدق التي هي الأخرى حاولت ان لا تستفز الخصم وبخلت بثقتها على الشعب وامتنعت عن تسليحه ودعته الى الهدوء والسكينة، فكانت نتيجة ذلك أنها سقطت تحت ضربة حفنة من السراق والأوباش. أو لنتذكر مثالا هو أقرب إلينا من هذا، لنتذكر حكومة النابلسي التي هي الأخرى كما هو معلوم حاولت ان لا تستفز الخصم وبخلت هي الأخرى بثقتها على الشعب وامتنعت عن تسليحه وكانت النتيجة المعروفة حفنة من البدو تسقط حكومة وطنية تتمتع بتأييد الغالبية الساحقة من الشعب.

هذه أمثلة من المفيد ان نتذكرها الان ونحن في نشوة النصر.

2 - قديما حيث كانت مصائر بلادنا العربية وسائر بلدان الشرق المستعبد تقرر في لندن وباريس، وفي وزارات المستعمرات، كانت عقليات كثير من الساسة - حتى الوطنيين - تتجه الى تجنب استفزاز دوائر الاستعمار، إذ أنها كانت تعيش على إرضاء تلك الدوائر وتدين بوجودها الى هذه الفئة أو تلك من فئات الاستعمار، وكانت عقليات هؤلاء الساسة تتجه لكبت الشعب خوفا من ان يستفز من بيدهم مصائرهم. ولم تكن الشعوب على ما هي الان من وعي لمصالحها، ومن حرص على الدفاع عنها، ومن استعداد للتضحية في سبيلها، أما اليوم فالوضع يختلف من كل وجوهه. فالاستعمار لم يعد سيد مصيره، بل يرغم على كبت إرادته. وتبوء بالفشل مؤامراته الواحدة بعد الأخرى وتلك من الأساس مصالحه الاستغلالية هنا وهناك، وبالبيديهيية لم يعد سيد مصائرنا نحن شعوب العرب، شعوب الشرق لا المستعبد، بل الناهض.

اليوم تنتفي المبررات جميعها التي تحاول تهدئة الاستعمار أو كسب رضاه. فكل حركة وطنية قادرة حتما على الانتصار فيما لو سلكت سبيلا وطنيا واضحا لا لبس فيه ولا غموض. وبهذا السبيل فقط تستطيع ان تعبئ حولها جماهير شعبها الواعي المقدم وتستطيع بهذا السبيل وحده ان تكسب تأييد الرأي العام العالمي ومساندة قوى الحرية فيه، التي هي اليوم كفة راجحة في الميزان الدولي. أما إذا سلكت سبيلا غامضا فسيختلف الشعب حولها باندفاع أقل، وبذلك تتعرض هي نفسها الى المخاطر، وربما الى الخذلان أمام ضغط الاستعمار المستشرس الذي يدافع عن آخر أوتاده في أرضنا.

3 - إننا نعتقد بان أخذ الملاحظات الواردة بنظر الاعتبار في سبيل صيانة

جمهوريةنا الفتية يقتضي:

أولا - سياسة وطنية واضحة وحازمة. وهذا يستوجب في الظرف الراهن إعلان انسحاب العراق فورا من ميثاق بغداد، وإلغاء الاتفاقية الثنائية مع بريطانيا، وإعلان الاتحاد الفدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة واليمن، وإعادة النظر في علاقات العراق الخارجية على أساس مستقل، وبإبدال التمثيل السياسي مع الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الصديقة والوفية في الملمات.

ثانيا - سياسة تعتمد على الثقة بالشعب وعلى يقظته ووعيه وطاقاته الخلاقة وهذا يقتضي إطلاق سراح السجناء السياسيين وتشجيع قيام اللجان الشعبية للدفاع عن الجمهورية وتكوين فصائل المقاومة الشعبية وتسليحها حالا. ولنا من تجربة إقليمي الجمهورية العربية المتحدة مصر وسوريا، ولبنان وغيرها خير دليل على أهمية وجود مثل هذه الفرق وتسليحها.

ثالثا - فرض رقابة سريعة وحازمة على مؤسسات شركات النفط والبنوك والموانئ والمخازن والمؤسسات الاقتصادية الكبرى غايتها حماية ثروتنا واقتصادنا الوطني وقطع الطريق على المؤامرات المحتملة.

رابعا - ان تجربة اليوم الأول من قيام الجمهورية تؤكد على ضرورة اتخاذ تدابير سريعة أيضا في نطاق التوجيه والإذاعة بما يضمن تعبيرها تعبيرا صحيحا عن أهداف الحركة ومحتواها الوطني الديمقراطي. وتجنب كل ما شأنه فتح ثغرات في صفوف الشعب. وقد لاحظنا خلال هذا اليوم الأول تجاهلاً صارخاً للشعب الكردي وموقفا متعسفا من عشرات ومئات البرقيات التأييدية بسبب من طابعها الوطني الديمقراطي.

إننا نعتقد بالأهمية الكبيرة لتسليم جهاز الدعاية والإذاعة الى أيد وطنية ديمقراطية تحسن التعبير عن إرادة حركتك المباركة وتكشف وجهها الناصع للشعب في العراق والبلدان العربية والعالم أجمع، الى أيد تستطيع فعلا ان توجه الى ما فيه ضمان وحدة شعبنا وتضامنه ورفع اليقظة للوقوف كرجل واحد بوجه مؤامرات الاستعمار وأعوان الاستعمار.

وأخيرا نكرر قولنا في برقيتنا التأييدية بأن نضع كامل قوى الحزب وإمكانياته لمساندتكم وللدفاع عن جمهوريةنا البطلة.

وتقبلوا تحياتنا القلبية وتمنياتنا لك بالظفر.

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي

بغداد 15 تموز 1958

وفي الأيام الأولى من الثورة انبثقت اللجان الشعبية للدفاع عن الجمهورية في كل

أنحاء بغداد ومن ثم في جميع أنحاء العراق وانضم إليها أبناء الشعب من كافة المراتب والفئات الاجتماعية. كما باشر الحزب الشيوعي بعد انتصار الثورة بتشكيل المقاومة الشعبية بشكل علني، حيث كان يجري تسجيل المتطوعين في الشوارع.

ومنذ الساعات الأولى بعد انتصار الثورة سارعت المنظمات الديمقراطية التي تأسست منذ أوائل الخمسينات، لفرض علنيتها وفتح مقراتها العامة في بغداد. ففتحت رابطة الدفاع عن حقوق المرأة مقرها في مبنى الاتحاد النسائي العراقي، بعد ان رفضت آسيا وهبي المجيء الى مقر الاتحاد مع عضوات الهيئة الإدارية لاتخاذ موقف مؤيد للثورة، بعد مكالمة تلفونية معها. وقامت عضوات الرابطة العاملات في الاتحاد النسائي باتصالات واسعة مع النساء عن طريق تشكيل فرق نسائية تطرق أبواب البيوت وتدخلها شارحة أهداف الثورة الوطنية الديمقراطية وطالبة تأييدهن وضم جهودهن من خلال العمل داخل رابطتهن، وكانت هذه الفرق تستقبل بالزغاريد وتوزيع الحلويات والمرطبات بمناسبة انتصار الثورة. وقد ذهبت د. نزيهة الدليمي والمرحومة عفيفة رؤوف الى وزارة الداخلية وقابلتا عبد السلام عارف لتقديم طلب إجازة الرابطة، فقال (يا به خلّونه دنشتغل أول، أني هسه خابرت لندن وتكلمت مع موسلي "النازي البريطاني" وطلبت منه تأييد الثورة!) تقول د. نزيهة "فصعقنا أنا وعفيفة رؤوف بهذا النموذج الذي جاءت به الثورة الى السلطة؟ وقلنا له لقد سجلنا الطلب في واردة الوزارة ونرجو عرضه على مجلس الوزراء، وخرجنا ممتعتين وكان ذلك خلال الأيام الأولى بعد الثورة".

واندفع اتحاد الشبيبة الديمقراطي العراقي واتحاد الطلبة العام في فتح مقراتهما ولجأ عبد السلام عارف كوزير للداخلية الى غلق تلك المقرات. وكان كلما أغلق مقر يفتح آخر لها في محلة اخرى بسبب عجز عبد السلام عن إصدار قانون بمنع هذه المنظمات لان الثورة كانت في أول أيامها بحاجة ماسة الى الإسناد الشعبي.

وتمكنت هذه المنظمات بنشاطها وكادرها المجرب تحويل النشاط الجماهيري الى نشاط منظم ومثمر وذي محتوى سياسي واجتماعي ووطني ناجح. ولكن ذلك لم يكن أمرا سهلا، فمن ناحية كان عارف يلجأ الى غلق المقرات، وعبد الكريم قاسم لم يكن يملك سلطة البت في ذلك من جانب آخر، لأن إجازة المقرات هي من صلب صلاحية وزير الداخلية. ونظرا للزخم الشعبي الهائل والتوجه الصحيح في الكفاح من اجل علنية ومن ثم شرعية هذه المنظمات وممارسة سياسة الضغط على الحكومة من أسفل تمكنت من فرض علنيته لعدة أشهر قبل ان تقرر الحكومة إجازة عملها في بداية عام 1959.

المهام المستجدة امام الحزب بعد الثورة

كان الحزب الشيوعي في الرابع عشر من تموز طاقة هائلة لا بد من توجيهها الوجهة الصائبة وتسخيرها للحفاظ على الاستقلال الوطني ودحر مؤامرات اعداء الشعب والوطن.

ومنذ لحظة اندلاع الثورة نشب صراع حاد بين اعداء الثورة وأنصارها حول تلك الطاقة. فالأعداء يستهدفون تبديدها، كونها ممكن قوة الثورة، وانصارها يستهدفون ديمومتها.

لقد أدرك الحزب أكثر من اية قوة سياسية اخرى من ضمن أنصار الثورة، ان تلك الطاقة هي القوة الرئيسية التي يمتلكها الشعب للحفاظ على ثورته وتطويرها.

ولذلك انبرى ومنذ اللحظات الاولى للثورة لإشراك الناس في تطورات الاحداث وتعكس توجهياته ذلك الادراك والتصور، وهو عندما سمى الحدث في 14/تموز بالانقلاب انما اراد ان يثبت منذ البداية بان الشعب هو صانع الثورة وان الافراد مهما كانت مساهمتهم فهي لا ترقى الى دوره الحاسم. ومن هنا ايضا جاءت توجهياته بالتحذير من تمجيد الاشخاص او المبالغة في دورهم في مسيرة الاحداث والتطورات القادمة كما جاء في تعليمات الحزب لمنظماته قبل الثورة في 12 تموز.

ومن الضرورة والحاجة، لاستيعاب طاقات الناس وتوجيهها لخدمة الثورة وتقويت الفرصة على الاعداء، انبثقت المهام الرئيسية امام الحزب في الواقع السياسي الجديد

المهمة الرئيسية الاولى هي في دحر خطط اعداء الثورة ومؤامراتهم.

وكما هو متوقع فقد باشرت قوى العدو نشاطها المعادي مستهدفة تبديد طاقات قوى الثورة بصورة رئيسية بالعمل منذ البداية على شق وحدة القوى الوطنية وخلق صراعات جانبية باستغلال نقاط الضعف لديها والمتأنية بصورة رئيسية من مشاركة ضباط كبار في عملية الانقلاب، او الالتحاق به لعوامل واسباب واهداف متفاوتة بعضها بعيد عن مصلحة الثورة وغريب على اهدافها الحقيقية. ومن ضمن هذه العناصر واطرها الشخص الثاني في السلطة الجديدة، نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية عبد السلام عارف الرجعي النزعة وصاحب التطلعات الشخصية الغربية. ومما زاد في خطورة هذا العنصر الغريب كونه قد ساهم بصورة فعالة في الانقلاب وتكليفه باحتلال بغداد واذاعة البيان الاول للثورة بنفسه لظروف طارئة فرضت قيامه بذلك الدور.

لقد انبرى عارف منذ الايام الاولى لتسخير موقعه لأغراضه الشخصية ولتطبيق توجهاته الرجعية وأصبح بذلك هدفا سهل الاصطياد والوقوع في شرك اعداء الثورة. ومن هنا انبثقت ومنذ الايام الاولى مهمة آنية واجهت الحزب بإلحاح، وهي ضرورة الحد من تأثير عارف والملفتين حوله، كل لأغراضه الخاصة، على مسيرة الثورة.

اما الأسلوب الرئيسي الاخر لأعداء الثورة في التآمر، فقد تجسد في ايجاد الغطاء السياسي المناسب لتحركاتهم ونشاطهم التأمري. غطاء من شأنه ان يكون مقبولا من اوساط جماهيرية وقوى سياسية كانت حتى الامس القريب ضمن معسكر الثورة. وفي هذا السياق يمكن فهم تحركات بعض العناصر التي ترفع شعارات قومية تستهوي الناس وتتلعب بعواطفهم وتطلعاتهم المشروعة وحقدهم على الامبريالية وصنيعتها

اسرائيل. ان شعار الوحدة العربية كان الشعار المناسب في ذلك الوقت ولذلك أصبح منذ الايام الاولى مطلباً للقوى القومية تبناه حزب البعث لتنفيذه فوراً مستغلين ايضاً تعاطف الناس مع الجمهورية العربية المتحدة.

ان متابعة تحركات بعض قادة تلك القوى السياسية ونشاطها المبكر في هذا السياق تكشف نواياهم الحقيقية من وراء رفع ذلك الشعار وكذلك دورهم الحقيقي في اجهاض الثورة. ان الشعار الذي تبنته الجبهة الوطنية في برنامجها على طريق تحقيق الوحدة العربية كان شعار الاتحاد الفدرالي، ولم يكن وارداً حتى قيام الثورة لدى اي من القوى السياسية المطالبة بالوحدة الفورية بعد نجاحها مباشرة ويتضح ذلك بجلاء من خلال برنامجها المتفق عليه والموقع عليه من قبل القوى القومية ذاتها، حزب البعث وحزب الاستقلال، ولم يرد ذلك الهدف ضمن البيان الاول للثورة الذي اذاعه عارف بنفسه.

الدعم السوفيتي لثورة تموز

اعترف الاتحاد السوفيتي بحكومة الجمهورية العراقية الوليدة بعد 24 ساعة من قيامها. وقد بدأ السوفييت، حال سماعهم نبأ نجاح الثورة، بمناورات عسكرية جبارة على الحدود البلغارية التركية في القفقاس. وقد ذكرت وكالة تاس، في بيانها عن هذه المناورات، بأنها حولت الليل الى نهار... فأرعبت تركيا وقوى حلف بغداد المجتمعمة هناك. كذلك أُنذر الاتحاد السوفيتي تركيا من مغبة النشاطات المعادية للعراق، حيث قام بتوجيه مذكرة في 18 تموز 1958 بهذا المعنى.

وبعد الانزال الامريكي في لبنان، في نفس الفترة، قام الاتحاد السوفيتي بتسليم السلطات الامريكية مذكرة، أتهمهم فيها بالعدوان السافر على لبنان، وأصدر بياناً في 16 و 18 تموز يفضح فيه ادعاءات أمريكا الكاذبة بأنها ذهبت الى لبنان للدفاع عن استقلالها المهدد بطلب من حكومتها، وطلب منهم سحب قواتهم من هناك، وانذرهم بانه يحتفظ بحقه في اتخاذ الإجراءات الضرورية للحفاظ على أمن الشرق الاوسط.

ولكون الاتحاد السوفيتي يعلم بأن حلف بغداد لم يسلح العراق كما يجب، وأن هدف الأمريكان إقامة قاعدة لهم في العراق لحماية أمن إسرائيل، والهجوم على الاتحاد السوفيتي عند الحاجة، فقد بادر بأرسال سرب من الطائرات الى سوريا، وطائرة نقل كبيرة تحمل سلاح حديث لأرساله الى العراق.

ومنذ إعلان نبأ انتصار الثورة في العراق، اجتاحت موسكو وكبريات المدن السوفيتية مظاهرات حاشدة لدعم النظام الجديد في العراق. كما فُتح باب التطوع للشعب السوفيتي لمناصرة العراق في حالة الهجوم عليه. كما أرسلوا برقية الى عبد الكريم قاسم، جاء فيها بأن المتطوعين السوفييت مستعدين للمجيء الى العراق، متى ترى الحكومة العراقية ضرورة لذلك. وكذلك فعلت الحكومة الصينية.

وقد أعلن قادة حلف بغداد المجتمعين في تركيا، حال سماعهم بالثورة، بأنهم لا يعترفون بحكومة الثورة، ولذلك أعلنوا عمان، عاصمة للاتحاد الهاشمي، الذي كان

يضم العراق والاردن، بدلاً من بغداد. وفي 15 تموز-1958 أعلن عبد الكريم قاسم انسحاب العراق من الاتحاد الهاشمي.

وقد نشطت إيران في إرسال بعض المرتزقة والجواسيس الى العراق لقيادة نشاطات تخريبية، وبث الإشاعات والأراجيف ضد القوى الوطنية، وخصوصاً ضد حزبنا وضد إجراءاتنا لصيانة الجمهورية. وكان رعب الأوساط الصهيونية في اسرائيل، لا حدود له، فقد صرح رئيس وزرائها، بن غوريون، في الكنيست "ان أمن اسرائيل أصبح مهدداً تهديداً خطيراً بعد ثورة تموز في العراق، وسنطالب الدول الغربية الثلاث بتجديد ضماناتها التي اعطتها لإسرائيل عام 1955 بشأن المحافظة والإبقاء على حدودنا الحالية".¹⁵⁴

ونود ان نلفت نظر القارئ الى أنه قد تم تشكيل حلف بغداد، في ذلك التاريخ 1955، وقام نوري السعيد، آنذاك بتقديم هذا الضمان لأمن اسرائيل.

في 19 تموز 1958 وجه رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي انذاراً الى الدول الاستعمارية فقد بعث رسالة الى رؤساء وزراء امريكا وانكلترا وفرنسا والهند، يوضح فيها مخاطر تحشيد القوات العسكرية ضد العراق، ذكر فيها (اننا نجتاز الان أخطر اللحظات في تاريخ الانسانية وهذه المرحلة من المحتمل ان تؤدي اية خطوة فيها غير حذرة الى كارثة دولية عظمى).

ولحماية العراق من التدخل العسكري، فقد أقترح الرئيس السوفيتي في 30 تموز على الدول الاوربية، التي كان قد راسلها في 19 تموز، عقد اجتماع بأشراف الامم المتحدة، لدراسة مشاكل الشرق الاوسط.

خلاصة واستنتاجات

- برهن نجاح الانقلاب ومن ثم تحويله الى ثورة شعبية لإسقاط النظام الملكي على صحة النهج الذي اخذ طريقه الى سياسة الحزب منذ الكونفرنس الثاني. ذلك النهج الذي تم اختباره على ارض الواقع خلال انتفاضة تشرين 1956 وتم تعديله واغناؤه على ضوء النتائج في كراس "دروس الانتفاضة"، وبالأخص، حول اسلوب تحقيق الثورة.

- ان الظروف الموضوعية لنجاح الثورة كانت قد اكتملت وانضجتها معارك الشعب المتواصلة خلال عدة عقود وان وعي وإدراك الجماهير وتجاربها قد ولد لديها الاستعداد التام للمقاومة العنيفة والمسلحة للنظام الملكي، الذي أصبح حكماً منهكاً وعاجزاً عن المقاومة عشية الثورة.

- ان الظروف الذاتية قد اكتملت ونضجت هي الاخرى وأبرز مؤشراتهما:

154 - جريدة الزمان البغدادية 17 تموز 1958

* استعادة وحدة الحزب، الاداة الرئيسية للثورة. انتهاج سياسة صائبة تجاه القوى السياسية الاخرى ووضعها موضع التنفيذ وفقا للواقع العملي ومحاربة الافكار التحريفية بإشكالها المتنوعة (رسالة سلام حول الاغتيالات الفردية، رد على افكار تصفوية)، تقوية وتعزيز منظمات الحزب بترسيخ المبادئ الشيوعية في العمل وتوسيع نفوذه بين الجماهير عن طريق زجها وقيادتها في نضالات ملموسة، ضد السلطة، خاصة بين العمال والفلاحين.

* تشكيل جبهة الاتحاد الوطني في عام 1957.

* انعكاس توحيد القوى الوطنية على حركة الضباط الاحرار بمختلف تنظيماتها واشخاصها مما زادها تنسيقا وتعاوننا فضاغف ذلك من قوتها وعزيمتها وثقتها بالنصر.

* توفير وضمان الدعم الخارجي للثورة مسبقا.

ان استعراض نشاطات الحزب وسلام عادل خلال بضعة ايام تاريخية عاصفة تعطي مؤشرات هامة وبارزة على طريقة التعامل مع قضية الثورة وتطبيقاتها، كما ان دراسة التوجيهات والنشريات والشعارات تعكس، الى حد ما، بعض افكار وتصورات سلام حول سياسة الحزب مستقبلا، وكأنه يزرع منذ البداية في ذهن الناس وفي الواقع مستلزمات تطبيقاتها الناجحة ومنها على سبيل المثال:

- فرض حرية وعلنية العمل السياسي والحزبي بتحدي القوانين المعادية لها عمليا.
ان ارسال البرقية بالأسلوب الذي نفذه ومحتوياتها، هو أحد مؤشرات ذلك اضافة الى ما يعنيه في التوجيهات الصادرة قبل الثورة واثنائها بالتركيز على المهام المطروحة والابتعاد عن تمجيد الافراد.

- فرض حرية التنظيمات النقابية والجماهيرية والمباشرة بعملها العلني.

- الدعوة لتشكيل لجان صيانة الجمهورية والمقاومة الشعبية والمباشرة في ذلك دون انتظار اجازتها رسميا.

- الدعوة لتبني برنامج الجبهة والنضال الجماهيري لتنفيذه والتأكيد منذ اليوم الاول على شعار الاتحاد الفدرالي.

سلام عادل والعمل التنظيمي

جاء في حديث أحد الرفاق¹⁵⁵:

لقد كان دائما يرى ان العمل التنظيمي في الحزب يجب ان لا يجري بشكل عفوي تلقائي، بل وفق خطة مدروسة ومن أجل هدف واضح يحقق بمدة معينة... الخ. وفعلا تجلى ذلك منذ بداية عمله في التنظيم بعد خروجه من السجن عام 1953...

155 - كراس سلام عادل ص29.

وأول برنامج وضع لتطوير العمل وفق خطة مرسومة كان في عام 1954 عندما كان الرفيق سلام عادلاً منظمًا لمنطقة الفرات الأوسط. وعندما أصبح سكرتيراً عاماً للحزب عممت هذه التجربة وأصبحت من تقاليد الحزب وقوانين تطوره.

كان يهتم بشكل خاص ومن البداية بأهمية التركيب الطبقي للحزب، وكان يواجه أكبر الجهود وخيرة الكوادر للعمل بين العمال والفلاحين... وبعد قيام المد الثوري بعد ثورة 14 تموز اهتم كثيراً بعدم إغراق صفوف الحزب بالمتقنين، وبالتأكيد على توسيع القاعدة الحزبية بين العمال والفلاحين.

كان ذا صبر طويل عندما يعالج مسألة ما أو أخطاء رفيق ما، ولا يسمح لنفسه بإصدار الأحكام مسبقاً بمجرد سماعه عن أخطاء أو تصرفات رفيق معين، بل يحاول أن يعالج تلك الأخطاء بصبر كبير وارجاع الرفيق المخطئ الى الجادة الصحيحة... الخ.

كما كان عنده بعد نظر حول المسائل ويقظة شيوعية عالية تجاه المفاهيم والآراء الانتهازية، وبهذه الصفات الحميدة تمكن من تجميع كفاءات مختلفة في الحزب وفي اللجنة المركزية بشكل خاص، وتصحيح سياسة الحزب العامة في مختلف المجالات.

وحول نفس هذا الموضوع قال رفيق آخر:

لقد استطاع الرفيق سلام عادلاً ان يثبت في الحزب تقليد مواجهة الظروف الصعبة والأزمات برص الحزب أولاً وتوحيده، فكرياً. فكان كلما ادلهمت الحطوب، يقوم بعقد الاجتماعات الحزبية الموسعة لكوادر الحزب من أجل توحيد وجهة نظر الحزب ورص كوادره حول سياسة واضحة موحدة.



مظاهرة في بغداد بعد ثورة تموز

يجب الوقوف ملياً أمام قضية شعار الوحدة الفورية، الذي تعكزت عليه القوى القومية التي ناصبت قاسم العداء ومنها كل القوى المعادية لثورة تموز. كما سنتناول بنقاط سريعة شعار الاتحاد الفيدرالي قبل ثورة تموز وأثناء الإعداد لها:

1 - تعرض منهاج حزب المؤتمر الوطني، الذي ضمَّ الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال المعلن عن تشكيله عام 1956، في المادة الرابعة "حول السياسة العربية" ما يلي:

"العمل على إقامة اتحاد عربي فيدرالي شامل يكون خطوة فعالة لتوحيد الامة العربية في وطنها الكبير"

ان التأكيد على موقف حزب الاستقلال متأثراً عن كونه أول حزب قومي في العراق وبحكم ذلك تأثرت جميع الحركات والعناصر القومية بموقفه من قضية الوحدة والاتحاد بين الدول العربية واستنقت، بالضرورة، مناهجها ومواقفها من منهجه المشار إليه، وبالأخص حزب البعث العربي الاشتراكي، طور التكوين والنمو حينئذٍ، وكذلك العسكريون القوميون المشاركون في ثورة تموز وفي الإعداد لها.

في حين ان موقف الحزب الوطني الديمقراطي، المكون الآخر لحزب المؤتمر، كان واضحاً من خلال مناهجه الأول الصادر في عام 1946 والذي ورد فيه:

"تحقيق اتحاد البلاد العربية بجميع الأمور المشتركة بينها في إدارة موحدة، أو نظام مشترك، مع احتفاظ كل دولة فيها بإدارة شؤونها المحلية وتقوية جامعة الدول العربية" واحتفظ بنفس المحتوى عند تعديل المنهاج الذي أجراه عام 1952.

2 - بيان جبهة الاتحاد الوطني الصادر في اذار 1957.

يذكر بيان الجبهة الاهداف الرئيسية للقوى الوطنية وهو عندما يشير الى دور الاستعمار البريطاني يهاجمه قائلاً:.. الذي جعل العراق قاعدة لضرب الحركات الوطنية فيه، والذي فرق كلمة العرب وهدم التعاون العربي الذي كنا نأمل ان يصل الى درجة الاتحاد".

اي ان القوى القومية كلها لم تكن تتحدث عن وحدة فورية. بل اتحاد فيدرالي في أحسن الاحوال.

وفي هذا الصدد يتحدث محسن حسين الحبيب وهو عضو اللجنة العليا للضباط الاحرار وعنصراً معروفاً في التيار القومي في العراق فيقول عن رأي الضباط الأحرار في قضية الوحدة والاتحاد:

"الوحدة هدف مصيري يجب السعي الى تحقيقه على مراحل. إلا إذا تعرض العراق الى غزو خارجي يستهدف إعادة النظام الملكي، حينئذ يمكن المناداة بالوحدة الفورية مع ج.ع.م (الجمهورية العربية المتحدة)".

تحدث **ليث الزبيدي**¹⁵⁶ عن زيارة كامل الجادرجي الى القاهرة قائلاً:

"كما سافر الجادرجي رئيس الحزب الى القاهرة في نهاية شهر أيلول 1958 لملاقة الرئيس جمال عبد الناصر، وتحدث معه حول موضوع الوحدة والاتحاد وطلب منه ان يوقف دعمه لدعاة الوحدة الفورية وبقبل فكرة الاتحاد فوراً، لأن الخلاف على الوحدة والاتحاد في العراق سيؤدي الى نتائج وخيمة ويجعل الاتحاد نفسه متعزراً. وكان جواب الرئيس عبد الناصر على ذلك ان الأمر متروك للعراقيين وحدهم الذين يقررون الوحدة أم الاتحاد."

3 - وفي حديث سلام عادل للمجلة الالمانية في نيسان 1958 (والذي جاء نصه في الكتاب) تحدث عن ان ما يواجه العراق هو الاتحاد الفيدرالي مع الجمهورية المتحدة وليس الوحدة الاندماجية، بعد ان يعدد نواقص الوحدة بين سورية ومصر.

وقد نشر هذا الحديث في حينه في العراق ونحن نتهياً لثورة تموز. ولم تعترض القوى القومية المتحالفة معنا.

اما بيان ثورة تموز الاول فلم يكن فيه اي ذكر لشكل من اشكال الوحدة. بل طرح ما يلي: "وترتبط (جمهورية تموز) بروابط الاخوة مع الدول العربية والإسلامية..." ويرد على هذه الفقرة **ليث الزبيدي** في ص 196 فيقول في سادساً:

"ان نصوص البيان واضحة وضوحاً تاماً، بانها ليست في صالح القومية العربية، فلم يذكر البيان الا نصاً واحداً يقول (وترتبط بروابط الاخوة مع الدول العربية والاسلامية)، وبذلك فقد ساوى البيان بين الدول العربية والدول الاسلامية، وعليه، فإن البيان الاول جعل الجمهورية العراقية بعيدة عن الوحدة العربية وعن اهداف الثورة العربية".

ان عبد السلام عارف هو الذي قرأ هذا البيان من الاذاعة وقاسم هو الذي كتبه، بل وان عارف حاول ان يضغط على قاسم بعد اعتقال الاخير، ليقول بان البيان الاول للثورة كتب من قبل عارف وليس قاسم. ولم يتطرق عارف الى وجود خطأ ما في هذا البيان. بل ان عارف قد قرأ هذا البيان من الاذاعة أكثر من مرة، وفي أحد المرات اضاف اليه جملة جديدة هي (فما عليكم الا ان تؤازروه في رصاصه وقنابله وزئيره المنصب على قصر الرحاب، وقصر نوري السعيد). فلو كان لعارف رأي خاص، يعطي دوراً كبيراً للجمهورية العربية المتحدة لأضاف جملة توضح ذلك.. ولكنه لم يفعل.

156 - ليث الزبيدي: ثورة 14 تموز في العراق ص195

وعن الوحدة المصرية السورية، التي قاتل عفلق من اجل قيامها، يقول **حنا بطاطو** في الكتاب الثالث ص 138:

"ان الوحدة المقبلة لم تكن مفاجئة لأمريكا والقوى الغربية الاخرى، بل انها نالت موافقتهم لأنها تمنحهم **إمكانية إبادة الحركة التقدمية في سورية**، وهو ما فشلت في تحقيقه كل المؤامرات والضغط والاعتداءات الامبريالية المباشرة".

وعن بدء الخلاف بين عبد السلام وعبد الكريم قاسم يقول **ليث الزبيدي** في كتاب "ثورة 14 تموز في العراق" (ص351):

"واشتد الخلاف بينهما إثر زيارة عبد السلام عارف لدمشق في 19/تموز/1958 واجتماعه بالرئيس جمال عبد الناصر إذ عرض عبد السلام موضوع الوحدة الفورية العاجلة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة، ولكن عبد الناصر نصحه بالتريث وبتدعيم الثورة الجديدة أولاً، فضلاً عن ان خطابه في دمشق قد اثار عبد الكريم قاسم لعدم ورود اسم عبد الكريم قاسم ودوره في الثورة، واقتصاره على جهوده الشخصية فيها وكيفية سيطرته على بغداد ومن ثم نجاح الثورة. وقد نقل بعض الضباط الأعضاء في الوفد من أنصار عبد الكريم قاسم ما قام به عبد السلام في دمشق من اجتماعات وخطب وتصريحات، فأيقن عبد الكريم قاسم بأن عبد السلام هو الخطر الأكبر عليه. وأخذ يحاول إبعاد الضباط الأحرار عن عبد السلام عارف ليعزله عنهم ثم يسهل عليه التخلص منه".

وعن **حركة القوميين العرب** يقول **الزبيدي** في المصدر السابق ص426:

"بعد قيام ثورة 14 تموز 1958 ارسلت القيادة القومية للحركة هاني الهندي¹⁵⁷ أحد قادتها، الى العراق لتنظيم عناصر الحركة ووضع سياسة جديدة للعمل، وعندما تحقق ذلك أطلق اسم (حركة القوميين العرب) لأول مرة على القوميين الذين كثيراً ما اعتبروا خطأ من اتباع حزب الاستقلال في العراق.

وكانت هذه اول خطوة عملية للحركة لتأكيد وجودها كحزب سياسي. ومن ناحية ثانية قام هاني الهندي بالتخطيط من اجل قيام **(الجهة القومية) التي حققت تحالف كافة القوى الوحدوية في العراق وزجها بوجه نظام عبد الكريم قاسم**. ومن ناحية ثالثة وافق هاني الهندي على توصية القيادة المحلية للحركة الداعية الى السماح لها بالعمل في صفوف القوات المسلحة. وكانت هذه اهم خطوة اتخذها مبعوث القيادة القومية للحركة إذ لم يعد القوميون العرب يحجمون عن تجنيد اعضاء لهم في القوات المسلحة، بل اخذوا يعتمدون بصورة متزايدة على ضباطهم من اجل القيام بحركة ثورية".

اما موقف حزبنا الشيوعي من قضية الوحدة والاتحاد بعد ثورة تموز، فقد جدد

157 - هاني الهندي: أحد العناصر السورية المقربة من عبد الناصر كما يقول احمد ابو صالح (ابو طموح) عضو القيادة القطرية السابق لحزب البعث في سوريا، في احد اللقاءات التلفزيونية.

ووضح سلام عادل سبب وقوفنا مع الاتحاد الفيدرالي مرة اخرى في حديثه الصحفي 30-3-1959 الوارد في الجزء الثاني من الكتاب والذي جاء فيه:

"ان سياستنا العربية تنهض على اساس ان العراق جزء لا يتجزأ من البلدان العربية التي تربطها الآن وحدة الكفاح ضد الاستعمار واعوانه وضد الرجعية وهي الان في سبيل صنع مستقبلها الموحد ايضاً، الذي ستبني كياناً متحرراً ديمقراطياً متحداً. فهذه مسألة تاريخية موضوعية حتمية غير متعلقة بالأوضاع الطارئة وبأرادة هذا الشخص او ذاك ممن ينحدرون الى الوقوف بوجه عجلة التاريخ غير ان الطريق لتحقيق اهداف الامة العربية في الوحدة المنشودة سيأخذ سبلاً متباينة، وتجري وفق خطوات مختلفة، المهم فيها انها ستعزز حركة التحرر الوطني العربية وتخطو بها نحو وحدة ديمقراطية سليمة.

وعلى هذا الاساس طرحنا غداة ثورة تموز شعار الانضمام الى الاتحاد الدول العربية جنباً الى جنب مع الجمهورية العربية المتحدة واليمن على اساس فيدرالي. وكان هذا الشعار تقدماً يخدم الامة العربية لأنه كان في ذلك الحين يقوم على اساس تضامني نسبي قائم فعلاً بين البلدان الشقيقة".

يقول **الفكيكي** في كتابه (اوكار الهزيمة) ¹⁵⁸ في (ص 97):

"لقد حضر عفلق الى بغداد بعد تموز حيث نزل في فندق بغداد. وكنت في عداد الحزبيين الذين زاروه. كان كعادته في مثل هذه المناسبات، مالكاً الدنيا وحالماً بامساك ناصية الريح وكان هو شخصياً من طرح الوحدة الفورية، والّحّ عليها رغم تحفظ فؤاد الركابي وبعض الشخصيات القومية العراقية كصديق شنشل وعبد الرحمن البزاز، هذا حتى لا نشير الى ضعف الحزب والتيار القومي عموماً والاعتماد الكامل على ضباط الجيش".

ويؤكد **الفكيكي** مرة اخرى عن موقف الركابي المخالف لموقف عفلق فيقول:

"تطورت الصلات بين قيادة الركابي والقيادة المصرية في موازاة تطور الاحداث في العراق، وما لابد من تسجيله ان فؤاد، ومن خلال موقعه في السلطة، راح ينظر الى الامور نظرة مختلفة عن سائر الحزبيين، ميّالاً الى تنسيق المواقف مع القوى الاخرى محلياً واقليمياً، ومنتهياً الى ضعف الحزب في العراق والاستعداد الانتهازي عند القيادة القومية".

ولكن الركابي اضطر للتراجع بعد ان استلم عفلق القيادة وهكذا طرح الحزب شعار الوحدة الفورية لأول مرة في أدبيات حزب البعث. وقد ساعدت توجهات عبد السلام عارف على ذلك، حيث يقول **حنا بطاطو** في (ص 129):

158 - جميع المقتطفات المأخوذة لهاني الفكيكي هي من نفس الكتاب. وهاني الفكيكي أحد القادة الكبار لحزب البعث في العراق، في تلك الفترة.

"وفي 5 آب خرج عارف على الناس بنغمة جديدة فأعلن بطريقة تبدو عرضية، دعوته الى جمهورية ضمن الجمهورية العربية المتحدة، وفي 17 من الشهر نفسه كرر هذه الصيغة بتركيز أكبر، وإذا كان قد امتنع عن معالجة الفكرة، بل شدد ببساطة وبإصرار أكبر منذ اليوم وصاعداً على ان:

(الجمهورية العراقية جزء لا يتجزأ من الامة العربية) وان (الامة العربية شعب واحد) وان (الوحدة ستتحقق بمشيئة الله) ".

يستطرد الفكيكي:

"وخلقت حماسة عارف التي لم تهدأ، جواً شديداً للتوتر. وخلقت هذه الحماسة امالاً كبيرة واثارت مخاوف كثيرة. واخرجت الى السطح كل الخلافات الكامنة بين العراقيين وعمقتها وزادتها سعة".

وامام هذا التغيير الذي طرأ على عبد السلام عارف، وحزب البعث وطرحهم شعار الوحدة الفورية والذي تلقفته الاوساط المعادية لثورة تموز... اضطر حزبنا الى ان يوضح بان هذا الشعار هو طارئ وجديد على الساحة السياسية وان الجماهير الشعبية لا تؤيده، وهي لا تزال تؤيد وتدعو لشعار الاتحاد الفيدرالي.

ولقد تحدثنا عن جهود حزبنا لعقد اجتماع لأطراف جبهة الاتحاد الوطني، خصوصاً بعد ان برزت مشكلة توجه حزب البعث والقوى القومية نحو الوحدة الفورية خلافاً لما جاء في برنامج الجبهة الداعي للاتحاد الفيدرالي.

وبعد جهود كبيرة تكفل نشاط الحزب بعقد اجتماع للجنة العليا للجبهة في 10 او 12 آب 1958. وقد جرى نقاش واسع في هذا الاجتماع حول هذا الخلاف الخطير لقضية كان فيها اجماع لكافة أطراف الجبهة عند تشكيلها... وكان الحزب الوطني الديمقراطي مؤيداً لقضية الاتحاد الفيدرالي وكذلك اعضاء حزب الاستقلال.

فقام حزبنا بدعوة المنظمات الحزبية والوطنية لتحشيد لمظاهرة جماهيرية تؤيد موقفنا والحزب الوطني الديمقراطي وموقف قاسم الداعي الى الاتحاد الفيدرالي.. وكذلك لكي يفهم الرأي العام العالمي والعربي وعلى رأسه جمال عبد الناصر، بان الشعب العراقي لا يوافق على الوحدة الفورية. خصوصاً وان تجربة سورية اظهرت للعيان ما حل بسورية نتيجة الوحدة الفورية..

وتنطلق مظاهرة جماهيرية جبارة، في 16 آب 1958 من الساعة الثانية عشر ظهراً (كنت مشاركة فيها) والى ساعة متأخرة من الليل.. عبر شارع الرشيد وتدخل افواج منها الى وزارة الدفاع حيث كان قاسم يطل على المتظاهرين يحيم ويهتفون له وشعارهم هو (اتحاد فيدرالي وصداقة سوفيتية) ويخرجون لتدخل جموع اخرى وهكذا..

ثم يتحدث الفكيكي عن مجيء مسؤوله الحزبي جعفر حمودي، الذي يخبره بأن

هناك إمكانية لحصول حسم عسكري لصالح الوحدة الفورية، وعلى قوى حزب البعث التهيئ لمساندة ذلك العمل.

وعن مظاهره الاتحاد الفيدرالي الجبارة يقول **الفكيكي** في (ص 89):

"واذكر ان مشاعر متضاربة انتابتني حينذاك، تجمع الفرح والترقب في انتظار الحسم العسكري الى الخوف من تصارع قوى الثورة الفتية خصوصاً إذا ما كتب النصر للطرف الاخر. وكذلك بدأت تتضح لي الرقعة الصغيرة والمحدودة التي يشغلها الحزب في الشارع العراقي. حتى في مدينتي الاعظمية التي كانت دائماً معقلاً لـ (حزب الاستقلال) وبالتالي متعاطفة مع البعث، بدا الشيوعيين اقوى منا".

ثم يفسر ذلك في (ص 92):

"وتداخل احساسنا بالعجز والاحانا على الوحدة طريقاً للتقدم، ليخلق عندنا استعداداً للقفز من فوق الجماهير وتحقيق ذلك بالنيابة عنها".

وبعد اسابيع من ثورة تموز استطاعت الجمهورية الكشف عن مؤامرة (البكر، عماش) ودلت الاعترافات على مخطط لإسقاط قاسم اي ان هذه المؤامرة كانت هي الحسم العسكري الذي تحدث عنه جعفر قاسم حمودي وانتظره الفكيكي.

ويتحدث **الفكيكي** في (ص 95) عن أثر صيحة حزب البعث (يا اعداء الشيوعية تجمعوا) في اول ايام الثورة بعد وصول عفلق الى العراق:

"وتجمع حول البعث واحاط به جمهور واسع، مثل تيارات ذات مصالح سياسية واجتماعية (متباينة) تباين مصادر وعيها وثقافتها لكنها متفقة على العداء للشيوعية والشيوعيين. فقد باتت تصفية الشيوعيين (واجباً قومياً)، كل من يتحفظ عليه، او يتردد فيه يعتبر جبائلاً، بعد ان كانت من قبل واجباً اسلامياً¹⁵⁹".

والان لننظر الى الجذر الحقيقي في توجه حزب البعث ضد الشيوعيين ومن المذنب في ذلك:

ان افكار عفلق المعادية للشيوعية لها جذر عميق يمتد الى منتصف الاربعينات عندما طرح الاستعمار سياسة الحرب الباردة والعداء للشيوعية، تبدو واضحة في أسس الفكر العفلق، فيقول **هاني الفكيكي** (ص 77) من اوكار الهزيمة:

"كان ميشيل عفلق يقول في أحد كراريسه ان مقاومة الافكار الهدامة لا تقتصر على مناقشتها ودحضها، بل تملي تصفية المؤمنين بها والداعين اليها، وكان لهذا الكلام تأثيره علي".

وهنا نرى بوضوح في ان سبب عدائهم لنا لم يأتي من موقفنا من الوحدة أو الاتحاد الفيدرالي أو اي موقف اخر في اساسه، بل هو فكر نازي فاشي استعماري موجه ضد

¹⁵⁹ يقصد رفع شعار (الله غايتنا) من قبل القوى اليمينية ضد القوى اليسارية بعد وثبة كانون.

الشيوعيين بغض النظر عن أي موقف يتخذه، أي هم ضد ما في أفكارنا الاشتراكية من قوة جذب للجماهير، وعليهم أن يحطمونها.

ويؤكد **الفكيكي** في (ص 61 و62) بأن توجههم عنصري وواقع حزبهم هو توجه نازي حيث جاء:

"وقد لمست لاحقاً تأثير القول بأننا (حملة رسالة لا سياسية) علينا جميعاً، وعلى مواقف الحزب وسياساته، وتطوره باتجاه نخبوية تجمع الانتهازية إلى التأميرية وترفض الآخرين دائماً".

يستطرد **الفكيكي**:

"والحق أن أحاديث عقل وكتابات عن ماضي الأمة وراثتها تركت أثراً مدمرة على ازدهار المعرفة ونمو عقل سياسي داخل الحزب. فهو اكتفى بتصوير ماضي الأمة كله لامعاً مشعاً يدعو للفخر بالإنجازات الحضارية والبطولات. والأمة، لولا الاستعمار والرجعية والمؤامرة، بألف خير في عرفة، فإذا ما دعا البعث إلى الانقلابية، كان يدعو، فقط، إلى استنطاق الماضي وجوهره، بحيث يجري العمل على بعث ما كان قبلاً دون المعرفة، والجهد، والاستشراف للجديد، والمستقبل."

أما عن حديثهم عن دكتاتورية قاسم فهذا محض هراء.. أنهم يفهمون الدكتاتورية كنظام صحيح للحكم.. وهم لم ينتقدوا دكتاتورية عبد الناصر لهذا السبب. يقول **الفكيكي** في ص 69:

"واستطاع الحزب أن يحرز نجاحاً في هذا الميدان، بينما أبدى حرصاً ملحوظاً على عدم إبراز الجوانب الفردية والدكتاتورية لنظام عبد الناصر."

ويستمر **الفكيكي** في قوله:

"كان تركيزنا يقتصر على نضاله (ناصر) ضد الاستعمار وعروبته وشجاعته، فلم نطرح أي تقييم موضوعي له. واعتقد أن الرغبة في كسب جمهوره والتأثير بأجواء البعث في سورية عشية الوحدة مع مصر هما اللذان منعا مثل هذا التقييم، فضلاً عن الشك بوجود القدرة النظرية عند البعثيين يومذاك على إجراء تقييم كهذا..."

أما عن موقف حزبنا الجاد من قضية الاتحاد الفيدرالي يقول **عامر عبد الله** في حديثه المسجل والمصور (لفلم سلام عادل) والذي أنزله على الورق سعد عزام:

"كان موضوع الوحدة والاتحاد الذي بدأ بعد ثورة تموز، موضع قلق لقيادة الحزب.. وقد قررت قيادة الحزب النشاط من أجل إقامة الاتحاد الفيدرالي.. وفي بدأ اجتماعات جبهة الاتحاد الوطني الذي عقد في بيت فائق السامرائي في شارع طه (كان السامرائي سفير العراق في مصر) وقد عاد لتوه إلى بغداد.. وكان الجادرجي ومحمد حديد وصديق شنشل ومحمد مهدي كيه وفؤاد الركابي وعبد الوهاب محمود في هذا الاجتماع، فسألنا السامرائي.. ما هو رأي عبد الناصر بالاتحاد الفيدرالي..

فقال: عبد الناصر يقول انا حاضر لوحدة او اتحاد او حتى تنسيق وما أشبه.

طبعاً ان هذا الكلام ليس دقيقاً لكنه يبدو لتعجيز الحزب الشيوعي.

وقلت لهم: طيب نحن نقول اتحاد، ان الوضع ناضج لاتحاد فيدرالي.

ثم قلت لكامل الجادرجي وصديق شنشل: ألم تكتبوا أنتم في برامجكم الاتحاد الفيدرالي فقالوا: نعم.. والتفت الكل الى فؤاد الركابي وقالوا له: يا فؤاد ما رأيك؟

قال: لازم ارجع للقيادة. ولم يعد للقاء بنا.

بعدئذ خبرني (فؤاد الركابي) في مرحلة لاحقة بالسنتين وايضاً أخبرني بذلك صديق شنشل، بانه كانوا موافقين على الاتحاد الفيدرالي، ولكن ميشيل عفلق وصل الى بغداد بعد ثورة تموز وبلغ حزب البعث: "انه وحدة ثورية اندماجية، وان اقتضى الامر النضال ضد الشيوعيين ربع قرن".

ولكنهم "القوميون والبعثيون" استلموا السلطة في العراق أكثر من مرة، ولم يحققوا الوحدة الفورية.. بل انهم لم يحققوا حتى التنسيق. بل ودخلوا مع عبد الناصر في شتائم متبادلة الى يوم وفاته.

هذا هو موقف حزبنا الشيوعي، كان مستعد لإقامة الاتحاد الفيدرالي في عام 1958.. ولو انجز ذلك، لتغير مجرى الامور في البلدان العربية، ولم يرق ذلك للاستعمار.. واتفق توجه ناصر والقوميين معه وناصرتهم الرجعية.

واخيراً سيتوصل جمال عبد الناصر نفسه، بعد انتكاسة 1967، الى اخطاء الطريق الذي اختطه في قضية الوحدة الفورية فيقول قبيل وفاته، بانه ليس من الصحيح اقامة الوحدة عن طريق الفرض والقوة...بل يجب ان تحصل هذه القضية المصيرية على تأييد ومساندة غالبية الشعب وبالطريقة الديمقراطية. ولكن هذا الاستنتاج جاء متأخراً جداً، بعد ان تحطمت الوحدة مع سوريا وامكانية الاتحاد الفيدرالي مع العراق واليمن، ووصل الى السلطة في البلدان العربية، حكومات يمينية بعيدة عن اي تعاون عربي حقيقي.

ومن هذا السرد يتضح بجلاء بان طرح شعار الوحدة الفورية لم يكن يستهدف تحقيق الوحدة، بل كان ستاراً للتآمر ضد الثورة ووسيلة لتمزيق القوى الوطنية وتبديد طاقات الشعب، وهو ما نجحت في تحقيقه قوى الثورة المضادة من اجل استعادة السلطة.

ان مهمة التصدي للتآمر المعادي للثورة تطلبت الكشف عن نوايا المتآمرين الحقيقية. ولهذا وجد الحزب ان تكتيك اسناد قاسم ودعّمه في تلك الفترة التاريخية، هو التكتيك الوحيد القابل للنجاح في ازالة الخطر المباشر الذي يشكله عارف ونشاطه

المحموم وانغماره في تنفيذ خطط اعداء الثورة عن علم او بدونه.

ان اسناد ودعم قاسم أصبح واقعاً مفروضاً بحكم كونه الشخصية الوحيدة، آنذاك، القادرة على الوقوف بوجه عارف لما تمتع كل منهما بهالة واحترام لدى الناس لإشعالهما فتيل الثورة.

لقد نجح ذلك التكتيك فعلاً وتمت ازالة الخطر المباشر والآني، لكنه من جانب آخر زاد من شعبية قاسم نفسه وأصبح يستمد قوة اضافية من مكانة ونفوذ الحزب الشيوعي. كان الحزب وسلام عادل على إدراك تام بالجانب السلبي المتأاتي من اسناد قاسم العسكري التفكير والنزعة، ولكن التقديرات الواقعية هي التي فرضت تلك السياسة الآنية.

كانت تلك اجابة سلام عادل لكامل الجادرجي في لقاء لهما تم في دار والدي في الاسبوع الاول بعد الثورة. لقد ابدى الجادرجي توجساً من نفوذ العسكريين في السلطة، ولكن من جانب اخر لم يتم تقديم بديل اخر قابل للتطبيق والنجاح.

لقد واجهت مهمة النهوض بالأعباء الجسيمة، الملقاة على الحزب، صعوبات كبيرة. ففي حين لم يكن الحزب مفقداً لوضوح الرؤيا، وجد نفسه عرضة للتمييز المجحف في تعامل السلطة الجديدة معه منذ بداية تشكيلها، اذ حرّمته من تمثيله في اول حكومة اقامتها بعد نجاح الثورة، اضافة الى انها لم تطلق سراح الشيوعيين الموجودين في السجون الا بعد عشرة ايام عاصفة في احداثها.

يقول اسماعيل العارف:

"أما عبد الكريم قاسم فقد حاول كما أخبرني بنفسه، ان تكون الوزارة ممثلة لجميع الأحزاب التي كانت تتألف منها الجبهة الوطنية التي ناضلت ضد العهد الملكي، عدا الحزب الشيوعي الذي ارتأى الا يشترك في الوزارة لما قد يثير اشتراكه فيها من ردود فعل داخلية وخارجية غير موافقة واكتفى بأن يعين في الوزارة بعض العناصر اليسارية المتعاطفة مع الحزب الشيوعي العراقي" ¹⁶⁰.

وقد نشط الحزب الشيوعي مباشرة بعد الثورة لتطوير مسيرة جبهة الاتحاد الوطني ودعا أحزابها لعقد اجتماع للجنّتها العليا، فكتب سلام عادل رسائل الى الأحزاب المشتركة يدعوهم فيها الى الاجتماع لبحث نشاط الجبهة اللاحق.

يقول ثابت العاني:

"أخذنا أنا وعزيز الشيخ، الرسائل الى دار فؤاد الركابي في الاعظمية وبعد حديثنا معه، أخبرنا بأنه مشغول باجتماعات مجلس الوزراء ولا يستطيع حضور اجتماع الجبهة، فقال له عزيز الشيخ: نحن لا نطلب منك شخصياً حضور الاجتماع، بل من

160 - إسماعيل العارف - أسرار ثورة تموز ص 214.

الممكن إرسال ممثل عن حزبكم لحضوره. وجرت اتصالات مشابهة مع محمد حديد وصديق شنشل واعتذروا هم أيضا بمشغولياتهم في الوزارة، ولكنهم لم يرفضوا فكرة مواصلة نشاط الجبهة"¹⁶¹.

وفي خضم هذا الكفاح في الأيام الأولى من الثورة، عاد الى العراق عامر عبد الله في 18 تموز بعد غياب طال أكثر من سنة خارج العراق وقد كان غاضبا لأن الحزب الشيوعي العراقي لا يخلد الى الهدوء والسكينة كما يريد عبد السلام عارف.

وأذكر حديثه معي في اليوم الثاني من رجوعه إذ كان متوترا وساخطا وقال لي: "ان الجماهير متعبة وكانت طول عمرها تحت كابوس الإرهاب، فدعوها تتذوق طعم الحرية، طعم العيد ولتخرج الى الشوارع للإعلان عن فرحتها لتهلل للثورة الناجحة.. انه عيد ألا تعرفون حتى تذوق طعم العيد؟".

فقلت له ان عبد السلام عارف وهو على رأس الثورة في حقيقته معاد للشيوعية، وشعبنا لم يألف ان يكون الحزب الشيوعي علنياً، فأما ان تقرض الجماهير علنيتها بقوة شعار الديمقراطية أو ان ينتصر الإرهاب ضدنا.

وردد عامر عبد الله الكلام نفسه الذي قاله لي في أحاديثه مع أعضاء الحزب وكوادره الذين أطلق سراحهم توأماً من السجون والعائدين منذ أيام من الإبعاد، أولئك الذين كان من الصعب عليهم فهم الأوضاع المحيطة بالعراق بسبب سجنهم أو تعرضهم للإبعاد لسنوات طويلة في وقت كان فيه الصراع الفكري حاداً بين وجهتي النظر، وتشترك فيه شخصيات من الأحزاب الشيوعية الشقيقة مثل خالد بكداش سكرتير الحزب الشيوعي السوري وفؤاد نصار سكرتير الحزب الشيوعي الأردني ونيقولا شاوي سكرتير الحزب الشيوعي اللبناني الذين كسب عامر تأييدهم لرأيه بخصوص الموقف من ثورة 14 تموز قبل رجوعه الى العراق¹⁶².

وأخذ عامر عبد الله يدور على القياديين في الحزب فرداً فرداً ويحاول بكل قواه زعزعة ثقتهم بخطة الحزب السياسية (**الضغط من أسفل على الحكومة في سبيل تحقيق سياستها**). وبعد وقف عملية تسجيل المتطوعين في المقاومة الشعبية بأمر عسكري عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اجتماعاً صاخباً دام الليل بطوله وتقرر في هذا الاجتماع مواصلة الضغط على الحكومة لتكوين المقاومة الشعبية وأطلاق الحريات الديمقراطية... الخ، بالنظر لتصاعد مخاطر التآمر والتهديدات الإمبريالية، فقد ارتفعت الأوساط الاستعمارية من ثورة العراق، كما أسلفنا، حيث اتخذ أعضاء حلف بغداد قراراً بضرب الثورة في مهدها - ولإنكليز تجربة قديمة في هذا الميدان، عندما ضربت وقُضِيَ على حركة 1941 في العراق - فدخل الأسطول الأمريكي المياه اللبنانية، وانزلت امريكا جنودها في لبنان،.. وتم أنزال المظليين

161 - حديث مسجل مع ثابت حبيب العاني.

162 - ان ظروف العراق الخاصة لا تشابه ظروف البلدان العربية الاخرى كالاردن وسوريا ولبنان مما سهل لعامة اقناعهم بأرائه وكسب تأييدهم، الى حين.

الإنكليز في الأردن، وتحرك الجواسيس والمرترقة الأجانب قرب الحدود العراقية الإيرانية. لهذا طالب حزبنا بأن تكون الأولوية للحفاظ على الجمهورية، وطالب بتسليح الشعب وتسجيل المتطوعين (المقاومة الشعبية)، أسوة بما حصل في مصر وسوريا أثناء العدوان الثلاثي على مصر.

وفعلا وافق عبد الكريم قاسم اخيرا على تكوين المقاومة الشعبية وقد درب الجيش المتطوعين الذين سجلهم الحزب.

وقد أكد ذلك الاجتماع المنعقد يوم التاسع والعشرين من الشهر المذكور الحكومة صحة خطة الحزب السياسية واندحار أفكار عامر عبد الله اليمينية. وقررت اللجنة المركزية عقد كونفرنسات حزبية على كل المستويات، من لجنة المدينة الى الخلايا للتحقيق، وتوضيح خط الحزب السياسي.

وشهد الحزب خلال تلك الفترة نشاطاً فكرياً ونظرياً مكثفاً تطبيقاً لقرار اللجنة المركزية. فعلى سبيل المثال، عقدت لجنة محلية ببغداد، كونفرنساً لكوادرها وشملت العديد من الرفاق الذين كانوا أسرى النظام الملكي المقيم في سجونهم ومعتقلاتهم. وقد قاد الاجتماع الرفيقتان سلام عادل وجمال الحيدري.

وقد بدأ الكونفرنس باستعراض من قبل الرفيق سلام عادل للوضع السياسي العام المستجد بعد نجاح الثورة وكل ما افرزته الظروف الجديدة من مهام وواجبات امام الحزب لأداء دوره التاريخي في قيادة الجماهير لتحقيق النصر للثورة واجهاض مخططات الاعداء.

ملخص استعراض سلام عادل لسياسة الحزب في كونفرنس الكوادر 1958

تطرق سلام عادل في البداية الى طبيعة السلطة، اذ ان تحديد هويتها الطبقية، هي القضية المركزية في تحديد ورسم سياسة الحزب حيالها:

ان السلطة القائمة التي اسفرت عنها ثورة 14 تموز هي سلطة برجوازية وطنية، معادية للاستعمار وتمثل مصالح فئات البرجوازية الصغيرة والوسطى والبرجوازية الوطنية.

ان تركيبة حكومة الثورة لا تمثل كافة القوى الوطنية ومن هنا نشأ التناقض بين قوى الثورة الاساسية (العمال والفلاحون والبرجوازية الصغيرة والبرجوازية الوطنية) من جهة وبين القوى التي استلمت زمام السلطة بعد الثورة واقتصرت على تمثيل البرجوازية الصغيرة والمتوسطة فقط. وهذا هو الاساس في ايجاد وتعميق الخلافات داخل الحركة الوطنية واحزابها.

اما عن أبرز شخصيات الثورة. فقد ذكر سلام بأن عبد الكريم قاسم متعاطف معنا منذ عام 1954 وعلاقته به عبر بعض الرفاق. وانه لم يسبق ان التقى بأحد الرفاق

القياديين في الحزب. وان معلومات الحزب العامة عنه انه تقدمي، ويساري ولديه بعض المفاهيم والطموحات الاولية عن الديمقراطية، وهناك امكانية للتأثير عليه لتعميق هذه الصفات الايجابية. وليست لديه قناعة بالوحدة الفورية، وذلك واضح من البيان الاول للثورة - ومن الدستور المؤقت وغيرها من الظواهر.

اما عن عبد السلام عارف، فكان رأي سلام، بانه معادي للشيوعية، ليست له علاقة بالأوساط التقدمية، مندفع ومتهور وذاتي الى ابعد الحدود. وكانت قد توفرت لدينا معلومات سابقة عنه عندما أنظم الى اللجنة العليا للضباط الاحرار، انه اسوأ شخص فيها، ولكنه يحتل مواقع حساسة في السلطة (فهو الشخص الثاني في قيادتها ويشغل منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية).

ولقد انتهى الاجتماع بموافقة جميع الرفاق الحاضرين على رأي الحزب.

منذ بداية الثورة وجد عبد السلام عارف تشجيعاً لطموحاته من قبل جمال عبد الناصر الذي كان يريد هو الآخر ازالة قاسم وضم العراق الى الجمهورية العربية المتحدة. وقد قاما معاً بشن الحرب على حزبنا لمساندته لقاسم. وقد اعتمد ناصر وعارف على ميشيل عفلق الذي فتح ابواب حزب البعث لكل اعداء الشيوعية تحت شعار (يا أعداء الشيوعية اتحدوا) فأنظم اليه الكثير من المعادين لثورة تموز ومسيرتها الديمقراطية ولقاسم.

وعارف كما جاء، في كتاب الذاكرة التاريخية، نقلاً عن جاسم العزاوي سكرتير عبد الكريم قاسم، والذي كان يناصر القوميين سرّاً، وخذل عبد الكريم قاسم في انقلاب شباط، قوله:

"انه في الحقيقة، لا ديني، ولا قومي ولا وحدوي وليس له اي مبدأ سوى عبادة نفسه... وطموحه بدون حدود وهو في سبيل مصلحته مستعد لقتل أقرب الناس اليه إذا وقفوا في طريقه" ¹⁶³ وهذا هو نفس رأي الكثيرين من الضباط القوميين بعارف.

قال رفعت الحاج سري (وهو من قادة القوميين ومعادي للشيوعية ويعمل ضد قاسم) واصفاً الخلافات بين قاسم وعارف بانهما "ديكان يتناقران" وفضل ان تكون الغلبة لقاسم لأنه لا يأتمن عارف مطلقاً. ¹⁶⁴

لم يكن للبعث نفوذ في حركة الضباط الاحرار قبل الثورة، لذلك لم يبلغ قاسم لا حزب البعث ولا حزب الاستقلال بموعد قيام الثورة. كذلك لم تكن للبعث قاعدة جماهيرية كبيرة، ولكن التغيرات التي احدثها في سياسته الجديدة وفتحه الابواب

¹⁶³ - الذاكرة التاريخية ص246.

¹⁶⁴ - المصدر السابق ص241.

مشرعة لكل المعادين للشيوعية من الرجعيين والشوفيين واصحاب المصالح والطموحات الشخصية كما ان دعم عارف لهم قد وسع من نفوذه داخل اجهزة السلطة.

وقد أخذ عارف حق إصدار جريدة الجمهورية، وبعد اكتشافه انه لا يحق للوزير إصدار جريدة، منح الامتياز لحزب البعث منذ الاسبوع الاول للثورة ولم تحصل الاحزاب الوطنية الاخرى على الصحف الا بعد فترة.

كما بقيت العناصر الرجعية معشعشة داخل اجهزة الدولة والتي حاربت وتحارب حزبنا، واصبحت تقدم دعمها الكامل لحزب البعث والتجمع القومي.

أما حكومة الثورة فقد مارست سياسة التمييز ازاء حزبنا، حيث:

- لم يشركوا حزبنا في الوزارة.

- تم توزيع المناصب العسكرية منها والمدنية بصورة غير عادلة، اذ تم ابعاد العناصر الشيوعية رغم دورها الوطني في التحضير للثورة وكمثل على ذلك لم يطلق سراح فاضل البياتي والذي اعتقل في 12 تموز الا بعد مرور اسبوع على قيامها.

- لم يتم تنفيذ اهم اهداف جبهة الاتحاد الوطني وبرنامج منظمة حزبنا العسكرية بالخروج من حلف بغداد مثلاً وغيرها، الا بعد قمع مؤامرة الشواف في الموصل عام 1959.

ان كل تلك الحقائق توضح طبيعة وتركيبية السلطة وتضع امامنا مهمة دفع عملية الثورة الى الامام، وأساساً بواسطة (الضغط من الاسفل) أي تنظيم مختلف الفعاليات والنشاطات الجماهيرية للمطالبة بإنجاز اهداف الجبهة واللجنة العليا للضباط الاحرار. والضغط لتحسين المستوى المعاشي للجماهير الكادحة وبالأخص غالبية السكان من العمال والفلاحين. بإصدار قانون الاصلاح الزراعي وغيرها من التشريعات والقوانين التي تخص وتدافع عن مصالحهم. و (الضغط من أسفل) لدفع السلطة باتجاه إطلاق الحريات الديمقراطية وسن القوانين اللازمة لضمانها وفي مقدمتها حرية النشر والتعبير وحرية التنظيم المهني والديمقراطي، والاجتماع، والتظاهر، وغيرها. وهذا يتطلب الاستمرار في فرص علنية نشاط المنظمات المهنية والديمقراطية، والاجتماعية، وتوسيع عضويتها، ونشاطاتها. كل ذلك من اجل توسيع وتعميق دور الجماهير لحماية وصيانة الثورة من مؤامرات ومكائد الاستعمار وركائزه وعملائه الذين لايزالون يحتلون مواقع هامة في اجهزة الدولة. كما ان دوائر التجسس والتخريب لا تزال سليمة ولهذا يتطلب شحذ ورفع يقظة الجماهير ليس بالنصائح والارشادات، بل بزجها يومياً في نضالات ملموسة، مهما كانت بسيطة، وتوجيهها لتعزيز منظماتها الجماهيرية وتطويرها كماً ونوعاً. لذا يجب تنشيط جبهة الاتحاد الوطني، ونشر برنامجها وافكارها. يجب العمل بهذا الاتجاه بكل الوسائل والامكانيات.

ان سياسة الضغط من أسفل تستهدف بالأساس تصليب عود السلطة الوطنية وازالة بؤر التآمر منها، وتخليص السلطة من العناصر الحاكمة التي تخلق من خلال سلوكها

اليمني ثغرات بينها وبين الجماهير. ان ضمانة التصدي ضد الاخطار المحدقة وهي اخطار كبيرة، هو زج الجماهير في ساحة الكفاح. وان تحقيق طموحاتها وتطلعاتها المشروعة يعزز من تضامنها مع السلطة، ويقوي من مواقعها تجاه العدو المشترك، الاستعمار والرجعية واعوانها.

ان مهمة زج الجماهير في الحياة السياسية يقع تنفيذها بالدرجة الاساسية على عمل الحزب رغم الصعوبات التي يفرزها واقع ان الجماهير لم تمارس حرياتهم الديمقراطية ولم تشهد خلال فترات طويلة سوى امكانيات شبه علنية في العمل السياسي في أحسن الاحوال ولفترات قصيرة جدا. وان الحزب لم يتمتع طيلة وجوده بأي شكل من اشكال العمل العلني، ولهذا فإن الجماهير اصبحت تعرفه كحزب سري، ومما يعمق هذا الفهم هو عدم إطلاق الحريات الديمقراطية في التنظيم السياسي والعلني والقانوني رغم انتصار الثورة وكونها قد تبنت في الخطوط العامة، برنامج الجبهة الذي يضع مسألة اقامة حكومة ديمقراطية من اوائل واهم اهدافه.

ولمعالجة هذا التناقض لابد من الاستمرار في العمل بسياسة "الضغط من الاسفل" لفرض علنية وشرعية عمل المنظمات الديمقراطية والحزبية. ان هذا هو الطريق الوحيد لإفشال مخططات اعداء الثورة والجمهورية والعناصر الرجعية وشل قدراتها في تنفيذ مخططاتها المعادية.

أكد الرفيق سلام عادل بأن المهمة الرئيسية في حياة الحزب الداخلية هي ضرورة الاستيعاب العميق لسياسة الحزب من قبل كوادر وأعضاء الحزب والالتزام التام بتطبيقها بأبداع ونقلها بكل أمانة الى الجماهير.

وتقع على عاتق رفاقنا مهمة رئيسية اخرى هي توسيع منظمات الحزب وزيادة عدد منتسبيه من العناصر الوطنية الواعية والمخلصة ومن خلال مشاركتها ومساهمتها الفعالة في نشاطات الحزب والمنظمات الديمقراطية والاجتماعية وضرورة عدم التقوقع والانغلاق تجاه الجماهير. مع مواصلة تكثيف التنقيف ورفع المستوى النوعي للمنظمات.

واخيرا ضرورة رفع اليقظة والحذر تجاه مخططات اعداء الحزب والشعب، وبالأخص محاولتهم تسريب الافكار الغريبة الى داخل صفوف الحزب، باستغلال تشعب واتساع المهام امام منظماته وانغمارها في العمل اليومي. ومواجهة مهام جديدة لم يكن للحزب سابقا تجربة في التصدي لمثلها.

الاجتماع الثاني للجنة المركزية في 1958/9/2.

عقد الاجتماع الثاني للجنة المركزية في 1958/9/2 وواصل مناقشة السياسة العامة للحزب بحضور الرفيق فؤاد نصار سكرتير الحزب الشيوعي الاردني.. وكان

الرفيق نصار قد وصل بغداد في 25 آب وقد دعت قيادة الحزب لحضور الاجتماع تعبيراً عن التقدير للحزب الاردني الشقيق ولغرض اطلاعه ايضاً على الوضع الحقيقي للحزب والظرف السياسي الذي استجد بعد انتصار الثورة خاصة وقد ظهر تأثيره بتحليلات وتقديرات وافكار عامر عبد الله. وقد اتضح بان عامر قد أرسل له رسالة يشكو فيها من عدم استجابة اللجنة المركزية لأرائه وافكاره في اجتماعها الاول بعد الثورة ورفضها لها، مستعينا بالرفيق فؤاد نصار لدعمه. ولكن المناقشات والافكار والمعطيات الواقعية التي دارت في الاجتماع المذكور جعلت الرفيق فؤاد نصار يعيد النظر بأفكاره ويؤيد السياسة التي اقترتها اللجنة المركزية معتذراً عن عدم استيعابه لتلك السياسة وعدم تمييزه للفروقات الهامة التي تميز بها وضع العراق مما عليه في الاردن وسوريا وغيرها.

ومرة اخرى أكد الاجتماع السياسة التي اتخذتها اللجنة المركزية في اجتماعها الاول.

وبعد اربعة ايام انعقد الاجتماع الموسع الاول للجنة المركزية بعد الثورة مثبتاً الخطوط الرئيسية للسياسة التي رسمتها اللجنة المركزية في اجتماعاتها الاعتيادية خلال تموز وبداية آب. وتم تطوير واغناء الطروحات المقدمة من قبلها وقررت اصدار ملخص لها ونشره. (حضر الرفيق فؤاد نصار هذا الاجتماع الموسع ايضاً).

ملخص ما دار في الاجتماع الموسع للجنة المركزية للحزب الشيوعي المنعقد في أوائل أيلول 1958

32

في اوائل أيلول 1958 عقدت اللجنة المركزية للحزب اجتماعاً اعتيادياً، وأسفر الاجتماع عن اتخاذ قرارات هامة لتحسين العمل القيادي في الحزب. ووافقت اللجنة المركزية على دعوة المكتب السياسي الى عقد اجتماع موسع للجنة المركزية.

وبعد ايام عقد الاجتماع الموسع الذي استغرق اثني عشر ساعة، كرس لبحث الوضع السياسي، وخطة الحزب في الكفاح لصيانة ودعم النظام الجمهوري الوطني في العراق ومن أجل تعزيز الديمقراطية ومسائل الوحدة العربية.

ألقى الرفيق سكرتير اللجنة المركزية تقرير المكتب السياسي أمام الاجتماع الموسع. وقد نوقش التقرير وأقر بالإجماع. ثم جرى انتخاب المكتب السياسي وانتخاب السكرتير.

وقد أشار سلام عادل في تقريره الى ان هذا الاجتماع أكبر اجتماع موسع وأنه يعقد في أفضل ظروف داخلية مرت على حزبنا الشيوعي من حيث التجربة الوافرة التي كدسها الحزب في ربع قرن من النضال، ومن حيث اتساع نفوذه السياسي، وانعقاد الاجتماع بعد التنام كوادر الحزب بسبب تصفية الانقسام في الحركة، وبسبب إخلاء السجون والمنافي منهم، وبالتالي من حيث الظرف الثوري الذي نشأ نتيجة ثورة تموز. ثم تم استعراض الوضع العالمي والعربي والداخلي.

فعلى الصعيد الدولي، تم استعراض التطورات العالمية التي هددت قضية السلام العالمي في فترات مختلفة، واجتياز قوى السلم والحرية هذه الأزمات بنجاح رائع بسبب صمود الشعوب التي تعرضت للعدوان والتآمر. كذلك تم استعراض الحركة العمالية الاممية، خلال العامين الاخيرين قبل ثورة تموز.

وعلى الصعيد العربي، تم التطرق الى ان بلادنا العربية كانت الخط الأمامي في كفاح قوى السلم والحرية، مما ساعد على ارتفاع الوعي الوطني والقومي بين الجماهير الشعبية، وساعد ذلك على تعريف الرأي العام العالمي بقضايانا الوطنية والقومية.

وفي الميدان الداخلي، كان استعراض انتفاضة 56 الشعبية لمساندة مصر ضد العدوان الثلاثي وضد ميثاق بغداد، والدور القيادي لحزبنا فيها. ودور هذه التجربة في تطلع الحزب والحركة الوطنية الى ضرورة رفع اساليب الكفاح وأسقاط نظام الحكم الرجعي عن طريق القوة، حيث قام الحزب بأجراء اتفاقيات للتعاون خارج الجبهة الوطنية، وبصورة خاصة تعزيز التنظيمات الوطنية بين منتسبي الجيش.

وتم التأكيد على ان ثورة تموز 1958 هي أعظم انتصار لحركتنا الوطنية منذ نشوؤها من خلال الإنجازات التي حققتها في قضم ظهر حلف بغداد والنظام الملكي والرجعية المحلية وكونها البداية لنهاية الاستغلال والنهب الاستعماري لثورات بلادنا.

كذلك حذر التقرير من مؤامرات المستعمرين ودسائسهم من اجل تنظيم عدوان مسلح ضد الجمهورية الفتية حيث تم استعراض التجارب في الدول المجاورة والدول العربية في مجال تعرضها للدسائس والمؤامرات. وأكد على ان الاستعمار قد ينجح بمحاولاته لقلب نظام الحكم الوطني فيما لو ضعفت يقظة الشعب والأحزاب الوطنية. وحذر من ان عملاء الاستعمار يعمدون الى استخدام سلاح خبيث وخطير، سلاح تفريق القوى الوطنية وشق صفوفها تمهيداً لتمرير مؤامراتهم، لذا فعلى الحركة الوطنية عموماً، وعلى الحزب الشيوعي خصوصاً، تقع مهمة العمل بثبات من اجل وحدة الحركة الوطنية.

وقد تم التأكيد على ان عملاء الاستعمار، قد يحاولون التأثير حتى على سياسة حزبنا لدفعه الى مواقف انعزالية او لأضعاف اهتمامه بالمحافظة على الوحدة الوطنية. وأكد على ان السبيل الوحيد للحفاظ على الجمهورية وتوطيدها، هو تعزيز جبهة (الاتحاد الوطني) وتقوية تعاونها مع قادة الجيش والحكومة.

ثم تطرق التقرير الى المهمات الكبرى التي تجابه حزبنا وحركتنا الوطنية اليوم هي:

1 - صيانة جمهوريتنا الوطنية وتوطيدها وصيانة وتعزيز اتجاهها الديمقراطي المعادي للاستعمار وللإقطاعية. وتحقيق هذه المهمة يستلزم الاستمرار بحزم ونشاط في تطهير البلاد من أعوان وعملاء الاستعمار وأنصار العهد البائد، وتقوية الجيش بتسليحه ورفع مستواه وكفاءاته وتعميم المقاومة الشعبية في البلاد مدناً وأريافاً، واليقظة ازاء المؤامرات والدسائس الاستعمارية.

2 - السير بخطوات جديدة نحو تعزيز استقلالنا الوطني خصوصاً بإعلان انسحاب العراق رسمياً من ميثاق بغداد والاتفاقية العراقية البريطانية ومن اتفاقية الأمن المتبادل مع الولايات المتحدة الامريكية ومن مبدأ ايزنهاور وغيرها من الاتفاقيات الاستعمارية وتعزيز استقلالنا في السياسة الخارجية.

3 - إطلاق الحريات الديمقراطية، بصورة خاصة حرية التنظيم الحزبي والنقابي والاجتماعي وحرية النشر والصحافة لكل طبقات الشعب المناوئة للاستعمار وأذنبه باعتبارها حقوقاً عادلة لمختلف طبقات الشعب وأحزابه الوطنية، وباعتبارها أداة أساسية لا ينبغي التقليل من أهميتها في تعبئة الشعب للدفاع عن مكاسبه الوطنية وعن مصالحه الأساسية. وهيئة الظروف الديمقراطية اللازمة لانتخاب مجلس تأسيسى على أساس التصويت العام السري المتساوي المباشر، ومن أجل وضع دستور ديمقراطي للبلاد يأخذ بنظر الاعتبار وحدة الوطن والشعب العراقي وضمان أرقى

أشكال التضامن والارتباط مع البلدان العربية المستقلة.

4 - احترام الحقوق القومية للشعب الكردي وذلك بسن التشريعات اللازمة لوضع ما ورد في الدستور الموقت بهذا الصدد موضع التنفيذ وخصوصاً فيما يتعلق بالحقوق الادارية الاقليمية والحقوق الثقافية.

5 - اتخاذ التدابير اللازمة لحماية اقتصادنا الوطني والاهتمام بمشاكل الجماهير المعاشية، تحرير تجارتنا من الكتلة الاسترلينية، تعزيز العملة العراقية، فرض رقابة صارمة على شركات النفط وسائر الشركات والبنوك الاستعمارية وحماية شعبنا من نهبها، تشجيع الصناعة الوطنية والرأسمال الوطني، القضاء على اسلوب الاستغلال شبه الاقطاعي في الريف، مصادرة اراضي الخونة من الاقطاعيين وكبار الملاكين الذين ثبت ويثبت تعاونهم مع الاستعمار وتأمروهم على البلاد. وتوزيعها الاراضي الاميرية الصرفة او المنهوبة لحساب الاقطاعيين وعملاء الاستعمار على الفلاحين، وتحديد ملكية الارض تحديداً يضمن مصالح الفلاحين وصغار الملاكين، اتخاذ التدابير لحماية الطبقة العاملة من البطالة ولرفع اجورها وتحسين ظروف عملها ومعيشتها، إلغاء الضرائب غير العادلة.

6 - العمل على توثيق الروابط مع البلدان العربية المتحررة، تقوية الجامعة العربية في الكفاح ضد الاستعمار ومن أجل التضامن العربي، العمل لانضمام العراق الى اتحاد الدول العربية أي اتحاد اليمن والجمهورية العربية المتحدة.

7 - تقوية التضامن مع كتلة الدول الآسيوية الافريقية ومع سائر قوى الحرية والسلم في العالم، وتعزيز علاقتنا السياسية والاقتصادية والثقافية مع الاتحاد السوفيتي والصين وسائر اقطار معسكر الاشتراكية التي أثبتت صداقتها لشعبنا ونزاهتها في التعاون مع الاقطار الراغبة في ذلك.

ان السلطة القائمة التي اسفرت عنها ثورة 14 تموز الظافرة سلطة برجوازية وطنية ثورية تمثل مختلف فئات البرجوازية الصغيرة والوسطى والكبيرة. انها لا تمثل كافة القوى الوطنية. ومن هنا نجد التناقض، التناقض بين واقع ان القوى القائدة للحركة الوطنية والمساهمة فيها هي قوى العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة والبرجوازية الوطنية وبين واقع ان القوى التي أخذت بيدها زمام السلطة إثر ثورة 14 تموز هي البرجوازية الصغيرة والبرجوازية الوطنية.

ان هذا التناقض هو السبب الرئيسي الذي يؤدي الى إيجاد وتعميق الخلافات داخل الحركة الوطنية ذاتها بين الاحزاب والفئات الوطنية. ومن الخطأ اعتبار هذا الوضع - وجود هذا التناقض - أمراً طبيعياً كما لا يصح الاستسلام له والوقوف مكتوفي الايدي تجاهه، انه يمس صميم الاتجاه الوطني الشعبي السليم لجمهوريتنا الفتية. ان بإمكاننا، بالاستناد على تعبئة الجماهير، تخفيف هذا التناقض ومن ثم إزالته الى حد بعيد.

ان مهمة صيانة الجمهورية وضمان تقدمها وقيادتها ليست ملقاة على عاتق

الحكومة وحدها ولا على عاتق البرجوازية وحدها انها مهمة كل القوى الوطنية،
فالقوى الوطنية التي تعاونت بالأمس في النضال ضد الحكم الرجعي البائد هي التي
يمكن ويجب ان تتعاون اليوم ايضاً لأجل صيانة الجمهورية وتطويرها وقيادتها.

ان العائق الرئيسي في طريق معالجة هذا التناقض هو نشاط عملاء الاستعمار
المتسترين الذين يقفون لجمهوريتنا بالمرصاد ودعاياتهم المكارثية الفاشية الدنيئة ومن
المؤسف جداً ان تتأثر بعض القوى الوطنية من القوميين اليمينيين، فيقفون موقفاً معادياً
للديمقراطية والذي سيؤدي دون أدنى شك، في حالة سيادته واستمراره، الى التأثير
على الاستقلال الوطني لبلادنا ويجرها بهذا الشكل او ذاك وراء عجلة الرجعية
والاستعمار. وليس بدون مغزى ما تكشف عنه جلسات محكمة الشعب في كل يوم من
ان نشاط عملاء الاستعمار وجواسيسه في العهد البائد اقترن دائماً بالتهويز ضد
الشيوعية والحزب الشيوعي كستار تخفي وراءه اقذار الاستعمار والرجعية، ويوجه
ضد الحركة الوطنية عموماً وضد الشيوعيين خصوصاً بسبب انهم أكثر الوطنيين
وعياً، وبقظة، وبسالة، وعناداً. فعبر كفاح فكري نشيط من أجل تثبيت المفاهيم
الديمقراطية ومن أجل تقوية تضامن القوى الديمقراطية، وعبر الكفاح ضد الحساسية
تجاه الحزب الشيوعي والانكماش منه التي هي من مخلفات العهد البائد حيث أوجدها
وغذاها الاستعمار، يمكن تخفيف هذا التناقض ثم إزالته الى حد بعيد. وبمقدار ما نسير
في طريق تخفيف وإزالة هذا التناقض نسير في الوقت ذاته في طريق تقوية لحمة
الجهة الوطنية ووحدة الجماهير الشعبية في جميع أرجاء القطر.

وفيما يتعلق بمسائل الحزب الداخلية تطرق تقرير المكتب السياسي الى القضايا
التالية:

1 - الكفاح ضد الافكار اليمينية: ان القرار الذي اتخذته اللجنة المركزية سابقاً،
القاتل بأن الخطر الرئيسي يأتي، في الظروف الراهنة، من الافكار اليمينية - ان هذا
القرار لا زال صائباً ومعبراً عن وجهة نظرنا. ان الظروف الموضوعية، والعالمية
والعربية والداخلية، تجعل من خطر الافكار والتيارات اليمينية (التحريفية) الخطر
الاساسي على حزبنا الشيوعي اليوم. ففي النطاق العالمي تنشط التحريفية اليمينية التي
اصبحت بلغراد مركزها القيادي، في التنكر لأهم المبادئ اللينينية (مبدأ دكتاتورية
البروليتاريا وقيادة الحزب الشيوعي، ومبدأ الاخوة والتضامن الاممي للبروليتاريا).

وفي النطاق العربي يتميز الوضع بطغيان القومية البرجوازية ولهذه الظاهرة
جانباها الايجابي (طموح الشعوب العربية الى التحرر من ربة الاستعمار والى الوحدة
القومية) ولها جانبها السلبي (نشر الافكار البرجوازية وخلق ظرف موضوعي مؤات
لنشوء وتسرب الافكار القومية اليمينية التحريفية الى الحركة العمالية وتغذية التيارات
اليمينية في الاخيرة). ولئن كان القسم العربي من العراق، وهو الاغلبية الساحقة من
البلاد، يتأثر بما يجري في سائر الاقطار العربية من أحداث وتيارات فكرية وسياسية،

فان القسم الكردي منه يتأثر هو الآخر، فتجد الافكار القومية الانعزالية والانفصالية جواً أنسب من ذي قبل للانتشار. وسيبذل المستعمرون وعملأؤهم كل ما في وسعهم من جهد لنشر وتغذية هذه الافكار بين الاكراد. فمن واجب رفاقنا في كردستان ان يكونوا يقظين تجاه تسرب الافكار القومية الانعزالية والانفصالية بهذا الشكل المكشوف او بذاك الشكل المستور، الى صفوف الحزب هناك، كما ان من واجب رفاقنا العرب ان يكونوا يقظين تجاه الافكار التي تنكر على الشعب الكردي حقوقه القومية. وفي سبيل ترصين الكفاح المشترك، من اجل المطالبات الوطنية والديمقراطية الكبرى المشتركة.

ان هذه الافكار تظهر عندنا اليوم في إنكار، او استصغار، الدور الذي تنهض به او الذي ينبغي ان تنهض به الطبقة العاملة في كفاح الشعوب العربية التحرري والزعيم بأن البرجوازية وحدها استطاعت او تستطيع قيادة هذه الشعوب الى الاستقلال والحرية او اعتبار منتسبي الجيش كجماهير منفصلة عن التركيب الطبقي للمجتمع وغير متأثرة بقوانينه، ومن ثم المبالغة في دوره في الحركة الوطنية. وقد تظهر في التقليل من شأن انتقاد أخطاء الحكومة او بعض المسؤولين فيها المنافية لمصلحة الثورة والجمهورية، والمطالبة بالاكتمال بتأييدها لا غير لمجرد انها حكومة وطنية بحجج دقة الظرف الذي تمر به والذي يقتضي هو بذاته لا معاونتها بالتأييد فحسب، بل بالتوجيه والنقد ايضاً. وقد تظهر في المطالبة بأن نكف - او نخفف - عن اللاحاح في طلب إطلاق الحريات الديمقراطية وأن نهمل المطالبات المعاشية والاقتصادية والسياسية الخاصة بالجماهير الكادحة. وقد تظهر بالتقليل من أهمية تطهير جهاز الدولة ومعاينة الخونة بأشد العقوبات او من أهمية النضال لحل المشكلة العقارية... الخ. وكذلك تظهر في المسائل الحزبية بالتقليل من شأن الضبط والنظام في الحزب، والوقوف سلبياً من ضرورة تعميق الوعي الطبقي في الحزب، وإعادة النظر في المبادئ الاساسية للماركسية اللينينية.

ان حزبنا الشيوعي يقف بحزم ضد الافكار اليمينية والتحريفية باعتبارها الخطر الاساسي. على انه يناضل بحزم، من الجهة الاخرى، ضد الأفكار "اليسارية" التي تبرز في التقليل من شأن الجبهة الوطنية وفي الجنوح الى القيام بتكتيكات انعزالية غير مبررة من قبل الجماهير. والاندفاع وراء الاعمال العفوية المتطرفة التي قد تحدث بين الجماهير.

2 - توسيع القاعدة الحزبية، خصوصاً بين العمال والفلاحين. لقد كان حزبنا منذ ميلاده وطوال سني عمره، يناضل في ظروف قاسية، وفي أكثر الاحيان في ظل الاحكام العرفية التي اقيمت ضد الشعب، فشرعت قوانين رجعية وفاشية لمكافحة الشيوعية وتعدت اجراءات القمع ضد الشيوعيين حدود هذه القوانين نفسها. فكان الانتماء الى الحزب الشيوعي يعرض المرء الى الجوع والمطاردة والسجن وحتى الاستشهاد. وفي تلك الظروف القاسية ناضل الشيوعيون العراقيون بثبات وجرأة وفي طليعة الصفوف وقدموا النصيب الاوفر من التضحيات التي اقتضاها شرف النضال

في سبيل التحرر من ربة الاستعمار والرجعية، مما اوجد لحزبنا رصيذاً عظيماً من ثقة الشعب وحب واحترامه له وأكسبه نفوذاً سياسياً واسعاً. وهكذا تخلف اتساع تنظيمات حزبنا عن اتساع نفوذه السياسي، إذا استطاع الارهاب البوليسي والقوانين الرجعية ان تعرقل توسيع تنظيماته.

وبعد ثورتنا الظافرة وجد ظرف أنسب لتوسيع تنظيمات حزبنا إذ زال كابوس الارهاب الملكي الاستعماري الاقطاعي فاندفعت أوسع الجماهير نحو ممارسة النشاط السياسي وتعاضم إقبالها نحو حزبنا بقصد الانتماء اليه وكسب شرف عضويته. وأمام هذا الاندفاع يفتح حزبنا أبوابه ليحتضن، بكل اعتزاز، طلاب الانتماء الذين هم أهلون لعضويته وبانتمائهم يقوونه ويرفعون من كفاءته التنظيمية الى مستوى مهامه السياسية.

ان حزبنا يقف بحزم ضد الاتجاه "اليساري" الذي يريد غلق او تضيق باب الحزب بوجه طلاب الانتماء، هذا الاتجاه الذي يحكم على حزبنا بأن يبقى متخلفاً عن الصعود الثوري وبأن لا يستفيد من الامكانيات الهائلة التي أطلقتها الثورة. وكذلك يقف بحزم ضد الاتجاه اللبرالي الذي يريد قبول كل طالب انتماء وكل مؤازر للحزب عضواً فيه بصرف النظر عن مدى وعيهم ونوعيتهم الجهادية، هذا الاتجاه الذي يهدد بإغراق صفوف الحزب والهبوط بمستواه الى مستوى يقصر فيه عن إداء مهماته السياسية كممثل لأرقى طبقة في المجتمع، الطبقة العاملة، ولأرقى نظرية في الكفاح، الماركسية اللينينية.

3- الامانة التامة لسياسة الحزب والتقيّد بالضبط والنظام والطاعة الحزبية الواعية في جميع الخلايا والهيئات الحزبية، من اللجنة المركزية حتى آخر خلية.

ان الامانة لسياسة الحزب تقتضي من العضو الحزبي، أولاً وقبل كل شيء ان يدرك بأن أحد واجباته الاساسية هو القيام بكل ما يسهل ويضمن له تفهم سياسة الحزب وشعاراته وتفهم اساليب عمله، وتفهم ما يطراً من تطور وتبدل في سياسته وشعاراته وفي اساليب عمله. فالعضو الحزبي، مهما كان ثورياً ومخلصاً ومضحياً، لا يستطيع تطبيق سياسة الحزب واساليب عمله ما لم يتفهم هذه السياسة وتلك الاساليب. وعلى العضو ان يستوضح عن كل ما هو غامض لديه في سياسة الحزب وفيما يرد من توجيهات على صفحات نشراته وأن يرتفع بمستوى فهمه لها أكثر فأكثر.

والامانة لسياسة الحزب تقتضي من العضو الحزبي ان يعكس سياسة الحزب في نشاطه العملي وأن يشرحها بأمانة تامة وبأسلوب مبسط قريب الى مستوى فهم الجماهير، وتقتضي منه ان يتجنب كل ما من شأنه خرق أو إضعاف الضبط الحزبي ويجب الانتباه الى ان التقيّد بسياسة الحزب يكون في بعض الاحيان ومن قبل بعض المنظمات او بعض الرفاق تقيداً شكلياً يصحبه سلوك عمل مناقض، كأن يقر الرفيق الحزبي او المنظمة الحزبية نظرياً صواب سياسة الحزب بشأن الجبهة الوطنية ويسير عملياً على خط مناقض لهذه السياسة. ان تبشير العضو الحزبي بأراء ومفاهيم

مخالفة لآراء الحزب يتنافى كلياً مع روح الضبط والطاعة ومع الامانة لسياسة الحزب. وان اعتماد أساليب للعمل لم يقرها الحزب عمل يتنافى مع روح الضبط ومع الامانة لسياسة الحزب. ان السماح لأفكار الموترين والمحرفين والانهمامين والتساهل تجاه تخرصاتهم على الحزب في سياسته وشعاراته او في شخص قاداته وكوادره واعضائه، عمل يتنافى مع الضبط والامانة لسياسة الحزب.

ان الامانة التامة لسياسة الحزب ولأهدافه ومبادئه هي الشرط الاساسي لضمان النجاح في تنفيذ خطتنا وتحقيق أهداف شعبنا، وهي الشرط الاساسي لضمان تربية أعضائنا ورفع مستواهم من حيث الوعي السياسي والخبر العملية. ان الامانة لسياسة الحزب لا تمنع العضو الحزبي من ممارسة حقه في المناقشة والتفكير المستقل ولا يتنافى مع مبدأ النقد والنقد الذاتي، بل على العكس من ذلك، تخلق أنسب الفرص والاجواء أمام الاعضاء لا لأداء واجباتهم الحزبية وحسب، بل كذلك لممارسة حقوقهم في النقد بجرأة، وصراحة، وبروح موضوعية، وانشائية.

4 - تشخيص الكوادر الجديدة وتقديمها ورعايتها:

ان العائق الجدي الاساسي أمام اتساع قاعدة حزبنا، أمام العمل لبناء المنظمات والخلايا الجديدة بين العمال والفلاحين وكل الاوساط الشعبية، هو عدم توفر العدد الكافي من الكادر والمنظمين. ان بناء الخلايا الجديدة وتربيتها وتنقيتها يحتاج، قبل كل شيء، بنائين من الكوادر والمنظمين. اننا في غمار المد الثوري المتصاعد الذي أطلقتته الثورة، وفي سبيل استيعابه وتنظيمه، بحاجة الى المزيد من الكوادر، بالرغم من تعزز كوادر حزبنا نوعاً وعدداً بعد ثورتنا الطافرة.

ان حزبنا لا يسعه الوقوف مكتوف الايدي تجاه هذه المشكلة، بل يلجأ الى كل ما من شأنه التخفيف منها وحلها. ويرى حزبنا ان هناك رفاقاً لم تستثمر كفاءاتهم وهناك آخرين يمكن تطويرهم بسرعة. فينبغي ان تكون لمنظمات حزبنا سياسة ثابتة تأخذ بنظر الاعتبار:

اولاً: تشخيص الكوادر: والتشخيص يحتاج القدرة على الابتعاد عن المسائل اللا مبدئية والافكار الذاتية الضيقة واعتماد المقاييس الموضوعية، وكذلك يحتاج ضمان الاشراف والرقابة من الهيئات القيادية على منظمات القاعدة والاستعانة في ذلك بمنظمات القاعدة نفسها التي تستطيع ان تساعد مساعدة كبرى في تشخيص الوزن السياسي والعملية لقيادتها وتنظيمها.

ثانياً: تقديم الكوادر في مجرى العمل لبناء الخلايا ولتوسيع التنظيمات الجديدة ولإشغال مراكز المسؤولية في الهيئات القيادية. ان الاقدام على تقديم الرفاق الجدد الى مراكز حزبية، وهم محدودي الوعي والتجارب، يتطلب الجرأة مثلما يتطلب الدقة والتقدير الموضوعي للكفاءات. وقد تقع بعض الاخطاء في تقديم الكوادر، ولكن ذلك ينبغي ان لا يخيفنا فالتقديم هو الطريق الوحيد لحل المشكلة إذ ليس من المنتظر ان

نحصل على الكوادر من مصدر آخر خارج صفوف الحزب.

ثالثاً: رعاية الكوادر، تثقيفها وتربيتها بروح النقد والنقد الذاتي وبروح معالجة النواقص وتنمية المواهب والكفاءات وتشجيع المبادرات وتعزيز الضبط والطاعة الحزبية والامانة التامة لمبادئ وأهداف الحزب وسياسته والصراحة الشيوعية تجاهه. ان اتجاه المجاملة مع الكوادر والطبوبة على ظهورهم والتساهل تجاه أخطائهم لا ينفعهم ولا يربيهم، بل يضرهم واحياناً يفسدهم كلياً، إذ يخلق لديهم الغرور والرضا عن النفس وضعف الشعور بالمسؤولية. كما ان اتجاه التشدد والملاحقة المفرطة والبيروقراطية هو الآخر لا يطور ولا يربي الكوادر، بل يضرهم ويقتل لديهم روح الابداع والمبادرة والتفكير المستقل ويحولهم الى "الات" ميكانيكية تتقن "الركض" لتنفيذ الاوامر، ولكنها لا تتقن فن القيادة السياسية.

ان الاسلوب الصحيح الوحيد في رعاية الكوادر هو التربية الماركسية اللينينية بروح النقد والنقد الذاتي وبروح تحمل المسؤولية والامانة لسياسة الحزب.

5 - تشجيع وتعميم المبادرات:

في النشاط الحزبي والسياسي الذي يقوم به الالوف من منظماتنا ورفاقنا ومن الجماهير اللا حزبية، تظهر يومياً وفي مختلف الاماكن وفي مختلف مجالات العمل، المبادرات والابداعات الثورية ان لتعميم تجارب العمل الخلاق والامثلة الحسنة في الحزب سيوجه مجموع منظماتنا ورفاقنا الى التفكير الجدي ليس فقط في تنفيذ التعليمات والاوامر الحزبية حرفياً، بل في تنفيذها بإبداع ونشاط خلاق.

وقد يقوم أحد الرفاق (او احدى المنظمات) بمبادرة ثورية جيدة، تتخللها اخطاء طفيفة، فيعمد الرفيق المسؤول (او الهيئة المسؤولة) لا الى نقد الاخطاء وحسب، بل الى نقد المبادرة بمجموعها وزرع التهيب والانكماش في نفوس الرفاق.

ان تعميم المبادرات الحسنة، وكذلك تعميم الاخطاء البارزة وتجربتها على منظمات الحزب، يعطي مناضلي الحزب دروساً نضالية مفيدة للغاية في تطوير مساهمتهم في عمل الحزب ورفع الشعور بالمسؤولية.

ان من الضروري تشجيع وتعميم المبادرات، على نطاق الحزب كله او على نطاق المنظمات المنطقية او المحلية. وهذا يقتضي تنشيط النشر الداخلي، المركزي والمحلي، وخصوصاً تنشيط (مناضل الحزب).

مع شعبه في عيد انتصار تموز

يقول أحد الرفاق:

كان حسين الرضي يعيش مع شعبه عيد انتصار ثورة تموز 1958. ان نشوة النصر صرفت اذهان الكثيرين من ابناء الشعب، بما في ذلك بعض الشيوعيين، عن المهام الجديدة الرئيسية التي طرحها انتصار تموز. بيد ان نشوة النصر لم تصرف ذهن ذلك الثائر اليقظ، ان قضايا الحزب والحركة الوطنية الاساسية كانت في المرتبة الاولى من تفكيره واهتمامه: ماذا يجب عمله لتوطيد ثورة تموز؟ لدرء الاخطار والمؤامرات الاستعمارية والرجعية؟ لتطوير انتصار تموز؟ ماهي الاجراءات التي تضمن تقوية الحزب الشيوعي العراقي؟ تعميق الوعي وتوسيع التنظيم بين العمال والفلاحين خاصة؟ **والعمل من اجل توطيد وحدة القوى الوطنية- ضمان توطيد وتطوير انتصار تموز؟** ماذا يجب عمله لإخراج العراق من حلف بغداد وسائر المعاهدات والاتفاقيات الاستعمارية؟ ...

ان الحزب وجد، تحت قيادة الرفيق الرضي وبمبادراته، الاجوبة الصائبة على هذه الاسئلة، مقتدياً بالماركسية اللينينية، اخذاً بنظر الاعتبار ظروف العراق، والتغيرات التي نجمت عن ثورة الرابع عشر من تموز 1958. منذ 14 تموز طرح الحزب شعار صيانة الجمهورية والاستقلال الوطني بوصفه الشعار الرئيسي في المرحلة التي تبعت الثورة... وناضل ببسالة للدفاع عن مكاسب الثورة ومن اجل تطويرها.

ان أحد المأثر الكبرى للرفيق الرضي في تلك الفترة هي مبادرته الى جمع كل الكادر الحزبي، جميع الذين خرجوا من السجون والمنافي ورجعوا من خارج البلاد، وقيادة نشاطهم والاستفادة القصوى من طاقاتهم وامكانياتهم...

قاد الرفيق الرضي اجتماعاً اعتيادياً للجنة المركزية، ومن ثم اجتماعاً موسعاً لها، في ايلول 1958، وعبر بكلمات صادرة من اعماق القلب عن ابتهاجه بان هذا الاجتماع أكبر واوسع اجتماع للجنة المركزية في تاريخ حزبنا... وان هذا شيء سار للغاية، وهو ثمرة من ثمار حزبنا المجاهد وتضحياته وبطولاته - ان خيرة كوادر الحزب القياديين قد التقوا مع بعضهم، لأول مرة في تاريخ الحزب، ليدرسوا، بقيادة وتوجيه الرفيق الرضي، الوضع السياسي ومهام الحزب الجديدة...

ان الحزب استفاد لأقصى حد، تحت قيادة ومبادرة الرفيق الرضي، من المد الثوري الذي أطلقه انتصار ثورة تموز 1958. فسرعان ما اتسعت تنظيمات الحزب ونمت عضويته اضعاف مضاعفة، كما تعاضم نفوذه السياسي وامتد نشاطه وتنظيمه الى كل شبر من ارض الوطن.

لقد اخذ التآمر على الجمهورية لإسقاط عبد الكريم قاسم شكل علني واضح في أول أيام الثورة، في الإنزال الإنجليزي في الأردن والإنزال الأمريكي في لبنان وتحركات حلف بغداد في تركيا بالتعاون مع إسرائيل... والتحركات في إيران... إلخ.

وقد ساعد النهوض الجماهيري العارم في المدن العراقية وبغداد والمذكرات السوفياتية والصينية... إلخ. على عرقلة التدخل العلني العسكري واعاقته.

عند ذاك توجه الاستعمار الى تحريك عملاؤه في داخل العراق فعُمد الى حرق خزانات النفط في منطقة الباب الشرقي من بغداد واستمرت النيران تشتعل لمدة ثلاثة أيام...

وخاب أمل المستعمرين فبدلاً من ان ترعب هذه النيران والتخريبات الشعب العراقي، أحدثت العكس. فقد رصت صفوفه أكثر وبدأت المطالبة بتسليح الشعب وتشكيل المقاومة الشعبية.

وخلال تلك الأيام، بدأ عبد الناصر يتحرك لفرض الوحدة على العراق... ففي زيارة عبد السلام وعدد من الوزراء العراقيين الى سوريا بعد اسبوع من الثورة للقاء القائد الكبير عبد الناصر. وخلال هذا اللقاء أشعر عبد الناصر عبد السلام بأنه هو رجل الثورة... فتصاعد غرور الأخير... ومن على شرفة الفندق بدأ يتحدث عن الثورة التي قام بها وعن الوحدة العربية (التي لم يكن هناك أي اتفاق حولها من قبل) كما لم يذكر دور عبد الكريم قاسم في الثورة.

وكان موقف عبد السلام هذا إشارة البدء لانقسام في الصف الوطني العراقي... فتحركت الجموع المستاءة والخائفة على مصالحها من ثورة تموز وتجمعت حول رسول ناصر الى العراق هاني الهندي مؤسس الحزب القومي... وطار ميشيل عفلق الى بغداد وأبعد فؤاد الركابي عن قيادة حزب البعث ودعا جهاراً للوحدة الفورية...

كل هذا حدث قبل مظاهرة الاتحاد الفيدرالي، كما قلنا سابقاً، بل ان المظاهرة كان رد على ادعاء ان الشعب العراقي يريد الوحدة الفورية بكل فئاته.

وهنا تبدأ محاولة التحرك العسكري التأمري الأول بقيادة أحمد حسن البكر... كما قال بطاطو، ولكن زخم الشارع الديمقراطي الكبير وتوجهات الجيش العراقي اليسارية أوقفت عملية البكر الأولى قبل البدء بها.

ولا يتوقف سيل المؤامرات على الجمهورية بعد محاولة تأمر البكر هذا، بل سوف تحدث تسع محاولات جدية مدروسة، ولكنها كانت تلغى في آخر لحظة نتيجة رقابة الشعب ورفاق حزبا، ويقظة قاسم في الأيام الأولى (ولسوف تتخدر يقظته هذه، عندما

يناسب حزبنا العداًء ويمنح ثقته لأعدائه). ويتحدث أحمد فوزي في كتابه (عبد الكريم قاسم وساعاته الأخيرة) بتفصيل عن التسع محاولات الانقلاب في الصفحات ٩٧، ٩٨، ٩٩.

ولكنه لا يتناول في هذه المحاولات المؤامرات التي كُشف عنها وقدمت إلى محكمة الشعب. وهي:

٥ تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٥٨	مؤامرة عبد السلام عارف
9 كانون الأول - ديسمبر ١٩٥٨	مؤامرة رشيد عالي الكيلاني
٨ آذار - مارس ١٩٥٩	مؤامرة عبد الوهاب الشواف
١٤ تموز - يوليو ١٩٥٩	مؤامرة كركوك

وسوف نتناول مؤامرة عبد السلام عارف حسب رواية إسماعيل العارف (وهو شخص سيلعب دوراً كبيراً في التهيئة لانقلاب شباط).

مؤامرة عبد السلام عارف¹⁶⁵

في الفصول السابقة تناولنا التغيرات التي طرأت على عبد السلام عارف بعد ثورة تموز وكيف بدأ ينشط باتجاه الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة (آنذاك) ويناصره في ذلك حزب البعث والقوى الناصرية وكل المتضررين من ثورة تموز من الرجعيين والإقطاعيين والعملاء... إلخ. وبعد انتقاد قاسم له تراجع ووعد بتغيير مساره...

"الا انه لم يكتف، بخطبه تلك، بل سارع إلى إصدار صحيفة [صوت الجماهير] باسمه، برئاسة سعدون حمادي أحد قياديي حزب البعث، مخالفاً بذلك قانون الصحافة، كونه الشخص الثاني في حكومة الثورة، وقد أستخدم تلك الصحيفة لإشاعة مفاهيم غير متفق عليها فيما يخص قيام الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة ولعبت تلك الصحيفة دوراً كبيراً في شق الصف الوطني منذ الأيام الأولى للثورة.

لقد حذر الزعيم عبد الكريم قاسم رفيقه في الثورة عبد السلام عارف من مخاطر تلك التصرفات وأثارها السلبية على مصير الثورة والشعب، وأضطر عبد السلام عارف تحت ضغط عبد الكريم قاسم إلى التنازل عن ملكية الصحيفة تلك، لكنه سلمها لحزب البعث، لكي تستمر على سياستها الهادفة إلى شق وحدة الشعب وقواه السياسية المنضوية تحت راية جبهة الاتحاد الوطني، وثورة 14 تموز المجيدة.

ورغم كل النصائح التي وجهها له عبد الكريم قاسم وزملاءه في اللجنة العليا

165 - في الطبعة الأولى للكتاب تناولت بالتفصيل فقط مؤامرة الشواف (بسبب سعة حجم الكتاب) ولكن القراء الكرام ألحوا علي ذكر المؤامرات الأخرى أيضاً لأهميتها للجيل الجديد الغير معاصر لتلك الأحداث. وسوف نتناولها بالتسلسل باختصار.

للضباط الأحرار ومجلس الوزراء من مغبة الاستمرار على هذا النهج، وما يسببه من أضرار على مجمل الحركة الوطنية ومستقبل العراق وشعبه لكن عبد السلام عارف كان قد عقد العزم على السير في طريقه الخاطئ ضارباً عرض الحائط بكل تلك النصائح، موصلاً البلاد إلى حافة الحرب الأهلية وتعرض الثورة للضياع "166.

ولم يلبث ان عاد الى عهده الأول. فعندما زار مدينة بعقوبة في ١٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٨ ألقى خطاباً قوبل بالهياج وقوطع بالهتافات المعادية له وللوحدة الفورية. وقد افتتح الخطاب باسم «مجلس قيادة الثورة» الذي لم يولد فأتار بذلك الخطاب ردود فعل معادية ومحرجة، فعم الهرج والصياح وسادت البلبلّة صفوف السامعين. ثم قام قائد الفرقة الثالثة الزعيم الركن خليل سعيد بنقل صورة عن الحادث الى الزعيم عبد الكريم شارحاً إليه الآثار السيئة التي تركها ذلك الخطاب لدى الجماهير. وكان هذا الخطاب آخر خطاب يلقيه عبد السلام عارف بعد ثورة ١٤ تموز

"لما لم يجد عبد الكريم قاسم سبيلاً آخر لوقفه عن نهجه، ومحاولته إثارة الجيش، من خلال خطاباته المتواصلة بين القطاعات العسكرية، فقرر إبعاده عن الجيش، وإعفاءه من منصب نائب القائد العام للقوات المسلحة. غير ان عبد السلام أزداد اندفاعاً وتهوراً، وأزداد دعم القوى البعثية والقومية له في مواقفه، والتي قابلتها القوى الديمقراطية بدعم موقف عبد الكريم قاسم، وقد بدا الوضع معقداً بصورة خطيرة، ينذر بوقوع أحداث جسيمة، فكان لا بد والحالة هذه، من اتخاذ إجراءات أكثر صرامة. وهكذا أقدم عبد الكريم قاسم على خطوته الجريئة والحاسمة، فقد صدر مرسوم جمهوري وأذيع مساء يوم 30 أيلول 1958 يقضي بإعفاء عبد السلام عارف من منصب وزير الداخلية وتعيينه سفيراً في ألمانيا الغربية.

كما أجرى تعديلاً وزارياً شمل إعفاء فؤاد الكاوي - أمين سر حزب البعث - من وزارة الأعمار وتعيينه وزيراً بلا وزارة، كما أعفى الدكتور جابر عمر، وزير المعارف، وأنيطت الوزارتان المعارف والإعمار بمحمد حديد، وهديب الحاج حمود، إضافة إلى منصبيهما، وهما من الحزب الوطني الديمقراطي، كما عُين الزعيم الركن [أحمد محمد يحيى] وزيراً للداخلية "167.

لقد كان قرار إبعاد عبد السلام عارف عن السلطة أمراً حتمه الحرص على وحدة المجتمع بعد ان انحدر الخلاف إلى الشارع بين الفئات السياسية المتناحرة.

رفض عبد السلام المنصب الجديد وأعلن استقالته. إلا إنها لم تقبل فلأزم بيته يستقبل بعض أصدقائه من الضباط والسياسيين. "وقد زاره في 2 تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٨ الزعيم الركن ناجي طالب، والزعيم فؤاد عارف، والدكتور جابر عمر، ووعدوه بالعمل على اعادته، فأكد لهم عارف، ان الحاجة تدعو الى أكثر من

166 - حامد الحمداني: صفحات من تاريخ العراق الحديث.

167 - المصدر السابق.

ثورة¹⁶⁸. ووصل الى عبد الكريم قاسم تقرير عن هذا اللقاء. فتقرر نقل الفوج الثالث (فوج عبد السلام أثناء دخوله بغداد في ١٤ تموز) الى معسكره الدائم في جلولاء، ونقل أمر الفوج العقيد عبد اللطيف الدراجي الى منصب آمر الكلية العسكرية بعدما تسربت أخبار الى عبد الكريم قاسم أفادت بأنه قد يقوم بحركة انقلابية لمعاونة عبد السلام عارف. وكان من أصدقائه ودخل معه الى بغداد لإسقاط النظام الملكي.¹⁶⁹ كما أوقف المقدم أحمد حسن البكر والرئيس صالح مهدي عماش لاتهامهما بتدبير مؤامرة لاغتيال عبد الكريم قاسم ووصفي طاهر.

حاول عبد الكريم قاسم بكل الوسائل إقناع عبد السلام عارف بالسفر الى بون لإشغال منصبه الجديد وترك العراق في تلك الظروف الحرجة المتأزمة وطلب من أصدقائه التدخل لإقناعه بالتخلي عن عناده إلا إنهم لم يفلحوا. فقرر ان يعقد اجتماعا في مقر وزارة الدفاع لقادة الفرق في ١١ تشرين الأول (أكتوبر) حضره أيضاً الزعيم الركن أحمد صالح عبيدي رئيس أركان الجيش والحاكم العسكري العام والعقيد عبد الكريم الجدة آمر الانضباط العسكري والعقيد وصفي طاهر المرافق الأقدم لعبد الكريم قاسم. وانضم إليهم في وقت لاحق اللواء الطبيب محمد عبد الملك الشواف مدير الأمور الطبية والزعيم المتقاعد فؤاد عارف محافظ كربلاء. وقد أحضر العقيد عبد السلام عارف من داره. فحاول جميع الحاضرين إقناعه بالسفر إلا إنه برر امتناعه عن ذلك بمرض زوجته ووجود خطر على حياته من قبل العناصر الموالية للعهد الملكي. فخرج الجميع من الاجتماع بإشارة من عبد الكريم قاسم، وبقي الاثنان في الغرفة لوحدهما مع الزعيم المتقاعد فؤاد عارف. وفي غفلة منهما سحب عبد السلام عارف مسدساً لاغتيال عبد الكريم قاسم، إلا ان الأخير شعر به والتفت نحوه وصاح به «ماذا تريد ان تفعل يا عبد السلام "وهجم عليه فؤاد عارف وانتزع منه المسدس بمعاونة عبد الكريم قاسم فقال لهم وهو في وضع مرتبك «أريد ان أنتحر¹⁷⁰». فأجابه عبد الكريم «لماذا لا تنتحر في بيتك إذا أردت الانتحار!» وعند ذلك دخل الضباط الذين كانوا ينتظرون خارج الغرفة، ولما شاهدوا الوضع المتأزم والمسدس على الطاولة، أخذ الزعيم محي الدين عبد الحميد قائد الفرقة الرابعة يلطم على رأسه أسفاً على ما حل من فرقة بين الإثنين. أما عبد الكريم قاسم فالتفت الى عبد السلام وقال له: "إنني اعفو عنك على شرط ان يسافر الى خارج البلد لمصلحة الوطن". ثم أنتحي به جانباً وقال له ان عليه ان يسافر وإنه قد أعد له الترتيبات اللازمة لسفره ووعده بأنه سيعود خلال بضعة أسابيع. فسافر عبد السلام في ١٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٨ يصحبه السيد علي حيدر سليمان السفير العراقي في بون وقام بتوديعه عبد الكريم قاسم في

168 - المحكمة العسكرية العليا الخاصة ج5-ص61.

169 - حامد الحمداني: صفحات من تاريخ العراق الحديث.

170 - اعترف عبد السلام عارف، في مذكراته، انه اخذ مسدسه وذهب للقاء قاسم، وكان مصمماً على قتل عبد الكريم قاسم.

هبط عبد السلام في بلجيكا وتجول في المعرض التجاري الدولي الذي كان قائماً هناك ثم زار هولندا. ولم يذهب الى بون، بل سافر الى النمسا ومنها أبرق الى عبد الكريم قاسم يخبره نبأ عودته الى العراق خلال الأيام القليلة المقبلة، فطلبت إليه وزارة الخارجية بواسطة السفارة العراقية في فيينا ان يواصل السفر الى المانيا الغربية، ولكنه لم يستجب، بل ركب الطائرة وعاد الى بغداد في يوم ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) وكانت أخبار تنقلاته وسفرائه ترد الى بغداد تباعاً. وعندما وصل الى مطار بغداد استأجر سيارة كانت تحت رقابة رجال الأمن. وما ان دخل داره حتى دعاه عبد الكريم قاسم للحضور الى وزارة الدفاع. وبعد نقاش طويل بين الإثنين بحضور العقيد عبد الكريم الجدة أمر الانضباط العسكري عرض عليه ثانية أي منصب يختاره خارج العراق وأن يكون ارتباطه مباشرة برئيس الوزراء، ولكنه أصر على البقاء في بغداد. عندئذ فقد عبد الكريم قاسم صبره فأوعز على أمر الانضباط العسكري ان يقتاده مخفوراً الى سجن رقم واحد العسكري في معسكر الرشيد وأذيع في الراديو والتلفزيون نبأ توقيفه وإحالاته الى المحكمة العسكرية العليا الخاصة (محكمة المهداوي) بتهمة محاولة اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم والتآمر على سلامة الدولة. وقد أحيل الى المحكمة العسكرية وبدأت محاكمته بصورة سرية يوم ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٨. ثم صدر الحكم عليه في ٥ شباط (فبراير) ١٩٥٩ بتهمة الشروع بقتل الزعيم عبد الكريم قاسم باعتباره القائد العام للقوات المسلحة الوطنية وأودع السجن في معسكر الرشيد. وكان عبد السلام عارف، وهو في السجن، يتوقع ان يقوم أعوانه من الضباط بانقلاب. "ولكنه مكث في السجن حتى أيلول 1961، حيث أطلق عبد الكريم قاسم سراحه من السجن، بعد وقوع الانفصال بين سوريا ومصر، كما أعاد له كافة حقوقه النقاعدية، وأكرمه، وأرسله الى مكة لأداء فريضة الحج، ظناً منه - أي عبد الكريم قاسم - ان سياسة التسامح والعفو عن من حاول مراراً وتكراراً الغدر به وبالثورة قد تعيده الى رشده وصفائه، لكن التاريخ أثبت عكس ذلك تماماً، حيث أستمّر عارف بالتآمر على الثورة وقيادتها حتى تسنى له ذلك، بالتعاون مع حزب البعث، من اغتيال الثورة وقائدها عبد الكريم قاسم يوم الثامن من شباط عام 1963، حيث وقع عبد الكريم قاسم أسيراً بيد عبد السلام عارف وشركائه البعثيين، وناله من حقدهم ما ناله من الإهانات، وتم إعدامه على أيديهم. ولم يفد تذكير عبد الكريم قاسم لرفيقه عبد السلام عارف، بأنه كان قد عفا عنه، وأنقذه من حكم الإعدام"¹⁷¹.

مؤامرة رشيد عالي الكيلاني

"رشيد عالي الكيلاني، رئيس وزراء، ووزير مخضرم في العهد الملكي، حيث شغل العديد من المناصب الوزارية، ولعب دوراً كبيراً في إسقاط العديد من الوزارات، والإتيان بغيرها، مستغلاً العشائرية والطائفية، قاد عام 1941، انقلاباً ضد حكومة

171 - حامد الحمداني: صفحات من تاريخ العراق الحديث.

[ياسين الهاشمي]بمعاونة قادة الجيش، العقداء الأربعة، وعلى اثر ذلك هرب الوصي عبد الإله الى القاعدة البريطانية في الشعبية، لكن القوات البريطانية احتلت بغداد وأعادت الوصي عبد الإله الى العرش من جديد، وهرب الكيلاني إلى خارج العراق، حيث تمكن من الوصول الى المانيا، وبقي فيها الى ما قبل سقوط برلين حيث هرب إلى سويسرا ومنها إلى السعودية، وأخيراً أستقر به المقام في مصر".

"وعندما قامت ثورة 14 تموز عام 1958، عاد للعراق، وقبل عودته قابل الرئيس عبد الناصر، وصرح بعد المقابلة أنه يشعر بوجوب إقامة الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة". وعلى أثر وصوله صدر القانون العفو العام عن السياسيين في ٤ أيلول (أبريل) في قرار أعتبر ثورة ايار (مايو) حركة وطنية ضد الاستعمار، فأصبح بيته مزاراً للسياسيين القدامى وللضباط المتذمرين من سلطة حكم عبد الكريم قاسم وبخاصة بعد الانشقاق الذي حدث بين الضباط الأحرار والخلاف بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف وإيداع الأخير في السجن. فتراءى للبعض ان رشيد عالي الكيلاني قد يكون محوراً تتجمع حوله قوى المعارضة لإسقاط حكم عبد الكريم كأحد أبطال حركة مايس 941.

فوجئ الشعب العراقي في 8 كانون الثاني 1959 بإذاعة بيان من دار الإذاعة صادر من القائد العام للقوات المسلحة [عبد الكريم قاسم] عن اكتشاف مؤامرة خطيرة كان مقرراً لها ان تنفذ ليلة 8/9 وأن الرجعية التي تضررت مصالحها، كانت وراء تلك المؤامرة، وبعد أسابيع من صدور البيان، تبين ان رشيد عالي الكيلاني كان على رأس تلك المؤامرة التي ضمت زمرة من الإقطاعيين وعدد من الضباط المحسوبين على الجناح القومي، وكان في مقدمتهم أبن أخيه [مبدر الكيلاني]، والمحامي [عبد الرحيم الراوي]، و[عبد الرضا سكر]، كما كان على علاقة وثيقة بسفارة الجمهورية العربية المتحدة.

استطاعت المخابرات العراقية كشف المؤامرة قبل وقوعها، حيث تمكنت من الوصول الى عبد الرحيم الراوي ومبدر الكيلاني، واستطاعت نيل ثقتهم، وتمكنت من الوصول الى كثير من أسرارها، وتسجيل أحاديث المتآمرين بكل تفاصيل المؤامرة.

حدثنا **ثابت حبيب العاني** عضو اللجنة المركزية، آنذاك، في الشريط المسجل له في موسكو عن تفاصيل الكشف عن هذه المؤامرة، فقال:

"لقد أرسل الحزب مجموعة من رفاقنا واتصلوا بفارس ناصر الحسن أحد المتآمرين ودعاه جاكوب الى بيته... وكانوا قد وضعوا مسجل في الغرفة المجاورة وحفروا ثقباً في الحائط أدخلوا منه الميكروفون ووضعوه تحت المائدة. وهكذا سجلوا الأحاديث، وأرسلها حزبنا الى قاسم الذي سارع بتقديمها الى محكمة الشعب...! التي قدمت المتهمين الى المحاكمة بسرعة. بينما كانت خطة حزبنا تتطلب التريث لكشف الخطوط البعيدة لهذه المؤامرة والتي كانت تمتد الى كثير من مدن العراق. والى قطعات

عسكرية كثيرة". (وتكشف الأسماء التي سوف تشارك في مؤامرة الشواف التي ستحدث في الموصل بعد كشف هذه المؤامرة ببضعة أشهر). وقد نشرت محكمة الشعب تفاصيل هذه المؤامرة في الجزء الخامس.

ولقد اعتمدنا ما ذكره إسماعيل العارف حول هذه المؤامرة في كتابه (الوحيد)
"أسرار ثورة ١٤ تموز" 172

"فمنى الى أجهزة الأمن وجود مؤامرة تحاك في الخفاء للقيام بثورة عسكرية وعشائرية ضد السلطة. فأحيل رشيد عالي الكيلاني ومبدر الكيلاني وعبد الرحيم الراوي على المحكمة العسكرية العليا الخاصة في ٩ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٥٨ لمحاكمتهم وفق المادة (٢٠) من قانون العقوبات البغدادي. وجاء في أمر الإحالة «لقد علمت الجهات المختصة المسؤولة ان هناك مؤامرة على جمهوريتنا وإن هناك خطراً على الزعيم عبد الكريم قاسم لذلك انتدبت الجهات المعنية كلاً من الرئيس حسون الزهيري والملازم محمد أحمد العلي والمحامي عبد الرسول الصراف والسيد جاكوب بلاكن والملازم الاحتياط محمد حسن سميسم، فاجتمع هؤلاء فيما بينهم وكونوا جمعية وهمية اسمها «الأخاء العربي»¹⁷³ وغرضها تغيير الوضع بالقوة واتصلوا بادئ الأمر بالمدعو فارس ناصر الحسن¹⁷⁴ إذ هو المشبوه بأنه من المتآمرين على سلامة الجمهورية. واستطاع هؤلاء الاتصال به عن طريق جاكوب الذي له صلة قوية بفارس ناصر. فأخذ فارس يتكلم عن الوضع ويقول إنه غير صحيح وإن الاستخبارات والأمن معهم. وأخذ ينعت الزعيم بأرذل النعوت وإنهم مستعدون للتعاون مع الجهات البريطانية والأمريكية وعشائر العراق. وعقدوا اجتماعات مع عبد الرحيم الراوي واستطاعوا ان يجعلوا أقواله مسجلة على ثلاثة شرائط فاعترف باشتراكه بالمؤامرة لإحداث انقلاب واغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم والاستعانة بالعشائر وإن شريكه بالمؤامرة مبدر الكيلاني ورشيد عالي الكيلاني. وقد تم ضبط الأسلحة وهي الرشاشات والبنادق والمسدسات والسكاكين والفؤوس والبوكسات في بيت مبدر الكيلاني. كما ان المبالغ التي سلمها الى الملازم محمد أحمد علي هي ٢٥٠٠ دينار¹⁷⁵."

وجاء أيضاً «وقد تبين من مجموع الأدلة ان المتهم عبد الرحمن الراوي قد شرع في استعمال القوة لقلب نظام الحكم وذلك حسبما جاء في الأشرطة المسجلة ولاعترافه وتردده على بيت جاكوب وحسبما جاء في شهادات الشهود... لذلك قررت المحكمة تطبيق المادة ٨٠ من قانون العقوبات البغدادي، أما المتهم رشيد عالي الكيلاني فلم

172 - المصدر نفسه من ص ٣٧٥ الى ٣٧٧.

173 - سميت بذلك الاسم لتحريك مشاعر السيد رشيد عالي الكيلاني إذ كان يرأس في الثلاثينيات حزب الأخاء الوطني.

174 - كان فارس ناصر الحسن ضابطاً في الجيش تخرج مع إسماعيل العارف من الكلية العسكرية وترك الجيش برتبة ضغيرة ودخل كلية الحقوق وأصبح محامياً.

¹⁷⁵الجزء الخامس ص ٦١ محاكمات المحكمة العسكرية العليا الخاصة (محكمة الشعب) وزارة الدفاع ١٩٥٨

يثبت اشتراكه بالمؤامرة إلا ان هؤلاء حاكوا المؤامرة دون علمه راغبين في إعطائه السلطة، لذلك قررت المحكمة براءته من التهم المسندة إليه". ثم صدر الحكم بتاريخ ١٠ كانون الأول ١٩٥٨ بإعدام عبد الرحيم الراوي ومبدر الكيلاني وتبرئة رشيد عالي الكيلاني. وقبل تنفيذ حكم الإعدام عاد كل من عبد الرحيم الراوي ومبدر الكيلاني للإدلاء بإفادة إضافية ضد رشيد عالي الكيلاني وقالوا إنه أبدى تزميره من الحكومة في مجالسه الخاصة أمام أبناء العشائر والعسكريين والمدنيين الذين زاروه وهو الذي حرضهم على تدبير المؤامرة والاتصال بممثلي دولة أجنبية هي الجمهورية العربية المتحدة لتجهيزهم بالسلاح وإشراك العشائر وضباط الجيش بالمؤامرة. فأحيل رشيد عالي الكيلاني ثانية الى المحكمة العسكرية العليا الخاصة في ١٤ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٥٨. وفي ١٧ منه حكمت عليه المحكمة بالإعدام شنقاً حتى الموت. وقد وردت أسماء عدد من الضباط أثناء التحقيق كان لهم علم بالحركة ومنهم العقيد طاهر يحيى مدير الشرطة العام والعقيد عبد اللطيف الدراجي آمر الكلية العسكرية والزعيم شاکر محمود شكري معاون رئيس أركان الجيش والمقدم رفعت الحاج سري مدير الاستخبارات العسكرية ومعظم قادة الفرق. وأتهم أيضاً مع رشيد عالي العالم الديني الشيخ محمد محمود الصواف¹⁷⁶. وورد في التحقيق أيضاً ان اتصال المتآمرين بسفارة الجمهورية العربية المتحدة كان بواسطة القنصل فواد عبد المعطي. وبعد نقله أمنا الاتصال مع السفارة بواسطة أحد موظفيها السوري محمد كبول.

وتتلخص الخطة حسب ما توصل إليه التحقيق، بأن تقوم عشائر الفرات الأوسط بالثورة فتقطع خطوط الهاتف وتخرب خطوط السكك الحديدية وتسد الطرق العامة لإحداث فوضى عامة. وتجهز الأسلحة من مخازن تهئ من قبل سلطات الجمهورية العربية المتحدة بجوار الحدود العراقية وتسلم للثائرين عندما تبدأ الاضطرابات وتقوم طائرات نقل من الجمهورية العربية المتحدة بإلقاء التجهيزات ومواد التموين داخل العراق حيثما تطلب ذلك. وفي الوقت ذاته تتحرك مظاهرات تنصدرها النساء والأطفال تنادي بشعارات ضد الحكومة وعندما تزداد سخونة الموقف يتقدم فريق من الضباط المشتركين فيها بالطلب الى عبد الكريم قاسم ان يستقيل وإذا رفض، يقضى عليه هو والضباط المحيطين به في وزارة الدفاع. وفي حالة نجاح الحركة يؤلف رشيد عالي الكيلاني الوزارة ويشكل مجلس لقيادة الثورة وتعلن الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة.

وقد جاء في (محكمة الشعب) ما لم يذكره إسماعيل العارف:

"يقول الشاهد الملازم أول أحمد محسن العلي:

- ان سيادة الرئيس (أي المهداوي) لم يذكر أسماء العسكريين الذين يوافقون على

176 وكل هؤلاء الذي وردت أسماءهم وأعتقلوا قد أطلق سراحهم في منتصف تموز ١٩٥٩ بعد الإنتكاسة وهؤلاء هم قادة انقلاب شباط. كما ان المتهمين والمحكوم عليهم بالإعدام لم ينفذ بهم الحكم ثم أطلق سراحهم عدا قليلين منهم في مؤامرة الموصل.

اغتياله (المقصود قاسم) ولكنه ذكر أسماء المشتريين بالمؤامرة.

الرئيس (رئيس المحكمة): من هم؟

الشاهد: من الأسماء التي ذكرها المتهم والموجودة في الشريط المسجل، غني الراوي وناظم الطبقجلي وعبد العزيز العقيلي وطاهر يحيى وحמיד قادر وشاكر محمود شكري ورفعت الحاج سري وعبد اللطيف الدراجي وغيرهم.¹⁷⁷

وهؤلاء هم قادة انقلاب الشواف في الموصل، ولكن الحكومة لم تعتقل ثم ان هؤلاء كلهم كانوا مساهمين في انقلاب شباط ومن قاداته. ان تصرفات قاسم المتساهلة هذه كانت هي حجر الزاوية في إسقاط حكمه... وما حل بالشعب العراقي لاحقاً.

ويؤكد نفس آرائنا هذه أحمد فوزي القومي المتطرف في كتابه «عبد الكريم قاسم وساعاته الأخيرة» ص ٦٥ فيقول:

"ان أغلب الأشخاص الذين حكموا العراق منذ 14 رمضان كانوا موقوفين أو معتقلين وقد أفرج عنهم قاسم. تمشياً مع شعاره المذكور (أي عفا الله عما سلف) " وهكذا دفع الشعب والحزب وقاسم وأنصاره ثمن هذا الشعار.

ويواصل أحمد فوزي:

"كان قاسم يؤمن فوق ذلك بنظرية تقول (الرحمة فوق القانون) في وقت تحول فيه السياسة الى مخالب وانياب."

ويواصل:

"لقد احتج رجال القضاء في العراق على تسامحه. وكانوا يتذمرون من إنهم يصدرون الأحكام اليوم ليلغيها الزعيم غداً".

هذه الشعارات التي لا تليق بحاكم دولة يتعلق مصير الملايين بقراراته... أطاحت بجمهورية تموز بعد أقل من 5 سنوات من قيامها وكان من الممكن ان تكون مناراً ديمقراطياً مشعاً يغير مسيرة الشرق الأوسط.

ويحاول قادة حزب البعث، وكثير من المحرفين، الادعاء بأن اعتقال وقتل الشيوعيين، واصدار بيان 13 في انقلاب شباط 1963، (اقتلوا الشيوعيين اينما وجدتموهم)، كان بسبب ان حزبنا قاوم الانقلاب. ولدحض هذا الادعاء

أورد المقطع التالي من محاكمة رشيد عالي الكيلاني:

"جاكوب: اردت ان اعرف وضعية المتهم ووحشيته، فقلت له (غابتنا التعاون حتى مع الشيطان). فوافق المتهم، وسألته (وماذا سنفعل بالشيوعيين؟) فقال (نضع كل

177- محكمة الشعب. الجزء الخامس ص ٧٣ و٧٤.

خمسین فی حفرة ونقضی علیهم).

مؤامرة الشواف

تطرق الكتاب، فی الطبعة الاولى بشيء من التفصیل، إلى مؤامرة الشواف.. ولغرض الاختصار نكتفی بإیراد قسم من حدیث سلام عادل إلى جريدة "اتحاد الشعب" حولها فی عام 1959...

"فی 8 آذار (مارس) 1959 أعلن عبد الوهاب الشواف قائد حامیة الموصل فی شمال العراق (وهی محافظة حدودیة مع سوریا)، عن تمرده على السلطة المركزية فی بغداد.

وعن أهداف وقوى ودوافع هذه المؤامرة تحدث سلام عادل فی مقابلة صحفیة أجرتها جريدة (اتحاد الشعب) الناطقة بأسم الحزب الشیوعي ونشرتها فی 1959/3/30. جاء فیها:

سؤال - من المعلوم ان مؤامرة الخائن الشواف كانت حلقة من سلسلة المؤامرات الاستعماریة التي حیكت ولسوف تحاك ضد جمهوریتنا. فما هو - برأیکم - المخطط العام لتلك المؤامرات؟

جواب إذا استعرضنا الأحداث الماضیة منذ 14 تموز الخالد، نرى ان خطة المستعمرین كانت تعتمد فی البدء على محاولة تدخل أنكلو أمريكي مكشوف لإسقاط الحكم الجمهوری الوطنی فی العراق. وقد فشلت تلك المحاولات لأن ثورة 14 تموز جاءت محكمة خاطفة ساحقة رؤوس النظام البائد، وحازت مساندة ومشاركة أوسع جماهير الشعب منذ لحظاتها الأولى. وكان العامل المساعد الحاسم فی إحباط تلك المحاولات هو الموقف الحازم الصلب الذي وقفه صديق شعبنا العراقي والأمة العربیة الاتحاد السوفیاتی وإنذاره للمستعمرین، ومساندة سائر قوى الحرية والسلام فی العالم.

وعلى إثر فشل خطة التدخل الخارجي، اتجه الاستعمار الى العمل من الداخل، ولذا فإن القوى الرجعیة الداخلیة دأبت على عرقلة سیر الثورة الذي يستلزم تعبئة الشعب وتنظیمه وتسلیحه، وتطهیر أجهزة الدولة (المندیة والعسکریة...) بغیة الحفاظ على مواقعها فیها. وعملت على تجمیع قواها وتنظیم صفوفها، هی نفسها، تمهیداً للقیام بعمل تأمری موحد یستند الى الضغط الخارجي والتهدید الاستعماری، السیاسی والعسکری، ولكن سیاسة القوى الوطنیة التي استهدفت تعبئة الشعب وتطهیر أجهزة الدولة ومنع الرجعیة من تنظیم نفسها، والمحافظة على یقظة الشعب والجیش، والمواقف الصائبة لسیادة الزعیم عبد الکریم قاسم، کل ذلك احبط سلسلة من المؤامرات، دلت الوقائع بوضوح على أنها كانت بتدبیر ومشاركة الأمريکان وسائر المستعمرین وعملائهم وأیتام العهد البائد والإقطاعیین وبعض الأوساط الرجعیة العربیة، وبوجه خاص بعض حکام العربیة المتحدة. فضلاً عن الارتباطات الصهیونیة بهذه الشبکات التأمیریة، تلك التي وضعت علیها الید فی حینہ، وكشفت عنها مؤخرًا

جلسات محكمة الشعب. ان تطور الأحداث، على هذا الشكل، أدى بأعداء الجمهورية مرة أخرى الى إعداد خطط التدخل السافر والعدوان الخارجي على أسس جديدة من التعاون الأوثق بين كل القوى المعادية للجمهورية العراقية ولسياساتها التحررية الديمقراطية، وإعطاء التآمر والعدوان صفة نزاع (عربي داخلي) أو (محلي إقليمي) على خلاف محاولات التدخل الاستعماري الانكلو أمريكي المكشوف التي حدثت غداة 14 تموز. وكان أعداء الجمهورية يأملون من هذا الاتجاه الجديد - الاتجاه الاستعماري (المستعرب) - ان يؤدي أولاً: الى شق الصفوف الوطنية داخل العراق. وثانياً: التموية على الشعوب العربية وعلى القوى (المحايدة). ثالثاً: كما كانوا يأملون أنهم بذلك يستطيعون ان يخلقوا ظروفاً ملتبسة تؤدي الى إحراج الدول الصديقة وخاصة الاتحاد السوفياتي، ولوضع العقبات في طريق إبداء معونتها الحازمة للحفاظ على استقلال الجمهورية العراقية عندما تقتضي الضرورة مثل هذا العون.

ومن السهل ان يربط المرء بين نشاطات حلف بغداد العدواني (في دورتي كراحي وأقرة)، والتحشيدات العسكرية على الحدود الإيرانية والتركية وحركة الأساطيل الأمريكية والإنكليزية وزيارات راونتري وغيره، والمعاهدات الثنائية الأمريكية، بين هذا كله من جهة، ومن الجهة الأخرى النشاط المحموم الذي جاء على شكل حملة صليبية من قبل بعض حكام الجمهورية العربية المتحدة ضد العراق وضد الشيوعية وضد الاتحاد السوفياتي.

ولقد كانت مؤامرة الشواف حصيلة هذا المخطط. وتدل المعلومات الكثيرة المتوفرة - قبل وبعد حوادث التمرد - ان المؤامرة كانت واسعة وتمتد خيوطها ومجال تنفيذها الى مناطق أخرى غير الموصل. ولكن بفضل يقظة القوى الوطنية وتأهبها واتحادها تحت زعامة أبين الشعب البار عبد الكريم قاسم تم عزل المؤامرة وإجهاضها وإحباطها. وخرجت الجمهورية وهي أشد مراساً وأقوى ساعداً في مقارعة المستعمرين والمعتدين.

ولا شك ان محاولات التخريب والتآمر الاستعماري والعدوان ستستمر ما دامت جمهوريتنا تواصل السير في نهجها الوطني المستقل، وما دامت تعتمد على إطلاق قوى الشعب الخلاقة. وكما كان في الماضي، فإن وعي الشعب ويقظته وتضامنه التام مع الجيش والحكومة، والتدابير الحازمة والسريعة، كل ذلك سيؤدي دون شك الى تخطي العقبات مهما كانت والخروج منها برأس مرفوع وقدم ثابتة لا تنزعزع في طريق الحرية والتقدم والرفاه.

سؤال - كشفت مؤامرة الشواف الأخيرة عن ان بعض العناصر المنضوية تحت لواء جبهة الاتحاد الوطني، قد اشتركت بالمؤامرة، فما هو الموقف من هذه العناصر؟

جواب - ان هذه المسألة تمتد جذورها الى الأيام الأولى لثورة 14 تموز. فقد ظهر بجلاء منذ تلك الأيام ان بعض القوى كانت سائرة في طريق تجاهل أهداف جبهة الاتحاد الوطني والتنكر لها ولمستلزمات التعاون مع القوى المؤتلفة فيها. فقد حاول

البعثيون مثلاً الاستئثار بالحكم وتوجيهه وجهة حزبية ضيقة والاستئثار بالحرريات العامة وتضييقها على القوى الأخرى. وذلك بغية حرف اتجاه الثورة وعرقلة مسيرتها في الاعتماد على أوسع الجماهير وضمان مصالحها. ونظراً لعمق وسعة الوعي الشعبي الوطني الذي كشفت عنه ثورة 14 تموز، وقوة الحركة الديمقراطية، فإنهم قدّروا أن الاستعجال في ضم العراق للجمهورية العربية المتحدة يمكن أن يحقق لهم أغراضهم تلك. وعملوا بنشاط مفتعل محموم وفق هذا الاتجاه جاذبين حولهم، لا العناصر القومية اليمينية وحسب، بل أيضاً مختلف فئات الرجعيين الذين نظروا بهلع إلى مستقبل تطور الثورة في طريقها الوطني الديمقراطي.

وليس ببعيد عن الذاكرة الفعاليات والظواهر الرجعية التي مارسها وشجعها المرتد عبد السلام عارف ومن ورائه عملاء العهد البائد والإقطاعيون وغيرهم. ولما عجزوا عن تحقيق أهدافهم بأساليب العمل السياسي الصحيحة في ظل حكم وطني ديمقراطي وعجزوا عن كسب تأييد الجماهير لأرائهم وشعاراتهم - برغم أن كل الإمكانيات كانت متوفرة لهم، أكثر من توفرها لغيرهم - انزلقوا شيئاً فشيئاً في طريق التآمر والعنف لتحقيق أغراضهم رغم إرادة الشعب ومن خلف ظهر جبهة الاتحاد الوطني وقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم. وكان من نتيجة ذلك أنهم كلما أوغلوا في السير في هذا السبيل، انزلوا عن الشعب أكثر فأكثر، وانحدروا إلى درك العداء الصريح للجمهورية وخيانتها.

أما بالنسبة لنا، نحن الشيوعيين، فقد أكدنا منذ فجر 14 تموز على ضرورة تنشيط جبهة الاتحاد الوطني وتعزيز وحدة القوى الوطنية على أساس صيانة الجمهورية والسير بها قدماً في طريق أهداف الثورة، وعملنا بكل ما كان في وسعنا لتعزيز هذه الوحدة برغم نظرة التمييز التي كنا ضحيتها، ونبهنا إلى الأخطار الناجمة من السياسات والمواقف الانقسامية وأكدنا على ضرورة تأخي كل القوى المعادية للاستعمار والإقطاع استناداً إلى ضمان تكافؤ الفرص أمام كل القوى الوطنية في ما يتعلق بحقوقها في التمتع بالحرريات والمشاركة في مسؤولية الحكم، وكنا ولا نزال - نبني رأينا هذا لا على أساس المغنم الحزبية الضيقة أو غير المشروعة، بل بالضبط على أساس وعينا العميق لمستلزمات وحدة الصفوف الوطنية ومن أجل صيانة الجمهورية ضد جبهة أعدائها المتربصين. وبالرغم من تنكر هذه العناصر لميثاق جبهة الاتحاد الوطني وتجاهلها لهذه الأسس السليمة لوحدة الصفوف، فإننا واصلنا بثبات وأمانة مهمة الشرف في الحفاظ على وحدة الصفوف ومساندة الجمهورية ولف الجماهير حول زعامة عبد الكريم قاسم. ووضعنا كل إمكانياتنا وطاقاتنا في هذا السبيل السليم. واليوم إذ تمر أكثر من ثمانية أشهر على ثورتنا الخالدة، يمكن لكل منصف مخلص أن يستعيد في ذاكرته الأحداث ليستخلص حقيقة أننا حافظنا بثبات على العهد الذي قطعناه حينئذ ولم ننحرف عنه قيد شعرة، رغم الظروف المعقدة والأعاصير المتبدلة الاتجاه. وأكثر من ذلك إننا كنا نحذر تلك العناصر بالذات من مغية الانزلاق في طريق التآمر ومعاداة الجمهورية، وبنصحتها بضرورة التمسك بالأساليب الديمقراطية السليمة في

الدعاية لشعاراتها، وبأن الشعب العراقي الذي يتمتع بتجربة سياسية زاخرة ستكون له الكلمة الأخيرة في اختيار أو نبذ هذا أو ذاك. **وقلنا، أنذ لتلك العناصر بصراحة بأنها أمام مفترق طريق، أمام منزلق خطر قد يؤدي بها الى ان تتحول من قوى سياسية وطنية الى عصابات استغزائية لن يكون نشاطها نافعاً لغير الاستعمار وعملاء الاستعمار.**

ومع الأسف، فإن عددا كبيرا من تلك العناصر انساق وراء توجيهات المغامرة الصادرة من وراء الحدود من جهات لم تقدّر مسؤولياتها ولم تبد الحرص اللازم على سمعتها الوطنية والقومية وانساق وراء دوافعها الضيقة وخضعت لخداع المستعمرين وأضاليلهم. أقول مع الأسف ان تلك العناصر اندفعت أكثر فأكثر في طريق التآمر والتخريب والعداء للجمهورية، وبذلك وضعت نفسها خارج القوى الوطنية المخلصة، واستحقت غضب الشعب والجمهورية.

وبالطبع ينبغي ان لا يعني ذلك ان جميع المنتمين الى حزبي البعث والاستقلال أو سواهم من الأفراد الذين يصطلح على تسميتهم (القوميين)، قد انزلوا الى طريق التآمر والعداء للجمهورية. فهناك دون شك عدد من العناصر وخصوصا من الشباب الذين عملوا مع هذه الجماعات بدوافع الإخلاص التام للشعب والأمة العربية. منهم من كان لديه الوعي الكافي فلم ينسق أو يتلوث بأساليب التآمر والتخريب، ومنهم من سار شوطاً أو ساهم الى حد ما في هذه الأساليب، ولكنه تنبه الى مخاطر هذا السبيل المعادي للجمهورية والضرار بالتضامن العربي والقومية العربية، فأظهر استعداد المخلص للترجع وتصحيح موقفه.

وعلى هذا ينبغي ألا ينظر الى جميع القوميين والمدعين (القومية) نظرة واحدة، وأن يفسح المجال في صفوف القوى الوطنية، لأولئك الذين يستطيعون ان يبرهنوا عملياً للجماهير على إخلاصهم لنظامنا الجمهوري المتجاوب مع قضيتنا القومية على أساس تحرري ديمقراطي سليم وشجبههم كل متأمر على هذا النظام. وهؤلاء الإخوان مدعوون من جانبهم الى مساعدة الجمهورية في فعاليتها لكشف المتآمرين والمتربصين ومحاربتهم وإنزال العقاب الصارم العادل بهم. كما ان الجماهير مدعوة لمساعدتهم وجذبهم ثانية الى صفوفها. إذ ليس في صالح الجمهورية التفریط بأولئك الصادقين في إخلاصهم، ومعاداتهم ومعاملتهم كغيرهم من المتآمرين والمخربين.

(بقية الحديث الصحفي في نهاية الكتاب ضمن الوثائق)

أبرز الأحداث السياسية بعد قمع مؤامرة الشواف 1959

تميزت الفترة التي أعقبت قمع مؤامرة الشواف بالظواهر التالية:

1 - تصاعد المد الثوري الجماهيري يقابله انزواء وتراجع القوى الرجعية واليمينية. واندفعت القوى التقدمية والحزب في استثمار هذا المد بتحسين وتطوير عملها المنظم، تطوير الحزب وتوسيعه كماً ونوعاً، وتوسيع عمل المنظمات

ال جماهيرية، الطلبة، الشبيبة، المرأة، المقاومة الشعبية، لجان صيانة الجمهورية وغيرها.

2 - وفر المد الثوري المتصاعد الظروف الموضوعية الملائمة للسلطة البرجوازية لاتخاذ خطوات هامة لتنفيذ برنامج الجبهة الوطنية 1957. وكان هذا المد الثوري عاملاً أساسياً في تحجيم تردد البرجوازية وتخوفها من رد الفعل المحتمل للاستعمار وعملائه. فأقدمت على إصدار قرار بالخروج من حلف بغداد الاستعماري، وتحرير الاقتصاد من التبعية بإصدار قرار الخروج من دائرة الجنيه الإسترليني. وعقد اتفاقيات اقتصادية هامة مع الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية.

3 - تزايد وتنامي دور قوى الثورة الأساسية (العمال والفلاحون) في مسار الثورة على الرغم من عدم اشتراك ممثلها السياسيين وحلفائها (الحزب الشيوعي والقوى اليسارية للحركة الوطنية) في السلطة.

وبذلك أصبح التناقض، بين دور قوى الثورة الأساسية والفعالة في دفع وتقدم مسيرتها، وبين واقع تمثيلها السياسي في السلطة، أكثر حدة، وباتت ضرورة إزالتها أمراً ملحاً لضمان ديمومة ونجاح تلك المسيرة وبذلك يكون موقف أية قوة سياسية في مواجهة هذه المعضلة هو انعكاس لمصالحها ونظرتها تجاه الثورة.

4 - اشتد وضوحاً، التمايز بين السياسة المترددة للبرجوازية وبين الحماسة الثورية للعمال والفلاحين.

5 - برزت المخاوف لدى البرجوازية، في تلك الفترة وبصورة أكثر من السابق، من تزايد نفوذ القوى التقدمية اليسارية والحزب الشيوعي، وأصبحت لليمين فيها خاصة، هاجساً رئيسياً. وكانت الضربات الموجعة التي ألحقت بالاستعمار وعملائه فدفعته البرجوازية للاعتداد بقوتها وتهويل إمكانية السلطة في القضاء على مؤامراته مع التقليل من شأن ودور القوى الثورية.

6 - أظهرت الضربات التي تلقاها الاستعمار وعملائه بجلاء، خطأ سياسته في التآمر المباشر وعجزه عن تنفيذ مخططاته لإجهاض الثورة، ما دامت تتمتع بطاقة كبيرة على الصمود والمقاومة والتقدم، وأن فرص نجاح التآمر شبه معدومة دون تبديد تلك الطاقة أو إضعافها على الأقل. لقد تمخضت سياسة التآمر المباشر وفشلها وإن كانت بشعارات قومية زائفة، عن توازن جديد للقوى لصالح الشيوعيين والديمقراطيين وال جماهير، على عكس رغبات الاستعمار.

إن هذا الواقع الجديد وما أفرزه من توازن جديد بين قوى الردة وبين قوى الثورة قد شكل الطرف الموضوعي للتغيير الذي طرأ على أساليب التآمر اللاحقة والتي تميزت بالتخلي مؤقتاً عن سياسة (التآمر المباشر) واختيار أسلوب جديد هو الالتفاف على قوى الثورة لإنهاكها، تمهيداً للانقضاض عليها.

تلك هي السياسة التي سنتابع ونلمس تفاصيل تنفيذها في السنوات القادمة حتى

نجاح الردة في عام 1963.

أما الخطوط الرئيسية لسياسة الالتفاف المشار إليها وكما أوضحته تطورات الأحداث اللاحقة بجلاء فقد انحصر في أسلوبين رئيسيين:

أولاً: في تركيز الهجوم على القيادة الفعلية للثورة وعناصر قوتها الأساسية وهي جماهير العمال والفلاحين وحلفائها من مختلف طبقات المجتمع الأخرى ممثلين في قوتهم السياسية الأساسية: **الحزب الشيوعي والنقابات والمنظمات الجماهيرية والديمقراطية وكل القوى التقدمية اليسارية وممثليها من مختلف الأحزاب والتيارات السياسية الوطنية.** والعمل على إضعافها بأساليب غير نظيفة شتى، بالدس والتشويش، باستخدام أجهزة وخبرة الإعلام الخارجي والداخلي المكثف، ودس العناصر والأفكار والشعارات التخريبية الانتهازية اليسارية واليمينية إلى داخل صفوفها لإنهاكها من الداخل في صراعات جانبية، ودفعها لفعاليات ونشاطات خاطئة، باستغلال المشاركة الواسعة لأول مرة، لملايين الناس في المعارك السياسية وعدم نضج خبره وتجربة بعض أوساطها. وافتعال أحداث وإصاق تبعاتها بالشيوعيين وحلفائهم. واللعب على عواطف الجماهير واستغلال الواقع المعيشي الصعب الذي خلقته هي بنفسها لاستنفاد قسم من طاقاتها في فعاليات ونشاطات مضرة بوحدة القوى الوطنية وتضامنهما. استغلال تردد البرجوازية وعدم رغبتها في إجراء تغييرات جذرية لتحسين ذلك الوضع المعيشي وتلبية مطالب الجماهير المشروعة، وغيرها من الأساليب التي أتقنت استخدامها أجهزة الدول الاستعمارية وتكدست لديها خبرات وتجارب كثيرة ومتنوعة في التآمر على حركات التحرر الوطني في مختلف مستعمراتها. ومستخدمه أيضاً الركائز الهامة التي بقيت محافظة عليها داخل أجهزة السلطة والمجتمع، والتي ترددت البرجوازية، شاءت أو لم تشأ، في استئصالها من الجذور، مزودة إياها بكل تلك الخبرة والتجارب المدمرة. واستغلال كل ما هو رجعي ومتخلف من عادات وتقاليد سلبية في المجتمع. والبدء أولاً وأخيراً، وبالدرجة الأولى، من محاربة العدو المشترك ورقم واحد لكل المستغلين في كل زمان ومكان **(الديمقراطية وحرية الناس في التعبير).**

ثانياً: في الاستفادة من تردد وتخوف البرجوازية ورعبها من تزايد نفوذ الحركة الثورية (الحزب الشيوعي والقوى اليسارية) والتهويل من (الخطر الشيوعي) من جانب و (النفخ) في غرورها والتهويل من قدراتها وإمكانات سلطتها والتستر على العملاء والمندسين في داخل السلطة وداخل القوى الوطنية بدفعهم لتأييد السلطة ضد الخطر الشيوعي والتحول من سياسة (الوحدة القورية) إلى سياسة التضامن مع السلطة لمواجهة هذا الخطر والدفاع الزائف عن الديمقراطية والحرية.

تلك كانت أبرز، وليس جميع، الملامح المستجدة على الوضع السياسي بعد القضاء على مؤامرة الشواف.

وثائق الجزء الاول

وثيقة "جبهة الكفاح الوطني ضد الاستعمار والحرب"

لنتوقف قليلاً أمام القسم السياسي من وثيقة "جبهة الكفاح الوطني ضد الاستعمار والحرب" لنستخلص منه ويشكل مكثف الخط السياسي للحزب الذي أقرته اللجنة المركزية في مطلع عام 1954.

حددت الوثيقة أبرز خصائص الوضع السياسي واستخلصت على ضوءها الخطة السياسية للحزب في المرحلة اللاحقة. فقد شخصت:

(ص1) 1 - ان الدوائر الاستعمارية الحاكمة في العراق، مُقَدِّمة على تنفيذ مشاريع استعمارية حربية تهدد وطننا وحركتنا... ان عناصر الخيانة الوطنية في العراق، بعد ان تلقت الوحي من اجتماع تشرشل وايزنهاور في "برمودا" تسير بجنون للتهيئة المحمومة لمشاريع الحرب ... كما دَلَّت حوادث إضراب عمال النفط، على ان الدوائر الاستعمارية (كما الطغمة الحاكمة) غير مستعدة ان تقدم للعمل غير الرصاص والسجن في سبيل خلق الجو الفاشي إعلان الأحكام العرفية.

(ص2) 2 - ان مدأً ثورياً يواجه حزبنا وحركتنا الثورية ... وأن حزبنا يتمتع بثقة وعطف جميع من يهمهم أمر تحرير العراق من السيطرة الاستعمارية. ان جميع العناصر المتقدمة في القطر تنظر إلى حزبنا كقوة أساسية يتوقف عليها وعلى صحة سياستها وسلامة كيانها، تحقيق أهداف شعبنا في السلم والاستقلال الوطني والحريات الديمقراطية.

(ص4) 3 - يجب ان تكون لنا خطة قبل الدخول في أية معركة، يجب ان نعرف كيف نستطيع ان نجتمع جيشنا السياسي العظيم وتعزيزه خلال المعارك.

ثم يتطرق التقرير إلى المهام المستعجلة إقامة الجبهة الوطنية ضد الاستعمار:

لما كان المستعمرون والأنجلو أمريكيان يسعون اليوم بجنون أشد لتحويل قطرنا إلى ثكنة من ثكنات الحرب (ص6)

فكل شيء في بلادنا يخدم مصالح الاستعمار والاحتكارات والإقطاع وكبار الرأسماليين، وأن سياسة الحكومات المحلية والخارجية (ص7) يرسمها مندوبو الدول الاستعمارية، وتسخر الدوائر الاستعمارية أجهزة الدعاية والتجسس لأجل خلق جو حربي في الشرق الأوسط، وتجند القتلة وقطاع الطرق للاعتداء على الحركة الديمقراطية ويحرم على منظمات الشباب والطلاب والعمال والفلاحين والنساء ممارسة حقوقها الديمقراطية ويحرم الشعب من ممارسة حقوقه الانتخابية ... معتقلات وسجون سياسية لأعداء الاستعمار، يُقتلون بالجملة انتقاماً من كفاحهم الوطني. (ص8)

ان هذه الظروف والأوضاع تضع على عاتقنا مهام مقدسة عظيمة، مهمة تحرير العراق وغسل ارض الوطن وتطهيرها من أرجاس الاستعمار ونظامه التعسفي...

فأين السبيل؟ ان سبيلنا هو تحقيق اتحاد جميع القوى المناوئة للاستعمار والحرب في جبهة كفاح وطني عظيم. (ص9)

فماذا يلزمنا لتحقيق جبهة كفاح واسعة تشمل أعداء الاستعمار والحروب؟ (ص11)
أولاً - تعين قوى الجبهة المؤلفة من العمال والفلاحين والمثقفين والكسبة والحرفيين والبرجوازية الحرة من التجار وأصحاب المصانع والرسميل الوطنية ... وفي الوقت نفسه يجب ان نعرف دور الطبقة العاملة التاريخي في هذه الجبهة ... إننا في سبيل ان نؤلف جيشنا السياسي العظيم المؤلف من هذه الطبقات والمراتب والجماعات الوطنية، يجب علينا ان ندخل المعارك، لأننا لا نستطيع ان نؤلف هذا الجيش السياسي إلا في جبهات كفاح.

ثانياً - علينا ان ندرك مسألة الجبهة، ليست مسألة الاتفاق أو التوقيع على منهاج الجبهة، بل هي الاتفاق على أعمال مشتركة.

ثالثاً - علينا ان نفصح قادة الأحزاب الرجعية والعناصر الجاسوسية والانشقاقية، ونفصح الخطوات الانشقاقية لقادة الأحزاب الرجعية المساومة. (ص14)

رابعاً - وعلينا ان ننقد أيضاً الخطوات المعرقة والخاطئة لجميع الأحزاب والمنظمات الديمقراطية فإن غرضنا من الانتقاد هو ليس إضعاف هذه الأحزاب والمنظمات، بل نريد تقويتها، فلننقد كل موقف خاطئ ومضر بالمصالح الحيوية لشعبنا ومستقبله. (ص15)

خامساً - الانتباه خلال نشاطنا إلى خطر توسيع منظمات الجبهة وقواها على حساب قوى الحزب. فغرض الجبهة التعبوي هو جر جماهير جديدة إلى النضال في الحركة الوطنية المعادية للاستعمار. وإننا عندما نناضل من أجل تقوية أسس وقواعد الجبهة علينا في نفس الوقت ان نقوى الحزب ونوسعه. ونحارب الاتجاهات الغربية التي تصور في عقول البسطاء الأساطير عن الشيوعيين. (ص16)

سادساً - علينا ان نحدد موقفنا من تجاه بعض الشعارات والمفاهيم التي لها رواجها في الأوساط البرجوازية ... ونخص بالذكر شعار "الحياد" الذي ينقسم إلى قسمين، الأول يهدف إلى تجميد قوى معينة عن النشاط في حركة السلام، والقسم الثاني هم وطنيون يعادون معسكر الاستعمار والحرب، ولكن ثقتهم ضعيفة بمعسكر السلام... ان الحياديين المخلصين يناضلون في النطاق الوطني ضد الاستعمار المسيطر على قطرنا وضد معاهداته وجيوشه وقواعده العسكرية وشركاته النفطية والاحتكارية والنقطة الرابعة والمشاريع الحربية العدوانية وبموافقهم هذه يخدمون قضية السلام والاستقلال الوطني. (ص16)

سابعاً - هناك شعار آخر وهو شعار الاتحاد العربي. ان الاتحاد القومي العربي لكل البلدان العربية، فهو لا يمكن إدخاله في جدولة الأعمال إلا بعد إزاحة السيطرة الاستعمارية على جميع البلدان العربية وتحقيق استقلالها الناجز، وعند ذلك تبقى

المسألة عند رغبة الشعوب العربية في تكوين دولة اتحادية (فيدرالية). ان الشعارات الأنية مثل رفع الحواجز الجمركية والتضييقات الاستعمارية وتسهيل المواصلات والنقل وتنشيط التجارة بين كافة البلدان العربية، ما هي إلا شعارات تساعد على وحدة الكفاح بين شعوبنا العربية ضد الاستعمار. (ص 22)

ثم يتطرق التقرير الى العوامل المساعدة على قيام الجبهة فيحدها كالاتي:

- 1- المصلحة الوطنية المشتركة التي تجمع طبقات وفئات الشعب ضد الاستعمار.
 - 2- لقد مرت على حركتنا منذ ثورة العشرين الى اليوم سلسلة من تجارب وخبر أكدت بأنه دون إقامة جبهة وطنية عامة ضد الاستعمار لا يمكن كسب الاستقلال والسيادة الوطنية.
 - 3- ان شعارات الجبهة بأكملها تقريباً قد تبلورت تبلوراً واضحاً لدى جميع الأحزاب والمنظمات الوطنية، ان الانطلاقتين الشعبيتين في كانون 1948 وتشرين 1952 قد بلورتا جميع الشعارات الوطنية العاجلة ضد الاستعمار.
 - 4- تعاضم نفوذ حزبنا الشيوعي واتساع نفوذه وتوسع نشاطه وتغلغل شعاراته وظهوره كقوة أساسية صدامية لا تقهر في قيادة الشعب في كل الظروف دون ان يعرف في النضال مواسم للراحة ومواسم للعمل، حزب الثورة الوطنية الصادق ضد الاستعمار، حزب الديمقراطية الحق للشعب، الحزب المناضل العنيد في سبيل السلم.
 - 5- تعاضم بأس معسكر السلم والديمقراطية والاشتراكية في العالم. وتعاضم الحركات التحررية في البلدان المجاورة. أما العوامل التي تعرقل جهودنا في قيام الجبهة فهي العوامل الفكرية والخطئية المنحرفة والخطئية في سياسة حزبنا، والتي تضعنا بحاجة ماسة لأن نضع مكانها الخطط الثورية الصحيحة، مثل الاتجاهات الانعزالية والتخريبية ونتيجة الانتكاسات التي حلت بحزبنا في السنوات السبعة الأخيرة ومنذ ان فقد حزبنا بانيه الرفيق فهد، وأخيراً وليس آخراً لانعدام الحريات الديمقراطية الذي يعرقل الجهود البناءة في سبيل الوحدة الوطنية.
- ويخلص التقرير ليحدد إلى أين يجب ان تتجه الجبهة الوطنية؟ نحو أي موقع من المواقع يجب ان تتوجه للاستيلاء عليه؟ ليجيب إنه إقامة حكومة وطنية ديمقراطية. ذلكم هو الموقع الذي نختاره لننزل ضربة محكمة بالاستعمار، ولنطلق قوى الشعب من عقالها لتنتطلق، لتسير نحو بناء مجتمع أفضل خال من الاستعمار والاضطهاد والإقطاع. (ص 28)

ان الصفة الوطنية لهذه الحكومة تبرز في:

- العمل من أجل إلغاء معاهدة 1930 وجلاء الجيوش الانجليزية المحتلة.
- وإلغاء مشروع النقطة الرابعة.

- وعدم الارتباط بأية معاهدة استعمارية أخرى
- وبأي مشروع استعماري حربي عدواني أو اقتصادي أو عسكري.
- تأميم صناعة النفط وطرد الشركات النفطية والاحتكارية الأخرى ومصادرة ممتلكاتها وإلغاء امتيازاتها وعدم السماح لرؤوس الأموال الأجنبية باستثمار مواردنا وكنوزنا المعدنية وتشغيلها في قطرنا.
- تنمية اقتصادنا الوطني وإلغاء القيود المفروضة على تجارتنا الخارجية.
- السير في سياسة خارجية وفق مصلحتنا الوطنية والسلام العالمي. (ص31)
- أما الصفة الديمقراطية لهذه الحكومة فهي: -
- إطلاقها الحريات الديمقراطية وعدم اضطهادها للشعب.
- تعديل الدستور الحالي وفق مصلحة الشعب الوطنية والديمقراطية وإلغاء البرلمان (المقصود حل البرلمان).
- إلغاء كافة القوانين الرجعية وإطلاق سراح السجينات والسجناء السياسيين.
- تلبية مطالب الفلاحين بتوزيع الأراضي عليهم والأراضي الأميرية الصالحة للزراعة وأراضي الخونة من الإقطاعيين والملاكين الكبار الذين يتعاونون مع الاستعمار ضد الشعب.
- إلغاء الضرائب عن كاهل العمال والفلاحين، ووضع ضرائب تصاعدية على ذوي الملكيات الكبيرة والدخل الكبير.
- تحسين حالة العمال بسن قوانين جديدة وتوفير العمل للعاطلين.
- إلغاء كافة المؤسسات التي أنشئت بالأساس لمكافحة حريات الشعب.
- ممارسة الشعب الكردي لحقوقه السياسية والإدارية والثقافية وكذلك الحقوق الإدارية والثقافية للأقليات الأخرى. (ص32)
- ثم يتطرق التقرير إلى أنواع الحكومات الوطنية فيؤكد:

1- أفضل الحكومات الوطنية: هي حكومة الجبهة الوطنية التي تؤلفها قوى الجبهة الوطنية المؤلفة من اتحاد جميع الأحزاب والمنظمات والشخصيات الديمقراطية بما فيها الحزب الشيوعي العراقي.

2- ولكن ليس هذا هو النوع الوحيد من الحكومات التي يمكن ان نؤيدها بغض النظر عن اشتراكنا فيها أم لا، بل هنالك أنواع الحكومات التي لها بوجه عام مواقف ضد الاستعمار ولو أنها على درجات اقل من الحزم والجرأة في ضرب مواقع الاستعمار، فيكون موقفنا منها ان نؤيد مواقفها الوطنية بإسنادها من أسفل على ان لا

يعني ذلك عدم انتقاد مواقفها الرجعية أو المتذبذبة المضرة بمصلحة الشعب. (ص33)

كيف يمكن إذن تأليف الحكومة الوطنية الديمقراطية؟ ان تأليف هذه الحكومة لا يتم إلا بالنضال الثوري الجماهيري، ومعارك شديدة يومية وعامة، بجبهة وطنية ديمقراطية تشمل جميع القوى المناوئة للاستعمار والحرب، ان تأليف مثل هذه الحكومة وبالأخص إذا كانت حكومة ائتلاف وطني بين جميع الأحزاب والمنظمات الديمقراطية، معناه طرد العدو من موقع هام يحتله لقمع حركة شعبنا، وكسب الأداة التي تسير بخطوات كبرى نحو تحقيق الاستقلال الوطني الناجز وإقامة سلطة الشعب الديمقراطية. ان فرض هذه الحكومة يتوقف على قوى حزبنا الشيوعي وقوى وأحزاب الحركة الوطنية، ولكنه بالدرجة الأساسية يعتمد على قوى العمال والفلاحين باعتبارهم أكثرية الشعب وضمن قيادة الطبقة العاملة للحركة الشعبية المتعاضمة، وعلى الأساليب والخطط الثورية للجبهة.

3 - وهناك نوع آخر من الحكومات، حيث تلجأ الدول الاستعمارية والفئة الحاكمة على التراجع والتشبث باحتياطها لمجيء حكومة نصف ديمقراطية ... وهذه الحكومة تأتي لتناسب القوى في الطرف المعين، قوة الشعب وقوى العدو، وعلينا لتحديد موقفنا منها ان ندرس مواقفها ضد الاستعمار قبل أي شيء آخر، ونقيس تأييدنا حول كل موقف مناهض للاستعمار ونفضح مواقفها المضرة بالشعب. (ص33)

أما إذا كانت هذه الحكومة المعينة من البلاط لأجل المناورة وكسب الوقت فعلينا فضحها والمطالبة باستقالتها مثل حكومة الصدر عام 1948، وحكومة الجمالي عام 1953.

نلاحظ مما جاء في المقاطع أعلاه، ان هناك محوراً هاماً لنضال الحزب وهو الإعداد للمعركة الوطنية القادمة، لضرب الاستعمار ومصلحه وخطته خاصة في مجال إقامة الاتفاقيات والأحلاف العدوانية التي تخدم مصالح الدول المستعمرة ولا تخدم مصالح العراق ولا مصالح الشعب العراقي. وقد بين التقرير أهمية التحالف بين القوى الوطنية بأحزابها ومنظماتها بما فيها الحزب الشيوعي (السري)، وأهمية حلف العمال والفلاحين بقيادة الطبقة العاملة في هذا التحالف الوطني، وأهمية الاتفاق بين القوى الوطنية ليس على الأهداف المشتركة فحسب، بل بالأساس على الأعمال المشتركة الثورية لبلوغ هدف إقامة الحكومة الوطنية الديمقراطية، حكومة ائتلاف قوى الجبهة الوطنية، وتكون هذه الحكومة الأداة التي تسير بخطوات كبرى نحو تحقيق الاستقلال الوطني الناجز وإقامة سلطة الشعب الديمقراطية. ثم أشار إلى نقطة هامة جداً، وهي ان الحكومات تجيء تبعاً لتناسب القوى في الطرف المعين، قوى الشعب وقوى العدو، فعلينا ان نواصل الضغط من أسفل على كل نوع من أنواع الحكومات الوطنية، لدفعها إلى العمل وفق ما تتطلبه مصلحة الشعب، وهذا الضغط من أسفل له محتواه الملموس في الظروف السياسية المختلفة: الحكم الدستوري، أو الحكم غير الدستوري، الحكم الديمقراطي البرلماني، أو الحكم المناهض للحقوق الديمقراطية

وهكذا". (ص35)

توقف عمل الجبهة الانتخابية 1954

"بعد ان أصاب الجمود الجبهة الوطنية التي انبثقت خلال انتخابات 1954 البرلمانية، وذلك نتيجة الحملة الإرهابية التي وجهها نوري السعيد من أجل فرض دخول العراق في حلف بغداد على الشعب العراقي وقواه الوطنية، عاودت هذه القوى جهودها من أجل قيام الجبهة الوطنية للخروج من حلف بغداد وإطلاق الحريات الدستورية. "إذ قد بدا واضحاً للأحزاب والقوى الوطنية بان هذه الاهداف لا يمكن ان ينهض بها أي حزب بمفرده مهما أوتي ذلك الحزب من اسباب القوة والمنعة، بل ان تحقيقها يتطلب اتحاد جميع الوطنيين في الجبهة الوطنية الموحدة"¹⁷⁸.

بعد اجتماع اللجنة المركزية لحزبنا الشيوعي العراقي المنعقد في حزيران "يونيو" 1955، صحح الخط السياسي الانعزالي الذي اتبعه الحزب خلال قيادة حميد عثمان، وانتخاب الرفيق سلام عادل سكرتيراً للحزب كما نوهنا عن ذلك سابقاً طالبت "القاعدة" لشهر آب "اغسطس" 1955 في افتتاحيتها، بحكومة وطنية تُخرج العراق من حلف بغداد وتطلق الحريات الديمقراطية. وعندما اطلع الاستاذ كامل الجادرجي على تعديل سياسة الحزب، اجتمع مع سكرتير الحزب سلام عادل وبحثا في امر إعادة قيام الجبهة الوطنية مجدداً. اشترط الجادرجي على الحزب حل تنظيمه العسكري إذ كان قد اطلع على العدد الاول من جريدة "حرية الوطن" الناطقة باسم "اللجنة الوطنية" لاتحاد الضباط وضباط الصف والجنود. والذي كان قد صدر في كانون الثاني "يناير" 1955. لكن سلام عادل رفض هذا الشرط بصرامة، وقال بان القوى المنظمة في الجيش هي قوى وطنية وحاملة السلاح وبإمكانها ان تلعب دوراً رئيسياً في انتصار معركتنا التحررية.

لقد ساهم "الاتجاه اليساري" المتطرف الذي انتهجته قيادة حميد عثمان في دفع القوى الوطنية الى محاولة إيجاد صيغة خاطئة للتحالف مع شريحة من قوى السلطة "معارضة" بالشكل، لا بالمحتوى، والمتمثلة بـ "حزب الامة الاشتراكي" بقيادة صالح جبر.

مفاوضات الجادرجي ومحمد مهدي كبه

تشير مذكرات الاستاذ الجادرجي الى ذلك في (ص663) منها بما يلي:

"كانت إجراءات نوري السعيد الارهابية المتطرفة قد أثارت الاستياء في جزء من الطبقة الحاكمة نفسها، وهو الجزء الذي اخذ يشعر بابتعاده عن الحكم، ومن ثم بدأ بعض السياسيين من ذلك العهد يحاولون التكتل في نوع من انواع الهيئات المعارضة وذلك في بداية 1956. وقد ظهرت لدى البعض منهم فكرة التعاون مع الاحزاب

178 - عزيز الشيخ - كراس "جبهة الاتحاد الوطني" من منشورات الحزب الشيوعي العراقي صدر عام 1959.

الوطنية في معارضة نوري السعيد".

ويواصل الجادرجي قائلاً:

"كنا على علم بما يدور في الاجتماعات التي كانت تجرى بترتيب من حكمت سليمان، وكنا بانتظار نتائجها لعلاقتنا الوثيقة بها. وقد فهمنا من مختلف المصادر انه كان يسود هذه الاجتماعات، في بداية الأمر اتجاهان بشأن تأليف الجبهة المعارضة: الأول يستهدف استبعاد الحزبين (الوطني الديمقراطي والاستقلال) وكان من الداعين إلى هذا الاتجاه مصطفى العمري. والاتجاه الثاني يحبذ التعاون مع الأحزاب، وكان صالح جبر من الساعين لهذه الغاية... وقد اجتمعت بتاريخ 1956/2/16 بصالح جبر، لأول مرة بعد حوادث الوثبة التي أطاحت بحكومة صالح جبر، في مكتب محاماة سعد عمر. فوجدته مستعداً للعمل معنا مبدئياً، على النقاط التي كنا قد اتفقنا عليه مع حكمت سليمان في اجتماع عقدناه معه بتاريخ 1956/2/3 نحن والاستقلاليون... وكانت تلك النقاط تتضمن الفقرات التالية"¹⁷⁹:

"وضع القانون الاساسي موضع التنفيذ واحترام احكامه في التطبيق بما يضمن حقوق للعراقيين من حريات عامة، وخاصة وإلغاء المراسيم التي اصدرتها الوزارة، مما يخالف احكام القانون الاساسي ويتعارض وحقوق العراقيين والحريات الدستورية كمرسوم إسقاط الجنسية العراقية، ومرسوم الجمعيات والمطبوعات، واحترام حق التنظيم الحزبي وحرية الصحافة وانتهاج سياسة خارجية عراقية منسجمة وسياسة البلاد العربية مما يعيد العلاقات بين العراق والبلاد العربية الى الوضع الطبيعي، وينهي وضع العزلة الذي اصبح فيه العراق بالنسبة للبلاد العربية الاخرى. وإن كل تبديل في الحكم لا يقوم على اساس النقاط المتقدمة لا يعتبر تبديلاً جوهرياً.

"وكنتم قبل هذا قد اعطيتم صورة من هذه النقاط الى سعد عمر ليطلع عليها صالح جبر... وقد قرأنا هذه النقاط فقرة، فأراد صالح جبر ان يستوضح عن موضوع السياسة الخارجية، فتساءل عما إذا كان تطرقنا الى عزلة العراق عن البلاد العربية مما يجبرنا الى اسباب العزلة؟ وكان يقصد صالح جبر بطبيعة الحال، إظهار رغبته في تجنب التعريض بـ (حلف بغداد) الذي هو من مؤيديه. فقلت له إنني أقدر وجهة نظره هذه، وأعده باننا سنحاول ان نتجنب ذكر اسباب العزلة، ولن يشار إليها في الميثاق المقترح لا صراحة ولا ايماء فاطمئن الى هذه الناحية، وانتهى اجتماعنا من دون ان يترك خلافا في الرأي.

وفي اجتماع 1957/3/7 حضره ممثلو الحزبين (الوطني الديمقراطي، والاستقلال) وضم صالح جبر ورضا الشيببي ونجيب الصايغ... وبعد مناقشة بسيطة حصل الاتفاق على ان يحوي الميثاق على المواد التالية:

1 - وضع القانون الأساسي موضع التنفيذ، واحترام أحكامه في التطبيق بما يضمن

179 - مذكرات الجادرجي ص 664.

من حقوق العراقيين ومن حريات عامة وخاصة.

2 - إلغاء المراسيم التي أصدرتها الوزارة الحاضرة، مما يخالف أحكام القانون الأساسي، ويتعارض وحقوق العراقيين، والحريات الدستورية كمرسوم إسقاط الجنسية العراقية، ومراسيم الجمعيات والمطبوعات، واحترام حق التنظيم الحزبي وحرية الصحافة.

3 - حل المجلس النيابي القائم وإجراء انتخابات حرة.

وقد اقترحت انا ومهدي كبه إدخال فقرة تتضمن وجوب تنحية وزارة نوري السعيد عن الحكم فاستبعدت لعدم تقبلها من صالح جبر".

وفي (ص 673) من كتاب مذكرات الجادرجي، يشير إلى ان صالح جبر في اجتماع 18/3/1956 تخلص عن فكرة الاتفاق على ميثاق، وعن التوقيع على هذا الميثاق بحجة معارضة اعضاء حزبه (الامة الاشتراكي) على ذلك".

الانتخابات البرلمانية والجبهة الوطنية 1954

كان من مظاهر أزمة الحكم في ربيع 1954، تمادي الفئة الحاكمة في التخطي في تبديل الوزارات لإخفاء الطابع الارهابي للحكم وضلوعه في الامتثال لإرادة الأوساط الاستعمارية الأنجلو امريكية. ولم تنطل لعبة تغيير الوجوه على الشعب العراقي وحركته الوطنية. فقد كتب **كامل الجادرجي** في مذكراته (ص631) ما يلي:

"في 23/نيسان كان الحديث يدور حول استقالة فاضل الجمالي، بداية المشاورات لتأليف الوزارة الجديدة. وفي ذلك اليوم ظهر مقال افتتاحي في صوت الاهالي نص على (.. كان يجب ان تستند هذه الخدعة إلى أساس ما، كأى خدعة أخرى، فكان أساس الخدعة الجديدة ان يشعر الناس ان هناك رغبة في تغيير اتجاه الحكم، ولذلك فإنه قد عهد بالمناصب الوزارية) يقصد في وزارة الجمالي) إلى شباب متعلم عرف عن اكثرهم انهم لم يتصفوا بالعنف في حياتهم العامة، وكان من الضروري ان يوضع على رأس هذه (التشكيلة) شخصية ضعيفة لا تستطيع ان تسير بالأمور أكثر مما يريد زعماء الفئة الحاكمة (..) .."

يقول **كامل الجادرجي**:

"وفي 29/نيسان/1954 تألفت الوزارة الجديدة برئاسة أرشد العمري، حيث قابل حزبا الاستقلال و الوطني الديمقراطي تأليفها باستنكار شديد وقد سبق تأليفها استشارات قام بها جلالة الملك مع رؤساء الأحزاب كل على انفراد، حيث ذكر الجادرجي: "ان الازمة القائمة الان ما هي إلا امتداد لأزمة الحكم... وأن الأحزاب قدمت مذكرات مسهية حول هذا الموضوع إلى الوصي عام 1952 شرحت فيها الأسباب التي أدت إلى حرمان الشعب العراقي من مزاوله حقوقه الديمقراطية... ثم ذكر: "ان الحزب لا يعترف بشرعية المجلس القائم... هذا وقد أعلنت وزارة الداخلية في 4/مايس إجراء الانتخابات العامة يوم 9 حزيران". (مذكرات الجادرجي ص632).

في هذه الفترة عاد سلام عادل إلى بغداد بعد حضوره مؤتمر لندن، وقد عهدت إليه اللجنة المركزية مسؤولية لجنة حزبنا القيادية في بغداد، كما عهدت إليه مسؤولية لجنة العلاقات الوطنية في الحزب الشيوعي العراقي وافتتحت أمامه مجالات العمل لوضع أفكار ومقولات تقرير اللجنة المركزية "جبهة الاتحاد الوطني ضد الاستعمار والحرب" في حيز التطبيق. وبعد اتصالات واسعة قام بها حزبنا مع حزبي الوطني الديمقراطي والاستقلال ومع القوى والوجوه الوطنية الأخرى، تم التوصل إلى تشكيل جبهة وطنية انتخابية يقتصر نشاطها على الانتخابات البرلمانية التي كانت على الابواب، حيث اتفقت الأطراف على برنامج عمل موحد "كميثاق للجبهة".

وفي الرابع من مايس نفسه نشر كل من الحزبين الوطني الديمقراطي والاستقلال

بيانا إلى الشعب طالبا فيه:

إطلاق الحريات الديمقراطية كحرية الرأي والنشر والتظاهر والاضراب وتأليف الجمعيات وحق التنظيم السياسي والنقابي.

الدفاع عن حرية الانتخابات.

إلغاء معاهدة 1930 والقواعد العسكرية وجلاء الجيوش الأجنبية ورفض جميع التحالفات الاستعمارية بما فيها الحلف التركي - الباكستاني أو أي نوع من أنواع الدفاع المشترك.

رفض المساعدات الأمريكية التي يراد بها تقييد سياسة العراق وربطه بالمحالفات العسكرية الاستعمارية.

التضامن مع الشعوب العربية المناضلة في سبيل الجلاء والتخلص من الاستعمار ولا سيما في مصر والمغرب العربي، والعمل على تحقيق استقلال البلاد العربية المحرومة من استقلالها، وتحرير فلسطين من الاستعمار الصهيوني، وضمان حقوق وكيان شعبها العربي. مع العلم ان الحل النهائي لمشكلة فلسطين مرتبط كل الارتباط بالقضاء على الاستعمار والصهيونية، فمن واجب الحكومات العربية عدم التعاون مع الاستعمار لحل هذه المشكلة والمشاكل المتفرعة عنها، والعمل على مقاومة مشاريع الإسكان والإغاثة وغيرها من المشاريع ذات الصلة المباشرة أو غير المباشرة بالمشاريع الاستعمارية الرامية إلى إدامة تشريد اللاجئين العرب ومنعهم من العودة إلى ديارهم.

العمل على إبعاد العراق والبلاد العربية الأخرى عن ويلات الحرب الاستعمارية واتخاذ العراق موقفا مؤيدا في الميدان الدولي لحل المشاكل الدولية بالطرق السلمية.

العمل على إلغاء امتيازات الشركات الأجنبية الاحتكارية وعلى تحقيق العدالة الاجتماعية، إنهاء دور الاقطاع، وحل المشاكل الاقتصادية القائمة ومشكلة البطالة وغلاء المعيشة ورفع مستوى معيشة الشعب وبوجه عام تشجيع الصناعة الوطنية وحمايتها.

العمل على إزالة الآثار الأليمة التي خلقتها كارثة الفيضان وذلك بإسكان المشردين من ضحايا الكارثة وتعويض المتضررين وتأليف لجنة نزيهة محايدة لتحديد المسؤولين المقصرين واتخاذ كل ما يلزم لدرء أخطار الفيضان في المستقبل.

بغداد 12/مايس/1954

ممثل حزب الاستقلال - ممثل الحزب الوطني الديمقراطي - ممثل الفلاحين ممثل العمال - ممثل الشباب - ممثل المحامين - ممثل الطلاب (عن جريدة صوت الاهالي

ونشرت جريدة "القاعدة" في العدد الصادر في أواخر أيار/1954، مقالا تحت عنوان "انتصار عظيم تحرزه قوى شعبنا الديمقراطية بعقد الجبهة الوطنية" جاء فيه: (لقد ناضل حزبنا الشيوعي العراقي على الدوام منذ عام/1942، من أجل عقد الجبهة الوطنية وكانت مساعي حزبنا المجيدة تصطدم على الدوام بعراقيل عديدة منها: وجود مفاهيم وتيارات انتهائية في صفوف الحركة الوطنية. حيث كانت ترفع الشعار الانتهازي "توحيد الأحزاب في حزب واحد" الذي كان يتعارض مع شعار الجبهة الموحدة، من حيث ان الشعار الأخير هو الذي يستطيع توحيد كافة القوى الوطنية والديمقراطية ضد المستعمرين والرجعية المحلية والحاكمة التي ربطت مصيرها بمصير السيطرة الاستعمارية على قطرنا وباعت استقلال وحرية شعبنا إلى الإنجليز والأمريكان).

أوضح المقال بأن معارضة شعار الجبهة الموحدة ناشئة أيضا من عدم تبلور الأهداف الوطنية والشعبية لدى جميع الأحزاب والمنظمات، ولتخوف هذه الأحزاب والمنظمات وتأثرها بالدعايات الاستعمارية والرجعية التي كانت تحاول على الدوام توسيع الهوة بين الحزب الشيوعي والقوى الوطنية الديمقراطية بقصد إبقاء قوى شعبنا النضالية مشتتة متباعدة، لأن ما يخيف ويرعب المستعمرين هو توحيد قوى الشعب في جبهة وطنية موحدة، تناضل صفا واحدا لتحرير شعبنا من السيطرة الاستعمارية الإقطاعية الرجعية.

ثم تطرق المقال إلى النواقص الجدية التي تضمنها ميثاق الجبهة نلخصها أدناه:

موقف الجبهة من قضايا شعوبنا العربية التحررية والنضال المشترك بين شعوبنا العربية لإنهاء السيطرة الاستعمارية.

علاقتنا مع الدول الأخرى على اختلاف أنظمتها، وعلى أساس المنفعة المتبادلة واحترام استقلالنا وسيادتنا الوطنية وعدم التدخل في شؤوننا الداخلية.

موقف الجبهة من قضايا كافة الشعوب في التخفيف من حدة التوتر الدولي عن طريق التفاوض السلمي وتحريم أسلحة الإبادة.

لم يتطرق الميثاق إلى إلغاء مشروع النقطة الرابعة الأمريكية ولم يتطرق إلى تحرير تجارتنا من قيود المنطقة الاسترلينية.

لم يتطرق الميثاق إلى إلغاء المعاهدتين التركيتين - العراقية، والعراقية - الأردنية اللتين فرضهما المستعمرون على شعبنا.

لم يتطرق الميثاق إلى تحديد نوع الحكومة التي تناضل الجبهة من أجل مجيئها لتحقيق ما رسمه من أهداف.

لقد جاء في الميثاق "إنهاء دور الإقطاع" ان هذا الشعار يمكن ان يغير عدة تغيرات. ان شعار توزيع الأراضي الأميرية والمستملكة والإقطاعية على الفلاحين وتحديد ملكية الأرض وإرجاع الأراضي المنهوبة على الفلاحين هو الشعار العملي الذي يناضل الفلاحون من أجله في الوقت الحاضر.

لقد نسى أو يتناسى الميثاق حقوق الشعب الكردي والقوميات الصغيرة من التركمان والآشوريين والأرمن.

كان من الضروري ان يتنبه المجتمعون إلى وجود مئات المناضلين من أبناء وبنات شعبنا في السجون وقلاع الموت وهم من الوطنيين والديمقراطيين وأنصار السلام وأعضاء المنظمات الديمقراطية وأعضاء حزبنا الشيوعي، زج بهم في السجون نتيجة نضالهم الوطني ضد السيطرة الاستعمارية والرجعية وتغلغل شعار إطلاق سراحهم في أعماق الجماهير الشعبية.

10 - ان ميثاق الجبهة لم يشر ولا بكلمة واحدة عن حقوق المرأة التي تعتبر نصف المجتمع العراقي ولها كل الحق ان تتساوى مع الرجل في جميع الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

في 1954/5/12 بلغ عدد مرشحي الجبهة في مختلف أنحاء العراق (37) مرشحا منهم (14) من الحزب الوطني الديمقراطي – (6) في بغداد و (3) في الموصل و (3) في البصرة وواحد في الشامية وواحد في السماوة، منهم (8) مرشحين عن حزب الاستقلال (15) من المستقلين وعدد قليل منهم من الشيوعيين دون إعلان ذلك بطبيعة الحال.

ولكن في الواقع كان لدى الشيوعيين مرشحان اثنان من مدينة النجف، أحدهما الشيخ محمد الشبيبي وهو والد الشهيد حسين محمد الشبيبي وهو وجه ديني واجتماعي وكان مرشحا عن المنشقين انذ عن الحزب (تنظيم راية الشغيلة)، والمرشح الثاني الدكتور خليل جميل الجواد وهو طبيب مشهور في النجف مرشحا عن الحزب الشيوعي العراقي، لقد فشلت الجهود في المفاوضات مع راية الشغيلة لينسحب أحد المرشحين لكيلا تنقسم الأصوات ولهذا لم يفز أي منهما. (وهذه واحدة من النواقص الكثيرة التي سببها انشقاق الحزب)

جزء من وثيقة الكونفرانس الثاني للحزب الشيوعي العراقي / أيلول "سبتمبر" 1956

جاء في المقدمة:

"تتطور الأحداث العالمية بسرعة فائقة لصالح قضية السلم والحرية والديمقراطية، ويتقلص ظل الاستعمار وينهار بنيانه حجرا حجرا تحت ضربات قوى الشعوب المناضلة ببسالة في سبيل حريتها وتقدمها. ولقد كشف المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي الذي عقد في شباط "فبراير" بوضوح ودقة ميزات عصرنا الحالي وأستخلص بعمق وجهة النضال العام لحركة التحرر في العالم كله، ولذلك اكتسب هذا المؤتمر أهمية عالمية وتاريخية استثنائية.

ولا شك ان الاستنتاجات التي استخلصها المؤتمر ساعدت على إيضاح آفاق جديدة لحركتنا الوطنية وسبل النضال فيها، وأكدت تأكيداً علمياً حتميتها التاريخية ومحتواها التقدمي... وجاءت خلاصة للتجربة الجديدة الوافرة للحركة العالمية المعادية للاستعمار والحرب.

ان عالمنا اليوم هو أكثر ترابطاً منه في أي وقت مضى، وحركتنا الوطنية والقومية والتحررية أكثر تفاعلاً بالحركة العالمية، فبمقدار ما تستوعب القوى الوطنية في قطرنا هذه الحقيقة الهامة، وبمقدار ما تختط لنفسها نهجاً يأخذ بنظر الاعتبار الإمكانات والآفاق الجديدة فإنها تستطيع النهوض، بكفاءة أعلى بمهامها في قيادة الحركة الجماهيرية في القطر.

وخلال شهر أيلول "سبتمبر" انعقد المجلس الحزبي (الكونفرانس) الثاني، الذي ضم اللجان المتقدمة والمحلية لحزبنا الشيوعي العراقي، وناقش تقرير اللجنة المركزية (في سبيل تحريرنا الوطني والقومي) مناقشة مستفيضة وأقره بالإجماع.

لقد جاء المجلس الحزبي الثاني نصراً كبيراً لسياسة حزبنا الشيوعي العراقي. وكشف مستوى المناقشات فيه بان كادر الحزب ومستوى العمل القيادي في اللجنة المركزية يرتفعان الى مستوى المهمات السياسية للحزب وان سعة تمثيل منظمات الحزب فيه أكد رسوخ واتساع تنظيم حزبنا وارتفاع تدابير الصيانة بوجه الإرهاب الذي فرضه أعداء الشعب على حزبنا وحركتنا الوطنية. وقد أكدت نتائج أعمال الكونفرانس ومقرراته بأن الوحدة التنظيمية ليست هي وحدها التي أصبحت حقيقة واقعة في حزبنا وحسب، بل ان وحدته الفكرية والسياسية كذلك تزداد رسوخاً وتتطور بسرعة.

وما كان الحزب ليستطيع ان يحرز هذا النصر لولا تعزيز وحدته وتنمية العمل الجماعي في هيئاته. لولا الشعور العالي بالمسؤولية الذي ينمو بين مناضلي الحزب والمساندة العظيمة التي يتلقاها من القوى الثورية ومن جماهير شعبنا المجاهد.

ان تقرير (في سبيل تحريرنا الوطني والقومي) الذي ناقشه وأقره المجلس هو منهاج لمنظمات حزبنا في نشاطها العام وعلى ضوءه يتقدم حزبنا لإيجاد أساس للتفاهم والتعاون والاتحاد الكفاحي مع جميع القوى الوطنية، ومن أجل تحقيق المهمات الواردة فيه يدعو جماهير شعبنا العراقي، عربا وأكرادا، رجالا ونساء، عمالا وفلاحين، كسبة وطلابا ومتقنين، تجارا وصناعيين وملاكين أحرارا للنهوض يدا واحدة للتخلص من عبودية الاستعمار وعملائه وفي سبيل التحرر الوطني والقومي وفي سبيل السلم والديمقراطية والتقدم".

الخطة السياسية

ان الإمعان في العنوان "خطتنا السياسية في سبيل التحرر الوطني والقومي" يكشف بوضوح عن الهدف الأساسي للثورة المقبلة وهو التحرر الوطني والتحرر القومي. وإذا قارنا ذلك مع التقرير السياسي للجنة المركزية لعام 1954 المعنون بـ "جبهة الكفاح ضد الاستعمار والحرب"، وجدنا فيه يبلور الأهداف بشكل أكثر ملموسية لدى الحزب والحركة الوطنية العراقية بعد دخول العراق حلف بغداد، مما أدى الى انعزال الحكم الملكي وحكومة نوري السعيد ليس داخليا فحسب، بل على النطاق العربي بشكل خاص، وعلى النطاق الآسيوي والعالمي كما أسلفنا.

ويتذكر القارئ الكريم بان قرارات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي التي صدرت في شهر تموز "يوليو" عام 1955، كانت قد طرحت سياسة وطنية تستهدف جمع قوى واسعة للدفاع عن الدستور العراقي الذي داس عليه نوري السعيد بمراسيمه الإرهابية. ولهذا توجه الحزب لإحداث نقلة نوعية في العمل السياسي العراقي عن طريق تحقيق الجبهة الوطنية في "خطته السياسية في سبيل التحرر الوطني والقومي" بوضعه الشعارات التي تجمع القوى الوطنية ولا تفرقها، خاصة وان قيادة الحزب كانت قد اطلعت على تفاصيل المواقف والآراء للأحزاب الوطنية من خلال المحادثات الثنائية التي سبقت الإشارة إليها. فالتقرير هو خطة لمنظمات الحزب في نشاطها العام لإيجاد أساس للتفاهم والتعاون والاتحاد الكفاحي مع جميع القوى الوطنية من أجل التحرر الوطني والقومي. وهو يدعو "الشعب العراقي للنهوض يداً واحدة للتخلص من عبودية الاستعمار وعملائه وفي سبيل التحرر الوطني والقومي وفي سبيل السلم والديمقراطية والتقدم".

ان حزبنا قد درس الوضع في بلادنا من مختلف جوانبه، على ضوء التطورات الجارية في البلدان العربية وفي العالم، يبني خطته وتقديراته على الوجه التالي:

ان ما يواجه بلادنا الآن هو قيل كل شيء ضرورة تحويل السياسة القائمة من سياسة تعاون مع الاستعمار وتوافق مع الصهيونية وانعزال عن حركة التحرر

العربي، الى سياسة وطنية عربية مستقلة¹⁸⁰. ولذلك فإن مهمة الانتقال إلى الاشتراكية وتحويل السلطة إلى أيدي العمال والفلاحين وحلفائهم، ليست هي المهمة التي تواجهها حركتنا في الظرف الراهن.¹⁸¹

"وعندما تطرح الحياة أمام القوى الوطنية، مهمة تبديل السياسة القائمة، بسياسة وطنية عربية مستقلة يصبح من الضروري تشديد النضال وتنسيق المساعي لغرض إقامة حكومة وطنية جديرة بتحقيق هذه المهمة التاريخية. إن كل الظروف تنبئ، بأن قيام حكومة تتبع سياسة وطنية عربية مستقلة في الظرف الراهن، هو أمر ضروري وممكن، وينعقد عليه إجماع الشعب.

أما الطريق إلى إحلال مثل هذه الحكومة في المسؤولية فهو طريق النضال الشعبي.... وهذا الاستنتاج يمكن استخلاصه وإقامة أسانيده عن طريق النظر الدقيق في ميزان القوى التي تعمل على المسرح السياسي.

ثم يتساءل تقرير الكونفرانس، ما هي القوى والإمكانات التي تعمل إلى جانب حركتنا التحررية وتيسر لها سبل النجاح؟ فيذكر ثلاثة عوامل خارجية هي:

1 - تطور الأحداث على الصعيد الدولي في صالح قضية السلم، وهذا يقوض من الأساس الأسانيد الزائفة التي أقيم عليها حلف بغداد ويبدد مبررات العداء المصطنع للاتحاد السوفيتي. وينفي السياسة المتبعة في العراق، سياسة التعاون بحجة "تدارك خطر الحرب" وصد "العدوان".

2 - فسخ وانهيار النظام الكولونيالي ونهوض شعوب آسيا وأفريقيا نحو التحرر والسيادة الوطنية وفي سبيل الحياد ودرء خطر الحرب.

3 - ما دام العراق جزءاً لا يتجزأ من العالم العربي، وعضواً في الجامعة العربية، فإنه لن يستطيع مواصلة سياسة العزلة عن حركة التضامن العربي الموجهة مباشرة ضد حلف بغداد.

أما العوامل التي تيسر النجاح على الصعيد الداخلي فهي "إن سياسة حلف بغداد التي ألحقت أمدح الضرر باقتصادنا الوطني... قد زادت في بؤس الجماهير وشددت مصاعبها المعيشية. ففي ظل هذه السياسة المشؤومة زادت الضرائب، وارتفعت تكاليف العيش وتعمقت أزمة الكساد في السوق الوطنية، وأغرقت البلاد بالكماليات وأصبح الكسب المفرط للرأسمال الأجنبي مستشرى في جميع ميادين اقتصادنا الوطني، وحظيت أساليب الاستغلال الإقطاعي في الريف واستغلال الكادحين لدى الشركات الأجنبية بمزيد من الحماية والتأييد، هذه السياسة قد جرت إلى ميدان النضال أوسع الجماهير الشعبية، بمن في ذلك أصحاب المصالح من التجار والصناعيين

180 - وثيقة الكونفرانس الثاني للحزب الشيوعي العراقي المنعقد في أيلول "سبتمبر" عام 1956 والتي نشرت بعنوان (خطتنا السياسية في سبيل التحرر الوطني والقومي) ص 23
181 - المصدر السابق ص 24.

والملاكين الوطنيين وغيرهم، سعياً وراء تطمين مصالحهم ولمناهضة السياسة الاستعمارية التي ينفذها نوري السعيد" ¹⁸². ثم تصوغ الوثيقة الاستنتاجات التالية:

"ومن هنا كانت السياسة المتبعة في العراق حالياً معزولة على الصعيد الدولي والعربي والمحلي، ولا يمكن ان تصمد طويلاً مهما كان نوع المسائل التي تتخذ لإسنادها"

"وان القوى التي تعمل ضد هذه السياسة وتسعى الى فرض سياسة وطنية عربية مستقلة، إنما تمثل الأغلبية الساحقة جداً من الشعب".

"وبوسعها (الأغلبية الساحقة) عن طريق التضامن في جبهة وطنية، وبالاستناد الى الجبهة العربية والى تحالف باندونغ، والى معسكر الاشتراكية والسلام، ان تنزل الهزيمة المؤكدة بالسياسة المفروضة على الشعب".

ثم تضع الوثيقة الاستدراك التالي: "ولكن العراق باعتباره في مقدمة البلدان التي تنتج النفط، وسوقاً يكاد يكون بكرة لتصريف البضائع الأجنبية فضلاً عن موقعه الاستراتيجي يحظى باهتمام خاص من جانب المستعمرين... مما يجعل النضال التحرري في العراق يواجه صعوبات خاصة... وإذن فينبغي الأخذ بنظر الاعتبار ان الاستعماريين وحلفاءهم في الداخل، لن يخلوا مواقعهم بسهولة".

فما هي احتمالات الوسائل التي سيلجأ إليها الاستعمار؟ لخصت الوثيقة هذه الاحتمالات:

وسيلة التدخل المسلح لتحطيم الجبهات العربية المتحالفة، غير ان ذلك هو في غاية الصعوبة نظراً لكون هذه البلدان العربية هي بلدان ذات سيادة وأعضاء في هيئة الأمم المتحدة، ونظراً لأن الاتحاد السوفيتي سيقف الى جانب الشعوب إذا تعرض مصيرها للخطر.

ان التهديد بإرسال الجيوش الأجنبية الى البلدان العربية، يقترن على الأكثر بذريعة إقرار السلام و "رفع الحيف والاعتداء في نزاع مسلح محتمل الوقوع بين العرب وإسرائيل يبدأ باستفزاز عسكري واسع من قبل إسرائيل. وان إنزال جيوش أجنبية في مواقع معينة من البلدان العربية قد تم عندما استعملت مصر حقها في تأمين قتال السويس.

ولكن عدواناً أجنبياً على البلدان العربية سوف لن يمر دون عقاب من الاتحاد السوفيتي ومن الدول المعتدى عليها ¹⁸³.

3 - خطر تدخل تركي أو بريطاني أو غيره بموجب حلف بغداد في حالة نهوض شعبي في العراق.. ومما لا شك فيه ان العراق شعباً وجيشاً سينهض في هذه الحالة

182 - المصدر السابق ص 26.

183 - المصدر السابق ص 28.

بشرف الدفاع عن وطنه، ولم يعدم النصير من الحكومات العربية المستقلة ومن دول باندونغ ومن الاتحاد السوفيتي ومن هيئة الأمم المتحدة ذاتها رغم نفوذ الدول الاستعمارية فيها. أما مقاومة الأجهزة القمعية الأخرى كالبوليس والإقطاع المسلح فإنها ستواجه من قبل الفلاحين بالسلاح وسيتمكن الشعب المنتفض والمتعاون مع الجيش من نفس النظام الاستعماري الإقطاعي القائم على أساسه وكسب معركة تحرره الوطني. ومن هذا التقرير يمكن الاستدلال على ان ميزان القوى هو بجانب الجماهير الشعبية على نحو قاطع إذا ما أحسن تعبئتها وقيادتها¹⁸⁴.

4 - ان تحديد القوى على هذا النحو يحدد بدوره طبيعة المعركة باعتبارها معركة ذات طابع سلمي غالب، أو بكلمة أدق، شكلا من النضال الثوري يمكن في المرحلة الحاضرة وفي المستقبل من باب أولى، ان يكون ذا طابع سلمي قائم في الأساس على تعبئة القوى الوطنية في جبهة واسعة والضغط بها على نحو مركز، وبأشكال مختلفة، مؤثرة، بغية تبديل السياسة القائمة بسياسة وطنية عربية مستقلة... ولا يمنع ان يكون طابع هذا النضال سلميا أيضا إذا ما اتخذ في ظرف معين شكل "وثبة شعبية" هي من مفاخر الشعب العراقي وتقاليد الثورية وهذا هو الاحتمال الرابع لأسلوب الظفر بحكومة وطنية تحقق تبديل سياسة العراق الى سياسة وطنية عربية مستقلة¹⁸⁵.

"ان مسألة العنف بالنسبة لنا... مسألة يقرها سلوك الخصم عندما لا يريد ان يتنازل أمام إرادة الشعب... وإننا نعتقد اعتقادا لا يتطرق إليه الشك، بان ما يسعى إليه الشعب سيحققه دون أدنى ريب ولكنه يحرص على ان يحقق مبتغاه بأقل كلفة وبالطريق الأقل تضحية"¹⁸⁶

5 - "ان لنا دستورا يمكن _ على علاته ونواقصه _ ان يتخذ في الظرف الراهن أساسا لإحداث تبدلات لصالح الشعب. وبإمكان رجال السياسة أو من هم في مراكز المسؤولية في الحكم على مختلف الدرجات، ان يبادروا الى تخطيط نهج جديد يقوم على أساس نبذ الماضي ومآسيه وانتهاج سياسة وطنية مستقلة، ومواقف عربية تحررية نزيهة-كالتى يتخذها بعض رؤساء وملوك الدول العربية- لا يمكن الا ان تحظى بتأييدنا، وتأييد سائر الأحزاب والقوى الوطنية. وجدير بنا ان نؤكد بان نضالنا لا يتوجه في الأساس ضد هذا الشخص أو ذاك، ضد هذه الجماعة أو تلك، ولكنه ضد السياسات التي تنطوي على خيانة مصالح الشعب والوطن"¹⁸⁷.

لقد نصت الوثيقة أيضا بعد ان ذكرت احتمالات تغيير السياسة القائمة الى سياسة وطنية عربية مستقلة بما في ذلك قيام حكومة تأخذ على عاتقها تبديل السياسة القائمة

184 - المصدر السابق ص29.

185 - المصدر السابق ص 31.

186 - المصدر السابق ص31.

187 - المصدر السابق ص 31

"والذي لا ريب فيه ان مثل هذه الحكومة ستحتل بتأييد ومؤازرة حزبنا الذي سيجد بان من واجبه إسنادها دون ان يشترط اشتراكه فيها ما دامت تسعى بإخلاص وحماس لتنفيذ المهام المطروحة أمامها وتحترم إرادة الشعب... وسيجد حزبنا ان من واجبه، كما هو من واجب أي جهة وطنية أخرى ان يراقب، وينتقد، ويوجه هذه الحكومة لضمان عدم انحرافها عن النهج الوطني المستقل كما سيجد من واجبه العمل على فضحها وابعادها إذا ما تنكرت للإرادة الشعبية وذهبت الى حد الإخلال الجذري بمسؤولياتها"¹⁸⁸.

وتضع الوثيقة مهام الحكومة الوطنية المخلصة وهي:

- 1 - الانسحاب من حلف بغداد وإلغاء الاتفاق الخاص مع بريطانيا واتفاقية التسلح الأمريكية وغيرها من الاتفاقات الاستعمارية.
- 2 - اتباع سياسة عربية تضمن للعراق شرف المساهمة في المحالفات العربية والمساعي النبيلة المبذولة لتحقيق الوحدة العربية.
- 3 - إلغاء المراسيم السعيدية والقوانين المقيدة للحريات، وإطلاق حقوق الشعب الدستورية وحل المجلس النيابي وإجراء انتخابات جديدة تقيم مجلسا يعكس إرادة الشعب بدرجة كافية، هي شروط ضرورية لإطلاق قوى الشعب من اجل صيانة وتطوير مكاسبه وحقوقه.
- 4 - انتهاج سياسة اقتصادية وطنية سليمة تضمن حماية وتطوير الاقتصاد الوطني وتحسين ظروف الجماهير المعيشية والصحية والنقابية.
- 5 - إعطاء أهمية لتلبية مطالب الشعب الكردي ورعاية حقوقه ومطامحه القومية واحترام حقوق الاقليات القومية.
- 6 - ضرورة إيقاف تدخل شركات النفط في شؤوننا السياسية وتطمين مصالح العراق في عوائد نفطه... ويكون طبيعيا في الطرف الرهن ان يعتبر الشعب العراقي اتفاقية النفط لعام 1952 غير مرضية، بل ومخلة بحقوقه وهو يرى ان من الضروري معالجة هذا الأمر، على ضوء المصلحة الوطنية والقومية.
- ان حق الشعب العراقي في الاستئثار بنفطه حق مشروع لا يجادله فيه أحد، وهو يسعى الى استثماره لمصلحة اعمار وتطوير بلاده وتطوير اقتصاده كما يسعى الى وضعه في خدمة العراق والبلدان العربية، وانه لمسعى نبيل مشروع، فإنه من حقوق السيادة، ولأنه من فروض التعاون القومي الأخوي.
- 7 - وفي الوقت نفسه، يرى الشعب العراقي، ان الظروف التي ستنشأ بعد تخلص العراق من قيود الأحلاف والمعاهدات ستكون بلا شك ظروفًا ملائمة لإعادة صياغة علائق التعاون التجاري والاقتصادي والثقافي والسياسي بين العراق وبين سائر الدول

وفق مبادئ التعايش السلمي.

في الحقيقة ان هذا البرنامج المتواضع للحكومة الوطنية يستهدف الخروج من حلف بغداد واتباع سياسة وطنية مستقلة ويختلف عن البرنامج المتكامل للحزب الشيوعي وهو لا يدعي ذلك، فالحكومة الوطنية المقصودة هي جزء من الخطة السياسية المبنية على قيام الجبهة الوطنية بين الأحزاب السياسية العراقية المعارضة، حيث حذت الخطة شمول الجبهة كل المناهضين لحلف بغداد ولسياسة الحكم الذي ألحق العراق بذلك الحلف وأهمل الدستور واستخدم الإرهاب لإجبار الشعب العراقي على الصمت المهين. أما الاحتمالات التي طرحتها الخطة للوصول الى تغيير السياسة، فهي الانتفاضة الشعبية على غرار ما حصل في وثبة كانون الثاني "يناير" والتي أسقطت الوزارة التي عقدت معاهدة بورتسموث ومجيء حكومة محلها، ولهذا فإنها افترضت بان تبديل السياسة القائمة بسياسة وطنية عربية مستقلة سيكون الطريق إليها ذا طابع سلمي، لان أغلبية الشعب الساحقة هي ضد حلف بغداد وضد الحكومة السعيدية وسياستها التي تخدم الاستعمار. ويتطلب ذلك تعبئة كل المناهضين للحلف المذكور في جبهة واسعة لإسقاطه. وتطورت هذه الخطة من خلال النضال، فقد كان يجري تقدير الموقف بعد كل حدث لدراسة الجوانب الإيجابية والجوانب السلبية في الخطة وتدقيقها طيلة الفترة التي سبقت 14 تموز "يوليو".

ومن هذا المنطلق اعتبرت الوثيقة بان هذه الحكومة لها مهام أساسية لكنها ليست شاملة لكل مطالب التحرر الوطني، ناهيك عن عدم شمولها كل أهداف المرحلة الوطنية الديمقراطية، "ستحظى بتأييد ومؤازرة حزبنا الذي يجد من واجبه إسنادها دون ان يشترط اشتراكه فيها". ان وعد الحزب بإسناد هذه الحكومة هو ليس بالأمر الهين على الإطلاق ولم يكن في الواقع كذلك لان الخروج من حلف بغداد وتبديل الوزارة السعيدية بأخرى وطنية هو في حد ذاته أمر في غاية الصعوبة، فالاستعمار لن يتخلى عن مواقفه بسهولة كما تنبأت وثيقة الكونفرنس بحق.

كتب سلام عادل في شهر أيلول "سبتمبر" عام 1956 عن الآفاق التي ستفتحها الجبهة الوطنية وقدرتها على بناء مستقبل وضاء للشعب "ان أول انتصار سيحرزه الشعب، سيلهب طاقة الحماس الشعبي الى حد كبير، وان ظروفًا جيدة تتيحها هذه الحكومة لتمكين الشعب من أخذ مصيره بيديه الى جانب وفرة خبرات العراق وضخامة موارده وسجية الاندفاع الثوري لدى الشعب العراقي، وقوة جاذبية أفكار التقدم والديمقراطية والاشتراكية في العراق، وميلان ميزان القوى لصالح العمال والفلاحين والمتقنين الوطنيين، يقدم الدليل على ان العراق لن يحتاج الا القليل من الوقت لكي يسير بخطوات واسعة في طريق الازدهار الاقتصادي والثقافي والاجتماعي ضمن الأسرة العربية المتحالفة، وان يسير موحدًا بقيادة الطبقة العاملة

في طريق الانتقال السلمي التدريجي نحو الاشتراكية" 189.

ان زكي خيري ينتقد هذا المقطع من وثيقة الكونفرنس بقوله وهل يمكن السير الى الاشتراكية بشكل سلمي متدرج؟ ... وجوابي هو، نعم يمكن السير الى الاشتراكية بشكل سلمي متدرج، فسلام عادل استطاع في تلك الفترة الغارقة في ظلام الإرهاب من شهر أيلول "سبتمبر" عام 1956، ان يرى بوضوح ان الوطنيين قادرين على تحقيق الانتصار، إذا ما قامت الجبهة الوطنية، مستندا في هذا الاستنتاج الى وثائق الحزب التي حددت الطريق السلمي في التغيير من اجل الديمقراطية والتحرر الوطني، أخذا بنظر الاعتبار الوضع الملموس الذي يشترط حينها قيام الجبهة الوطنية التي تضم القوى والأحزاب الوطنية العراقية والمستقلين الوطنيين الذين لهم مصلحة في تحقيق الهدفين المذكورين. ان زكي خيري في انتقاده يستند الى تجربة اليوم وما آلت إليه أوضاع العراق والمصاعب والتعقيدات التي واجهت ثورة 14 تموز، فضلا عن تلبسه لبوس اليسارية في كتاباته المتأخرة لأغراض في نفسه، محاولا إلقاء ستار من الدخان على دوره والارتباك الذي أصابه، بعد ثورة تموز فتكونت كتلة يمينية انتهازية في مركز القرار الحزبي، كان هو أحد عناصرها، تراجعت بالحزب وأصدرت الجدل الذاتي المشؤوم الذي فاجأ الجماهير التي ربطت مصيرها بالحزب. وتبع ذلك تراجع غير منظم للحزب وحصل ما لم تكن تحلم به الرجعية والاستعمار وعبد الكريم قاسم وسوف نتناول هذه القضية بالتفصيل في الفصول القادمة لنرى أي نوع من اليساريين هو زكي خيري؟

ان ألمعية سلام عادل تجلت في قدرته على استشفاف إمكانية التحول وإنجاز الأهداف سلميا، وفقا لظرف العراق الملموس، في وقت حدثت أغلبية التحولات في مناطق عديدة من العالم بالعنف، لكن سلام عادل لم يتهاون مطلقا في تعزيز منظمات الحزب وتطويرها في صفوف الجيش تحسبا لعنف الحكومة المسنودة من الاستعمار والرجعية وأكبر دليل على ذلك ما حدث خلال انتفاضة عام 1956، فبعد ان واجهت الحكومة الجماهير المنتفضة تأييدا لشعب مصر بالحديد والنار ولم تظهر أدنى درجة من التنازل، كما حصل إبان وثبة كانون عام 1948 وانتفاضة عام 1952، دعا حينذاك الحزب الجماهير الى تطوير أساليب النضال وحيث انتفاضة الحي التي تحولت الى انتفاضة مسلحة تصدت للشرطة الذين استباحوا المدينة لاحقا، ان لزكي خيري يتجاهل موقف الحزب من انتفاضة الحي فيصور للقارئ كما لو ان الحزب دعا الى النضال السلمي فقط، في حين ان الوثيقة قد اعتبرته اسلوبا غالبا وليس وحيدا.

إن من المهم ان ننظر الى وثيقة الكونفرنس الثاني باعتبارها خطة سياسية محدودة الأهداف وهذا الواقع ينفي النظر إليها كبرنامج الحد الأدنى لمرحلة التحرر الوطني، ناهيك عن كونها برنامجا متكاملا للحزب.

أصدر الحزب الشيوعي العراقي بيانا في يوم 13/8/1956 تحت عنوان "الحزب الشيوعي العراقي يدعو الى الإضراب العام تضامنا مع الشعوب العربية لنصرة مصر" نص على¹⁹⁰:

أيها المواطنون، لنجعل من يوم التضامن مع مصر، يوم الإضراب العام، يوما جديرا بشعورنا القومي وشرفنا الوطني.. ليكون يوم الخميس 16 آب يوما تتجلى فيه صفحة العراق.. يوما يظهر فيه العراق بوجهه العربي الطاهر الصريح.. لنستجيب الى دعوة "اللجنة المركزية العربية" (التي بادرت في تكوينها جميع القوى والأحزاب السياسية في سورية) في جعل الخميس القادم يوم إضراب شامل إجماعي.. ليكون إجماع الأحزاب والقوى الوطنية في هذه المناسبة المقدسة إجماعا قويا واستجابة حازمة لإرادة الشعب لحمل الحكومة على ان تنزل على إرادة الشعب وتعكس بصراحة وعلى رؤوس الأشهاد ان العراق مع مصر ومع العروبة وضد الاستعمار.. لنتخذ إجراءات جديّة سياسية واقتصادية ضد الدول الاستعمارية التي تهدد مصر بالعوان. لنخرج بلادنا من ميثاق بغداد مفرّق صفوف العرب.. لنختط لوطننا نهجا وطنيا وعربيا مستقلا.

¹⁹⁰ تفصيل البيان المذكور في الفصل 23 (تطورات الاحداث قبيل وخلال انتفاضة تشرين عام 1956)

نص بيان الحزب الشيوعي العراقي في يوم ثورة تموز

بيان الحزب الشيوعي العراقي

يا أبناء شعبنا العراقي العظيم...

ان حركة جيشنا الباسل المباركة التي أطاحت بالنظام الملكي الاستعماري البغيض واقامة صرح جمهوريتنا العراقية الوطنية هي حدث تاريخي جليل جدير بالترحاب العظيم والتأييد الواعي الذي قابلته به جماهير الشعب وقواه الوطنية. ولا شك ان شعبنا العراقي سيحمي جمهوريته الفتية كثمرة عزيزة لنضاله الطويل المرير ضد الاستعمار والرجعية، هذا النضال الذي لعب فيه حزبنا الشيوعي دوره المفعم بالتضحية والتصميم. ولهذا السبب أعلنت اللجنة المركزية لحزبنا في برقيتها الموجهة الى مجلس السيادة والى السيد عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء عن عزم الحزب على وضع قواه الى جانب مؤازرتهم من اجل الدفاع عن جمهوريتنا البطلة وصيانة انتصار الشعب.

وبمقدار ما أبهجت هذه الحركة كل قوى الخير والحرية والسلم في العالم، فأنها أطارت صواب الاستعمار وخدمه، لأنها جاءت ضربة قاصمة لمصالحهم الاستغلالية الجشعة في بلادنا ولأنظمة الحكم البالية التي فرضت قسرا وعدوانا لآماد طويلة فسرعان ما نشطت الاجتماعات التآمرية في أمريكا وبريطانيا وعمان واسطنبول وبدأت الدوائر الاستعمارية تطلق تهديداتها المكشوفة وتحرك الدسائس لإعادة النظام الملكي الاستعماري البائد الى عراقنا العزيز.

ان ثقتنا لا حدود لها بقوى شعبنا العراقي الأبي الزاخرة بعربه وأكراده بعماله وفلاحيه، وكافة جماهيره الشعبية الباسلة وبقوى جيشه المغوار، وبقدرة هذا الشعب الأبي المجاهد على الوقوف كرجل واحد، لرد كل معتد أثيم وكل باغ لئيم.

ان ثقتنا لا حدود لها بمؤازرة الشعوب العربية الشقيقة لحركتنا المباركة التي دكت من الأساس حصن العبودية والتآمر، ان ثقتنا لا حدود لها بقوى الحرية والسلم في العالم وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي الصديق الجبار لشعبنا العراقي المناضل.

ولكن هذه الثقة العظيمة بقدرتنا على صيانة وتعزيز جمهوريتنا ينبغي ان لا تدفعنا الى الغفلة عما يجري حولنا والاستهانة بالعدو، بالاستعمار العالمي وعمالته ومؤامراته. ويجب ان نعلم ان الاستعمار لن يستسلم بسهولة ودونما مقاومة، بل سيبذل كلما يستطيع بذله من جهود وهو يهيئ لعدوان على بلادنا من اجل إعادة نير الاستعمار مسخرا كل إمكانياته وقواه الشريرة.

ومن أجل درء كل خطر محتمل، ندعو حكومة جمهوريتنا الوطنية، الى اليقظة التامة، ونهيب بها ان تقدم بحزم على اتخاذ كافة الإجراءات الكفيلة بإحباط كل مسعى استعماري لنسف انتصار اتنا.

إننا ندعو حكومتنا الى ان تبني كامل سياستها على الأساس القويم، الاعتماد على الشعب، على تسليح الشعب والثقة التامة ب جماهيره ومنظماته الواعية، وفسح المجال الواسع أمام هذه الجماهير لتنظيم نفسها والتعبير عن إرادتها.. إننا ندعو حكومتنا الى المبادرة فوراً الى إعلان سياسة خارجية حازمة بالخروج فوراً من ميثاق بغداد وإلغاء الاتفاقيات الاستعمارية الاستعمارية، والإسراع بإقامة اتحاد فيدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة وإعادة علاقاتنا الدبلوماسية مع صديق شعبنا والشعوب العربية الوفي الاتحاد السوفيتي وسائر الدول الصديقة.

أما في ميدان السياسة الداخلية، فأنا ندعو حكومتنا الى اتباع سياسة صارمة تجاه كافة الخونة عملاء الاستعمار، وتطهير أجهزة الدولة منهم. ندعو حكومتنا الى تجنب كل ما من شأنه فتح ثغرات داخلية بين الشعب وقواه المناضلة وبين السلطة فمن مثل هذه الثغرات ينفذ العدو المتربص بنا.

ندعو حكومتنا الى المبادرة فوراً بإطلاق سراح كافة السجناء السياسيين الأحرار المناضلين الشجعان ضحايا الحكم الاستعماري عرباً وأكراداً وإعادة العراقيين المسقطه عنهم الجنسية العراقية والمشردين والمنفيين والمحكومين بالإعدام في كافة أنحاء الوطن.

يا جماهير شعبنا البطل:

ان مستقبل حركتنا يتوقف على نضالكم ويقظتكم فبادروا لتأليف لجان الدفاع عن الجمهورية في المعامل والمحلات والقرى والمؤسسات ونظموا فصائل المقاومة الشعبية كما في مصر وسوريا أثناء العدوان على مصر والتهديد بالعدوان على سوريا. وعلينا شعباً وحكومة ان نتعلم درساً بليغاً وعبرة كافية من تجربتي الأردن وإيران، ونحن قادرون على تجنب الوقوع في أخطاء مماثلة لتلك التي ارتكبتها حكومتنا مصدق والنايلسي.

إننا نحن الشيوعيين العراقيين، الذين صعد قادتنا بأقدام ثابتة على سلال مشانق المستعمرين وخر صريعاً برصاص البغي والجلادين مئات من خيرة أعضاء حزبنا، وقضى آلاف منهم زهرة شبابهم وربيع أعمارهم في سجون الاستعمار ومنافيه، اننا نحن الشيوعيين كان لنا شرف الدعوة الى الجمهورية، وشرف النضال مع سائر القوى الوطنية وعلى رأسها الجماهير الشعبية بتصميم ونكران ذات من اجل الأهداف التي قامت من اجل تحقيقها جمهوريتنا العراقية، نعاهد شعبنا الأبوي الوفي على أننا سنمضي قدماً الى آخر قطرة من دماننا وبكامل قوانا بالنضال من اجل صيانة جمهوريتنا العراقية الوطنية من اجل اجتثاث آخر بقايا الاستعمار، وتطهير أرض الوطن الحبيب من عملائه، وفي سبيل حياة حرة ديمقراطية كريمة لجماهير العراق ومن اجل الوحدة العربية والسلام والتقدم.

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي / بغداد 14 تموز

بقية حديث سلام عادل لجريدة اتحاد الشعب حول مؤامرة الشواف 1959

سؤال - كيف يمكن - في رأيكم - تنشيط جبهة الاتحاد الوطني وزيادة فعاليتها الى مستوى ما يتطلبه الوضع الراهن؟

جواب - ان حزبنا انتهج على الدوام وبثبات سياسة الجبهة الوطنية. وإن الشعب العراقي، نتيجة لتجربته الطويلة في الكفاح الوطني، قد أدرك جيداً أهمية وحدة القوى الوطنية في النضال ضد الاستعمار.

وكانت كل الأحزاب والقوى الوطنية مقتنعة، قبل ثورة 14 تموز، بأن ليس باستطاعة أي حزب بمفرده أو أي جهة وطنية ان تأخذ على عاتقها مهمة تحرير البلاد وتحقيق الاستقلال الوطني. وغداة 14 تموز، عندما أصبحت الحلقة المركزية في النضال الوطني، هي صيانة الجمهورية، أعلن حزبنا بصراحة ان هذه المهمة هي الأخرى، لا يمكن تحقيقها بجهود حزب معين أو قوة معينة. وأن السبيل الوحيد لصيانة الجمهورية واستقلالها الوطني هو سبيل تضافر جهود كل الأحزاب والقوى الوطنية. وقد استرشد حزبنا بأمانة تامة وتمسك بقوة بهذه السياسة الوطنية. ورغم التطورات التي حدثت منذ 14 تموز حتى الآن، فإن هذا الاستنتاج ما يزال صائباً كل الصواب. ومن الواجب ان يتم الإقرار بصوابه والعمل بموجبه من جانب كل الأطراف وكل القوى الوطنية من الشعب والجيش على السواء.

ان جبهة الاتحاد الوطني مدعوة الآن الى إعادة النظر بجديّة في بنائها وأسلوب عملها. فقد كانت جبهة الاتحاد الوطني - كما هو معلوم - قد تأسست في ظروف استعمارية قمعية بغیضة وانتهجت سبل العمل السري الضيق. واكتفت بارتباطات ممثلي القوى الوطنية من الأعلى دون ان يكون لها مجال الاعتماد على المنظمات الجماهيرية التي كانت هي الأخرى تجابه ظروف القمع والتضييق.

ولكن الأوضاع الراهنة تختلف اختلافاً جوهرياً - وخصوصاً بعد الانسحاب من حلف بغداد - في ظل جمهورية وطنية تعتمد على تنظيم الشعب وإرادته الى حد بعيد. وهذا يستوجب ان تجري إعادة النظر في بناء الجبهة وأسلوب عملها، على أساس السياسة الوطنية الديمقراطية التي عبرت عنها الغالبية الساحقة من جماهير الشعب والتي تحدد المعالم العامة لسياسة جمهوريتنا البطلة تحت زعامة ابن الشعب البار عبد الكريم قاسم.

سؤال - لقد أكدتم في أجوبتكم، على سياسة الجبهة الوطنية، فكيف ينبغي في رأيكم انعكاسها في السياسة الاقتصادية للبلاد؟

جواب - تحاول بعض الأوساط الرجعية والمغرضة نشر الأكاذيب حول سياسة حزبنا في الظروف الراهنة فتدعي بأننا نقف ضد نشاط الرأسمالية الوطنية، أو أننا

ندعو الآن لتطبيق الاشتراكية وغيرها من الأراجيف التي يستهدفون منها شق وحدة الشعب بكافة طبقاته الوطنية، وبالتالي شق القوى الوطنية مما لا ينتفع منه سوى الاستعمار وأعداء الجمهورية.

وواضح ان هذه المحاولات حاق بها الفشل التام، ذلك لأن المواطنين العراقيين مطلعون تماما على سياسة حزبنا ونشاطه فيما يتعلق بالسياسة الاقتصادية للبلاد. فقد أكد الاجتماع الموسع للجنة المركزية لحزبنا المنعقد في أوائل أيلول 1958 المطالبين الاقتصادية التالية:

"اتخاذ التدابير اللازمة لحماية اقتصادنا الوطني والاهتمام بمشاكل الجماهير المعاشية، تحرير تجارتنا من الكتلة الاسترلينية، تعزيز العملة العراقية، فرض رقابة صارمة على شركات النفط وسائر الشركات والبنوك الاستعمارية وحماية شعبنا من نهبها، تشجيع الصناعة الوطنية والرأسمال الوطني، القضاء على أسلوب الاستغلال شبه الإقطاعي في الريف، مصادرة أراضي الخونة من الإقطاعيين وكبار الملاكين الذين ثبت أو سيثبت تعاونهم مع الاستعمار وتأميرهم على البلاد وتوزيعها هي مع الأراضي الأميرية الصرفة أو المنهوبة لحساب الإقطاعيين وعملاء الاستعمار على الفلاحين، تحديد ملكية الأرض تحديداً يضمن مصالح الفلاحين وصغار الملاكين. اتخاذ التدابير لحماية طبقتنا العاملة من البطالة ولرفع أجورها وتحسين ظروف عملها ومعيشتها، إلغاء الضرائب غير العادلة".

كما أكدنا على: "ضرورة تعزيز علاقتنا الاقتصادية مع الاتحاد السوفياتي والصين وسائر أقطار معسكر الاشتراكية التي أثبتت صداقتها لشعبنا ونزاهتها في التعاون مع الأقطار الراغبة في ذلك".

هذه هي الخطوط العامة التي طالبنا بها وعملنا من أجلها في الحقل الاقتصادي. وواضح ان حكومة الجمهورية قد خطت خطوات كبرى موفقة في هذا الشأن وعلى الأخص فيما يتعلق بالإصلاح الزراعي والقضاء على الإقطاع وكذلك الاتفاقية الاقتصادية مع الاتحاد السوفياتي، التي ستفتح أمام البلاد مجالا واسعا للتطور الصناعي والتكنيكي، والاتفاقيات الاقتصادية الأخرى التي حررت تجارتنا الخارجية من التبعية الاستعمارية وفتحت أمامها أسواقا جديدة لمنتجاتنا المحلية.

ان ما يواجهه بلادنا الآن في الميدان الاقتصادي هو تعزيز هذه السياسة والمضي في تنفيذها بأقصى سرعة ممكنة لكي تعطي ثمارها لسائر طبقات الشعب.

ومن الممكن هنا الإشارة الى بعض القضايا التي تستوجب الاهتمام. فبالنسبة لقانون الإصلاح الزراعي يحاول بعض الإقطاعيين والملاكين الكبار مقاومة تنفيذه على الوجه المطلوب والممكن، وذلك بسبل مختلفة في الضغط والمناورة وحتى تخريب الإنتاج. ان الحل لا يكمن بالطبع في الرضوخ لضغوطهم حتى ولو لشعرة واحدة، فإن مثل هذا الرضوخ سيؤدي الى مضاعفة العراقيل أمام الجمهورية، بل يكمن في الضبط

في التنفيذ الحازم لقانون الإصلاح الزراعي الذي هو ثاني أهم إنجازات الثورة بعد التخلص من ميثاق بغداد. ومتى ما تسلم الفلاحون أرضهم فإن إمكانيات الإقطاعيين في الضغط والتهديد والتخريب ستتضاءل الى حد كبير مما سيساعد على تطوير الإنتاج الزراعي لصالح البلاد. ولدينا مثال - العمارة - خير مثال يحتذى في هذا السبيل، ويؤكد بدوره صواب وجهة نظرنا.

كما ينبغي الإشارة الى ضرورة الإسراع في تشريع قانون العمل والضمان الاجتماعي الجديد، ومراقبة تنفيذه لصيانة الحقوق المادية للطبقة العاملة، هذه الحقوق التي انتهكت سنوات طويلة. واتخاذ التدابير المدروسة للقضاء على البطالة. ان بعض المؤسسات تحاول استغلال وطنية الطبقة العاملة وحرصها على عدم خلق المتاعب للجمهورية في هذه الظروف الدقيقة، فتفرض على العمال شروطاً قاسية للعمل، هذه المسألة ينبغي ان تنال اهتماماً جدياً من السلطة المسؤولة.

ومن الضروري الإسراع في تنفيذ الاتفاقيات الاقتصادية مع الاتحاد السوفياتي وسائر الاتفاقيات التجارية التي عقدت في عهد الثورة، واتخاذ تدابير جديدة لتشجيع الرأسمال الوطني الفردي في التوجيه نحو المساهمة في تصنيع البلاد.

هذه - بصورة عابرة - المطالبات الاقتصادية التي ينبغي على أساسها ويمكن توحيد كل طبقات الشعب الوطنية في نضالها لصيانة الجمهورية والدفاع عنها. وواضح أنها مطالبات تكمن في ثناياها مصلحة كل هذه الطبقات الوطنية، ومصلحة تقدم البلاد وتطورها نحو مستقبل أفضل. وإنها ليست مطالبات اشتراكية بأي حال.

سؤال: أخيراً ما هي سياسة الحزب فيما يتعلق بمستقبل علاقات العراق بالبلدان العربية الشقيقة؟ وهل طرأ عليها أي تبدل بعدما انكشف الى هذه الدرجة الموقف العدائي لبعض حكام العربية المتحدة من الجمهورية العراقية؟

الجواب - ان سياستنا العربية تنهض على أساس ان العراق جزء لا يتجزأ من البلدان العربية، وإن ثورتنا الوطنية الديمقراطية في العراق هي جزء من الثورة الوطنية الديمقراطية العربية. وإن الأمة العربية التي تربطها الآن وحدة الكفاح ضد الاستعمار وأعوان الاستعمار وضد الرجعية، هي الآن في سبيل صنع مستقبلها الموحد أيضاً، الذي سيبنى كياناً متحرراً ديمقراطياً متحداً. وكل ما سبق ان ذكرناه بهذا الخصوص هو الذي يرشد حزبنا في الطرف الراهن وفي المستقبل أيضاً. فهذه مسألة تاريخية موضوعية حتمية، غير متعلقة بالأوضاع الطارئة وبإرادة هذا الشخص أو ذاك ممن ينحدرون الى الوقوف بوجه عجلة التاريخ.

وسبق ان أعلننا بأن الطريق لتحقيق أهداف الأمة العربية في الوحدة المنشودة، سبأخذ سبلاً متباينة، ويجري وفق خطوات مختلفة، المهم فيها، أنها ستعزز حركة التحرر الوطني العربية، وتخطو بها نحو وحدة ديمقراطية سليمة.

وعلى هذا الأساس طرحنا غداة ثورة تموز شعار الانضمام الى اتحاد الدول العربية

جنباً الى جنب مع الجمهورية العربية (المتحدة) واليمن على أساس فدرالي. وكان هذا الشعار تقديمياً يخدم قضية الأمة العربية، لأنه كان في ذلك الحين يقوم على أساس تضامن نسبي قائم فعلاً بين هذه البلدان الشقيقة. ولكن الأحداث في الأشهر الأخيرة وبوجه خاص إصرار بعض حكام الجمهورية العربية المتحدة أرادوا فرض وحدة اندماجية على العراق بأسلوب غير ديمقراطي تكريساً لأطماعهم الشخصية.

جزء من كراس (انتفاضة عام 1956 ومهامنا في الظرف الراهن)¹⁹¹

"أسفرت الحرب العالمية الأخيرة عن تحول جذري في ميزان القوى لصالح معسكر الشعوب والاشتراكية. فلقد تم القضاء على دول المحور الثلاث وخرجت دولتان من دول الاستعمار الكبرى هما بريطانيا وفرنسا، وقد فقدتا الكثير من قوتهما ونفوذهما وانحسر ظل الاستعمار من رقعة شاسعة من العالم وأصيب النظام الاستعماري بتصدع كبير. وفي الجبهة المقابلة اتسعت رقعة العالم الاشتراكي وتعزز الى حد كبير معسكر الحرية والسلم بقيادة الاتحاد السوفيتي وسجلت فترة ما بعد الحرب تعاظما شديدا لأفكار الحرية ولحركة الشعوب في سبيل التخلص من الاستعمار"¹⁹².

وطبيعي ان هذا الوضع الذي نشأ في أعقاب الحرب لم يرق لأقطاب الاستعمار وطواغيت الاحتكارات الكبرى، ولذلك نجد الولايات المتحدة الأمريكية التي لم تتعرض لويلات الحرب وانما أثرت منها إثراء فاحشا تسارع الى أخذ دور القيادة في النظام الاستعماري العالمي وتعمل بالاشتراك مع حلفائها لإنقاذ مواقع الاستعمار المتزعزعة ولسلب مكاسبها وبالتالي إعداد العدة لشن الحرب ضد الاتحاد السوفيتي ومعسكر الاشتراكية على أمل بسط سيطرة الاستعمار الأمريكي على العالم"¹⁹³.

وهكذا لم تكد تمضي سنة واحدة على انتهاء الحرب حتى شهد العالم نشاطا كبيرا للسياسة الاستعمارية في مختلف بلدان المنظومة الاستعمارية ولا سيما أوروبا وآسيا. وقد اتخذ هذا النشاط في البداية طابع عملية إنعاش لقوى الاستعمار وتقوية تسليحها ووضعها تحت إشراف وقيادة الولايات المتحدة. فكان "مشروع مارشال" أولا ثم "حلف شمالي الأطلسي" والأسرة الأوروبية ومشاريع المساعدات والقروض لبلدان أوروبا"¹⁹⁴

وقد استهدف الشرق الأوسط لهجوم السياسة الاستعمارية منذ السنة الأولى لانتهاء الحرب واتخذ هذا الهجوم أشكالا مختلفة كان أبرزها محاولات الدول الاستعمارية إرغام بلدان هذه المنطقة على الاشتراك في مشاريعها الحربية التي شاءت ان تطلق عليها "مشاريع الدفاع عن العالم الحر"¹⁹⁵

وشهد عام 1952 تطورا ظاهرا في الحركة التحريرية لبلدان الشرق الأوسط. فقد أنجزت إيران تأميم نفطها، وتحت وطأة حركة التأميم الإيرانية ونضال الشعب العراقي

191 - تفصيل لما مذكور في الفصل 22.

192 - كراس (انتفاضة 1956 ومهامنا في الظرف الراهن) الصادر في الأول من أيار "مايو" 1957. من منشورات الحزب الشيوعي العراقي موقع باسم المكتب السياسي للحزب ص ص 1 و 2.

193 - المصدر السابق.

194 - المصدر السابق.

195 - المصدر السابق.

اضطرت بريطانيا الى تعديل اتفاقية النفط العراقية - البريطانية. وفي السنة ذاتها أسقط النظام الملكي في مصر وانتفض لبنان ضد الأوضاع التي كان يحتج عليها واتخذت سورية موقفا معارضا للمشاريع الاستعمارية والتدخل الأجنبي. أما العراق فقد هب الشعب العراقي هبة بطولية في تشرين الثاني عام 1956 مطالبا برفض مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط، وبإطلاق الحريات الديمقراطية وانتهاج سياسة تخدم وتستجيب لرغبات الشعب" 196

وجدد الاستعمار محاولاته مرة أخرى، ففي صيف 1953 زار دالس وزير خارجية الولايات المتحدة بلدان الشرق الأوسط وإذ لمس شدة المقاومة لمشاريع التكتلات الاستعمارية في مصر وسورية ولبنان وغيرها ارتأى ضرورة نقل النشاط الاستعماري لتكوين التكتلات الى مثلث أنقرة - كراحي - بغداد، فكانت فكرة "الحزام الشمالي" ومن ثم فكرة "حلف بغداد". "ووفقا لتوجهات السياسة الأمريكية عقد الحلف التركي - الباكستاني عام 1954، وفي الوقت نفسه عقدت اتفاقية الأمن المتبادل بين العراق والولايات المتحدة باعتبارها خطوة لضم العراق الى حلف تركيا - باكستان" 197

ومنذ أوائل عام 1954 على وجه الخصوص تطور النضال العربي ضد الأحلاف الأجنبية تطورا عظيما واتخذ النضال ضد الاستعمار شكلا حازما ومؤثرا... فتوصلت مصر الى عقد اتفاقية الجلاء مع بريطانيا ورفضت السعودية اتفاقية الأمن المتبادل مع الولايات المتحدة وصمدت سورية ولبنان ومن ثم استطاعت سورية ان تسقط النظام الدكتاتوري وتختط لنفسها سياسة عربية تحررية نشطة" 198

وازاء هذه التطورات شعر الاستعمار ان مصالحه قد باتت في خطر عظيم بعد ان منيت مساعيه بالفشل وبدأ يفقد مواقعه تحت ضربات الشعوب العربية. وهنا لجأ الى الإرغام لفرض بالقوة حلف بغداد على العراق عام 1955 بعد ان عطل إرادة الشعب تعطيلًا تامًا، كما فرضه على إيران بعد ان أغرق حركتها التحررية بالدماء... "لقد قضى الشعب الأردني بوثبة باسلة جريئة على محاولات ربطه بهذا الحلف... وفشل الاستعمار في فرض حلف بغداد على سورية رغم ما بذل من جهود ودبر من مؤامرات، كما لم يستطع حتى الان استدراج لبنان، أو السعودية، أو السودان، أو شمال أفريقيا إليه. وفي الوقت نفسه أخفقت مؤامرة الانقلاب في اليمن عام 1955 وظلت اليمن تسير في طريقها المعادي للاستعمار" 199

فأول مرة منذ قرون تبدو حركة العرب التحررية على هذه الدرجة من القوة والحيوية ووحدة الاتجاه. ففي سبيل طرد الاستعمار من العالم العربي وفي سبيل الرد

196 - المصدر السابق.

197 - المصدر السابق.

198 - المصدر السابق.

199 - المصدر السابق.

على عدوانيته ومؤامراته، اتجهت البلدان العربية الى عقد ميثاق الدفاع العربي وميثاق التعاون الاقتصادي والسياسي والثقافي، كما اتجهت الى عقد المؤتمرات لتوحيد مواقفها السياسية وتنسيق جهودها الرامية الى صد المؤامرات الاستعمارية واعمال العدوان والى تحرير العالم العربي وتوحيد الأمة العربية"200

فعندما نهضت مصر وسورية والعربية السعودية والأردن وغيرها من البلدان الشقيقة وراحت تتحالف وتوطد أركان سيادتها الوطنية، خصوصا بعد الخطوة العظيمة التي خطتها مصر بتأميم شركة قناة السويس تمركز في روع الاستعمار احتمال خسارته نفط البلاد العربية، ونفط العراق على وجه الخصوص. ولذلك نجد أقطاب الاستعمار، لا يفتنون بصرحون، ان حلف بغداد لا هدف له الا حماية آبار البترول في الشرق الأوسط وانهم على استعداد للقتال في سبيل حماية هذه الثروات التي بدونها لا يستطيع العالم العربي ان يقف على قدميه"201

وإن فينبغي الأخذ بنظر الاعتبار، ان الاستعماريين وحلفاءهم في الداخل، لن يخلوا مواقعهم بسهولة، ان النضال الشاق في سبيل فرض سياسة وطنية عربية مستقلة، يستوجب لهذا السبب ان نأخذ

في الحسبان بعض الاحتمالات التي تصطدم بها حركتنا في الظروف المقبلة"202

يدرك الاستعماريون، ان ضمانه النجاح الرئيسية لمعركة التحرر الوطني في العراق، شأن البلدان العربية الأخرى، هي الحركة العربية التحررية المتضامنة، واندفاعها النشط في سبيل السيادة الوطنية والوحدة القومية الكفاحية، ولذلك فانهم بعد ان تعطلت بأيديهم أسلحتهم التقليدية... راحوا يفكرون بالوسيلة الأخيرة، وسيلة التدخل المسلح لتحطيم الجبهات العربية المتحالفة.

غير انه بالنظر الى ان جميع البلدان العربية المتحالفة هي أقطار ذات سيادة وأعضاء في الأمم المتحدة وبالنظر الى موجة الوعي الوطني الديمقراطي التي طغت على الأمة العربية، والتطورات الدولية التي من أهمها وقوف الاتحاد السوفيتي على رأس المعسكر الاشتراكي الجبار موقف الحارس الأمين على مصائر الشعوب، فأن التدخل المسلح المباشر يصبح مهمة في غاية الصعوبة على المستعمرين، لأنه سيؤدي الى مجابهة قوى محلية وعالمية جبارة مما يعرض مصالح ومركز المستعمرين الى أشد الخطر وقد يسفر عن طردهم الى الأبد من هذه البقعة من العالم!

ولكن رغم ذلك، فان خطر احتلال البلدان العربية بالجيوش الأجنبية أو على الأقل إنزال جيوش أجنبية في مواقع معينة منها لا يزال في مركز اهتمام الدوائر

200 - المصدر السابق.

201 - الوثيقة الصادرة عن الكونغرس الثاني للحزب الشيوعي العراقي المنعقد في شهر أيلول "سبتمبر" عام

1956 ص 27 و28.

202 - المصدر السابق.

الاستعمارية، وقد بدا ذلك جليا عندما استعملت مصر حقها في تأمين قنال السويس. وهي إذ تذهب الى التفكير بمثل هذا التدبير لا تعدم الحيلة في ابتكار الذرائع. ولذلك نجد ان التهديد بإرسال الجيوش الأجنبية الى البلدان العربية، يقترن على الأكثر بذريعة "إقرار السلام" و "رفع الحيف والاعتداء" في نزاع مسلح محتمل الوقوع بين العرب وإسرائيل.

سلام عادل
سكرتير الحزب الشيوعي العراقي

رد على مفاهيم برجوازية قومية وتصفوية

في أواخر حزيران الفائت تلقت قيادة الحزب عدداً من الرسائل والتقارير من الرفاق في قيادة المنظمات الحزبية في كردستان. وهي تحمل آراء ومقترحات لا لسياسة لحزب العملية فحسب، بل ولأسس بناء الحزب ووحدته ولمبادئ الماركسية اللينينية ولضرورات وحدة كفاح الشعبين العربي والكردي ضد الاستعمار والرجعية في العراق.

ولقد اتضح منها ان ريفيين من قادة إحدى منظمات الحزب عوضاً من ان ينشطوا في اتجاه الحزب لتوحيد القوى الوطنية في كردستان فأنهم دخلوا دون تخويل من قيادة الحزب أو من لجنة فرع كردستان في مفاوضات مع ممثلين من الحزب الديمقراطي الموحد في كردستان (البارتي) من أجل (وحدة) ليس لها أي أساس فكري أو سياسي أو اجتماعي أي من أجل (وحدة) انتهازية على حساب مصلحة الشعب العراقي بما فيها الشعب الكردي وعلى حساب الحزب الشيوعي والمبادئ الماركسية اللينينية التي ينهض عليها كيانه وعلى حساب الدور الذي ينبغي ان يقوم به في الحركة الوطنية والقومية، فضلاً عن ان هذين الرفيقيين قد تصرفا بروح منافية للتمسك الدقيق بوحدة الحزب في مجالها الخاص ولكن قيادة فرع حزبنا الشيوعي في كردستان بدلاً من ان تقف موقفاً صريحاً وقوياً تجاه هذا الانحراف القومي البرجوازي التصفوي فأنها انسأقت هي بدورها فيه ودعت إلى اجتماع لا مبرر له حضره - عدا لجنة الفرع ريفيان من قادة المنظمات الحزبية وأيدت مجمل الآراء والاستنتاجات التي تميز هذا الانحراف القومي البرجوازي التصفوي والصريح ورفعت تقارير ومحاضر ورسائل بهذا الشأن إلى قيادة الحزب طالبة منها الإقرار بها وتبنيها كما أرفق بعض الرفاق رسائلهم بتحد بين لقيادة الحزب ولمبدأ المركزية الديمقراطية فيه ولا شك ان هذا الانحراف لم يكن شيئاً مفاجئاً بشكله العام، فنظرة الانعزال القومي المظلة الانفصالية بين مثقفي البرجوازية الصغيرة الكردية لها جذور تاريخية واجتماعية متشعبة وهي تجد التشجيع كل التشجيع من القوى المعادية لوحدة الشعب العراقي بعربه وكرده ضد الاستعمار الانجلو أمريكي وصنائه المحليين. ومالم يقف الوطنيون والقوميون والصادقون من الأكراد والعرب وفي مقدمتهم الشيوعيون موقفاً حازماً وصريحاً إزاءها، وفي الدفاع عن الوحدة الشعبية المتينة فأنها ستؤثر لافي حرف نضال جماهير الشعبين العربي والكردي عن طريقها الصحيح الوحيد للتحرير الوطني والقومي وحسب، بل يمكن ان تتسلل إلى صفوف المناضلين الطليعيين الشيوعيين أيضاً.

لقد وجه الحزب رفاقه خلال السنتين المنصرمتين بوجه خاص الى ضرورة وأهمية استيعاب الحركة القومية مطالبها ومشاعرها، وبين ان الشيوعيين لهم من

203 - جاء في كتاب عزيز سباهي ج2 ص239، ان هذا الكراس من تأليف عزيز الشيخ، حسب تأييد كريم احمد. ولعلم القارئ ان الرفيق كريم احمد كان في السجن في تلك الفترة منذ عام 1955 ولم يطلق سراحه الا بعد نجاح ثورة 14 تموز 1958.

المؤهلات الكاملة والأصالة للوقوف لا في طليعة الحركة الوطنية وحسب، بل في طليعة الحركة القومية العربية والكردية في قطرنا أيضاً ألا انه يبدو ان بعض الرفاق الذين لم يستوعبوا أفكار الحزب وسياسته استيعاباً كاملاً ومنهم الرفاق جابر وشاكر وقه لغان وشريف وقه لا وقد تفهموا أفكار الحزب وسياسته فهماً خاطئاً لم يعطهم الصيانة الضرورية اتجاه روح الانعزال القومي المعادية للشعب الكردي ولسائر جماهير الشعب أيضاً. كما ان بعض الاوضاع الذاتية التي تتعلق ببعض الرفاق المعنيين قد سهلت انزلاقهم في هذا المجرى المناهض لأفكار الحزب وسياسته ووجدته ولا شك ان الحزب كان قد بذل جهداً فكرياً مناسباً لتوضيح وشرح سياسته في المسألة القومية ولمساعدة المناضلين في التخلص من الأفكار الذاتية المترسبة من أوضاع سابقة.

واتجاه المشكلة التي أثارها الاثنان ورفاق آخرون فان قيادة الحزب بذلت جهداً لعدم تكرار الأمثلة السيئة التي سبق وان عولجت بها حالات من هذا القبيل وقد وقفت قيادة الحزب بحزم مبدئي لا تتطرق إلي اليه روح التلطيف والمهادنة اتجاه ما يمس مصلحة الحزب والحركة والشعب وفي الوقت نفسه فإنها اعتمدت على ثققتها بإخلاص هؤلاء الرفاق لأمتهم وشعبهم وحزبهم والشيوعية وضعت نصب عينيها العمل على تصحيح أفكارهم ومواقفهم والمحافظة عليهم أمناء في الحزب الشيوعي الذي كرسوا كل طاقاتهم وإمكانياتهم لخدمته ومن اجل بناءه وتقدمه وقد انعقدت عدة اجتماعات لهذا الغرض مع قيادة الحزب وكذلك بين الرفاق أنفسهم كما ان قيادة الحزب وجهت إلى الرفاق المعنيين رسالة ترد فيها كل أفكارهم الخاطئة الواردة في تقاريرهم ورسائلهم ونوقشت هذه الرسالة في اجتماع عقد للرفاق. وبالفعل فان هذه الجهود المستندة إلى قوة المبادئ وسياسة الحزب الصحيحة قد أجرت انعطافاً لدى الرفاق المعنيين من حيث نظرتهن للمسائل المطروحة وبدأت تنهار في أذهانهم الأفكار الخاطئة التي كانوا يتبنونها وأعلنوا تمسكهم التام بسياسة الحزب. ولكن ذلك لم يجعل من المسألة شيئاً منتهياً، بل الامر على العكس فقد تنبه الحزب بقوة الى ضرورة رفع كفاحه الفكري ضد الأفكار الغريبة التي تحيطنا فتشكل ضغطاً مستمراً يرمي إلى حرف المنظمات والرفاق في تطبيقهم لسياسة الحزب.. وعندما تتسلل مثل هذه الأفكار إلى خيرة رفاقنا في كردستان فان ذلك يعني ان هنالك خطراً لا يمكن الاستهانة به من جرائها خصوصاً في الظروف الحادة والمتشابكة التي تمر بها حركتنا الوطنية والتي يحاول فيها المستعمرون اليايسون التشبث بكل شيء للخروج من أزمتهن والحفاظ على نفوذهم ومصالحهم الاستغلالية الجشعة ... وليس عبثاً ان ينشط الان صنائع المستعمرين وخصوصاً صنائع الأمريكان والخونة والجواسيس لتحفيز (حركة قومية) كردية في الظاهر وتخدم الاستعمار في الواقع حركة لا يمكن ان يكون نشاطها بأي حال من الأحوال إلا خيانة صريحة لقضيتنا الوطنية ولقضية الشعب الكردي نفسه الذي ليس أمامه مطلقاً سوى طريق الكفاح المشترك مع الشعب العربي في العراق ومع سائر الاقليات القومية فيه من أجل الاستقلال والتحرر الوطني والديمقراطية.

والشعب الكردي لا يمكن ان يسير وراء حركات مشبوهة تستهدف استبدال شكل من الاستعمار بأخر أشد ضراوة وبشاعة منه يتسلم فيه الزمام صنائع الأمريكان وخدمهم وهو لا يمكن ان يستعيز عن تحرره الوطني الناجز في عراق حر مستقل تمارس فيه قومياته الرئيستان العربية والكردية حقوقاً ديمقراطية متساوية بحركة انفصالية تسير دواليبها دسائس المستعمرين الأمريكان أو استقلال مزيف يضع الشعب الكردي مرة ثانية أمام مهمات التحرر الوطني من الاستعمار وصنائه.

وكجزء من كفاح الحزب الفكري والسياسي ضد دسائس الاستعمار والرجعية ومن أجل رفع يقظه الرفاق إزائها فإن قيادة الحزب ارتأت نشر رسالتها إلى قادة المنظمات في كردستان وكذلك نشر بعض المقتطفات التي تلقي ضوءاً على تراجع الرفاق عن أفكارهم الخاطئة وتمسكهم بسياسة الحزب ولا شك ان هذا الكراس سيلقى اهتماماً من جميع مناضلي الحزب وخصوصاً في كردستان وكذلك من سائر الوطنيين والقوميين المعادين للاستعمار والرجعية الخائنة.

وقد يخطر ببال البعض ان من المستحسن تجنب مناقشة طبيعة وسياسة الحزب الديمقراطي الموحد في كردستان (البارتي) في هذا الوقت الذي يتجه فيه نشاط الحزب الرئيسي من أجل تقوية لحمة القوى الوطنية، ولكن هذا الرأي خاطئ من الأساس وذلك:

أولاً - لأن البارتي يصر ويوغل في سلوك خاطئ معاد لحزبنا ولأفكار الماركسية اللينينية وتبني سياسة انتهازية تزرع البلبلة والتشويش في صفوف المناضلين وتؤدي بحركة الشعب الكردي الى الانحراف نحو الانعزالية فالانفصالية وأن حمل البارتي على التخلي عن هذه الافكار وتلك السياسة هو بحد ذاته تقوية واضحة للحركة الوطنية والقومية.

ثانياً- لأن مجهود حزبنا من أجل الجبهة الوطنية الموحدة لا يتنافى ولا يتعارض مع كفاحه الفكري الخاص من أجل توضيح وتثبيت أفكاره وسياسته التي تتفق تماماً مع مصلحة حركتنا الوطنية والقومية وبالتالي تخدم تورطهما ومستقبلهما ولا يتنافى مع إبداء رأينا في طبيعة الأحزاب القائمة ومع نقدنا لمواقفها وآرائها الخاطئة.

ثالثاً- لأن حزبنا في موقفه هذا لا يتخلى، بل يتمسك بحرص أكثر بآرائه ومقترحاته الإنشائية الواردة في هذا الكراس حول إعادة النظر في علاقة حزبنا بما يكفل تجنب منظماتها في كردستان أخطار المماحكة والتنافر ومن أجل التقدم بخطوة جديدة في سبيل الجبهة الوطنية الموحدة في العراق.

ونحن ننتهز هذه الفرصة للتأكيد مرة أخرى بأننا على استعداد تام لمد أيدينا لكل من يمد لنا يداً واحدة إذا كان الأمر يتعلق بخدمة جماهير شعبنا العراقي ومصلحة تحرر وطننا من طغيان الاستعمار وعملائه الرجعيين.

20 آب 1957

جواب قيادة الحزب على رسائل وتقارير لجنة فرع كردستان للحزب الشيوعي العراقي ورفاق آخرين:

الى الرفاق الأعزاء جابر وشاكر وقه لغان وشريف وقه لا
تحية رفاقية حارة

تلقينا تقاريركم حول مسألة (الوحدة) مع البارتى وتشمل:

أولاً: تقرير الرفيق وقه لغان المؤرخ 1957/6/19 وملحقه المؤرخ 06/20.

ثانياً: تقرير المجتمعين الرفاق جابر وشاكر وقه لغان وشريف وقهلا المؤرخ 06/19.

ثالثاً: تقرير لجنة الفرع.

رابعاً: محضر اجتماع لجنة الفرع المؤرخ 06/22.

خامساً: ملاحظات الرفيق شريف.

وواضح ان ما تضمنته هذه الوثائق يمثل آراءكم جميعاً من حيث توصلها الى نتيجة واحدة كما لم يرد من أي منكم أي اعتراض على الأفكار الواردة في أي من هذه الوثائق. ونظراً لخطورة الأخطاء التي وقعت فيها فقد تعين علينا ان نبادر الى تنفيذ أخطائكم وتصحيحها.

أولاً - البارتى ليس منظمة ماركسية لينينية، بل قومية برجوازية

يتضح بجلاء ان البارتى أعتبر منظمة ماركسية لينينية فالرفيق قه لغان يقول:

(لقد جرت بيننا وبين منظمة البارتى في (س) مفاوضات بغرض تحقيق (الوحدة التنظيمية) بين الحزبين العاملين في كردستان) و (لم يظهر بيننا أي اختلاف حول ضرورة تحقيق هذه الوحدة بالسرعة الممكنة على أساس توحيد الطرفين في حزب موحد يدين بالماركسية اللينينية) ويستطرد دون ان يبدي أي اعتراض على رأي البارتيين في أنفسهم إذ ان (رفاقنا في (البارتى) لا يبدون أي تحفظات حول الماركسية اللينينية ولا يعتبرون أنفسهم أقل (شيوعية) منا على الرغم من اختلافاتنا في السابق حول كيفية تطبيق هذا المبدأ على ظروف كردستان. (ثم يقول في ملحق تقريره) ولم يكن الرأي السائد عند رفاقنا المتقدمين في (س) ان تجري هذه المفاوضات لغرض عقد (حلف أو جبهة) مع البارتى وذلك بغرض تحقيق الوحدة التنظيمية بين الطرفين لأننا لا نؤمن بكون البارتى حزباً وطنياً وحسب، ولكن كحزب يؤمن بالماركسية اللينينية رغم النواقص الموجودة فيه والتي نستطيع ان نقضي عليها بوجودنا في هذا (الحزب)!

يتضح من هذه المقتبسات ان البارتى أعتبر حزباً ماركسياً لينينياً أي حزباً شيوعياً

بينما هو لم يكن كذلك لا في ماضيه ولا في حاضره وهو لا يمكن ان يكون كذلك. وإذا كان فيه بعض الأفراد الذين يؤيدون الماركسية اللينينية بالكلام وفي تصريحات شفوية تقال همساً وفي ظروف معينة فإن التأييد ليس الاعتناق للنظرية والعمل بإرشادها ومع ذلك فإن هؤلاء لا يعبرون في تأييدهم هذا إلا عن وجهة نظرهم الشخصية في أحسن الأحوال كمؤيدين لا أكثر. فالشيوعي يقرن النظرية بالعمل وينتمي إلى حزبه، وهؤلاء لا يمثلون كل أعضاء البارتى وليسوا هم حزب البارتى ولا يمثلون نظريته وسياسته مهما كانت مراكزهم ووزنهم وتأثيرهم فيه!

لقد كونت البروليتاريا العراقية حزبا السياسي كما هو معلوم منذ العام 1934. فاذا كان البارتى منظمة تتبنى الماركسية اللينينية حقاً (وجهات نظرها في المسائل الأساسية في الماركسية وهي نفس وجهات نظر الحزب الشيوعي) (تقرير لجنة الفرع) فكيف يبيح لنفسه الاستقلال التنظيمي والعمل بصورة مستقلة عن الحزب الشيوعي العراقي؟ وكيف يبيح أولئك المناضلون العاملون فيه ممن يدعون بالشيوعية العمل خارج صفوف الحزب الشيوعي؟ بل باتجاه معاد له؟

ان المبادئ الماركسية اللينينية تعلمنا ان الطريق الصحيح أو الوحيد أمام كل فرد أو جماعة أو حزب يعتنق الماركسية اللينينية ان ينضم الى الحزب الشيوعي دون قيد أو شرط.

فاذا كان البارتيون ماركسيين لينينيين حقا أي شيوعيين فقد كان عليهم – ان هم رغبوا في تجنب سبيل الانشقاق الانتهازي – ان لا يؤلفوا حزب البارتى بل ان يحاولوا الانضمام إلى الحزب الشيوعي العراقي الذي كان منذ زمن بعيد وقبل تأليفهم لحزبهم موجوداً ويعمل وقد أبدى في السنتين الأخيرتين استعداداه الكامل لضم كل المخلصين العاملين من اجل رفع راية الماركسية اللينينية وتوحيد الحركة الديمقراطية في كردستان. أما إذا كان البارتى قد (تطور) بعد تأليفه إلى الأخذ بنظرية الماركسية اللينينية وهو الآن كذلك فما عليه إذا كان لا يريد ان يخون قضية الطبقة العاملة والشعب بشق حركتها إلا ان يكف عن التماذي في أخطاء بقاء تنظيمه المستقل عن الحزب الشيوعي. ذلك لأن ممثلي طليعة البروليتاريا يتجمعون في الحزب الشيوعي وليس ولا يمكن ان يوجد في العراق حزبان شيوعيان فالبروليتاريا العراقية طبقة واحدة ذات مصلحة واحدة واهداف واحدة ولهذه البروليتاريا منظمة واحدة هي حزبها الشيوعي.

ان تأريخ الحركة الشيوعية الأممية والحركة الشيوعية في بلادنا يزخر بالأمثلة التي تثبت إثباتاً رائعا حاسما هذه الحقيقة. ولم يمض إلا عام وبعض العام على مثل آخر تمدنا به تجربة حركتنا ذاتها إذ انحلت المنظمات التي سلكت سبيل الانشقاق مدى أعوام ووضعت حداً لما كانت تزعمه بأنها أحزاب شيوعية وما أشبه! إذ تبين لها بعد نضال مبدئي عنيف طويل قام به حزبنا وكل المخلصين لقضية الشيوعية في بلادنا بأنها في موقفها ذاك تقف صراحة ضد الماركسية اللينينية ووحدة الحزب فاعترفت

بخطئها ونبذته بإخلاص وحلّت نفسها وانضم مناضلوها الى الحزب. لقد انتصرت الإيديولوجية البروليتاريا والماركسية اللينينية والحزب الشيوعي وباءت بالخذلان ايدولوجية البتي برجوازية والانشقاقية والتيارات الانقسامية!

لقد فرغ الشيوعيون منذ زمن بعيد من نبذ وحرر الفكرة الانتهازية القائلة بصحة قيام أكثر من حزب شيوعي واحد في القطر المتعدد القوميات على اساس قومي والنظرية الماركسية اللينينية نظرية اممية لا تجيز، بل تعارض بحزم وقوة المزاعم والمحاولات البرجوازية لشق وحدة الطبقة العاملة السياسية (وليس وحدتها السياسية وحسب، بل وحدتها في العمل النقابي - وهو أدنى درجة - اذ لا يجوز تكوين نقابات على أساس قومي).

يقول ستالين: (وما يزال علينا ان نبت في مسألة كيفية تنظيم بروليتاريا مختلف القوميات في حزب عام وحيد فثمة خطة تقول بوجود تنظيم العمال على الخطوط القومية بقدر ما تكون لدينا من قوميات بقدر ما تكون لدينا أحزاب. ان الاشتراكيين الديمقراطيين (الشيوعيين) رفضوا هذه الخطة. فقد اظهرت التجربة بان تنظيم بروليتاريا دولة ما على الخطوط القومية تقضي الى تدمير فكرة التضامن الطبقي. (ان جميع البرولتاريين من كافة القوميات في الدولة المعنية يجب ان ينظموا في مجموعة بروليتارية وحيدة لا تتجزأ). (ستالين، المؤلفات الكاملة ج2 ص 58).

لقد أثبت ماركس وأنجلس ان "التاريخ بأسره (منذ انحلال الملكية الابتدائية المشاعية للأرض) كان تاريخ نضال بين الطبقات: الطبقات المستثمرة والطبقات المستثمرة - الطبقات السائدة والطبقات المسودة في مختلف مراحل تطورها الاجتماع" (البيان الشيوعي ص10). ويرهنا على ان النضال الطبقي هو القوة المحركة لتطور كافة المجتمعات - للتطور التاريخي بأسره. واستناداً الى التحليل العلمي أثبت مؤسس الشيوعية ان التناقضات الشديدة القائمة في المجتمع الرأسمالي لا يمكن التوفيق بينها وكانا يعتبران بحق (ان انقسام المجتمع (وبالتالي كل أمة) الى طبقات متناحرة هو أشد عمقا وأبعد في جذوره من انقسام الناس الى أمم) وكانا يقولان وأثبت ذلك تجربة الاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكي في أيامنا: (عندما يزول تناحر الطبقات في قلب كل أمة يزول في الوقت نفسه العداء والحد بين الأمم) (البيان الشيوعي ص 53-54).

وفي الوقت ذاته أكد ماركس وأنجلس على وحدة المصالح الطبقة بين عمال كافة الأمميين مصالح البروليتاريا ومصالح البرجوازية الوطنية والأجنبية على السواء كما أكدا ضرورة التضامن الكفاحي بين بروليتاريا جميع الأقطار إذ انه السبيل الوحيد لتحرير الإنسانية من الاستغلال الطبقي والاضطهاد الاجتماعي والقومي وهذا هو مغزى شعار الأحزاب الشيوعية الكفاحي: (يا عمال العالم اتحدوا)!

ومن هنا نشأت الأممية البروليتاريا التي هي إحدى خصائص المفهوم الشيوعي عن العالم.

وخلافا للبرجوازية ذات المصالح الأنانية الضيقة فإن البروليتاريا ليس لها أي مصلحة استغلالية ولهذا فهي عندما تناضل من أجل انتعاقها من النير الطبقي فإنما تناضل من أجل تحرير جميع الكادحين فهي إذن تمثل الأكثرية الساحقة من الأمة ومصالتها هي مصلحة كل الشعوب والإنسانية.

يقول ستالين: (... ان الدفاع عن مصالح البروليتاريا الطبقة هو في الوقت نفسه دفاع عن تقدم كل المجتمع ونضال بوجه عام في سبيل العدالة والمساواة في الحقوق لأن البروليتاريا مضطرة، بحكم نضالها التحرري، ان تحرر الإنسانية جمعاء، لأن البروليتاريا مضطرة بحكم انتصار مصالحها الطبقة لأن تعطي الشغيلة المضطهدين الحرية وتقضي على الطغيان والاستثمار. ان البروليتاريا لا تستطيع النضال في سبيل ذاتها دون ان يكون نضالها هذا في الوقت نفسه في مصلحة كل الشعوب وكل الإنسانية وهكذا فان نضال البروليتاريا هو النضال في مصلحة كل الشعب وكل الإنسانية).

وعدا ذلك فان الماركسية اللينينية تحارب بشدة المفاهيم البرجوازية وخصوصاً تلك التي تبثها الأوساط الاستعماري وعلى رأسها الاستعمار الأمريكي الزاعم بانها لم يعد من مبرر لوجود الفروق الوطنية والمشاعر الوطنية ساعية من وراء ذلك الى تخلي الشعوب عن سياستها الوطنية ونضالها ضد الاستعمار. ان الماركسية اللينينية لا تقف موقف اللامبالاة إزاء حركة التحرر الوطني للأمم والشعوب من النير الاستعماري فهي إذ تتأهض بحزم سياسة فرق تسد الاستعمارية الرامية الى تخلي الأمم عن حقوقها ومطامحها الوطنية في الانعتاق من النير الاستعماري. تقف ضد الحذر والتعصب القومي الأعمى والشقاق بين الأمم مع التضامن البروليتاري الأممي والإخاء بين الشعوب ... ضد التخلي عن الحقوق الوطنية ومع حق تقرير المصير والتحرر من النير الاستعماري والاضطهاد القومي ... ضد الذوبان الطبقي ومع النضال الطبقي، هذه هي سياسة البروليتاريا التي لا تستطيع ان تحرر نفسها دون أن تحطم في نفس الوقت كل القيود التي تكبلها بما فيها وقبل كل شيء القيد الاستعماري.

(كانت الماركسية اللينينية وما تزال تقول بمبدأ راسخ جداً وهو المبدأ الجمع بين الأممية البروليتارية وروح الوطنية لدى كل شعب. فيجب على الأحزاب الشيوعية في جميع البلدان ان تربى أعضائها على روح الأممية نظراً الى ان المصالح القومية الحقبة لشعوب جميع البلدان تتطلب تعاوناً ودياً بين الأمم. وعلى الأحزاب الشيوعية في جميع البلدان في الوقت ذاته ان تغدو الناطقة الوطنية الحقيقية بلسان مشاعر شعبها القومية. لقد كان الشيوعيون وما يزالون على الدوام وطنيين حقيقيين. وهم يدركون انهم لا يستطيعون القيام بعمل فعال بين الجماهير الشعبية بغية تثقيفها بروح الأممية ولا يستطيعون توحيد المشاعر والمصالح القومية لهذه البلدان بأكثر مما يكون من الفائدة الا إذا عبروا بشكل صحيح عن المشاعر والمصالح القومية (حول التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا ص 41).

أما البارتي فقد تشقق وانقسم على نفسه ردحا من الزمن ثم عاد وتجمع في كتل

واحد، ولكن أيولوجيته القومية البرجوازية لم تتغير – بوجه عام عما كانت عليه لا خلال الانقسام ولا بعد الوحدة!

ان البارتي يحصر نفسه فكريا وسياسيا وتنظيميا وفي مواقفه العملية في نطاق قومي ضيق. إنه يطمس النضال الطبقي للبروليتاريا والفلاحين ويحاول خنقه تحت المفاهيم القومية الضيقة (ولا يستفيد من ذلك سوى الأعداء الرئيسيين لحركتنا القومية الوطنية وخصوصاً شركة النفط والإقطاعيين) وهو بمحاربه لنشاط الحزب الشيوعي في كردستان يحارب الوعي الاشتراكي في صفوف العمال والمعدمين، يحارب الماركسية ويقف الى جانب البرجوازيين والإقطاعيين ضد العمال والفلاحين. وهو لا يقيّم نفسه حزباً عراقياً، بل هو لا يقيّم نفسه حزباً لكردستان العراق أي حزباً له صفة إقليمية وهو لا يفكر في حقيقة ان العراق وحدة وطنية لا تتجزأ في كفاحها ضد الاستعمار والرجعية الخائنة – العربية والكردية – بل يفكر ويعمل بين الاكراد وبين الاكراد وحدهم لا في كردستان فقط، بل أينما كانوا من أرجاء العراق كلما كان ذلك بإمكانه. إنه يقيّم تنظيمه ونشاطه على أساس القومية البرجوازية وها أنتم ترون إنه يحاول تجزئه وحدة الطبقة العاملة العراقية ويحاول عزل العمال والكادحين الأكراد عن إخوانهم أبناء القوميات الأخرى.

وبمجهوده الفكري والسياسي والتنظيمي هذا فإنه يحاول ان يبتعد بالإكراه بصورة مصطنعة عن واقع حياتهم الوطنية، عن الكفاح الاممي المشترك ويحصرهم في قوقعة الانفصال القومي الشديد الضيق ويزرع بينهم ويغذي بصورة متواصلة نظرة الحذر والشك والبغضاء تجاه القوميات والاقليات القومية الأخرى، وبصورة خاصة تجاه العرب، وهم الجيش الأكبر في حركتنا الوطنية ضد الاستعمار. ويبعد أبناء الشعب الكردي أو يسعى لإبعادهم عن بقية جماهير الشعب العراقي التي تنن من ثقل الأغلال الاستعمارية فيضعهم هو، ويسعى لكي يضعهم في موضع من لا يهمه مصير الوطن. وهذا ما يسوقه إلى انتهاج طريق الانفصالية...

من المؤسف حقاً ان لا يدرك الإخوان البارتيون ان الاستعمار العالمي وعلى رأسه أمريكا هو الذي يعمل أبداً للتفريق بين الشعوب وفق سياسة فرق تسد. وأن لا يدركوا ان واجب المناضلين المخلصين لقضايا شعوبهم ان يعملوا أبداً على النقيض مما تنطوي عليه هذه السياسة من أعاقه لحركة الشعوب المناضلة. فالبارتي بمفاهيمه ونشاطه إنما يعزل نشاط الشعب الكردي عن مجرى النضال العام للشعب العراقي بأسره ويسعى لإبقائه في قوقعة القومية البرجوازية!

بين أيدينا عدد مايس 1956 من (نداء كردستان)، وفيه هجوم حاقق على الحزب الشيوعي وعلى العناصر التي التحقت به من منظمه شورش. وفيه كذلك اتهامات عدائية للعرب فهي تقول في ذلك: (والآن في الوقت الذي يشدد الاستعماريون الأمريكيان والإنكليز وخدامهم من الأتراك والعرب والعجم علينا، لإدامة استبعادهم لنا واستغلالهم إيانا وإفقارهم لجماهير كردستان العزيزة... الخ) ثم (في الوقت الذي يعلن

أعضاء ميثاق بغداد بصراحة عدوهم الإقليمي الذي عُقد الميثاق للقضاء عليه (الشعب الكردي ليس إلا وقد بدأوا فعلاً بشن حملات أضعاف حركتنا الوطنية وتضييق الخناق عليها...). وهذا المقتطف يظهر بجلاء كما لو كان حلف بغداد موجهاً ضد الأكراد وحدهم وهي تتجاهل المقاومة الباسلة التي تخوضها هذه الشعوب ومنها الشعب الكردي ضد الاستعمار. وهي تتجاهل بحكم كونها جريدة تنطق بلسان حزب يعمل في العراق أن تركز ثقل تحريكها ونضالها على الكفاح المشترك بين الأكراد والعرب ضد الاستعمار وخدماته وهي تتستر على الخونة الأكراد من أمثال سعيد قزاز وآل بابان وسامي فتاح... وغيرهم من زملاء نوري السعيد الذين يحملون مسؤولية تنفيذ حلف بغداد وحملات الاضطهاد ضد الأكراد والعرب على السواء! فلا تتكلم إلا عن خدام المستعمرين (الأتراك والعرب والعجم)!!

وفي (خه باتي كردستان) عدد نيسان 1957 يتحدث البارتني عن فيصل (الملك العربي)! وعن نفط كركوك باعتباره نفطاً (كردياً) ألا يحمل ذلك مفهوماً يؤدي إلى إثارة النزاعات القومية حول عائداته النفط. في نفس الوقت الذي تستمر فيه شركة (الأي بي سي) في نهبها كما تستمر شركات استعمارية أخرى في نهب ثرواتنا الوطنية الأخرى وفي نفسه الوقت الذي يستوجب رص الصفوف للشعب العراقي بكافة قومياته في النضال من أجل طرد الاستعمار وشركاته وملحقاته من كل عراقنا الحبيب.

ويتحدث أيضاً عن وهمية مشاريع الأعمار بالنسبة لكردستان (ويقصد الأكراد فقط) ولكن هذه المشاريع... (تحمل بعض النفع للعراق العربي)! ويدعو الأمة الكردية بقيادته لتخليص كردستان الملحقة بالعراق قسراً من براثن حكومة العراق (وبفهم من سير الكلام حكومة العراق العربية طبعاً أما الاستعمار فلا شأن له به كأنما ليس هو المسؤول عن الأوضاع السيئة القائمة! وهو يدعو الأكراد وليس العراقيين بأسرهم... لتحرير كردستان فقط وليس العراق!) ومن أجل الحصول على الحرية والاستقلال لكردستان (ولا يهيمه استقلال العراق! وهذا الاستقلال كما يبدو ينتزع من العراق وليس الاستعمار!) وبذلك يتسنى شد أزر (إخواننا) العرب في العراق العربي (شكراً بالنيابة عن العرب والأكراد).

أية انفصالية صارخة تلك تفوح من هذه العبارات فأين هو الكفاح المشترك بين الأكراد والعرب وكافة الاقليات القومية في العراق للتحرر من نير الاستعمار والرجعية الحاكمة وهي ليست عربية فقط، بل مزيج شائن من عملاء الاستعمار والإقطاعيين العرب والأكراد وفي أحد المهرجانات الدولية حمل أعضاء الوفد العراقي من الأكراد العلم الكردي لا العراقي (إذ لا يهمهم أمر العراق!) وكذلك سبق أن رفض بعض المحامين الأكراد العراقيين الاشتراك في مؤتمر المحامين العرب لأنه... مؤتمر محامين عرب!! عازلين أنفسهم عن ميدان من ميادين التضامن الكفاحي ضد الاستعمار بين الاقطار العربية.

هذه الأمثلة وكثير كثير غيرها من المواقف العملية و (النظرية) والسياسية للبارتني

لا يجمعها جامع مع الماركسية اللينينية مع الأممية مع الوطنية الواعية الحق مع الصفات الأساسية التي يتصف بها الشيوعيون والتي يتصف بها الحزب الشيوعي. ألا تعني هذه الأمثلة وغيرها بأنهم يضعون قضية الاكراد خاصة أولاً وقبل كل شيء؟ ألا تعني بأنهم يدفعون بالقضايا المشتركة إلى الوراء؟ ألا تعني بأنهم يناضلون (للتحرر) من العرب لا من الاستعمار؟ وبذلك يتجاهلون القضية الرئيسية في مرحلتنا الراهنة قضية التحرر الوطني. ألا يتوضح بجلاء بأن سياستهم هذه وبالدرجة الأولى عقليتهم تتوافق مع خطه الاستعمار التقليدية فرق تسد؟!!!

وعلى هذا فإن قولكم بعدم وجود (خلافات جوهرية سياسية بين أعضاء البارتي وأعضاء الحزب ولا يوجد فرق أساسي بين نوعية العناصر بين الحزبين) (تقرير المجتمعين) ليس سوى تجنّ على الواقع. فهناك فروق جوهرية وسياسية أساسية. وهي بالضبط الفروق بين الشيوعيين أعضاء في الحزب الشيوعي وبين عناصر برجوازية (صغيرة وكبيرة) وإقطاعية أعضاء في البارتي الذي يحمل أيديولوجية قومية معادية للماركسية اللينينية وللأممية وللحزب الشيوعي ولدور الطبقة العاملة ولكل ما ينطوي عليه وجود حزب شيوعي في البلاد من مغزى وأهمية بالنسبة لمجموع الشعب العراقي المناضل من أجل تحرره الوطني والديمقراطي ومن أجل بناء الاشتراكية!

ولسنا من السذاجة بحيث تظنون اننا نوافقكم حيث تذكرون بان (...حزب البارتي يوافق على أهداف الحزب القريبية والبعيدة بالنسبة للشعب الكردي (ملاحظات شريف). وقبل كل شيء لماذا فقط بالنسبة للشعب الكردي!

غير ان الحزب الشيوعي يختلف عن البارتي اختلافاً جوهرياً وأساسياً فان أهدافه القريبية والبعيدة قد عينها بوضوح وهي تتلخص بالقضاء على الاستعمار سياسياً واقتصادياً وعسكرياً في بلادنا ومن أجل التحرر الوطني والقومي سواء بالنسبة للقومية العربية أو الكردية وتصفية بقايا الاقطاعية وتوزيع الأراضي على الفلاحين وتصفية ذلك الشطر من البرجوازية الملتحم مع الاستعمار والمتآمر معهم ضد الشعب وجعل يوم العمل ثماني ساعات للعمال وتحسين ظروف حياتهم وإشاعة الحريات الديمقراطية وتطوير الاقتصاد والصناعة الوطنية وإقامة نظام وطني ديمقراطي شعبي سليم تمثل سلطة دكتاتورية الطبقات الشعبية المعادية للاستعمار والرجعية (الطبقة العاملة والفلاحين والبرجوازية الصغيرة والبرجوازية الوطنية) والتي تعتمد على تحالف الطبقة العاملة والفلاحين وسائر جماهير الشعب المتحدة في جبهه وطنية يمارس فيها الحزب الشيوعي دورة التاريخي الذي يؤهله له أساسه الاجتماعي ونظريته في الكفاح ... ولاشك ان هذا الوضع سيوفر للشعب الكردي الظروف المطلوبة لممارسة حقه في تقرير مصيره بما في ذلك حقه بالانفصال وتكوين كيان سياسي مستقل أو الاتحاد الاختياري وإعطاء الاقليات القومية المساواة التامة في الحقوق ثم توطيد النظام الديمقراطي الشعبي وخلق الظروف لبناء الاشتراكية والشيوعية.

ان الحكومة الوطنية الديمقراطية الشعبية ستسهم بنشاط مع كل المعسكر الاشتراكي
فيأمر صيانة السلم وتصفية الاستعمار العالمي وتحرير الشعوب وإقامة النظام
الاشتراكي العالمي. فهل يفكر البارتى ويعمل في سبيل هذه الأهداف؟ ومتى كان ذلك
يا ترى؟

إذا كان البارتى يوافق حقاً على أهداف الحزب القريبة والبعيدة (بالنسبة للشعب
الكردي) (أما العرب والتركماني وغيرهم فهؤلاء لا شأن بهم) فلماذا لا يتساءل الرفيق
شريف عن مغزى عدم انضمام البارتى الى الحزب الشيوعي وتشبته بكيانه المستقل؟

ان نهج التفكير (القومي البرجوازي) الذي يقود خطى البارتى هو ذاته الذي يقود
خطاكم مع الفارق بالطبع باعتباركم أعضاء في حزب شيوعي عازم على تصحيح أي
انحراف أو أخطاء تقعون فيها بينما البارتى ليس له هذا المحتوى الثوري الغزير، بل
هو يستسلم لهذه الأفكار البرجوازية ويغذيها. فهو قائم على هذا الأساس ويبرر وجوده
بهذه المفاهيم الضارة.

فالحزب الموحد الذي تبغون إقامته (بالوحدة التنظيمية) مع البارتى لا يختلف عن
البارتى إلا بتعديل اللوحة... فهذا الحزب (الذي يعتبر مهمته الرئيسية تعبئة نضال
الشعب الكردي في العراق يهيئ أحسن الإمكانيات والفرص لتعبئة نضال الاقليات
الأخرى في الإقليم الكردي خصوصاً التركمان والآشوريين) ولكن كيف؟ (كتأليف
لجان خاصة تصدر الأدبيات وترشد نضال هذه الجماهير نحو القضية العادلة) (تقرير
لجنة الفرع).

(لجان خاصة تصدر الادبيات)!!!

لا يمكن إخفاء حقيقة ان هذا الحزب (الماركسي اللينيني) هو الآخر حزب من
الطراز البارتى القائم على أساس قومي صرف فكرياً وسياسياً وتنظيمياً وليست هناك
أي قيمة جديدة لهذه (اللجان الخاصة) أو (للأدبيات التي تصدرها) مادامت ستقوم على
أساس نظرة الازدراء تجاه الأقليات القومية.

وهذا الأساس (القومي) هو الذي تستندون إليه في تنظيم العمال لا سياسياً فقط، بل
ونقابياً. وبالأحرى فأنتم تجهلون تنظيم العمال سياسياً وتجزئونه تبعاً لقومياتهم
وتقتصر ونعلى التنظيم النقابي فتقولون:

(وباعتبار ان في كردستان مركز تحشد عمالي مهماً جداً شركة وخطوط النفط
ومراكز عمالية أقل أهمية يجري العمل على توحيد الحركة العمالية وجعل النضال
العمالي فيها جزءاً متمماً لنضال عمال العراق وعمال العرب في الأقطار المتحررة)!
(تقرير لجنة الفرع).

أصغوا إلى ستالين كيف يرد عليكم خلال فضحه للحتالة (البوندية الانتهازية):
(نحن نعرف الى ما تؤدي تفرقة العمال تبعاً للقوميات – انحلال حزب العمال الموحد،
انقسام النقابات المهنية تبعاً للقوميات، الاحتكاكات الوطنية، أضرار عمال قومية ما

لعمال قومية أخرى، تفسخ تام في صفوف الاشتراكية الديمقراطية- هذه هي نتائج الاتحادية التنظيمية ويشهد على ذلك شهادة بليغة تاريخ الاشتراكية الديمقراطية في النمسا ونشاط البوند في روسيا).

والوسيلة الأخرى لمعالجة حالة كهذه هي التنظيم بموجب المبادئ الأممية.

(لم شعث جميع عمال قوميات روسيا في نطاق محلي ضمن منظمات مشتركة موحدة وغير قابلة للتجزؤ، وجمع هذه المنظمات المشتركة في حزب واحد - هذا هو الواجب). (الماركسية والمسألة الوطنية ص96)

ولماذا جمع العمال في تنظيم واحدة؟ يقول ستالين: (ان طراز التنظيم لا يؤثر على الأعمال التطبيقية فقط إنه يترك أثراً لا يمحي على حياة العامل الروحية. يعيش العامل معيشة منظمته وهو ينمو فيها روحياً ويحصل على تربيته. وهو أذن، بتردده على منظمته وباجتماعه فيها في كل مرة مع رفاقه الذين ينتسبون لقوميات أخرى وبقيامه معهم بنضال مشترك تحت قيادة منظمة مشتركة - يدرك أعمق الإدراك فكرة ان العمال هم قبل كل شيء أعضاء عائلة طبقية واحدة أعضاء جيش الاشتراكية الواحد وهذا لابد من ان يكون على جانب عظيم من الأهمية التربوية بالنسبة للفئات الفقيرة من طبقة العمال).

(ولهذا فأن الطراز الأممي للتنظيم هو مدرسة للشعور الرفاعي هو دعاية فعالة للغاية لصالح الأممية. والأمر على خلاف ذلك في حالة التنظيم تبعاً للقوميات. ان العمال بتنظيمهم لأنفسهم على أساس القومية يغلقون أنفسهم في أصدافهم الوطنية ويفصلون بعضهم عن بعض بحواجز تنظيمية. وفي هذه الحالة لن نشدد الإشارة إلى ما هو مشترك بين العمال، بل إلى ما يميز بعضهم عن بعض. ان العامل في حالة التنظيم تبعاً للقوميات هو قبل كل شيء عضو في أمته: يهودي بولندي إلى ما هنالك... ولا مجال للعجب إذا كانت (ص11) الاتحادية الوطنية في التنظيم تثبت في العمال روح العزلة والوطنية ولهذا فإن الطراز الوطني في التنظيم هو مدرسة لقصر النظر الوطني وللجمود.

وهكذا نواجه طرازين للتنظيم مختلفين مبدئياً: طراز التماسك الأممي وطراز (تفريق العمال تبعاً للقوميات). (ص 97).

وينتقل الى دحض محاولات التوفيق بين هذين الطرازين فيقول:

(منذ اليوم الذي تلا (مؤتمر) ستوكهولم أصبح البوند عقبة في طريق توحيد العمال في النطاق المحلي في منظمة واحدة تشمل عمال جميع القوميات وقد تابع بعناد خطة الانفصالية... والبوند الذي ابتداء من الاستقلال الذاتي الوطني قد أنتقل إلى الاتحادية فعلاً لكي ينتهي الى قطيعة تامة إلى انفصالية... وبقطعه صلته بالاشتراكية الديمقراطية الروسية قد حمل اليها التشويش والاختلال ... ولهذا يجب ان يترك طريق التوفيق بوصفه خيالاً وضاراً..

أحد أمرين إما اتحادية البوند وحينئذ تبني الاشتراكية الديمقراطية في روسيا نفسها بناء جديداً على مبادئ (تفريق) العمال تبعاً للقوميات وأما الطراز الاممي للتنظيم وحينئذ يبني البوند نفسه بناء جديداً بموجب مبادئ الاستقلال الذاتي الإقليمي على نموذج الاشتراكية الديمقراطية القفقاسية واللاتفية والبولندية فاتحاً الطريق لتوحيد العمال اليهود توحيداً مباشراً مع عمال القوميات الأخرى في روسيا.

لا وجود للوسط ان المبادئ تنتصر ولا (يوفق) بينها.

وهكذا - مبدأ توحيد العمال توحيداً أممياً بوصفه مادة لا غنى عنها في حل (المسألة الوطنية) (المرجع ص 98 - 99).

يكاد المرء يتوهم ان ستالين يرد بالضبط على مزاعم البارتي بالذات وعلى آرائكم الخاطئة! وعلى كل حال فإن مزاعم الآراء القومية البرجوازية هي هي في كل مكان!

أنتم ترون من هذا مرة أخرى ان الصفة الشيوعية المزعومة للبارتي الذي يقسم العمال - مع العلم إنه لا يملك موطئ قدم في صفوفهم - و(الشيوعيين) أو (الماركسيين اللينينيين) (كما يحلو للبارتيين ان يسموا أنفسهم) تبعاً للقوميات ان هذه الصفة تتمزق كخيوط العنكبوت وإن (تصميمكم) في بناء (وحدة) العمال - و (الشيوعيين) أو (الماركسيين اللينينيين) لا تختلف في جوهرها لأنها هي أيضاً (وحدة) تعزل العمال والشيوعيين الاكراد وخصوصاً عمال وشيوعي إقليم كردستان عن التضامن الطبقي مع عمال وشيوعي المناطق الأخرى من العراق بوصف العمال طبقة واحدة والشيوعيون لهم حزب واحد، بل تذهبون إلى أسوأ إذ تهبطون بالعمال من مستوى العمل السياسي الموحد الى مستوى العمل النقابي المجزأ على أساس قومي وبهذا لا تخلقون الشقاق بين عمال مختلف القوميات وتحطمون وحدتهم الطبقيّة وحسب بل تحرمونهم أيضاً من القيادة السياسية الممثلة في الحزب الشيوعي العراقي ومن دخول الوعي الطبقي الاشتراكي بينهم.

ان هذه الأفكار والتصاميم ليست (مبتكرة) في حركة العمال الأسلاف (الاقتصاديون) في روسيا القيصرية و (البرنشتاينيون) ومحرفو الماركسية الذين دحروهم جميعاً لينين والبلاشفة الذين كانوا السباقين الى فضح هذا المنهج الانتهازي.

لعلنا لم نبعد كثيراً عن خطتنا في تفنيد خطئكم الذي يضيف صفة الشيوعية على البارتي فالمسألتان اللتان تتعلقان بـ (اللجان الخاصة بالأقليات القومية وبـ (توحيد العمال) في كردستان وثيقة الصلة بنفس المسألة التي نعالجها. ان من بين ما تعلمنا إياه التجربة الأساسية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي (ان ممثلي الطليعة البروليتاريا يتجمعون في الحزب الشيوعي ويستلهم هذا الحزب السياسي الماركسية اللينينية في نشاطه وهو مبني على مبدأ المركزية الديمقراطية ومتصل بال جماهير وثيق الاتصال وينزع الى ان يصير نواة جماهير الشغيلة ويربي اعضاءه وجماهير الشعب على روح الماركسية اللينينية (حول التجربة التاريخية لدكتاتوريه البروليتاريا

فإذا كان البارتي يأبى اعتناق الماركسية اللينينية والدفاع عنها جهاراً ورسمياً ولا يربي أعضائه والجماهير بروحها وإذا كان مناضلوه الذين يقرون قوة وعدالة افكار الماركسية اللينينية ويؤمنون بها راية للنصر يخونون أسسها بعدم الانضمام الى الحزب الشيوعي وتكوين تنظيم معارض ومعاد أيضاً. وإذا كان البارتي يخرق هذه الاسس كذلك إذ يقيم تنظيماته على أساس قومي صرف، فلا يضم اليها سوى الأكراد سواء كان ذلك في كردستان او في مناطق أخرى، كما هو واقع حال البارتي الان، ويبرز في أنفسهم الحذر تجاه القوميات الأخرى. وأذ كان يضم في تنظيماته الفلاحين الى جانب مستغليهم الإقطاعيين و (العمال) الى جانب مستثمريهم البرجوازيين وهذا الخليط العجيب من مختلف الطبقات الكردية ومختلف الايديولوجيات (البرجوازية) و (بقايا الاقطاعية) الذين (توحدهم) فكرة القومية البرجوازية. وإذا كان البارتي لا يستند الى الطبقة العاملة ولا يؤمن بدورها الطليعي الذي تستطيع وينبغي ان تؤديه في الحركة الوطنية ولا دكتاتورية البروليتاريا ولا يتصف بأي صفة من صفات الماركسية اللينينية (راجع الاسس اللينينية) فكيف يجوز القول إنه منظمة شيوعية!!

الاستحياء من الماركسية اللينينية والجمود إزاءها والتخوف منها، محاربة الحزب الشيوعي العراقي الممثل الوحيد لهذه النظرية الطليعية في بلادنا، أنكار النضال الطبقي و (الغاؤه) أنكار دور الطبقة العاملة القيادي وحزبها الطليعي في الكفاح والثورة، أنكار دكتاتورية البروليتاريا (الشيء الرئيسي في اللينينية). القومية الانعزالية الانفصالية والشوفينية تجاه الاقوام الأخرى، تحطيم الوحدة الطبقة للبروليتاريا وزرع الحذر (ص 13) والشك بين أفراد الشعب، أضعاف الكفاح المشترك ضد الاستعمار وحلفاءه، الاستناد الى الاقطاعيين والبرجوازيين ضد العمال والفلاحين والسير في هذه وغيرها من مقومات حزب البارتي الفكرية والسياسية والتنظيمية. فإين هي الصفات المشتركة التي تجمع هذا الحزب بالحزب الشيوعي وتجعله منظمة (شيوعية)؟

أتجهلون هذه الحقائق عن البارتي؟ كلا! بل لعلكم لا تترددون في القول إنكم أعرف بالبارتي من غيركم بحكم كونكم أكراداً فأنتم أذاً توافقون عليها وتستحسنوها. وبذلك تؤكدون ان حرافهم الفكري نحو ايدولوجية البارتي ومفاهيمه.

أنتم تضيفون الصفة الطليعية على البارتي فمن هي الطليعية في بلادنا؟ أي طبقة هي طليعة الطبقات والمراتب الشعبية المعادية للاستعمار والرجعية الحاكمة؟ انها البروليتاريا العراقية بلا منازع. وعليها— دون غيرها — يعلق الثوريون آمالهم.

ولماذا البروليتاريا خاصة؟

(لأن البروليتاريا رغم قلة عددها في الوقت الحاضر هي الطبقة العاملة المرتبطة بأكثر الأشكال الاقتصادية تقدماً، أي أنها مرتبطة بالإنتاج الكبير، الأمر الذي يجعل

لها في المستقبل الشأن الاول.

ولأن البروليتاريا تنمو كطبقة عاماً بعد عام وتتقدم سياسياً وتقبل التنظيم في يسر بحكم ظروف العمل في الإنتاج الكبير ولأنها ثورية أصلاً وبالدرجة الأولى لمجرد أنها البروليتاريا ولن تخسر في الثورة الا السلاسل والقيود (تاريخ الحزب الشيوعي السوفيتي ص12).

ليس هذا شأن الفلاحين وليس هذا شأن البرجوازية بمختلف مراتبها وبنمو الرأسمالية في بلادنا بما فيها كردستان راحت الطبقة العاملة تتحول الى قوة تقدمية ذات وزن قادرة – وقد برهنت – على القيام بنضال ثوري وطني وطبقي منظم لأنها اشد الطبقات ثورية واسبقها الى مضمار التقدم ومهمتها ان تكون بمثابة الطليعة من الجيش المكافح وهي تشكل القوة الرئيسية القوة القائدة للثورة. وليس بوسع الفلاحين ولا البرجوازية الوطنية (الصغيرة والحرّة) ان يحققوا مهمة قهر الاستعمار والاقطاعية بصورة جذرية ونهائية مالم يتحالفوا مع البروليتاريا وينضموا تحت لوائها.

ومن هذا الحزب الطليعي طليعة الشعب؟ انه حزب البروليتاريا العراقية الحزب الذي يحمل نظرية البروليتاريا اذ (لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية ... ولا يستطيع القيام بدور المناضل في الطليعة الا حزب ترشده نظرية الطليعة) (لينين – ما العمل؟). وبالطبع ليس البارتى حزباً طليعياً باي حال من الاحوال.

ان الحزب الشيوعي العراقي هو وحده حزب العمال والفلاحين والجماهير الشعبية هو وحده طليعة الشعب العراقي بكافة قومياته بما فيه الشعب الكردي لأنه حزب البروليتاريا العراقية يمثل ويجسد وحدة مصالحها واهدافها ويدافع عنها حتى النهاية. والبروليتاريا حين تحرر نفسها فإنها ستحرر الشعب كله من الاضطهاد الاستعماري والقومي والطبقي من العبودية والاستثمار والتأخر.

اما الاحزاب الاخرى فقد تكون طلائع لطبقات معينة ومراتب معينة من الشعب (غير الطبقة العاملة التي يمثلها الحزب الشيوعي) وهي ليست احزاباً ماركسية لينينية، بل أحزاب برجوازية صغيرة او كبيرة مهما كانت درجة نفوذها وتأثيرها السياسي!

فمن الخطأ القول بأن البارتى هو طليعة الشعب الكردي او هو من الشيوعيين (يقتسم) الصفة الطليعية للشعب الكردي في العراق. من الخطأ القول ان هنالك (انقساماً داخل الطليعة) (تقرير لجنة الفرع).

فليست هذه سوى أحد مظاهر النزاع على قيادة الحركة بين العقلية الطليعية وبين العقلية البرجوازية. فالصفة الطليعية للحزب الشيوعي هي الصفة البروليتارية الاشتراكية. وليس القومية البرجوازية. وليس الأمر كذلك بالنسبة للبارتى الذي ليس هو حزب البروليتاريا ولا يحمل نظريتها الثورية، بل يحمل أيديولوجية قومية برجوازية مناهضة للماركسية اللينينية. فهو أداً لا يمكن اعتباره طليعة الشعب الكردي

الذي هو جزء من الشعب العراقي (نحن نتكلم عن أكراد العراق طبعاً). لقد مضى زمان اعتبار أيديولوجية القومية البرجوازية الصفة الطليعية بعد ظهور الماركسية التي هي نظرية الطبقة العاملة وأحزابها الشيوعية.

ان الشيوعيين لا يخطئون في معرفة طابع عصرنا. أنه عصر تصفية الاستعمار والثورات البروليتارية، عصر انتصرت فيه الاشتراكية في رقعة شاسعة من الارض وكونت معسكراً اشتراكياً عمالياً جباراً مجابهاً لمعسكر الاستعمار والحرب الذي تتفاقم أزمتة العامة. وتمزقه التناقضات وتهوي سمعته الى الحضيض في عيون الشعوب ويشرف على الزوال. ان الطبقة العاملة العالمية هي أكثر تراساً والأحزاب الشيوعية أعلى مكانة والشعوب أكثر يقظه وتضامناً من أي وقت مضى... وإذا كان من الواضح لدينا نحن الشيوعيين ان حركات التحرر الوطني في كل البلدان قد أصبحت منذ ثورة أكتوبر جزءاً من الثورة البروليتارية العالمية، وإذا كان واضحاً لدينا ان الماركسية اللينينية ذات النفوذ الأوسع البعيد المدى في عالمنا اليوم ومعسكرها الاشتراكي يلهم ويقود جميع حركات التحرر الوطني والقومي في البلدان التي لم تتبلور فيها الطبقة العاملة ولم تتكون أحزابها السياسية فكم بالأحرى يكون واضحاً ولا جدال فيه ان الماركسية اللينينية والمعسكر الاشتراكي هي الملهم والقائد للحركات التحررية في البلدان التي كونت الطبقة العاملة فيها أحزابها السياسية كبالدنا...

ان المكانة المعنوية والنفوذ الذي يتمتع به حزبنا لا يبارى، ونقول ذلك باعتراز وأن هذا في الوقت الحاضر، دون ما ينبغي، لتحقيق انتصارات جذرية للشعب. لكننا ماضون في هذا السبيل ولسوف ينتصر شعبنا وينتصر حزبنا ويندحر الاستعمار وعملاؤه الخونة وكل مفرق لصفوف الشعب.

ثانياً - حل منظمات الحزب في كردستان فكرة تصفوية انتهازية:

ومن مجمل الوثائق المشار اليها آنفاً، يتجلى في ان ما سميتموه (انشقاق في الحركة الكردية في كردستان) (تقرير المجتمعين) لا يصدر من فكرة توحيد الحركة الثورية في كردستان في حلف أو جبهة ولا حتى من فكرة إقامة تنظيم سياسي ديمقراطي مع بقايا تنظيمات الحزب الشيوعي. بل يصدر من الفكرة الانتهازية القائلة بأن البارتي (منظمة) شيوعية! والقائلة بصحة قيام أكثر من حزب شيوعي وبأكثر من حزب ماركسي لينيني في بلدنا والقائلة بصحة قيام الحزب الشيوعي حزب الماركسية اللينينية على أساس قومي فيكون لكل قومية في العراق حزبها الشيوعي او حزبها (الماركسي اللينيني)!!

ان هذه الأفكار التي شجبتها اللينينية بصورة متواصلة صريحة وحازمة علينا نحن أيضاً ان نشجبها بنفس القوة وبمزيد من الإصرار.

ورغم الأسلوب الناعم (الموضوعي) فإن المرارة والألم يتخللان عرض مسألة انضمام مناضلي (شورش) إلى الحزب ومن ثم تأليف البارتي مما أدى في نظركم إلى

(انشقاق) الحركة الكردية إلى شطرين! وإنكم تتألمون لأن المنظمات الكردية القومية لم تبق في الميدان!!

لو كنتم عنيتم توحيد الحركة الكردية في كردستان بإقامة جبهة الحزب الشيوعي والبارتي على أساس التعاون من أجل حقوق واهداف الشعب الكردي التي لا تتناقض ولا تتجزأ، بل تنسجم وتتوحد مع حقوق واهداف الشعب العراقي بأسره. ولو كنتم عنيتم التعاون بين حزبا والبارتي وكل القوى والعناصر الوطنية والديمقراطية في كردستان لتأليف جبهة أو لتكوين حزب ديمقراطي واسع مع بقاء الاستقلال التنظيمي للحزب الشيوعي. ولو كنتم قد عنيتم انضمام من يبدي استعدادهم للانضمام للحزب الشيوعي من المخلصين للشيوعية والعاملين في سبيلها لكنتم (مصيبين إصابة تامة) وكنتم قد التزمت سياسة الحزب فتلك هي سياسته كما تعلمون جيدا. ولكن آرائكم في الجانب المعاكس وملتبسة به لا تبعد عنه، بل تمنع في الالتصاق به.

(ان بقاء الفرع التابع ولجنته إلى سلطة قيادية عليا، معناه بقاء الانشقاق في الحركة الثورية في كردستان، ومعناه ان الحركة الثورية لها قيادتان قيادة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي وقيادة اللجنة المركزية للحزب البارتني) (تقرير المجتمعين).

أنكم تؤكدون هنا أيضا فكرتكم الخاطئة الزاعمة بان البارتني منظمة شيوعية ولهذا تتصورون ان ثمة (انشقاقاً) وان بقاء منظمات الحزب في كردستان معناه (الانشقاق) ولكننا إذا أردنا ان نسأل رأيكم في مفهوم الانشقاق فمن هو ترى الذي (انشق) على الحركة؟ البارتني طبعاً. لسبب بسيط هو انه تألف بعد قيام الحزب الشيوعي بأعوام عديدة. ولكنكم وأنتم أعضاء في الحزب الشيوعي لا تجدون لتبرير موقفكم الخاطئ أحسن من ان تعرضوا الحقائق بهذا الشكل المعكوس. هذا مع العلم بان الحزب يمثل تيار البروليتاريا الاشتراكية الأممية بين ما يمثل البارتني تيار القومية البرجوازية. وان هذا ليس انشقاقاً ما دمنا في مجتمع طبعي. ولكنكم تتجاهلون كل ذلك بإصرار وتدافعون عن البارتني بحمية لتدعموا أفكاركم المعادية لوحدة الحزب ومبادئه وأهدافه.

ولهذا السبب ترون ان (لا طريق لتصفية الانشقاق وتحقيق الوحدة إلا عن طريق توحيد الحركة الثورية في كردستان العراق في حزب واحد. ولما كان في كردستان تنظيمان:

اولا - منظمات الحزب الشيوعي العراقي التي يعبر عنها فرع كردستان.

ثانيا - الحزب الديمقراطي الموحد في كردستان.

فمن الضروري دمج هذين التنظيمين في تنظيم واحد يجري الاتفاق على تفاصيله فيما بعد مع الحزب الديمقراطي الموحد. وفي هذه الحالة لا يبقى للحزب الشيوعي منظمات في كردستان!) (تقرير المجتمعين).

ماذا يعني هذا الكلام؟ ان المجتمعين الذين يستهدفون إزالة (الانشقاق) ليس فقط لا يشجبون تأليف البارتني (الشيوعي) وانشقاقه ويطالبونه بأن يحل نفسه... بل يطالبون

بحل منظمات الحزب في كردستان!!

ويقول الرفيق (قه لغان) حول هذه المسألة بالذات (لا يمكن تحقيق هذه الوحدة إلا بحل منظمات الحزب في كردستان)! ولماذا؟ لان البارتيين لم يبدوا أي تنازلات حول موقفهم من هذه المسألة ولا اعتقد من الممكن التوصل معهم إلى نتيجة أخرى.

وهكذا أذن (ما دام المنشقون) و (الانتهازيون) يأبون الرجوع إلى جادة الصواب وما دمننا (نريد الوحدة) مع الانشاقيين الانتهازيين لكيلا تبقى الحركة الثورية مجزأة في كردستان (وما داموا يصرون على ان نحل منظماتنا) إذ انهم لا يبدون أي تنازلات حول موقفهم من هذه المسألة (لأنها) مسألة منتهية بالنسبة (لهم) منذ أمد بعيد... (فما علينا إلا ان نعترف بهذه الحقيقة ونخطو الخطوات الإيجابية دون أخطاء وذلك بحل منظمات الحزب في كردستان) لأنه لا توجد طريقة أخرى...! هذا هو الطريق ما فوق الثوري و (الإيجابي)!! الذي يراد إقناع قيادة الحزب بانتهاجه!

انحنوا للانتهازية ثم استسلموا لها! وعندئذ: سيعتبرونكم (أخا كبيرا ومرشدا) كما يسمي بعض البارتيين حزبنا الشيوعي لغرض اللف والتستر (يبدو ان ديدن الأخ الصغير مهاجمة بيت أخيه الكبير وتخريبه!).

قبل أعوام عديدة رفع أعداء حزبنا شعار (لا ضرورة لحزب شيوعي عراقي) فكتب الرفيق فهد سلسلة من مقالات في القاعدة بعنوان (خطأ شعار حل الحزب الشيوعي العراقي – وجود حزب شيوعي ضرورة وطنية) رد فيها عليهم ردا مفحماً ونقنطف من عدد شباط 1945 ما يلي:

(ان شعار (لا ضرورة لحزب شيوعي عراقي) خيانة للطبقة العاملة العراقية عندما يصدر هذا الشعار من جهات تدعي خدمة الطبقة العاملة واعتناق المبادئ الاشتراكية إذ عن طريق هذا الشعار يريد من الشيوعيين صعود منارة سوق الغزل والتفريج على الطبقة (من فوق قمتها) ... وقال (فالحزب الشيوعي ضرورة للطبقة العاملة وتعبير لحركتها الثورية إذ (بدون نظرية ثورية لا يمكن ان تكون حركة ثورية) (لينين) وان (دور الطليعة يقوم به فقط الحزب الذي تقوده هذه النظرية الأكثر تقدماً) (لينين) ان حزبنا الشيوعي العراقي هو الحزب الوحيد الذي تقوده هذه النظرية فكل انتقاص من دوره كحزب طليعة الطبقة العاملة وكل عمل يرمي إلى تقليل نفوذه بين جماهير الطبقة العاملة خيانة للطبقة العاملة وللمبادئ الاشتراكية).

ولقد انصرمت أعوام وظل حزبنا شامخا كالطود تنكسر تحت أقدامه السهام المسددة اليه من الاستعمار والرجعية الحاكمة ومن ألوان شتى من الفرق والفصائل الانتهازية والانشاقية. صحيح ان حزبنا متسلح باليقظة الثورية المستفيد من تجاربه وتجارب الأحزاب الشقيقة الوافرة الغناء، قد دحر جميع فصائل الانتهازية والعناصر الانتهازية والمفاهيم الانتهازية التي نرت قرنها ضد وحدته وحياته وسيقهر لا محالة اعداءه كلما وجدوا، ولكن ليس بدون ان يرفع يقظته أعلى وأعلى، فليس أسهل على أعدائه

المتوحشين من ان يأخذوا قلعتهم من الداخل بعد ان عجزوا من اقتحامها من الخارج (وليس عبثاً ان يأتي هذا النشاط بعيد تعزيز وتوطيد وحدة حزبنا الشيوعي وبعيد الفشل الذريع الذي أصاب الهجوم الرجعي الأخير على حزبنا).

ها أنتم تأتون لإقناع الحزب بأن (الوحدة) التي تريدونها، بحل منظماتها في كردستان، مع البارتى المعادي للماركسية اللينينية ليست وحدة انتهازية، بل أنها إذا لم تتم فان هذا سوف (يؤدي إلى نتائج مضرّة بالحركة الوطنية والشيوعية معا) (تقرير قه لغان) أما إذا تمت (فان هذا لا يضعف الحزب الشيوعي العراقي، بل يقويه) وكذلك فإنها تعني (تقوية الحركة الثورية الشيوعية) (تقرير المجتمعين).

ولا يسع المرء ان يستغرب للتهم الفظيعة التي يلصقها (المجتمعون) بحزبهم لأنه لا يبقى له منظمات تنافس (!) منظمات وطنية أخرى طبعاً! ولكن كيف تنقوى سمعته بعد ان أردتم له الهزيمة من الميدان وتجريد الشعب الكردي من سلاحه الذي أثبتت الأحداث انه أكثر مضاء ومتانة! ولا يبقى مجال لاتهام الحزب (من الذي يتهمه!) بأنه لا يسير على سياسة قومية كردية صحيحة (يا للأمانة للحقيقة والمبادئ) وانه جمد (!) الشيوعيين الأكراد (!) و (عزلهم من المساهمة الفعالة في سبيل القضية الكردية)!! (تقرير المجتمعين) ومما هو غني عن التأكيد ان جماهير الشعب الكردي لا تفتأ تعبر عن حبها العميق.

للحزب الشيوعي واحترامها له ولنضاله الدائب في سبيل حقوقها وأهدافها التحررية في سبيل قضية تحررنا الوطني والقومي والاجتماعي. ونحن على يقين من ان كل الأمانة للحقيقة وكل أبناء الشعب الكردي لو قرءوا هذا الكلام لما تمالكوا أنفسهم من الاستنكار.

نستطيع ان نؤكد استنادا إلى الوقائع ان المصير الذي صارت اليه جميع المنظمات الكردية من شورش وهبوا إلى البارتى (القديم) و (الحديث) كان من عوامله البارزة أنها سلكت نهجاً سياسياً معارضاً لسياسة الحزب الشيوعي العراقي في حل المسألة الكردية والوطنية ومعادياً للحزب الشيوعي مما أدى بالشعب الكردي إلى الإعراض عن تلك المنظمات والى التحسن النسبي في نظرة بعض الأوساط الوطنية العامة من الحزب الشيوعي بالذات. فإذا تنكر لهذه الرغبة لابد وأنه سيجد نفسه مرة أخرى أمام نظرة غير مشرفة من لدن الجماهير الكردية والعربية على السواء.

ان (المجتمعين) يعرفون جيداً ان الحزب لم (يجمد الشيوعيين الأكراد ولا (الشيوعيين غير الأكراد) ويعزلهم عن المساهمة الفعالة في سبيل القضية الكردية) بل ان الشيوعيين الأكراد كانوا دائماً ومازالوا في المقدمة من حيث نضالهم العنيد المتواصل المفعم بالتضحية ونكران الذات في سبيل تحرر العراق بما فيه كردستان من نير الاستعمار والرجعية. ويعرفون بعمق ان سياسة الحزب القومية هي السياسية الصحيحة الوحيدة من وجهة نظر متطلبات الوضع الراهن والأمنية والماركسية اللينينية لكن ذلك إذا لم ينل رضاهم وإذا حفز فيهم روح التذمر والمعارضة فذلك يعني

أنهم يسировون نحو الاستسلام للعقلية البرجوازية المعادية لأيدولوجية البروليتاريا التي تعزز الإخاء بين الشعوب وتحترم وتدافع عن حقوقها في تقرير مصيرها بنفسها.

ان حل منظمات الحزب الشيوعي في كردستان معناه تحطيم وحدة الطبقة العاملة العراقية، معناه ترك حركتها العفوية وعدم إدخال الوعي الاشتراكي في صفوفها وتجريدها من سلاحها الوحيد (التنظيم) في كفاحها من أجل التحرر الكامل، معناه تخليها عن دورها القيادي في الثورة وإحالتها إلى ذيل البرجوازية، معناه تجريد الشعب في كفاحه النبيل الشاق ضد الاستعمار وحلفائه من قيادته المجربة الواعية الجريئة الحازمة ومعناه تفكيك الكفاح المشترك بين العرب والأكراد إذ ان الحزب الشيوعي هو التجسيد الأعلى للكفاح المشترك، وهذا لا يكون سوى خيانة سافرة للشعب.

ان أهم مسألة موضوعة أمام الطبقة العاملة في الوقت الحاضر هي الدفاع عن الحقوق والحريات الديمقراطية وعن الاستقلال الوطني والسلم والفوز بها كلها. وأهم شرط للقيام بهذا النضال هو وحدة الطبقة العاملة. ان الحرب العالمية الثانية قد بينت ما لتوحيد جميع القوى الديمقراطية والوطنية من أهمية كبرى فيا لنضال ضدا لرجعية الاستعمارية.

لماذا تعتبر وحدة الطبقة العاملة على هذه الدرجة من الأهمية؟ ذلك لأن الانتصار على الرجعية يتطلب وجود قيادة موحدة للبروليتاريا فإذا دب الشقاق بين صفوف الطبقة العاملة يصبح من المستحيل تأمين الدور القيادي للبروليتاريا. فمن أجل وحدة الطبقة العاملة ينبغي عزل أبواق التأثير البرجوازي وقوى التفرفة العمالية. ولا نستطيع ذلك إلا إذا حققنا وحدة العمل بين الجماهير وطورناها دائما إلى أمام. (النظرية الماركسية اللينينية عن الطبقات والنضال الطبقي ص23).

ان فكرة حل المنظمات الشيوعية هي فكرة تصفية انتهازية سيرد عليها الحزب بكل قواه. أما الزعم بأنها تقوية للحركة الوطنية وللحزب الشيوعي فما هو إلا هراء لن يمر على أحد!

ان تصفية (الانشقاق) المزعوم في كردستان لن يحل بشق مجموع الحركة الوطنية التي تتضامن فيها القوميتان الرئيسيتان العربية والكردية من اجل القضية العظمى المشتركة ولن يحل بشق طليعة حركته الوطنية الحزب الشيوعي العراقي.

ثالثاً - موقف الحزب من مسألة تكوين حزب ديمقراطي في كردستان

وأنتم على خطأ في قولكم بأنه قد (سبق للحزب ان (عامل) واعترف بمنظمة البارتي (كمنظمة تتبنى الماركسية ووجهات نظرها من المسائل الأساسية في الماركسية هي نفس وجهات نظر الحزب الشيوعي) (تقرير لجنة الفرع وتكرر نفس المعنى في تقرير قه لغان).

فمن المعروف عندكم ان حزبنا بعد انعطافه من السياسة إلى (اليسارية) المتطرفة

إلى سياسة وطنية صائبة جهد في تصفية الانقسام في حركة الطبقة العاملة وتوصل إلى نجاحات طيبة في مجهوده هذا. فجماعة (راية الشغيلة) وجماعة (وحدة الشيوعيين) اعترفوا بصراحة بأخطائهم وخصوصاً خطأ استمرارهم في العمل باتجاه انقسامي وحلوا منظماتهم وانظموا إلى الحزب الشيوعي دون أي تحفظات أو شروط. (ينبغي هنا التنبيه إلى خطأ الظن بأن هاتين المنظميتين توحدتا مع الحزب بمعنى دخولهما كمنظميتين إذ إن الحزب الشيوعي لا يشجع التكتل داخله وخطأ الظن الآخر القائل بأن هاتين المنظميتين انتلفتنا أو اندمجنا أو توحدتا مع الحزب كما لو أنها ثلاثة أحزاب شيوعية أو ثلاث منظمات شيوعية كونت بهذا الائتلاف أو الاندماج أو الاتحاد مع الحزب الشيوعي العراقي. إذ إن حزبنا كان منذ بداية تأليفه وما يزال الحزب الشيوعي العراقي. وكل ما هنالك إن الرفاق في المنظميتين قد انتهت المفاوضات معهم إلى الاتفاق على حل منظمتيهم والانضمام إلى الحزب. وهذا هو مآل البيانات التي صدرت حينئذ وتعززت على أثرها وحدة حزبنا الشيوعي العراقي). أما بالنسبة للبارتي فقد اتخذت المفاوضات وجهاً آخر ففي المفاوضات التي جرت في العام الفائت انعقد الاجتماع الأول الذي حضره مندوبو حزبنا والمنظميتين المذكورتين

والبارتي لبحث مسألة التعاون السياسي وتكوين جبهة وأثناء الاجتماع طرحت مسألة الوحدة التي كانت بمعنى أدق تصفية الانقسام وانضمام المناضلين إلى حزبهم الشيوعي.

فماذا كان مفهوم الوحدة لدى الحزب ومفهومها لدى البارتي؟ وما هو موقف كل منهما نحو تأليف حزب ديمقراطي في كردستان؟

أما الحزب فقد دعا المخلصين للماركسية اللينينية ولأهداف الحزب الشيوعي العاملين في البارتي للانضمام إلى الحزب لتنفيذاً لشعاره آنذاك (لنظم إلى صفوف الحزب كل المناضلين المخلصين للماركسية اللينينية من أجل تصفية التيارات الانقسامية) (من نداءات اللجنة المركزية بمناسبة الذكرى الثانية والعشرين لتأسيس الحزب المنشورة في (مناضل الحزب) أوائل نيسان 1956). وليس هناك مجال للكلام عما جرى وقتئذ بالنسبة (لراية الشغيلة) و (ووحدة الشيوعيين).

وبين حزبنا أنه يؤيد أقامه تنظيم سياسي ديمقراطي واسع في كردستان متعاون مع تنظيمات حزبنا العاملة في كردستان العراق وأن المسألة يمكن أن تبحث وأن تحل. (نود بالمناسبة لو نذكر الرفيق شاكراً أن مسألة أقامه تنظيم ديمقراطي في كردستان كانت مبادرة من الرفيق حسن أواخر عام 1954 – موضع تداول القيادة وعلاوة على ذلك فإن قرار اتخذته اللجنة المركزية في تموز عام 1955 بالعمل من أجل حزب ديمقراطي). ولكن البارتي كان له رأي آخر ...

لقد وقف من دعوه حزبنا الصادق تلك موقفاً سلبياً. ووافق على رأي حزبنا في ضرورة قيام تنظيم سياسي ديمقراطي في كردستان إلا أنه طلب حل المنظمات الشيوعية في كردستان ليوافق على التعاون في مسألة أقامه الحزب الديمقراطي.

ومن الطبيعي ان يشجب حزبنا هذا الطلب المعادي للحركة الشيوعية والوطنية. فمن المعلوم ان الخط السياسي للحزب الشيوعي في ثورة شعبنا الوطنية والديمقراطية على أساس الجبهة الموحدة بين كافة الطبقات الشعبية المناهضة للاستعمار والإقطاعية والبرجوازية الكبيرة عميلة الاستعمار، هذه الجبهة المستندة الى تحالف العمال وجماهير الفلاحين بقيادة الطبقة العاملة بوصفها طبقة متقدمة وموحدة ومنظمة نظرياً يقودها الحزب.

ولاشك ان مسألة القيادة السياسية الحازمة والكفوة والواعية شرط هام لانتصار جبهة الشعب في نضالها من اجل اسلم والتحرر الوطني والديمقراطية في مرحلة بناء الاشتراكية وتحرير الشغيلة من الاستغلال ونضال الطبقات (وليس للبروليتاريا) سلاح في نضالها لأجل السلطة إلا التنظيم فإن البروليتاريا التي تقسم صفوفها المزاحمة للفوضوية السائدة في العالم البرجوازي ويرهقها الكدح الدليل لأجل الرأسمال وتتخبط بصورة مستمرة في أدنى مهاوي البؤس الأسود والجهل الوحشي الانحطاط والتفسخ لا تستطيع ان تصير ولن تصير حتماً، قوة لا تغلب إلا لأن اتحادها الفكري المؤسس على مبادئ الماركسية موطد ومرصوص بالوحدة المادية للمنظمة التي تجمع الملايين من الشغيلة في جيش موحد للطبقة العاملة فلن تستطيع مقاومة هذا الجيش إلا سلطة الأوتوقراطية المتداعية ولا سلطة الرأسمال الدولي الأخذة بالانهيار (لينين - خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الوراء).

والحزب مدرك مسؤولياته التاريخية وهو ينهض بها.. ففي الوقت الراهن لحركتنا التحررية من الذي لا يستطيع ان يميز بسهولة ان حجر الزاوية فيها هو نشاط واستمرارية حزبنا الشيوعي. وأن الحزب مؤهلها وموضع أمل كل الوطنيين في الشدائد؟ ان بعيدي النظر والمدققين بأمانة في واقع حركتنا الوطنية من مختلف طبقات الشعب ومن منتسبي مختلف أحزابه الوطنية يدركون اليوم أكثر من أي وقت مضى ان حزبنا هو حزبهم الخاص برغم انتماءاتهم الحزبية المختلفة. لأنه برهن خلال حقبة طويلة من الزمن بأنه أكثر الأحزاب الأخرى عملاً وواصل عمله في مختلف الظروف وبكران ذات وبروح وطنية عالية بروح الدفاع العنيد عن المصالح القومية بروح لا تشوهها المهادنة والمصالحة واللا أبالية تجاه الأعداء المستعمرين وعملائهم الخونة.

ومن الذي لا يعلم بان حزبنا هو الحزب الذي أعطى الحل الصحيح للقضية القومية في بلادنا، بل ان الأكراد أنفسهم يعرفون بتجاربهم الخاصة ان الحزب الشيوعي كان دائماً في المقدمة باعتزافه وبدفاعه بوعي وثبات وبجدية عالية عن حقوقهم القومية بما فيها حق تقرير المصير لمجموع الشعب الكردي وأرشدهم بدأب الى الطريق العملي لتحقيقها. طريق الكفاح المشترك، طريق التضامن الكفاحي الشعبي لجماهيرنا العراقية. وهذا هو السبب الأساسي في اتساع الحب العميق الصادق الذي لا يفتأ يعرب عنها الشعب الكردي لحزبنا الشيوعي. بينما لم تصمد منظمات (هيويا شورش، وحدة النضال، ورز كاري كرد... الخ) أمام الأعاصير خلال الكفاح الوطني وتناوبت البارتي هزات عنيفة ضععت الى حد كبير من نفوذها ونشاطها ومن عدد أعضائها

أيضاً. ولماذا؟ أسألوا الشعب، فالحزب الذي يسير بثبات وفق سياسة تخدم الشعب الذي يكتب له البقاء وينتصر آخر الأمر أما أولئك الذين يعملون عندما تكون الريح رخاء ويختفون عندما تهب الأعاصير ثم يغطون في سبات عميق أولئك الذين (يفوتون الفرص بانتظار الفرص) فلم يمنحهم الشعب ثقة إلا بقدر ما يستحقون!

إنه يمكن ان يطول الكلام حول هذه المسألة ويستطيع كل أنسان غير مغرض ان يرى العمال والفلاحين والشباب والنساء والجماهير الفقيرة من كل القوميات التي يتألف منها شعبنا تحس وتدرك ما يتمتع به الشيوعيون من وعي ومن مزايا كفاحية وترغب بالعمل مع الشيوعيين الذين يلهمونهم ويقودون كفاحها من اجل مطالبها المباشرة القومية والوطنية العليا.

غير ان موقف البارتي هذا لم يدفع حزبنا الى السلبية. فهو أولاً قد ساند بقوة توحيد البارتي الذي كان منقسماً على نفسه يومئذ. وهو ثانياً وجد وتمسك بنقطة للاتفاق أي تأليف الحزب الديمقراطي في كردستان العراق وأقترح عليه التعاون في هذه المسألة ووافق مندوب البارتي على عرض ودراسة اقتراح الحزب هذا من قبل قيادة حزبهم وكان هذا منذ سنة تقريباً. وقد أوضح الحزب للبارتي مضمون اقتراحه عدة مرات – بناء على طلبهم – وما نزال بانتظار الوعد الذي قطعه البارتي على نفسه بصدد دراسة هذه القضية وتعيين موقف صريح منها..

هذا بإيجاز ما سبق ان قيل لكم تفصيلاً حول مسألة المفاوضات مع البارتي ومنه تتضح لكم مسألتان رئيسيتان. أما الأولى فأن الحزب لم يعامل ويعترف بالبارتي كمنظمة تتبنى الماركسية... (وانما دعا المخلصين من بين أعضاء البارتي الذين يقولون عن أنفسهم ويعملون من أجل تبني الماركسي اللينينية ويناضلون من أجل أهداف الحزب الشيوعي ويلتزمون بسياسته وبنظامه الداخلي إلى الانخراط في صفوفه. ومثل هذه الدعوة ستبقى قائمة للذين يرغبون بجد وتأكيد ماركسيتهم لا بالهمس والقول فقط، بل وبالعمل وبضمنهم العاملون في البارتي من هؤلاء). وصدور هذه الدعوة من الحزب الشيوعي العراقي أمر طبيعي وقد استجاب لها ويستجيب باستمرار جميع المخلصين وبضمنهم من كانوا يعملون سابقاً في أحزاب برجوازية ولهذا يكبر حزبنا وينمو وسيظل يكبر وينمو ويتسع نفوذه.

أما المسألة الأساسية الأخرى فأن حزبنا بذل وما يزال يبذل جهوداً لإقناع البارتي بالتعاون لإقامة التنظيم السياسي الديمقراطي في كردستان، ولكن البارتي حتى كتابة هذه السطور لم يعمل شيئاً وحتى لم يرد على اقتراح الحزب.

وخلاصة القول ان بعض البارتيين يتصورون خطأ، أنهم عندما يجاهرون همساً بالماركسية اللينينية فأن ذلك يكسبهم قوة وشعبية هي في الأساس قوة وشعبية أفكار الماركسية اللينينية. وهنا تكمن معضلتهم الكبرى التي تحيلهم إلى حزب انتهازي معاد صراحة للحزب الشيوعي وأفكار الماركسية اللينينية ولدورهما في الحركة الوطنية بما فيها حركة الشعب الكردي نفسه. بينما الواقع أنهم بالفعل – ودون أدنى شك –

سيكسبون القوة والشعبية في مالو تخلوا عن هذا الموقف المفعم بالخداع أو التضليل وكافحوا بصراحة كحزب وطني معاد للاستعمار ومتضامن مع الحركة الوطنية والحزب الشيوعي في جبهة وطنية موحدة.

وللبارتي تجربته المريرة الطويلة وفي حركتنا الوطنية تجارب غزيرة أخرى وعليه على الأقل أن يتعلم من تجربته الخاصة. ولنا ثقة كبيرة بأن المخلصين فيه سبضعون حداً لاتجاهه الخاطئ هذا الذي لم ينفع شعبنا بعربه وأكراده أي نفع مهما كان. وإلا فإن الحزب لن يجد مصيراً أفضل من مصير المنظمات والأحزاب الانشقاقية الانتهازية التي ذهبت هباء ولم يبق منها سوى العبرة والذكرى السيئة بينما بقيت الأحزاب الوطنية الأخرى تعمل وتكافح وتزداد نفوذاً بين الجماهير ومن بينها حزبنا الشيوعي العراقي.

رابعاً - ارتباكات وأخطاء جدية أخرى

ولا يكاد ينقضي عجبنا من قولكم: (إذا أخذنا التركيب الطبقي لمنظمات البارتي ومنظمات الحزب في كردستان فنرى الفروق تكاد تتعدم فليس هناك حالة متميزة كاستناد منظماتنا إلى الطبقة العاملة مثلاً واستنادا (البارتي) إلى البرجوازية الصغيرة فالوضع التعبوي لكلا الطرفين واحد: غالبية فلاحية متأخرة وأوساط المثقفين الوطنيين من الملاكين. وهذا يفسر سر الصفة الغالبة من النشاط الوطني والطابع الوطني لمنظماتنا ومنظمات البارتي).

وتقولون أيضاً (وبالطبع عندما تكون الحالة هكذا يكون الانقسام شديد الوطأة لا يقارن مع الانقسام الموجود بين الحزب الشيوعي والبعث العربي إذا ان الانقسام هنا داخل الطليعة داخل نفس القوة المتقدمة من الشعب المكافح).

وكذلك تقولون: (وإذا قيل لنا لماذا لا يقوم (الفرع) بالدور الأبرز للف جماهير أوسع والاستناد إلى الطبقة العاملة نقول ان عدم جدارة الفرع بالقيام بهذا الدور راجع إلى أسباب عديدة فالوضع في كردستان يحتاج إلى حزب ديمقراطي وان الخلايا الشيوعية التي تتأسس على أكتاف فلاحين متأخرين لا تكون إلا مشوهة ولا تستطيع تعبئة الجماهير واستيعاب المحتوى القومي لكفاح الشعب الكردي كما ثبت هذا في السنوات العديدة) (تقرير لجنة الفرع).

ان هذه الفقرات تعكس بصورة جلية للغاية عدم الثبات والارتباكات الفكرية البتي برجوازية ولقد فرغنا منذ قليل من دحض الفكرة الانتهازية الزاعمة بان البارتي منظمة شيوعية تلك الفكرة التي دفعتمكم في الانزلاق إلى حد قبول فكرة حل المنظمات الشيوعية في كردستان.

وها أنتم بعد قليل تعيدون الأمور إلى نصابها بتقديركم لمنظمات البارتي بان طابعها وطني لا شيوعي. ولكنكم لا تفعلون ذلك خدمة للحقيقة، بل لتقررروا في نفس الوقت بان بعض منظمات حزبنا الشيوعي هو كذلك (وطني ثوري)! اذ يقول محضر اجتماع

لجنة الفرع: وفي صفوف الحزب أكثرية من العناصر الشيوعية بالاسم فقط اما تفكيرها ونظرتها إلى الحزب، فنظرة وطني ثوري يحبذ الشيوعية والاتحاد السوفيتي بوجه عام دون أدراك لحقيقة الشيوعية واساسها وفلسفتها.

ان فكرتك القائلة بان المنظمات الحزبية في كردستان هي منظمات وطنية لا شيوعية هي فكرة خاطئة من الأساس كما ان الأسباب التي استندتم اليها للتوصل إلى هذه الفكرة الخاطئة أسباب لا تصمد للمناقشة.

فالمنظمات الشيوعية العاملة في كردستان هي قبل كل شيء جزء من منظمات الحزب الشيوعي العراقي الذي يضم طليعة البروليتاريا ويعتمد الماركسية اللينينية في تفكير هو سياسته وتنظيمه وأسلوب عمله وكامل حياته ونشاطه وهو يستند إلى البروليتاريا وجمهور الكادحين. فهذه المنظمات هي نفسها طليعة البروليتاريا مهما كان الانحدار الطبقي لعناصرها وتعتمد نظرية البروليتاريا... الخ فهي إذا منظمات شيوعية ونود ان نؤكد على الأهمية الكبرى الحاسمة لهذه الحقيقة في التفريق بين المنظمات الشيوعية للحزب ومنظمات الأحزاب الوطنية غير الشيوعية.

ان هذه الحقيقة تنسف الأفكار المعادية للحزب الرامية إلى تجريد منظماتنا الشيوعية من طابعها الشيوعي مهما عانت هذه المنظمة أو تلك من نواقص في عملها أو في مستواها العام فالماركسية اللينينية تعلمنا ان الشيوعيين لا يأتون من صفوف العمال فقط، بل يتحدرون أيضا من الفلاحين والكادحين والمثقفين ... الخ ويصبحون طليعة البروليتاريا وان لم يتحدروا من صفوفها، وهي تعلمنا ان الشيوعيين وحدهم هم طليعة البروليتاريا مهما كانت انحداراتهم الطبقيّة. ومن الجانب الثاني فان البروليتاريين لا يمكن ان يكونوا كلهم عناصر طليعية وينظموا إلى الحزب الشيوعي.

يقول لينين: (نحن حزب الطليعة ولذلك فالطبقة كلها على وجه التقريب يجب ان تعمل تحت قيادة حزبنا وان تتراص حوله أكثر ما يمكن. أما ان تصبح كلها يوما ما – وفي عهد الرأسمالية – في حالة تستطيع معها ان ترتفع حتى تبلغ درجة من الوعي والنشاط مثل فصيلها الطليعي أي مثل حزبها الاشتراكي الديمقراطي فان التفكير في مثل ذلك ضرب من المالبينوكوفية وشكل من السير في ذيل الحركة. وان المنظمة النقابية نفسها (وهي منظمة ابتدائية أكثر من الحزب وأقرب تناولا إلى أدراك الجماعات غير المتقدمة) لا تستطيع في عهد الرأسمالية ان تشمل الطبقة العاملة كلها تقريبا أو الطبقة العاملة بأسرها تماما. وليس هناك اشتراكي ديمقراطي واحد سليم التفكير يداخله الشك في ذلك فنحن إنما نخدع أنفسنا ونغض عيوننا عن أعظم مهماتنا وواجباتنا، بل أننا نضيق نطاق هذه المهمات والواجبات إذا نحن نسينا الفرق بين فصيل الطليعة واجبا دائما هو رفع جماعات أوسع إلى هذا المستوى المتقدم الراقي) (لينين – خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الوراء).

ولكي يكون الحزب طليعة الطبقة العاملة لا يكفي ان تكون نسبة العمال الأعضاء فيه كثيرة بالقياس إلى عدد أعضائه (بل وحتى لو كان معظمهم عمالا) بل يجب ان

يتبنى الماركسية اللينينية ويسترشد بها في حياته ونشاطه وأهدافه وقبل كل شيء يعلنها ويثقف بها أعضائه وال جماهير ويعتمدها راية خفاقة للكفاح. فالحزب الشيوعي البريطاني هو حزب الطبقة العاملة وطلبتها لا حزب العمال البريطاني. رغم ان الحزب من حيث علو نسبة العمال الشيوعيين والفلاحين والفقراء الشيوعيين في العضوية في المراكز القيادية على مختلف الدرجات للأحزاب الشيوعية التي تعاني مثل هذا النقص ولا يبرر ضعف النفوذ الجماهيري بين العمال والفلاحين للأحزاب الشيوعية التي تعاني مثل هذا الضعف.

وحزبنا لا البارتي ولا أي حزب عراقي آخر هو الحزب الوحيد الذي يستند إلى الطبقة العاملة ويعتق ويسترشد بنظريتها رغم النواقص التي يحسها في عمله بين العمال والفلاحين والتي لا ريب بأنه سيزيلها ونحن جميعا مسؤولون عن تطبيق توجه الحزب نحو العمال والفلاحين الذي أكد عليه مرة أخرى في أعقاب الانتفاضة الأخيرة واتخذ على هذا الأساس جملة من التدابير لملافة هذا النقص في عمله (نذكر على سبيل المثال ان منظماتنا العمالية في بغداد قد تقدمت خطوات جيدة في هذا الاتجاه وحقت في منهاجها للثلاثة أشهر الأولى المنتهية في حزيران الماضي نتائج محسوسة إذ ارتفعت عضويتها بين العمال إلى 218% عما كانت عليه في شباط الماضي. وتوزع الجريدة الحزبية بين العمال إلى 170% وارتفعت نسبة العمال إلى منظمة بغداد والكاظمية إلى 30% وفي كركوك إلى 46% ونسبة العمال والفلاحين في منظمة الحلة إلى 45% كما ارتفعت في أماكن أخرى). وهكذا تتجه جميع منظمات الحزب وأنتم أنفسكم في منظمات حزبنا في كردستان مدعوون لتطبيق اتجاه الحزب هذا بين العمال والفلاحين وبصورة خاصة بين شركة النفط في كركوك والمناطق الفلاحية الواسعة.

ان الطبقة العاملة هي طليعة الطبقات الشعبية وينبغي ان تكون قائدها. ولكنها تقوده بواسطة حز بها الطليعي حزب الشيوعيين الذي يضم خيرة العمال والفلاحين والمثقفين... الخ، الطليعيين...

ومن هنا يتضح خطأ الاستناد إلى كون بعض أعضاء حزبنا العاملين في كردستان قد تحدروا من صفوف الفلاحين والمثقفين بغرض تجريدهم من صفتهم الشيوعية وبغرض إيجاد التشابه بينهم وبين أعضاء البارتي المنتمين إلى نفس الطبقات والمراتب والفئات الاجتماعية... وبالتالي ارتكاب الخطأ الآخر الذي يسوي بين الحزب الشيوعي والبارتي ويجعل من وجود تنظيماتنا المستقلة عن بعضها (انقساماً في الطليعة)! سواء فسرت الصفة الطليعية من وجهة نظر الماركسية اللينينية (كما يعبر عنها حزبنا) أو من وجهة نظر القومية البرجوازية.

ومن الخطأ الطلب من الحزب الشيوعي ان يحصر تنظيماته في المدن والمعامل والمشاريع الصناعية. انه يقيم تنظيماته ولا بد ان يقيمها على أساس القطر وبين كل الطبقات والمراتب الشعبية. فهو حزب الثورة الاجتماعية الحزب الذي يدخل الوعي

ويلهم وينظم ويقود جماهير الشعب من أجل التحرر الوطني والاجتماعي.

ان فكرة (الحصر) هذه فكرة خطيرة. ذلك لان الطبقة العاملة وحدها لا تستطيع أن تحزب الانتصار في أي من مرحلتَي الثورة الوطنية الديمقراطية والبروليتاريا الاشتراكية لا تستطيع ذلك ألا إذا استندت إلى حلفائها في الداخل (وفي الخارج أيضاً) وقادت الأولين ولا يمكن ان يتم لها هذا إلا إذا ايقظتهم ونظمتهم ... ليس سوى أعداء البروليتاريا والشعب من يوصون بـ (حصر) عمل الحزب وتجاهله لحلفاء الطبقة العاملة ...

فإذا كانت مشاركة البارتي لمنظمات حزبنا في (العمل التعبوي) في منطقة غالبية سكانها من الفلاحين والكادحين والمتقنين سبباً كافياً لنزع الصفة الشيوعية عن هذه المنظمات وهذا السبب يبرر نزع الصفة الشيوعية من منظمات الحزب العاملة في المناطق الأخرى من العراق وربما جر إلى نزع الصفة الشيوعية عن الحزب الشيوعي نفسه لان غالبية سكان العراق مؤلفون من الفلاحين وكادحي المدن والمتقنين... وسيقال نفس الشيء عن الأحزاب الشيوعية ومنظماتها العاملة في الصين والهند وإندونيسيا وسوريا والأردن والسودان وغيرها من أقطار آسيا وأفريقيا التي تتألف أغلبية سكانها من الفلاحين والحرفيين والكسبة... الخ!

إلا ان مشاركة الأحزاب الأخرى أو بعضها في الحزب الشيوعي في العمل بين نفس الأوساط الشعبية التي يعمل فيها أو في بعض هذه الأوساط لا يمكن ان يكون سبباً كافياً للانعدام الفروق بين الحزب الشيوعي وبين هذه الأحزاب، مع ان هذه الصورة لا تنطبق على الوضع الجماهيري لحزبنا في الوقت الراهن حيث ان نفوذه الأدبي وتنظيمه لا يمكن ان يقارن بهما بأي شكل من الأشكال للنفوذ الأدبي والتنظيمي لأي حزب وطني آخر ومع ذلك فما قولكم في مشاركة حزب العمال البريطاني للحزب الشيوعي البريطاني في العمل التعبوي بين عمال إنكلترا؟ وفي مشاركة الأحزاب الاشتراكية في أوروبا الغربية للأحزاب الشيوعية؟ ... الخ وفي مشاركة حزب البعث في سورية للحزب الشيوعي؟

ان من السذاجة ان ننتظر من الأحزاب الأخرى وخصوصاً أحزاب البرجوازية الصغيرة والمتوسطة ان تمنع أنفسها من العمل لكسب العمال والفلاحين والمتقنين إلى جانبها وان تمتنع من تلقاء نفسها من أقامه زعامتها (قيادتها) للجماهير.

ان المنافسة على قيادة العمال والفلاحين وجماهير الكادحين بين الحزب الشيوعي والأحزاب البرجوازية بين عقلية البروليتاريا وأسلوب عملها وعقلية البرجوازية وأسلوب عملها أمر طبيعي، بل هو جار في بلادنا ولا يدهشنا. ونحن الشيوعيين ندرك جيداً ان زعامة البروليتاريا وقيادة حزبنا الشيوعي لثورتنا الاجتماعية في كل مراحلها شرط أساسي لا غنى عنه لانتصارها الحازم. وأتألم لأن عمل بشرف وسواصل عملنا لتعزيز كفاءه وجدارة حزبنا للنهوض بهذا الواجب المشرف.

ويسعنا الموافقة على زعمكم بأن أكثرية العناصر الحزبية شيوعية بالاسم. فالمقاييس التي اعتمدت عليها في هذا الشأن مشوشة ولا يمكن اعتمادها. ان نظرة هذه العناصر إلى الحزب قد تكون في حالات معينة أكثر صفاء من نظراتكم ونحن على يقين من أنها لا تسمح لنفسها بحمل الفكرة الانتهازية التي تدافعون عنها بحرارة فكرة حل المنظمات الشيوعية وهذا وحده يكفي للثقة بأمانتها للحزب وسياسته ومبادئه يكفي للثقة بشيوعيتها الصادقة.

ومن الجهة الأخرى فإن حزبنا يعتمد صيغة لينين التي تقول (يمكن ان يكون عضواً في الحزب جميع الذين يعترفون ببرنامجه ويدعمون الحزب مادياً وينظمون في إحدى منظماته). أما استيعاب الماركسية اللينينية ومعرفة (أساسها وفلسفتها فهو أمر آخر في الحزب يحصل الأعضاء على تربيتهم ويرتفع مستواهم الفكري والسياسي. ومع هذا فلا يمكن إلا ان يبقى فرق بين أعضاء القاعدة في الحزب من حيث هذا المستوى وبين أعضاء الكادرف هؤلاء الأخيرون هم المطلوب منهم أكثر من غيرهم ان يتفهموا (أساس الماركسية اللينينية وفلسفتها). ولذلك يبذل الحزب كل الجهود لنشر الأدبيات الشيوعية ويجري التثقيف الجماعي والذاتي ويصدر الصحافة الحزبية.. الخ. يقول ستالين:

(يظهر ان بعضهم يعتبرون ان عضو الحزب إذا لم يهضم برنامج الحزب فهو سلبي ويجب ان يفصل، ولكن هذا خطأ أيها الرفاق. ولا يجوز أبداً تفسير النظام على هذا الشكل المليء بالادعاء. فلكي يهضم المرء برنامج الحزب ينبغي ان يكون ماركسياً حقيقياً مجرداً وذا تكوين نظري. ولا أدري إذا كان في حزبنا عدد كبير من الأعضاء الذين هضموا برنامج الحزب وأصبحوا ماركسيين حقيقيين مجردين وذوي تكوين نظري فإذا كنا نريد متابعة العمل على هذا السبيل فسينبغي لنا دون ريب ان لا نبقي في الحزب سوى المثقفين والعلماء بصورة عامة. فهل من حاجة إلى حزب من هذا النوع؟ ان مسألة الانتساب للحزب تقوم عندنا على صيغة لينينية مجردة تثبت أمام كل امتحان فبمقتضى هذه الصيغة يعتبر عضو الحزب من يوافق على برنامجيه ويدفع اشتراكات مالية ويعمل في إحدى منظماته. ولاحظوا جيداً ان ليس في الصيغة اللينينية كلام عن هضم البرنامج وهما شيئان مختلفان تماماً وغنى عن الإثبات ان لينين هنا هو على حق لا رفاقنا الذين يثرثرون دون جدوى عن هضم البرنامج وهذا أمر مفهوم فلو أعتمد الحزب وجهة النظر القائلة بأن الرفاق الذين هضموا البرنامج أصبحوا ماركسيين لينينيين مكوّنين نظرياً يحق لهم ان يكونوا أعضاء في هذا الحزب لما كانت هناك حاجة إلى ان يخلق الحزب في داخل صفوفها لألوف من الحلقات الشيوعية ومئات المدارس الحزبية لتثقيف الماركسية لأعضائه ولمساعدتهم على تفهم برنامجهم وهضمه. ومن الواضح الجلي ان الحزب أنما ينظم لأعضائه هذه المدارس والحلقات لأنه يعلم ان أعضاءه لم يتيسر لهم بعد الوقت الكافي ليهضموا برنامجهم وليصبحوا ماركسيين ذوي تكوين نظري) (في سبيل تكوين بلشفي ص 53 - 54).

خامساً - الأمانة المطلقة للحزب وسياسته شرط لا غنى عنه

ان المفاوضات التي جرت في (س) حول ما يسمى بـ (الوحدة التنظيمية) بين منظمات الحزب الشيوعي ومنظمات البارتى أو في اتجاه حل المنظمات الشيوعية يشكل خروجاً صريحاً على مبادئ الحزب وسياسته. والحزب الشيوعي يتطلب من كل عضو من أعضائه وكل لجنة من لجانته دون استثناء الأمانة المطلقة لمبادئه ولسياسته وليس لأي لجنة ولأي عضو بمن فيهم أعضاء اللجنة المركزية ان يبتثوا آرائهم الخاصة المخالفة لمبادئ الحزب وسياسته ولا ان يعتمدوا عليها في نشاطهم.

فالاتفاق الذي جرى في مفاوضات (س) على حل منظمات الحزب في كردستان برغم أنه علق على موافقة وقرار اللجنة المركزية فإنه خرق صريح للضبط الحزبي وهو موقف انشقاقي معاد لوحدة الحزب والمبادئ. وبدلاً من ان تشجب لجنة الفرع هذا الموقف بقوة فإنها تمادت في مسايرته وتوسيعه وباركت المسلك التحلي والانشقاقي وتبنت بحرارة الأفكار الشائنة أفكار مفاوضات (س) غير المجيدة. فعقدت اجتماعاً واسعاً ضم رفيقين آخرين و (وحدت موقفها) ضد الحزب وسياسته وقيادته ووجدت كما وجد الاجتماع مبررات وحججاً خاطئة لإسناد مفاوضات (س) معادية للحزب. فمن المعلوم ان المفاوضات من له صلاحية على ان يعبر عن سياسة الحزب ولا يخالفها وعند طرح أي مسألة من الجانب الآخر تخالف سياسة الحزب فعليه ان يرفضها ويعرض على الحزب وقائع المفاوضات ويتلقى أوامره ويواصل تنفيذ سياسة الحزب وقراراته بأمانة واستقامة تامة.

وتقولون في محضر اجتماع لجنة الفرع: (وجرى البحث في علاقة الفرع بالمركز ولم يذكر أي اختلاف في وجهات النظر حول ضرورة ان تكون شؤون كردستان وكل ما يتعلق بها من اختصاص الفرع أي ان الشيوعيين في كردستان هم الذين يقررون ما في صالح الحركة الشيوعية والثورية وليس لجهة أخرى حق التدخل فيها)؟

أنتم طبعاً لا تقصدون بـ (الجهة الأخرى) البارتى بل تعنون اللجنة المركزية للحزب الشيوعي على وجه الضبط. ولقد سبق لكم ان أعربتم من (تأففكم) من الخضوع لإشراف وقيادة اللجنة المركزية وسميتم ذلك تدخلاً لا مبرر له في شؤونكم ولا حق لها فيه. وقلنا لكم إنكم مخطئون وأحلناكم على النظام الداخلي للحزب وعلى المبادئ اللينينية في التنظيم ويبدو ان ذلك لم يكن كافياً.

ان الحزب الشيوعي العراقي يقوم على أساس المبادئ اللينينية فما هي المبادئ اللينينية المتعلقة بوجهة نظركم الخاطئة تجاه هذه المسألة بالذات؟

جاء في تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي وهو يسرد المبادئ اللينينية في التنظيم الحزبي ما يلي: (يجب ان يكون الحزب منظماً طبقاً لمبادئ المركزية لكي يتمكن من القيام بعمله ويقود الجماهير بانتظام. فيكون له قانون داخلي واحد وهيئة قائدة واحدة يمثلها مؤتمر الحزب وتمثلها خلال المدة الفاصلة بين مؤتمري اللجنة

المركزية للحزب ويجب ان تخضع الأقلية للأكثرية وان تخضع المنظمات المختلفة للمركز والمنظمات السفلى للمنظمات العليا بدون هذه الشروط لا يمكن ان يكون حزب الطبقة العاملة حزبا حقيقيا ولن يستطيع القيام بمهمته التي هي إرشاد الطبقة العاملة وقيادتها.

وقد هاجم لينين المنشفيك حاملا على ميولهم النهليستية في شؤون التنظيم وعلى فوضيوتهم المتكبرة المتعالية التي لا تقبل فكرة الخضوع لسلطة الحزب ونظامه. وقد كتب في ذلك ما يلي:

(ان هذه الفوضوية المتعالية المتكبرة هي من خصائص النهليستي الروسي فان منظمة الحزب تتراءى له كـ (فابريكة (مخيفة). أما خضوع الجزء للكل والأقلية للأكثرية فهو في نظره ضرب من (الاستعباد) وكذلك العمل تحت قيادة مركز واحد فهو أمر يدفعه إلى إرسال صرخات ميكية مضحكة احتجاجا على تحويل الناس إلى دواليب ونوابض.. وما ان نذكر أمامه قوانين تنظيم الحزب حتى ترتسم على وجهه تكشيره احتقار ويتفضل بملاحظة كلها ازدراء واستخفاف موجهة إلى روسيا (المتمسكين بالشكليات) قائلا (ان من الممكن الاستغناء عن هذه القوانين بأجمعها).

ثم يقول في الفقرة السادسة:

(إذا كان الحزب يحرص في نشاطه العملي على الاحتفاظ بوحدة صفوفه فعليه ان يطبق نظاما بروليتاريا واحدا إجباريا يتساوى أعضاء الحزب في التزامهم والتقييد به من الزعماء إلى ابسط الأعضاء. ولهذا ينبغي لا يكون في الحزب أي تقسيم يجعل الأعضاء فريقين: أعضاء النخبة وليس النظام إجباريا لهم، و (غير أعضاء النخبة) وهم مجبورون على الخضوع للنظام – بدون هذا الشرط لا يمكن المحافظة على سلامة الحزب ولا على وحدة صفوفه) (تاريخ الحزب ص 41-42).

ولا ندري كيف غاب عن بالكم ان أحد الشروط الأساسية لعضو الحزب هو تقييده بالنظام الداخلي للحزب وان كل عضو في حزبنا يعرف جيدا ان الحزب الشيوعي العراقي (حزب مجاهد سري ذو ضبط حديدي يسري مفعوله على جميع هيئاته وأفراده دون استثناء يدين بمبدأ الانتقاد الذاتي ويأخذ بقاعدة المركزية الديمقراطية ويطبقها بالشكل الذي لا يتعارض وطبيعة العمل السري. تخضع هيئاته السفلى لقرارات الهيئات العليا وتخضع الأقلية لقرارات الأكثرية. حزب تملك قيادته نفوذا واسعا واحتراما بين هيئاته وأعضائه وبالتالي بين الجماهير العمالية والشعبية. حزب لا مكان فيه لمطايا النفوذ المعادي للانتهازيين والتوفيقيين ولا مكان كذلك للخاملين والثرثارين والحبناء) (النظام الداخلي م 3). وعن اللجنة المركزية (تمثل...سلطة الحزب العليا خلال الفترات بين مؤتمرات عامين في جميع ميادين النشاط الحزبي النظرية والخطية والتنظيمية عدا تلك التي من اختصاص اللجنة المركزية وصلاحياتها أنها تشرف على جميع أعمال المنظمات الحزبية وعلى تنظيماتها وتوجه نشاطها وتنسق أعمالها جميعا) وفقا للنظام الداخلي للحزب. وهي (تضع موضوع التطبيق مبادئ

الحزب وأهدافه وتراقب تنفيذ برامجهم ونظمهم ومقررات مؤتمراتهم ومقرراتها هي ومقررات الهيئات المسؤولة كافة من قبل منظمات الحزب وأجهزته كافة وتسهر على صيانة تلك المبادئ من عبث المنحرفين والأعداء الداخليين والخارجيين وتسهر على سلامة الحزب وتنظيماته وأجهزته وجميع ممتلكاته (ف - 1 م 13). وان (لها حق إلغاء مقررات الهيئات الأوطأ منها عندما تكون تلك المقررات مخالفة لمبدأ الحزب ولمقررات هيئاته العليا في حالة عدم ملاءمته السياسة الحزب المتبعة آنذاك) (ف ج م 13).

وفي وسعكم طبعاً ان ترجعوا إلى مواد النظام الداخلي الأخرى...

يتضح لكم من ذلك ان الفرع ومنظماته وكافة الشيوخ عيين في كردستان، شأنهم شأن أعضاء الحزب ومنظماته في العراق خاضعون بصورة مطلقة في نشاطهم الحزبي لإشراف وقيادة اللجنة المركزية وان من حق اللجنة المركزية إبطال أي قرار أو أي إجراء تتخذه لجنة الفرع أو أية منظمة من منظماته إذا كان القرار أو الأجراء مخالفاً لمبادئ الحزب وسياسته وأهدافه.

صحيح ان الحزب يعمل على إشباع اللجان والهيئات الحزبية لمسؤولياتها ومنها لجنة الفرع واللجان المحلية والفرعية قدرة ما تسمح به الإمكانيات ومستوى الكادر لكي تطور عملها وتحسنه لكي تكون أقدر على أداء الخدمات للحزب والشعب. ولكن ذلك لا يعني بأي حال ان اللجنة المركزية لم تعد ذات صلاحية أو حق فيما سميتمونه (التدخل في شؤونكم). ليس في الحزب الشيوعي منظمة أي كانت لا تخضع لمبادئ الحزب ونظامه الداخلي وقيادته. ليس فيها منظمة مستقلة عنه وعندما تبيح أية منظمة حزبية لنفسها (الاستقلال) عن الحزب وقيادته فإنها تكف عن كونها منظمة حزبية.

ان (شؤون كردستان وكل ما يتعلق بها) وشؤون العراق وكل ما يتعلق به داخلية في النشاط القيادي للحزب ولجنته المركزية.

واحد من امرين: أما حزب شيوعي لينيني وعند إذ فان على جميع المنظمات الحزبية الخضوع لقيادة مركزية واحدة هي اللجنة المركزية للحزب والأمانة واللا شرطية لمبادئ الحزب وسياسته، واما حزب من نوع آخر برجوازي يفتقر إلى وحدة الإرادة والعمل وإلى المزايا التنظيمية واللينينية الأخرى حزب متحلل قسم منه (يجري بالطول) وقسم (يجري بالعرض).

سادسا - حول دور الفلاحين

ان الماركسية اللينينية تعلمنا بان الاستراتيجية التي تمر بها بلادنا اليوم في مرحلة التحرر الوطني مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية وهذه الثورة هي في الجوهر ثورة فلاحية. فالتحرر الوطني من الاضطهاد الاستعماري هو في الجوهر تحرير الفلاحين والتحرر الديمقراطي هو في الجوهر تحرير الفلاحين من بقايا الإقطاعية من نير كبار الإقطاعيين والملاكين واعطاء الأرض والمياه والحرية للفلاحين. وعندما نقول (في

الجوهر) نعني (في الأساس) وذلك لان الفلاحين هم الأكثرية الساحقة والأكثر تعرضا للاستغلال من بين جماهير الشعب فتورتنا الوطنية الديمقراطية هي ثورة في صالح الفلاحين والعمال وجميع الطبقات والفئات الاجتماعية الأخرى التي يضطهدها الاستعمار وكبار الإقطاعيين والملاكين والرأسماليين البيروقراطيين الذين يستندون إلى الهيمنة الاستعمارية ويربطون مصيرهم بمصير الاستعمار ويخونون بذلك الشعب والوطن.

ولهذا على وجه الضبط يشغل الفلاحون مركز الحليف الرئيسي للطبقة العاملة العراقية وفي كفاحها من أجل أهداف ثورتنا الوطنية الديمقراطية أهداف التحرر من حلف بغداد وسائر مظاهر ومقومات السيطرة الاستعمارية السياسية والاقتصادية والعسكرية ومن اغلال الاستعمار وعملاءه وكبار الإقطاعيين والملاكين والرأسماليين والبيروقراطيين الخونة ومن أجل السلم والاستقلال الوطني والديمقراطي ولهذا على وجه الضبط يكون التحالف بين العمال والفلاحين بقيادة الطبقة العاملة وحزبها الشيوعي أساس الجبهة الوطنية الموحدة جبهة الطبقات الوطنية الديمقراطية الأربع (العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة والبرجوازية الوطنية المعادية للاستعمار والإقطاعية) وأساس الحكم الديمقراطي الشعبي الذي هو دكتاتورية هذه الطبقات الأربع أي دكتاتورية الشعب الديمقراطية الثورية المناهضة بحزم الاستعمار والإقطاعية والبرجوازية المتواطئة مع الاستعمار والإقطاع.

ومن المعروف أيضا ان حلف العمال والجماهير الغفيرة الكادحة المستثمرة من الفلاحين سيكون الأساس للبناء الاشتراكي في المرحلة التي تلي مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية. فهل يمكن للحزب الشيوعي ان يحقق إنهاء الفلاحين لانتزاع مطالبهم الخاصة في زيادة حصتهم من الحاصل وفي الأرض والماء وغيرها من المطالبات وان ينهض لكي يلعبوا دورهم من أجل إنجاح الثورة الوطنية الديمقراطية وان يحقق التحالف بين العمال والفلاحين بدون حفز نضالهم الطبقي ضد الإقطاعيين وملاك الأرض وتنظيمهم في منظمات فلاحية جماهيرية بدون إدخال الوعي السياسي في صفوفهم وبدون إقامة تنظيمات شيوعية بينهم؟ من الذي يستطيع غير الحزب الشيوعي ان ينقل الشعارات الثورية والحلول الصحيحة للمسألة القومية الكردية ولمسألة الكفاح المشترك بين العرب والأكراد ومن أجل التحرر الوطني ولأهداف حركتنا الوطنية الديمقراطية.. الخ إلى جيش الثورة الرئيسي ويرببهم بها ويجعلهم يتمنونها ويناضلون من أجل تحقيقها. ويضمن بذلك دحر المفاهيم والشعارات القومية الشوفينية والبرجوازية والتفاهمية والإقطاعية الخائنة؟ من الذي يستطيع ان يقوم بذلك فلاحي كردستان سوى منظمات الحزب الشيوعي العراقي والخلايا الشيوعية القائمة على أكتاف هؤلاء الفلاحين الذين يزعم بأنهم (متأخرون)؟

ان الفلاحين متأخرون في بلادنا وفي كل البلدان المشابهة جراء سيطرة الاستعمار والإقطاعية وعبودية القرون الطويلة هذه حقيقة موضوعية ولكن حين يراد التذرع بها للتقليل من دور الفلاحين في الكفاح الوطني والقومي التحرري والتقليل من دور

وعمل الحزب الشيوعي بين الفلاحين والمبالغة في هذا التأخر إلى الحد الذي يراد به تصفية المنظمات الشيوعية بين الفلاحين وفي كردستان إلى الحد الذي نجم فيه قدرة الفلاحين، والفلاحين والشيوعيين على (استيعاب المحتوى القومي لكفاح الشعب الكردي) (تقرير لجنة الفرع) وفي الوقت نفسه التعظيم الخاطئ لدور الإقطاعيين والتجار والأكراد كما جاء في ملاحظة الرفيق شريف حين قال: (ان الإقطاعيين والتجار والأكراد لهم مكانة ممتازة بين الشعب الكردي نتيجة مواقفهم القومية ومساهماتهم سابقا وهذا يؤدي إلى تقليلاً لنضال الطبقي بين الفلاحين والإقطاعيين ما عدا في منطقة دزه يي) فان كل هذا لا يعني سوى تبرير سيادة الأفكار البرجوازية على الأفكار البروليتارية في صفوف الفلاحين وجعلهم احتياطياً تابعاً لقيادة البرجوازية وتسلم البرجوازية والإقطاعية لقيادة النضال الوطني والديمقراطي وجر المغنم لها ووضع العقبات أمام تحالف العمال والفلاحين بقيادة الطبقة العاملة وحزبها الشيوعي وبالتالي الوقوف بوجه انتصار الشعب العراقي وبضمنه الشعب الكردي على الاستعماريين والإقطاعيين والبرجوازيين التفاهمين وعملائهم الذين يحرمونه من نعمة الأمن والاستقلال والديمقراطية والتقدم ...

يقول لينين: (ان البروليتارية وحدها تستطيع ان تكافح في سبيل الديمقراطية بروح الاستمرار والمثابرة ولكنها لا تستطيع ان تنتصر في هذا الكفاح إلا إذا انضمت جماهير الفلاحين إلى النضال الثوري والبروليتاري ... (تاريخ الحزب الشيوعي السوفيتي ف3 ص 15). ولكن تأمين الدور القيادي والتحالف بي العمال والفلاحين لا يمكن ان يتم إلا بنضال دؤوب عنيد يقوم به حزب الماركسية اللينينية الحزب الشيوعي ضد العقلية البرجوازية التي تريد ان تنأى بالفلاحين عن الانضواء تحت علم البروليتاريا الثوري بل وتريد ان تبقى البروليتاريا تتسكع في ذيل البرجوازية. وهذا هو ما ينطوي عليه نظرة الاستصغار (للخلايا الشيوعية التي تقوم على أكتاف الفلاحين المتأخرين) ولتجميل المراكز الممتازة للإقطاعيين والتجار والأكراد؟ وينطوي عليه مفهومكم الخاطئ الرامي إلى حل منظمات الحزب في كردستان.

ولكن لو شئنا ان نعود معكم إلى وضع الفلاحين (المتأخرين) في كردستان لوجدنا ان الوقائع تدحر دعوى (تأخر) الفلاحين ودعوى (عدم قدرتهم على استيعاب المحتوى القومي في كفاح الشعب الكردي) تلك الدعاوى التي لا تقوم على أساس.

وبإمكاننا القول ان الخلايا الشيوعية المتسلحة بالحل السياسي الصحيح الذي أعطاه حزبنا للمسألة القومية، تفهم حقا (المفهوم القومي) ولا يباريها في هذا الفهم البارتي الذي يجنح إلى نظرة الانعزال القومي ويقلل من أهمية الكفاح المشترك بين العرب والأكراد وسائر الأقليات القومية في العراق ضد الاستعمار وعملاءه.

ولكننا نود ان نضيف إلى هذه الحقيقة حقائق أخرى معروفة للجميع ونحن نسأل لماذا يشيع بين الفلاحين الأكراد حب الاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي العراقي بينما يعرضون عن حزب البارتي؟ لان الاتحاد السوفيتي وطن الشعوب المتحررة

المتأخية الذي قضى على الإقطاعيين وكبار الملاكين وتحرر فيه الفلاحون والشعب من الاستغلال وحصلوا على الأرض والحرية والرفاه ولأنه يقود النضال العالمي ضد الاستعمار ويقود النضال ضد الإقطاعيين من أجل التحرر والفلاحين والشعب ومن أجل حرية تقرير المصير للشعب الكردي ويذود عن أخوة الشعبين العربي والكردي في نضالهما المشترك ضد العدو المشترك الاستعمار ورجعيته الحاكمة. وليس كذلك البارتي الذي يتجاهل حقوق الفلاحين التي يغتصبها الإقطاعيون وينتهج سياسة انعزالية تعيق تحرر الشعب الكردي لأنها تعيق الكفاح المشترك ضد الاستعمار وبث روح الريبة والجفاء بين الأكراد ضد العرب وأخيرا لان البارتي لا يخفي معارضته وكرهه للحزب الشيوعي الذي يكن له الفلاحون والأكراد والشعب الكردي الحب والاحترام.

أفلا يدل كل هذا على ان دعوى (تأخر) الفلاحين ما هي إلا أسطورة؟ ان هذه الحقيقة وحدها تقنع كل من يريد ان يقف إلى جانب الواقع بأن جماهير الفلاحين تستطيع أنتقمهم ما هو في مصلحتها الطبقية والقومية والوطنية دون كبير عناء.

وعلى من تدل الحركة البرزانية وانتفاضة فلاحين (دزه يي) والاحتجاجات والمظاهرات والنضالات التي قام بها الفلاحون في أنحاء شتى من كردستان العراق من أجل مطالبيهم الخاصة أو بالاشتراك مع جماهير الشعب من أجل مطالب سياسية وطنية؟ أهذا أيضا (تأخر) أم هو إدراك لمصالحهم الطبقية ومصالح شعبهم ووطنهم؟ لقد برهن الفلاحون في نضالاتهم العديدة على طاقاتهم الثورية وعلى الاستعداد للكفاح حتى أرقى درجاته إذا ما أحسن استيعاب هذه الطاقات وتنظيمها وتوجيهها وقيادتها قيادة حكيمة صائبة.

سابعاً - المهمة الأساسية في حركتنا التحررية وموقف البارتي منها

ما هي المشكلة الأساسية في ثورتنا الوطنية الديمقراطية؟

تعلمنا اللينينية ان المسألة الأساسية في كل ثورة تكمن في الجواب على السؤال التالي: ماهي الطبقة أو الطبقات التي في الحكم في مرحلة تاريخية معينة؟ ما هي الطبقة أو الطبقات التي يجب إزالتها من الحكم؟ ما هي الطبقة أو الطبقات التي يجب ان تتولى الحكم؟

فمسألة الحكم هي المسألة الأساسية في ثورتنا وفي كل ثورة.

فمن هم الذين يحكمون العراق ويفرضون على الشعب بمختلف قومياته دكتاتوريتهم التي تكبل حريته وتطوره وتقدمه؟ انهم الاستعماريون الأجانب وكبار الإقطاعيين والملاكين والبرجوازيين من الذين ربطوا مصالحهم ومصيرهم بمصالح ومصير الاستعمار وخانوا الشعب والوطن. وهؤلاء هم الذين يجب إزالتهم من الحكم وإزالة دكتاتوريتهم التي فرضوها بوسائل العنف والقهر. ومقابل ذلك فان الطبقات التي يجب ان تتولى الحكم هي الطبقات المعادية للاستعمار وحلفائه وهي التي يجب

ان تفرض دكتاتوريتها الديمقراطية دكتاتورية الشعب.

ان واقع الاجتياح الاستعماري لبلادنا يبرز إلى المقدمة القضية المشتركة لكل الشعب المكافح قضية الانفصال عن الاستعمار قضية التحرر الوطني. ولأجل ان يتولى الشعب الحكم يجب ان تكون وجهه ضربته الرئيسية إلى الاستعمار ولكنه سيضرب في الوقت ذاته حلفاء الاستعمار وبدون ذلك فلن تنتصر... فبينما نرى ان مصلحة مشتركة تؤلف بين الاستعمار وحلفاءه في اضطهاد الشعب العراقي وحرمانه من حقوق التصرف بمقدراته وثرواته وطاقاته من حرية التطور والتقدم نرى من الجهة الأخرى ان مصلحة مشتركة تؤلف بين العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة والبرجوازية الوطنية والطبقات التي تعاني من الاضطهاد الاستعماري والرجعي تلك هي مصلحة القضاء على الاستعمار وعلى عملاء هو إقامة حكم وطني ديمقراطي.

وهكذا يبدو ان الطريق لتحرير العراق هو طريق تحالف الطبقات الأربع في جبهة وطنية ديمقراطية موحدة معادية للاستعمار والإقطاعية. ولما كان شعب العراق مؤلفاً من قوميتين رئيسيين هما العرب والأكراد ومن اقلية قومية أخرى فان اتحادها في كفاح مشترك هو سبيلها لتحررها الوطني الديمقراطي. ولما كانت (حركة الانبعاث القومي العربي حركة تقدمية ديمقراطية لأنها حركة معادية لاستعمار والحرب تضع الاستعمار العالمي وتقوض نفوذه في بلدان الشرق الأوسط عموماً، والشرق العربي خصوصاً وتبطل مؤامراتها الحربية في هذا الجزء من العالم وأن الحركة القومية العربية إذ تعبر اليوم عن أنبل أمانى كافة الشعوب العربية في الانعتاق والوحدة القومية هي حركة تقدمية ديمقراطية بمحتواها وبشكلها خاصة بعد ان راحت البرجوازية الوطنية العربية وبعض الأوساط العربية العليا بتأثير الأوضاع العالمية المستجدة وبدافع مصلحتها نفسها تتبنى أكثر فاكثراً مبادئ حق تقرير المصير والصداقة بين الشعوب والتعايش السلمي وبعد ان تشربت الجماهير الشعبية العربية بروح الديمقراطية والصداقة إزاء مختلف الشعوب والأقوام وبعد تضاعف خطر استخدام هذه الحركة من قبل الدوائر الاستعمارية للإيقاع بالعرب ولبث روح البغضاء ضد الشعوب الأخرى (خطتنا السياسية في سبيل التحرر الوطني والقومي – للحزب الشيوعي العراقي ص 29) فانه (ليس ثمة طريق في الظرف الراهن سوى طريق الكفاح المشترك مع الجماهير العربية في العراق ضد الاستعمار وحلفاءه طريق الكفاح المشترك مع الحركة التحررية العربية الصاعدة في سبيل التحرر الوطني والقومي لجماهير الشعب العراقي وفي سبيل الوحدة العربية وتأمين الاستقلال الذاتي لكرديستان العراق وفق اتحاد اختياري كفاحي أخوي يفتح أمام الشعب الكردي طريق التحرر الشامل والوحدة القومية للامة الكردية بأسرها) (المرجع ذاته ص 31).

هذا هو الطريق الذي يرشد اليه الحزب الشيوعي، طريق الكفاح المشترك ضد الاستعمار وأعوان الاستعمار.

ولماذا يشكل الكفاح المشترك في العراق ضد الاستعمار للقوميتين الرئيسيتين

العربية والكردية ومعها سائر الاقليات القومية عموماً ضرورة لا غنى عنها لتحررها؟ لأن الاستعمار هو العدو الأكبر الذي يرحمها حريتها وحقوقها. ولماذا يجب اتحاد هاتين القوميتين (وسائر الاقليات القومية) في كفاح مشترك ضد الاستعمار؟ لأن الرجعية الحاكمة الخادمة المطيعة للاستعمار ليست مؤلفة من الحكام الخونة العرب وحسب، بل هي مزيج ملتحم من الخونة العرب والأكراد. أحمد مختار وسامي فتاح وجلال وجمال بابان وماجد مصطفى وبابا علي وعلي حيدر سليمان وعمر نظمي وسعيد رزاز ورفيق عارف وعلي كمال وخضر باشا وأل الجاف وعز الدين الملا وغيرهم من البرجوازيين الكبار والإقطاعيين الكبار ورجال الدولة الكبار من المتعاونين مع الاستعمار ليسوا عرباً، بل أكراد وقد التحموا مع الرجعية العربية بكل خيوط المصلحة الاقتصادية والسياسية وكونوا الرجعية العراقية الحاكمة العميلة للاستعمار والمنفذة لسياسته والحارسة على مصالحه.

وبالمقابل تجد ان الاخوة بين الشعبين العربي والكرد في العراق لها أساس ودعائم تاريخية واقعية. فمن قرون عاش الشعبان في صفاء وتعاون ولا يسجل التاريخ أية مذابح واستباحات بينهما، بل يسجل أنهما أرقا دمانهما سوية في الكفاح المشترك ضد العدو انضد الغزاة من الصليبيين والأتراك والإنكليز. أما الأسس الواقعية فأنها تكمن في ضرورة كفاحهما الراهن ضد الاستعمار والرجعية العراقية التي تضطهدهما وتحرمهما نسيم الحرية. وفضلاً عما تقدم فليس هنالك ملاكو أرض كبار عرب وبرجوازيون كبار عرب في كردستان يمكن ان يكون وجودهم باعثاً لتغذية روح العداء القومي بين الجماهير الكردية في حين نرى وجود عدد غير قليل من الوزراء والمديرين العامين والمتصرفين والضباط وموظفي الشرطة والقائمقاميين ومديري النواحي والحكام وغيرهم من الأكراد المنتشرين في جميع أنحاء البلاد وفي كل أجهزه الدولة العراقية. والاضطهادات التي لحقت بالأكراد لم تجر على أيدي الحكام العرب الخونة وحسب، بل وعلى أيدي شركائهم من الحكام الأكراد الخونة. فالضربة المؤثرة التي وجهت إلى حركة البطل الوطني والقومي ملا مصطفى البرزاني مثلاً جاءت قبل كل شيء لا من قوى القمع الحكومية وحسب، بل ومن الأغوات والأكراد أيضاً وفي الموصل أجمع عبد الإله مع ثلاثمائة من الأغوات الذين قمعوا تلك الحركة لتوزيع الهدايا عليهم. والاضطهادات التي وجهت في عهد نوري السعيد نفذها وزير داخلية سعيد قزاز وهو كردي معروف وكذا يمكن أيراد عدد كبير من الأمثلة.

ولا نقول هذا بقصد نفي وجود اضطهاد قومي وتميز قومي في العراق. وعلى العكس فهو موجود ونحن نحاربه ولا نقبل تجاهله من أحد إنما نقوله بقصد إثبات حقيقة أكبر: هي أ، الاضطهاد الرئيسي منصب في الاستعمار على العرب والأكراد وأنها تضطهد الشعبين والاقليات القومية لمصلحة أسيادها المستعمرين ومصالحها الطبقية الأنانية وإن الاخوة العربية الكردية وثيقة ووطيدة ذات أسباب مادية وسياسية وتاريخية عميقة الجذور.

فما هو موقف البارتي من مسألة الكفاح المشترك؟

انه لا يستطيع ان ينظر حقيقة الاخوة العربية الكردية ذات الأصول التاريخية ولا يسعه الا ان يعترف بفائدة الكفاح المشترك بين الشعبين العربي والكردى ضد الاستعمار. ولكنه بالقول والعمل لا يستطيع ان يتخلص من عقلية القومية البرجوازية الضيقة الانعزالية الانفصالية ومع ذلك فانه مصر ولسرا وهمسا على الادعاء بأنه يتبنى نظرية الطبقة العاملة الماركسية اللينينية.

لقد تطرقنا في الصفحات السابقة إلى أمثلة متعددة من أقوال وأعمال البارتيين وفي الواقع لم نرجع فيها إلى التاريخ الطويل للبارتي المليء بانعكاسات القومية البرجوازية. ولنرجع الآن إلى العددين الأخيرين فقط من جريدتهم (خه باتى كردستان) الثاني والثالث من السنة الأولى لنرى إلى أي مدى يسيران في إبراز المسائل المشتركة وهل هما يضعانها اولا قبل كل شيء بالنسبة للمسألة الخاصة كما تفعل الماركسية اللينينية في تعيين الطريق الصحيح الوحيد لكفاح الشعب الكردي؟

ان العددين يضعان على صدر الصفحة الأولى منهم شعار (نناضل من اجل حق الشعب الكردي في تقرير مصيره بنفسه) وأوضح ان هذا الشعار يدفع إلى المقدمة القضية الخاصة للشعب الكردي وليس القضية المشتركة التي هي تحرير العراق من قبضة الاستعمار وعملاء الاستعمار.

ويهاجم العدد الثاني (ملك العراق العربي) قاصدا بذلك لفت النظر إلى ان العراق محكوم من العرب ومحولا الأنظار من حقيقة حكم الاستعمار وعملائه الخونة من العرب والأكراد.

ويتكلمون فيه عن (النفط الكردي) وبذلك يحاولون إثارة النزاع على ثروة وطنية هي في واقع الحال منهوبة الآن بضمن ثرواتنا الوطنية الأخرى من قبل الشركات الاستعمارية، (الصلص ينهب الأثاث بينما أهل الدار يتركونه ويتنازعون فيما بينهم حول عانيه الأثاث المنهوب).

ويتكلمون فيه عن مشاريع الأعمار (الوهمية بالنسبة لكردستان وان تكون تحمل بعض النفع للعراق العربي!) وبذلك يموهون على حقيقة الاستغلال الاستعماري المفروض على العرب والأكراد على السواء ويحاولون إبراز الشعب العربي باعتباره منتفعا من الوضع القائم على حساب مصلحة الشعب الكردي!

ثم يطالبون في العدد نفسه (بحق كردستان الملحقة بالعراق قسرا بالحرية والاستقلال) وباعتباره (العلاج الوحيد لتخليص شعبنا ووطننا)! هكذا (حق كردستان) وليس حق العراق في الاستقلال وباعتباره العلاج الوحيد! القضية الخاصة وليس القضية المشتركة هذا العلاج الوحيد! فأى معنى بقي للكفاح المشترك في سبيل القضية المشتركة؟

أمثلة كثيرة وكثيرة تلك التي تزرع بها كتابات وأحاديث ومواقف البارتيين من

انعكاسات النظرة القومية البرجوازية.

الماركسية اللينينية تقول بالتضامن والكفاح المشترك والبارتيون يريدون ان يسوقوا الشعب الكردي في طريق الانعزالية طريق (كل قومية تتهم بتحرير نفسها ولا يهتمها أمر الآخرين!) طريق إثارة النزاعات بين الشعوب! الماركسية اللينينية على ضوء مصالح شعبنا الكردي والعربي تقول بدفع القضايا المشتركة إلى الأمام واعتبارها أولاً وقبل كل شيء. والبارتيون يدفعون القضايا الخاصة إلى الأمام ويقللون من أهمية القضايا المشتركة..

العراق يحكم من قبل طبقة رجعية عربية – كردية متعاونة ومتلاحمة المصالح مع الاستعمار ضد الشعبين العربي والكردي. والبارتيون يتجاهلون وجود طبقة رجعية كردية عميلة للاستعمار.

الماركسية اللينينية على ضوء مصالح شعبنا الكردي تقول بان وحدة الكفاح الموجه لضرب الاستعمار لا يمكن ان يتجاهل الإقطاع والفئات العميلة والبارتيون يتسترون على الإقطاع والرجعية الكردية ويتجاهلون المطالبات العادلة لجماهير الفلاحين.

الماركسية تقول بتوجيه حد الكفاح ضد الاستعمار العدو الأقوى والأكثر تنظيمًا وخطراً. والبارتيون يحاولون حرف نضال الشعب الكردي إلى حد توجيهه ضد القومية العربية حليفته الجبارة في نضاله من اجل الحرية والوحدة القومية.

هذه هي المعالم الرئيسية لسياسة البارتري (الماركسي اللينيني!) والذي يخفي (ماركسيته اللينينية) لأمر مالا يعلمه إلا الراسخون في العلم!

ويتجاهل البارتري حقيقة هامة هي ان شعب كردستان لا الخونة هو صاحب الحق في تقرير مصيره غداة تحرير العراق من الاستعمار وعملائه. وما يدري البارتري ان الشعب الكردي لا يرى حينئذ ان مصلحة تقدمه والمحافظة على حريته ومن اجل القيام بدور طليعي في تحرير بقية أجزاء الأمة الكردية ان يبقى متحدا اتحادا اختياريًا مع الشعب العربي الأكثر تقدما إذ ان كل التطورات التي تنبئ بانتصارات أخرى للأمة العربية تعطينا الحق في ان نتوقع ان الشعب الكردي في العراق لا يستطيع وليس من مصلحته عشية تحرر العراق ان يوافق على استقلال مفتعل مهدد من قبل الضواري الاستعمارية وخدامهم في تركيا وإيران أركان ميثاق بغداد ومبدأ أيزنهاور وخدامهم من خونة الشعب الكردي نفسه.

قد لا يفهم البارتري ان حق تقرير المصير لا يعني فقط الحق في الانفصال، بل يعني أيضا حق الاتحاد الاختياري كما جرى مثلا بالنسبة لشعوب الاتحاد السوفيتي والصين وغيرها من بلدان الاشتراكية متعددة القوميات. وقد لا يفهم البارتري (ان أي حركة قومية لا يمكن ان ينظر إليها بصورة منعزلة، بل يجب تقديرها بالقياس إلى الظروف العالمية، لا ينظر إليها من ناحية الديمقراطية الشكلية فقط، بل من ناحية نتائجها العملية ضد الاستعمار) (ستالين القضية الوطنية ص 23).

وكذلك (يجب ان يعترف بكل الأمم التي تعيش في روسيا بحق الانفصال بحرية وتشكيل دولة مستقلة وإنكار هذا الحق وعدم إقرار التدابير التي تضمن تطبيقه معاهما تأييد سياسة الفتوح والإلحاق. ان اعتراف البروليتاريا بحق تقرير حرية الانفصال هو الشيء الوحيد الذي يؤمن النضال التام بين عمال مختلف الأمم ويساعد في تقاربها تقارباً ديمقراطياً حقيقياً).

ولا يجوز الخلط بين مسألة حق الأمم في الانفصال الحر ومسألة الفائدة التي تجنيها هذه الأمة أو تلك من الانفصال في هذا الوقت أو ذاك. ففي هذه الناحية الأخيرة يجب على حزب البروليتاريا ان يفصل فيها مستقلة وفي كل حالة خاصة على حدة وفقاً لما تقتضيه مصالح التطور الاجتماعي بمجموعه ومصالح نضال البروليتاريا الطبقي في سبيل الاشتراكية) (تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي ف 17 ص 11).

ان حزبنا قد دل على الطريق المبدئي والعملية الصحيح في حل المسألة القومية في بلادنا فبين (ان الاعتراف المتبادل بحق تقرير المصير وبمشروعية طموح الشعبين العربي والكردي إلى التحرر والوحدة القومية وأدراك حقيقة ان الاستعمار هو العائق أمام بلوغ العرب والأكراد لأمانهم القومية هو الأساس الصخري الذي تقوم عليه الاخوة العربية الكردية في كفاح مشترك ضد الاستعمار) (خطتنا السياسية ص 31 - 32).

واستناداً إلى مصلحة الشعبين في النضال ضد الاستعمار واسهام كردستان في حركة التحرر العربي المعادي للاستعمار فان (كردستان العراق تستطيع ان تحافظ على كيانها القومي عن طريق ممارسة حقها في الاستقلال الذاتي في نطاق الوحدة العربية عشية الخلاص من السيطرة الاستعمارية. وهذا الاستقلال الذاتي كما أكد حزبنا ليس بديلاً عن حق تقرير المصير للامة الكردية وانما هو تدبير مؤقت سيخدم الأمة الكردية لحقها في تقرير مصيرها بما في ذلك تكوين دولة مستقلة في كردستان كلها) (المرجع ذاته ص 31). انحق الشعب الكردي قبل غيره ان يسأل البارتي عن الجامع الذي يجمع الدعوات الانفصالية التي يطلقها في نفس الوقت الذي تنطلق فيه أمثال لها من الأوساط الاستعمارية والأوساط الرجعية العميلة من أمثال سعيد قزاز وآل بابان وغيرهم. وفي نفس الوقت الذي توجه فيه الولايات المتحدة دعوات لزيارتها من قبل عدد من الرجعيين الأكراد أمثال بابا علي وغيرهم وفي نفس الوقت الذي يتحرك فيه الحقراء أمثال رفيق جالاك وسائر رهط الجواسيس للقيام بحركة (قومية) على طريقة الاستعمار وكيف يلتقي (البارتي) مع هذه الأوساط في إثارة الجفاء والحذر تجاه العرب وحركتهم التحررية. وعلى البارتي ان يأخذ العبرة من هذه الظاهرة وان يعيد النظر بسياسته فالقوميون الحقيقيون والوطنيون الصادقون (لا يصبون الماء لإدارة طاحونة الاستعمار). ولا يكونون (كماشنة نار) لأعداء الشعوب وتجار الحروب.

ونحن لا ننتهم البارتي جزافاً بالانفصالية وإثارة الريبة تجاه العرب وقد ضربنا لذلك أمثلة من لسان البارتي نفسه. ونضيف الآن ما جاء في عدد مايس 1957 من

(خه باتى كردستان) اذ تقول (لعل البعض من رفاقنا الحزبيين وكثيرا من الأكراد خارج الحزب يتساءلون لم جعل حزبنا إقامة نظام ديمقراطي في العراق هدفا من أهداف نضاله الأنية باعتبار ان هذا له صلة إلى مستقبل كردستان الذي يتطلع شعبنا إلى تحريرها من جميع القيود الاستعمارية والإلحاقية سواء منها قيود الدول الاستعمارية او تلك التي فرضها حكام القومية العربية السائدة في نطاق العراق. ولعل الوطنيين العرب أنفسهم سيمتنعون منذ الآن في الدخول معنا في اتفاقات تلزمهم في المستقبل وفي عشية تحقيق هذا الهدف بالذات بالتعاون معنا لإيصال الشعب الكردي إلى هدفه القومي استقلال كردستان)!!

بهذا الأسلوب الغريب يتحدث البارتي عن القوى الوطنية المناضلة من اجل تحرير الشعب العراقي بعربه واكراده وسائر قومياته!

لقد سلخ البارتي عمرا طويلا في الضرب على هذه الأوتار التي لا يجمعها جامع مع مصالح الشعب الكردي وقد حان له ان يتعلم من تجاربه الخاصة ومن تجارب أحزاب وطنية طورت نظرتها ومواقفها ووجدت ان اتخاذها نهجا يتسم بالاستقامة في النضال هو كفارة عن أخطائها السابقة وخير خدمة تقدمها للشعب وبهذا تكسب الحب والاحترام.

وإذا أراد البارتي ان يتعلم من تجاربه وتجارب الآخرين فعليه ان يكف عن الهمس باسم (الماركسية اللينينية) و (الطليعية) وما اشبه من الادعاءات التي تضعف الحركة الوطنية والتي لم يسبق ان جنى من ورائها أي طائل كل الذين سلكوا مثل هذا السبيل الانتهازى. فالماركسية اللينينية ممثلها الوحيد في العراق هو حزبنا الشيوعي المجاهد يكفي (البارتي) ان يناضل بفخر كحزب وطني ديمقراطي مخلص لوطنه ولشعبه، ان يناضل من اجل التعاون مع القوى الوطنية والقومية العاملة في كردستان بما فيها منظمات حزبنا الشيوعي العراقي – فرع كردستان وبضمن الجبهة الوطنية العامة الموحدة في العراق من اجل تحرير العراق بما فيه كردستان من الاستعمار وفي سبيل الاستقلال والوحدة القومية للعرب والأكراد على السواء... وبمثل هذه السياسة لا ضير عليها ولا غبار فقط يستطيع ان يقدم من اجل الخدمات للشعب الكردي والتي ستكون في ذات الوقت خدمة لسائر الجماهير في العراق.

ان الوطنيين العراقيين – وبضمنهم نحن الشيوعيون – يدركون اليوم أكثر من أي وقت مضى ما جرته الخلافات والشقاق من نكبات على قضية الشعب. وقد تعلموا ما فيه الكفاية وهم يستفيدون شيئا فشيئا من تجاربهم. فعلى البارتي ان يتأخر عن هذا الركب المتقدم ... ومن جانبنا نعلن أننا سنمد يدينا الاثنين لم يمد يدا واحدة إذا كان الأمر يتعلق بخدمة شعبنا الذي لا نجد شيئا في الحياة ابعث على السرور والاعتزاز من خدمته.

وبودنا لو يدرك البارتي هذه الحقيقة ولا يخشاها ما دام لم يضع بين عينيه نفس الغرض النبيل الذي تناضل من اجله كل القوى الوطنية إنجاز تحرير بلادنا من

الاستعمار والإقطاعية والرجعية وتحقيق الاستقلال الوطني والديمقراطي ومن أجل
التحرر والوحدة القومية العربية والكردية.

وأخيراً أيها الرفاق

فان المناقشة الواردة في رسالتنا هذه مضافة إلى سياسة الحزب العامة ونظامه هي
التي تمثل وجهة نظرنا في المسائل المطروحة في رسائلكم وتقاريركم.
ومنها تجدون بأنكم:

أولاً - وقعتم في تفسيرات خاطئة للقضية القومية الكردية تتعارض مع وجهة
النظر الماركسية اللينينية المتمثلة بسياسة حزبنا الشيوعي العراقي.

ثانياً - وقعتم في تفسيرات خاطئة في وجهة نظركم للحزب الديمقراطي الموحد
في كردستان (البارتي).

ثالثاً - انزلتكم إلى هوة تبني آراء انتهازية تصفوية مناهضة للحزب الشيوعي
والماركسية اللينينية ولدور الطبقة العاملة في الحركة الوطنية.

رابعاً - تبنيتم آراء مخالفة للضبط الحزب والوحدة الحزبية.

خامساً - وان الرفيق قه لغان قد خرق الضبط الحزبي بالفعل وبشر بآراء مخالفة
لسياسة الحزب وخطى خطوات في تحدٍ بين لُفيا الحزب ومركزية العمل فيه ومهددة
لوحدة الحزب.

ولذا نطلب منكم ايها الرفاق الاعزاء دراسة رسالتنا هذه بروح التواضع والنقد
الذاتي للشيوعيين واضعين نصب اعينكم مصلحة الشعب والطبقة العاملة والقضية
العظمى التي يناضل من اجلها الحزب الشيوعي العراقي قضية الشيوعية واضعين
نصب اعينكم التاريخ المشرف لكفاح حزبنا من اجل تحرير الجماهير عربا واكرادا
وسائر ابناء الشعب وتضحياته العزيزة وتقاليد المجيدة في النضال ضد الاستعمار
والرجعية واضعين نصب اعينكم نضالاتكم وتضحياتكم انتم انفسكم كمناضلين
شيوعيين امناء للمبادئ ولالتزاماتكم تجاه حزبكم وشعبكم وأمتكم عاملين بنكران ذات
من اجل كشف الاخطاء ونقدها ونبذها دونما تردد او اسف. ولا شك انكم بهذا تؤدون
واجبا مشرفا في حياتكم النضالية.

وتقبلوا تحياتنا الشيوعية وتمنياتنا الطيبة مع الثقة الاكيدة بانتصار المبادئ بانتصار
الحزب.

عن اللجنة المركزية

15/تموز/1957

من رسالة للرفيق شاكر مؤرخة في 12 تموز 1957 موجهة إلى قيادة الحزب

(بالرغم من محاولاتي السلبية لإنقاذ نفسي وفحص ما في اخطاء ونواقص وميول وآراء بتي برجوازية، ولكن كما ثبت لم انجح في تصليب نفسي). وكذلك: (وانا اشعر بانني رغم ذلك في امكاني لو كنت جادا أكثر ولو سيطر على شعور اعلى بالمسؤولية ان اتحرر من اخطاء يبدو ان اغلبها اخطاء فكرية).

وايضا (ولكن لم تمر هذه وجهات النظر الضيقة دون ان تترك في سلوكي نتائج سلبية. ان غلطتي الكبرى كما اتحسس لها بوضوح تام تتعلق بالدرجة الاساسية بوجهة النظر الخاطئة في دور الحزب الشيوعي في قيادة نضال الشعب الكردي من فكرة تجزئة قيادة النضال التي ظهرت في قالب فكرة اقامة حزب وطني جديد وحل منظمات الحزب الشيوعي. انني لا ارى في هذه العجالة ان اتطرق إلى جذور واسباب هذه النظرة الخطرة التي قادت سلوكي وافكاري لهذه المدة وشلت نضالاتي كشبيوعي مستقيم داخل حزب شيوعي. انني لا اخاف من العقوبة وارى انني بحاجة إلى تثقيف عملي جديد تحت راية الحزب.

انني انتقد نفسي واضع يدي على غلطتي الكبيرة هذه راجيا مساعدتي كرفيق يرغب من الصميم ان يخدم شعبه على الوجه الحسن). وايضاً: (وعلى كل حال اعتقد ان الاقرار بالغلطة الكبيرة هذه يساعدني جدياً على التقدم وعلى نبذ سلوك الموتورية تجاه الحزب). هذا والى الامام ابدا.

المخلص شاكر

من رسالة للرفيق جابر مؤرخة في 27 تموز وموجهة إلى قيادة الحزب: (لقد عدت وانا مرتاح الضمير للموقف الحكيم والجريء الذي وقفتم فيه تجاه الآراء الخاطئة التي عرضت عليكم. وانا إذ اعود المرة اشعر نفسي كبيراً نظراً لاقتناعي بالإيضاحات التي اعطيت حول المسألة (...) ومسألة (...) ومسائل اخرى. اني أقدر الروح الحزبية العالية والجو الودي الذي ساد لقائنا واجتماعنا بكم سيكون له أكبر الاثر في اندفاعي وحماسي وتمسكي بمبادئ الحزب وسياسته والامانة التامة لها.

انني إذ اترك مدينتكم اعاهدكم بأن أبقى مخلصاً لمبادئ الماركسية اللينينية مكافحاً ضد كل الاتجاهات التحريفية المعادية لها منفذاً لكل الالتزامات التي قطعتها على نفسي

يوم دخلت الحزب متمسكا بوصايا الحزب في نظامنا الداخلي حتى النفس الاخير).
وايضا: (انكم لابد وان تقدرؤا تأثير عوامل مختلفة في تفكيرنا واستنتاجاتنا وبعض
المواقف اللا تنظيمية التي وقفناها تجاه قيادة الحزب.

بدأت أفكر من جديد على ضوء المناقشات التي جرت وتأكدت قناعتني بقوة أكثر
حينما استعرض المواقف العملية للبارتي منذ نشوئه عام 1946 حتى الآن في وثبة
كانون 1948 وانتفاضة الفلاحين في اربيل (1953).

وايضا: (لقد نسيت هذا الشهر نفسي حيث كدت اضل الطريق لولا قوة المبادئ
الشيوعية التي واجهتموني بها حين التقائي بكم. وانا الآن وكأني صحت من النوم
واقول لنفسي كيف نسيت هذه السنين الطوال من النضال في سبيل مبادئ الحزب...
لقد نسيت كل شيء وانا اعرف نشأة البارتي).

وايضا: (وعلى كل فأنا اليوم اشعر بقوتي أكثر من أي وقت مضى واثق من نفسي
وبقوة المبادئ التي لا تغلب. أثق بقيادة حزبي وسياسته الوطنية أكثر من أي وقت
آخر. ولي امل كبير وثقة مطلقة بأن الايام القادمة ستقوي هذه الثقة مادام الاخلاص
راندنا والمبادئ دليلنا ودمتم للحزب والشعب).

جابر

من محضر موجه إلى قيادة الحزب ومؤرخ في 3 آب على إثر مداولات اعقبها
اجتماع. حضره جابر وشاكر وقه لغان وشريف وقه لا - وحضره الرفيق ع
اشار المحضر بالنسبة للرفيق شريف بانه يؤكد على صحة المحتوى الذي جاءت
به الرسالة - المقصود جواب قيادة الحزب. وكذلك:

وبالنسبة للرفيق شريف فإنه يرى في الرسالة الجوابية جواباً كافياً للأراء
والملاحظات التي قدمها هو فهو لا يبدي التحفظ في المسائل الفكرية والتنظيمية.

وايضا: ويعود الرفيق شريف فيقول بانه كان لا يستوعب سياسة الحزب ولم
يفهمها، ولكن اليوم بعد قراءة الرسالة الجوابية والمناقشات يرى نفسه في وضع آخر
وضع رفيق فهم سياسة الحزب بخصوص موقف الحزب من البارتي.

كما اشار المحضر بالنسبة للرفيقين قه لغان وقه لا بأنه:

يؤكد الرفيقان انهما يلتزمان تجاه سياسة الحزب والرسالة الجوابية وينفذان توجه
الحزب بحزم في منظماتها لتعزيز سياسة الحزب. برغم انهما يحتفظان بوجهات
نظرهما المخالفة في المسائل المطروحة.

واكد المحضر بالنسبة للرفيقين جابر وشاكر مرة اخرى بأنه:

أما بالنسبة للرفيقين جابر وشاكر فهما سبق وتوصلا إلى آرائهما الخاطئة واقرا بها (المقصود شفهيًا) امام بعض رفاق قيادة الحزب.

وكذلك فالرفيقان جابر وشاكر:

يقران بأن لجنة الفرع لم تستوعب سياسة الحزب وبدلاً من ان توجه منظماتنا نحو تحقيق سياسة الحزب بحماس وثبات وتمسك بمبدأي توجهت منظماتنا نحو مناقشة سياسية الحزب متأثرة بالأراء والمفاهيم التي هي غريبة عن مبادئ وسياسة الحزب بخصوص (الوحدة) مع البارتي.

وبسبب عدم التقيد التام بمبادئ الحزب في هذا الصدد وقع هذا الخطأ المبدئي (حل منظمات الحزب). ويعترفان بخطأ إضافة عضوين في اجتماع لجنة الفرع المكرس لقضية تغاير رأي الحزب.

وبسبب شغل افكارهما بنقد سياسة الحزب العامة لم يستطيعا صرف جهودهما لتقوية منظمات الحزب في كردستان مما خلق صعوبات جديدة أوحث بمثل هذه الآراء الخاطئة. وهما- أي الرفيقان جابر وشاكر- يلتزمان بتنفيذ سياسة الحزب ومبادئ الماركسية اللينينية والتوجه بحزب نحو تقوية منظمات الحزب على ضوء توجيهات الحزب.

كما ان المحضر مذيل بملاحظة تقول: (تحرر هذا المحضر للجلسة بشكل مستعجل واطلاع جميع الرفاق ووجدنا من الضروري اطلاعكم على آخر التطورات بالرغم من ان المناقشات مستمرة ولم تنتقل بعد إلى تخطيط مهمات الفرع).

ويتضح جليا من هذه المقطعات ان الرفاق جابر وشاكر وشريف قد أكدوا تخليهم تماما عن آرائهم وموقفهم بالنسبة للمسائل المطروحة كما تخلى الرفيقان قه لا وقه لغان من موقفهما برغم احتفاظهما بآرائهما الخاصة وذلك يعني ان جميع الرفاق جابر وشاكر وشريف وقه لغان وقه لا قد أكدوا حرصهم على التنفيذ الحازم لسياسة الحزب بما فيها الأمور الواضحة في جواب قيادة الحزب ويبدو جليا ان موقف الرفيقين وقه لغان وقه لا غير كاف لضمان توجههما وجهة حزبية صائبة تخدم صيانة وتطور المنظمة التي يقودانها وبالتالي تطور الحزب. كما ان النقد الذاتي الذي اجراه الرفاق جابر وشاكر وشريف لم يكن كافيا بالصورة التي تضمن فيها كأحسن تنقيف ممكن لهم ولرفاق الحزب...

يقول لينين: (ان موقف حزب سياسي من اخطائه هو من اهم واضمن المقاييس التي تسمح لنا بالحكم على هذا الحزب فيما إذا كان جديا ام لا وفيما إذا كان يقوم فعلا بواجباته نحو طبقته ونحو الجماهير الكادحة. ان اعتراف الحزب بخطئه واكتشافه اسباب الخطأ وتحليله الوضع الذي اولده وتمحيصه بعناية طرق اصلاح هذا الخطأ هي العلائم التي تدل على أنه حزب جدي ذلك هو معنى قيام الحزب بواجباته وتنقفه

وتربيته طبقته ثم الجماهير).

ويقول لينين ايضا: (كل الاحزاب التي هلكت حتى الآن انما هلكت لأنها انسافت إلى الغرور ولم تر إلا مصدر قوتها وخشيت ان تتكلم عن نواحي ضعفها أما نحن فلن نهلك لأننا لا نخشى الكلام عن نواحي ضعفنا ولأننا سنتعلم كيف نتغلب عليها).

وما يصح على الحزب يصح على اية منظمة من منظماته وعلى أي مناضل من مناضليه العاملين.

ويذكر ستالين: (ويقول رفاق آخرون ان اعترافنا علانية بأخطائنا قد يؤدي لا إلى تكوين ملاكاتنا وتقويتها، بل إلى اضعافها وضعفعتها وأن علينا ان نساير ملاكاتنا وأن نراعي خاطرها وراحة بالها ومن اجل ذلك يقترحون ان نخفي اخطاء رفاقنا وان نخفف الانتقاد، بل ان نذهب إلى ابعد من ذلك فنمر بتلك الانتقادات مر الكرام.

ان وجهة النظر هذه ليست خاطئة من اساسها وحسب، بل هي خطرة إلى اقصى حد ولاسيما على الملاكات التي يراد (مسايرتها) و (توفيرها) لأن مسايرة الملاكات والمحافظة عليها بإخفاء أخطائها معناه تحطيم هذه الملاكات تحطيمًا مؤكدًا).

ويقول ستالين ايضا: (ولذلك فكل من يفكر في مراعاة شعور ملاكاتنا بإخفاء أخطائنا انما يحطم الملاكات وشعور هذه الملاكات في وقت واحد لأن من يخفي اخطاء الملاكات انما يسهل تكرار وقوع اخطاء جديدة قد تكون اشد خطرا وقد تؤدي إلى انهيار الملاكات انهيارا تاما كل ذلك على حساب مراعاة (شعورها) و (راحة بالها). (ستالين – في سبيل تكوين بلشفي).

ولذلك فإن الحزب لم يكتف بالحد الذي وصلت اليه القضية التي تم توضيحها في هذا الكراس وهو يطلب من الرفيقين قه لا وقه لغان تصحيح آرائهما تصحيحا شاملا على ضوء توضيحات الحزب. كما يطلب من جميع الرفاق المعنيين (شاكر وجابر وقه لغان وشريف وقه لا) ان يقدموا تقريرا أكثر وضوحا ووعيا وجراءة في كشف الاخطاء ومعالجتها بصورة تعطي أكبر ضمان لملاقاتها ولتطوير عمل منظمات حزبنا في كردستان باتجاه الامانة التامة في افكار الحزب وسياسته وبصورة تضمن أحسن تثقيف لهم ولجموع الحزب. ولدينا ما يبرر الثقة بانتصار مبادئ الحزب وبسياسته وبقدرة الرفاق المعنيين على كشف اخطائهم وتصحيحها.

15 آب 1957

مقتطفات من كراس جبهة الاتحاد الوطني

بقلم عزيز الشيخ

تياران في حركة التحرر العربي حول الجبهة الوطنية الموحدة

يلمس كل متتبع لسير حركة التحرر العربي وجود تيارين رئيسيين فيها:

- الاول يقوم على أساس الجبهة الوطنية الموحدة ويقود الحركة في طريق الديمقراطية السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
- والثاني يقوم على أساس التعسف والحزب الواحد «الاتحاد القومي» ويقود الحركة بمعزل عن الديمقراطية، بل ضدها.

فأيهما الأصوب؟

بعد ان نبذت الشعوب العربية طريق الاستعمار والحرب، لم يبق بين الوطنيين من لا يرى ضرورة تحرير الأمة العربية نهائيا من سيطرة الاستعمار لكي تتمكن هذه الأمة العظيمة من توحيد أجزائها المختلفة وبناء حياتها الجديدة واستعادة مكانتها اللائقة بين الأمم والمساهمة الايجابية في دعم السلم العالمي وتطوير الحضارة الانسانية.

ولكن الخلاف الناشئ الآن هو حول الاسلوب، اسلوب التحرر، اسلوب الوحدة، واسلوب الحياة الجديدة المتحررة.

فقد ظهرت محاولات عديدة مترابطة تماما، على النطاق العربي من أجل الاستئثار بقيادة الحركة التحررية وجر مكاسبها جميعا من قبل فئة معينة أو حزب معين، ومن أجل سائر القوى الديمقراطية الأخرى عن الحركة وأضعاف مساهمتها وشل نشاطها الثوري، تحت ستار مكافحة الشيوعية. وقد شهدنا ذلك التيار في الجزائر وفي تونس وفي مصر وفي السودان وفي سوريا وفي لبنان وفي الأردن، وفي العراق أيضا خاصة بعد الثورة.

ونحن لا نخص في كلامنا محاولات الاستعماريين وعملائهم الخونة المعروفين بعدائهم السافر للشعوب العربية ولحركاتها التحررية أمثال نوري السعيد والملك حسين وبورقيبة وكميل شمعون الذين حاولوا جاهدين شق الوحدة الوطنية وإدامة انشقاق الصف العربي بإثارة الخلافات المصطنعة، طائفية كانت أم فكرية، قومية أو إقليمية، أم تحت ستار مكافحة الشيوعية وتحت ستار من الشعارات (القومية) مرة و (الدينية) مرة أخرى.. وغير ذلك بقصد إحكام الطوق الاستعماري في رقاب شعوبنا المكافحة.

فهؤلاء كانوا مفضوحين تماما ولم تكن احابيلهم لتنتظلي على أحد وقد رأينا جميعا

مصير بعضهم والمصير المرتقب للبقية الباقية منهم. ولكننا نوجه كلامنا الى إخواننا في السلاح الذين ساهموا وما زالوا يساهمون في معارك الحرية، والذين يسلكون سبيلا يؤدي إلى تمزيق الجبهات الوطنية ووحدة الكفاح العربي وتفرقة الصفوف عن عمد أو غير عمد منهم.

ان الذي يطالع تاريخ حركتنا الوطنية في العراق يجد ان أهم وأول درس فيه يؤكد بشكل قاطع على ان الانشقاق في الحركة الوطنية يؤدي دائما إلى الفشل، ومن يعمل له يرتكب أكبر جريمة، بل أبشع خيانة وطنية وأفضل خدمة للعدو المستكلب. أما الإتحاد بين القوى الوطنية فهو أول خطوة في طريق النصر إطلاقا.

وثمة دروس أخرى من كل مكان، خاصة من إيران البلد المجاور ومن الأردن الشقيق. ففي إيران أسقطت حكومة مصدق الوطنية على يد حفنة مأجورة، تعد بالمئات، تسلمت إلى بيت مصدق واعتقلته بعد ان انشق جماعة الكاشاني على الحركة الوطنية، وظل مصدق مترددا، وضعفت تماما مقاومة الشعب. وفي الأردن شن الملك حسين، بتحريض السفارة الأمريكية، هجومه مباشرة بعد إعلان أيزنهاور الشهير - لمكافحة الشيوعية! هذا المبدأ الذي وقفت إزاءه الحكومة المصرية، آنذاك، موقف المترث- على حكومة النابلسي ويهددها بوقاحة، وقفت الأحزاب الوطنية الأردنية مواقف متناقضة بوجه هذا التحدي. فكان لهذا الموقف تأثيره المخدر ليقظة الشعوب العربية، بما فيها الشعب الأردني. وبينما وقف حسين يوجه الإنذار تلو الإنذار السافر. أخذ جماعة النابلسي "ينصحون" الملك "المتهور" عن طريق أبي نوار، لكي يخفف من غلوائه، وكان أبو نوار يلعب على الحبلين.

أما جماعة الريماوي فقد نقضوا اتفاقهم مع الشيوعيين والديمقراطيين الآخرين بالنزول إلى الشارع لدعم الحكم الوطني دعما شعبيا قويا. وراح الريماوي "يتفلسف" ليستشف مغزى إنذارات هذا الملك (القومي)! فاستنتج ان نوايا الملك ليست سيئة، ولكن (الملكة الوالدة) أخذت تحركه ضد الحكومة.. وطبيعي ان يقود هذا الاستنتاج الضحل إلى خطة خاطئة من الأساس (لا داعي إذن لقيام المظاهرات، وإن إرضاء نزوات الملكة سوف يحل المشكلة...!)

أما الذين لم ينقضوا التزاماتهم فقد قاموا بالمظاهرات في صبيحة اليوم التالي المعلن، وكانوا وحدهم في المعركة بوجه القوى الشريرة المدججة بالسلاح، فألقى القبض على مئات منهم.. ذهبوا إلى السجون.. وسقطت حكومة النابلسي، وتشرذم الريماوي وغير الريماوي!

والآنكى من ذلك ان لا يتعظ هؤلاء بالدرس الذي لا ينسى، وينهجون الآن أيضا خطة نفس الجبهة الوطنية وشق صفوفها. ويمكننا ان نتساءل لمصلحة من يجري الآن هذا التخريب، ويستعاض عن الجبهة الموحدة بما يدعى «الإتحاد القومي»؟؟! وسنرى هل سيتجه هذا «الإتحاد القومي» لتحرير الأردن أم سيتجه لمساومة حسين وأسياد حسين؟؟ وسترينا الأيام أيضا تحت قيادة من سيتحرر الأردن الشقيق عمليا.

وفي سوريا قام التجمع القومي (الجبهة الوطنية) الذي ضم في الأساس الشيوعيين والديمقراطيين والبعثيين وإلى جانبهم القوى الوطنية الأخرى، فهزم الشيشكلي على يد الجيش والشعب.

وخطت سوريا خطوات جريئة في طريق التحرر والديمقراطية وسرعان ما ظهرت محاولات شق التجمع القومي داخل البرلمان وخارجه فشلت الواحدة تلو الأخرى.

وبعد قيام الجمهورية العربية المتحدة بين سوريا ومصر قرر الرئيس جمال عبد الناصر إلغاء الحياة الديمقراطية، وحل الأحزاب لتأليف (اتحاد قومي) يضم البعثيين بشكل رئيسي وإلى جانبهم الشعبيين وسائر النفعيين، دون الحزب الشيوعي السوري الذي يعتبر أكبر كتلة سياسية في سوريا وله تاريخ مجيد في الحركة الوطنية ويعتبر أطول الأحزاب السورية عمرا وأعماقها أثرا وأغناها خبرا وأصلها عودا. فهل يجري هذا أيضا لمصلحة الشعب السوري؟ كلا أبدا. إننا لا نريد أن ندافع هنا عن الحزب الشيوعي السوري فقط، إنما، وبالدرجة الأساسية، ندافع عن الجبهة الوطنية الموحدة، عن وحدة الصف، عن وحدة الشعب السوري في بناء حياته والدفاع عن حريته من المؤامرات السياسية وحملات الضغط والعدوان.

إن الشيوعيين السوريين لم يحلوا حزبهم، ولن يحلوا حزبهم، لأنهم يقدرّون أهمية بقاء حزبهم في تعبئة القوى الوطنية لدعم الاستقلال الوطني وتحقيق الديمقراطية، ولأن الحزب الشيوعي ضرورة حتمية لا يمكن تجاهلها بإصدار القرارات. للحزب الشيوعي مهمات تاريخية لا يمكنه التخلي عنها إرضاء لأحد.

وطالب الشيوعيين السوريون بإشاعة الحريات الديمقراطية وبتطوير أساليب الحكم في الجمهورية العربية المتحدة وبتوسيع اللامركزية في الحكم. أخذين بنظر الاعتبار مصلحة الجمهورية نفسها، مصلحة شعبيها المصري والسوري ومصلحة الأمة العربية جمعاء. ولكنهم في سبيل تحقيق مطالبهم لم يتخلوا عن العمل السياسي وعن الأسلوب الديمقراطي، ولم يلجأوا طريق المؤامرات والدسائس.. فعلام هذا التهجم؟

علام هذه الاتهامات تطلق جزافا؟ وهل يؤدي ذلك إلى وحدة الحركة الوطنية ضد العدو المشترك؟

هذه الأمثلة وكثير غيرها توضح خط السير اللاديمقراطي في حركة التحرر العربي، والذي مؤداه للأسف شق وحدة الصفوف وفرض التعسف والانفراد في الحركة الوطنية. وعلى الرغم من أن الفريق الذي ينتهج هذا الخط ليست له مفاهيم علمية واضحة في أية قضية قومية، فإنه يحاول فرض آراءه المرتجلة على الآخرين وعلى الحياة الاجتماعية وقوانينها ومتطلباتها اللازمة. وتتبنى البرجوازية المصرية الكبرى هذا الاتجاه وترعاه في الوقت الحاضر، لأغراضها الطبقية الخاصة.

ويحاول المستعمرون وتحاول أبواقهم المأجورة والصحف المشبوهة بخبث وبراعة، ان يشقوا طرقهم عبر الخلافات الفكرية والسياسية بين القوى الوطنية والعربية. إنهم يحاولون جاهدين توسيع الشقة بين الأخوة لكي يسهل عليهم داخل القلعة ونسفها، يوجهون سهامهم إلى الجمهورية العراقية التي تسلك طريق الديمقراطية في حل المشاكل الوطنية والقومية. ويحاولون إيهام السذج بأن الجمهورية العربية المتحدة هي وحدها التي تمثل الأمة العربية وإن سياستها وحدها هي السياسة القومية السليمة، فالجمهورية العراقية إذ تسلك سياسة ديمقراطية إنما تعارض الأمة العربية وتنتكر للقومية العربية!!

ان الاستعماريين لا يستطيعون القيام بهجوم جبهوي عام على الجمهوريتين العربيتين المتحررتين. فهم يريدون كسب الجولة الأولى بعزل الجمهورية العراقية وضربها، ثم يتلوننها بالضربة الثانية للجمهورية العربية المتحدة. تماما كما حاولوا مع سوريا بعد فشل عدوانهم السافر على مصر.

ان هذه الافتراءات لا يصعب معرفة الأغراض الدنيئة منها. فالجمهورية العراقية وأختها الجمهورية العربية المتحدة جزءان رئيسيان من الأمة العربية التي تضم إلى جانبهما بلادا أخرى تختلف أوضاعها بين الاستقلال الناقص، والتبعية للاستعمار، وبين السيطرة الاستعمارية المباشرة والحماية... إلخ.

أما سياسة الجمهوريتين فتمثلان وجهين قوميين تحررين، أحدهما ديمقراطي والآخر يراد له ان ينحرف عن الديمقراطية السلمية. أحدهما يعتمد على كل القوى الوطنية المجتمعة في جبهة وطنية والآخر يعتمد على الانفراد والتعسف أزاء القوى الديمقراطية. ولا شك ان طريق الديمقراطية، طريق بعث وتطوير جميع طاقات الشعب وتوحيدها في الجبهة الوطنية، طريق التعايش والتعاون المتبادل بين القوميات المختلفة في الوطن الواحد، طريق الصداقة لجميع الشعوب في العالم، هذه الطريق هي الأصوب والأمثل لحل جميع مشاكلنا الوطنية والقومية الكبرى وللمساهمة النبيلة في تصفية الاستعمار العالمي وتوطيد دعائم السلم العالمي.

ونعود إلى العراق مرة أخرى، عراق الثورة...

قامت ثورة 14 تموز الخالدة وسط الظروف التي سبق لنا شرحها وانتصرت الثورة بفضل اتحاد الجيش والشعب. وواضح للجميع الدور الذي لعبته جبهة الاتحاد الوطني. كما ان أحداث ما بعد الثورة حتى اليوم قد دحرت كل المفاهيم المعارضة لقيم الجبهة أو المستهينة بالدور التاريخي الذي تستطيع ان تنهض به. ان هذا الوضع الجديد يضع مسؤولية تاريخية كبرى على عاتق الجبهة ذاتها، لا تستطيع النهوض بها دون إعادة نظر جدية في بنائها وإسلوب عملها.

مع اشتداد²⁰⁴ وتعمق الأزمة التي تعانيها السياسة المعادية لحقوق الشعب الديمقراطية ومع اشتداد الإنهاك والخور الذي أصاب أسلوب الحكم الدكتاتوري وإرهابه، وبعد افتضاح وتفكك الجبهة الرجعية - البرجوازية المعادية للجماهير وللقوى الديمقراطية والحرب، فإن إمكانيات إيجابية متنامية نشأت في الريف، لتحسين عملنا وتوسيعه وتطويره. إن جماهير أوسع فأوسع من الفلاحين، وخصوصاً من فقراء الفلاحين تعمق وعيها، وهي تتعطف نحو الحزب لقيادة نضالها دفاعاً عن مطالبها وحقوقها. إن استعداد الجماهير الفلاحية الغفيرة في تنامي وتطور مستمرين. وإن بعض الأفكار الذيلية والانعرالية والتخاذلية التي أعاققت، ولا تزال تعيق، تنفيذ سياسة الحزب الطبقية والوطنية في الريف بدأت تندحر، لتحل محلها الأفكار الصحيحة التي تنطلق من الوجهة الطبقية والسياسية الوطنية الثورية للحزب. وكلما كان كفاحنا ضد تلك الأفكار الانتهازية الغريبة أكثر حزمًا ووعياً، كلما أصبح استيعاب الإمكانيات المتسعة في الحركة الفلاحية أكثر سهولة ويسراً ووضوحاً. إن الوقائع والأحداث والتقارير الحزبية تؤكد على أن مكاسب وانتصارات كبيرة قد تحققت حيثما ناضل الفلاحون تحت قيادة جيدة. لها وجهة عمل صحيحة، وبالعكس فإن التعثر والتخلف والنواقص البارزة رافقت عملنا، حيثما كان للأفكار الذيلية والانعرالية والتخاذلية نفوذ وتأثير، بهذا القدر أو ذاك، وفي هذه المسألة أو تلك.

إن سياسة حزبنا الشيوعي الطبقية والوطنية، تنطلق، في هذه المرحلة من نضالنا من أجل السلام ولتحقيق مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية، من شعار حزبنا المركزي "صيانة الاستقلال الوطني وتعزيزه بإرسائه على أسس ديمقراطية". فإن الديمقراطية هي الطريق لصيانة وتعزيز الاستقلال. وإن الريف هو الميدان الرئيسي لتعميق الثورة، الحركة الديمقراطية. ومن أجل تعميق الثورة، الحركة الديمقراطية لا بد من النضال من أجل تنفيذ الإصلاح الزراعي الحالي واستكمال المضي نحو الإصلاح الزراعي الجذري الذي ندعو إليه.

بيد أن تعمق الثورة الديمقراطية يعتمد أولاً وقبل كل شيء على قوة وسمعة وتطور تحالف العمال والفلاحين، أي على قيادة ونفوذ الطبقة العاملة وحزبها في الريف على أساس الموقف الصحيح من كل مرتبة من مراتب الفلاحين.

204 - كتب سلام عادل كراس "وجهة نضالنا في الريف" أثناء تفرغه لاعداد وثائق المؤتمر الثاني للحزب في نهاية 1962، ونشر في ذلك التاريخ. أما بقية الوثائق فقد استولى عليها الحرس القومي أثناء اعتقال سلام بعد انقلاب شباط 1963.

ان أساس عملنا في الريف هو العمل بين العمال الزراعيين وفقراء الفلاحين، وان التوجه الحازم نحو فقراء الريف وقيادة نضالاتهم ولفهم حول الحزب الشيوعي هو واجبا الأساسي في الريف، ليس لتحقيق أهدافنا القربية ضد خطر الحرب العالمية ودفاعا عن السلام العالمي، ومن اجل صيانة الاستقلال الوطني وتنشيطه على أسس ديمقراطية فحسب، بل من اجل أهدافنا المقبلة في سبيل الاشتراكية والشيوعية أيضا.

ان فقراء الريف هم قاعدة نشاطنا. فينبغي تكريس الجزء الأساسي من جهودنا في التوجه نحوهم. وقد عرف لينين الفلاحين الفقراء الذين يؤلفون الجماهير الكادحة والمستثمرة في الأرياف، بأنهم يضمنون:

"1 - البروليتاريا الزراعية: هم الذين يكسبون وسائل معيشتهم من العمل بأجرة في المشاريع الزراعية (سواء بأجرة سنوية أو يومية أو بأجرة مقطوعة لمدة معينة) ".

"2 - أشباه البروليتاريا: وهم الفلاحون الذين يعملون بالمحاصصة في أراضي الإقطاعيين، وكذلك الفلاحون الذين يستثمرون قطعة من الأرض (عن طريق التملك أو الاستئجار) ولا تكفي للقيام بأود عيالهم فيعملون في الوقت نفسه بالأجرة في المشاريع الزراعية أو الصناعية".

"3 - الفلاحون الصغار: أي الفلاحون الذين لديهم قطعة صغيرة من ارض (يملكونها أو يستأجرونها) ويكفي نتاجها لإعاشة عيالهم وتوفير ما يتطلبه استثمار أرضهم، دون ان يلجؤوا الى استخدام أيادي عاملة بالأجرة".

ويقول لينين ان هذه الجماهير الكادحة والمستثمرة تكون أكثرية سكان الأرياف في جميع الأقطار الرأسمالية. ويؤكد لينين باستمرار على ضرورة "تنظيم هذه الطبقة بجميع الأشكال والقيام بدعاية واسعة في صفوفهم" ويعتبر ذلك واجبا أساسيا للأحزاب الشيوعية. كما يؤكد لينين على "تنظيم البروليتاريا الريفية تنظيميا مستقلا في جميع الأحوال والظروف". ويعبر الرفيق لينين أهمية كبرى "ان يفهم فلاحي الريف الفقراء، من أهم أولئك الذين ينبغي التحالف فيما بينهم ومع عمال المدن، وما ينبغي عمله لكيلا ينخدع بأحد زملائه "الفلاح الغني".

وفي بلادنا، العراق يبلغ عدد الفلاحين الفقراء أكثر من (525) ألف بيت فلاحي من مجموع (800) ألف بيت فلاحي في ريفنا، اي أكثر من 65% من الفلاحين كلهم. وحتى في حالة تنفيذ قانون الإصلاح الزراعي بحذافيره، فان (440) ألف بيت فلاحي من هؤلاء، أي حوالي 55% من الفلاحين جميعاً، يبقون بلا ارض.

لقد تعرض فقراء الفلاحين، ولا يزالون، الى شتى أنواع الاضطهاد والتكيد، وخصوصا منذ اشتداد الهجوم الرجعي والدكتاتوري المعادي للشعب منذ منتصف 1959، وان حزبنا وقف بجراًة وحزم مع الفلاحين الفقراء وقادهم للوقوف بوجه الحملة المسعورة ودافع عن مكاسبهم وحقوقهم.

1 - إن الفلاحين الفقراء هم قوانا الأساسية في الريف، ولهم مطالبهم الطبقية

الخاصة بهم - بالإضافة الى مطالبهم المشتركة مع المراتب الأخرى. فينبغي أولاً، تشخيص مطالب فقراء الفلاحين الخاصة في كل منطقة وريف، لأجل قيادة نضالاتهم الخاصة على أساسها، مثل:

- تطبيق البيان رقم 3 في قسمة الحاصلات.

- النضال لتفضيل الفلاحين الفقراء المعدمين المحرومين من ارض ومن الحيوانات في التعاقد والتوزيع

في الأراضي الخاضعة لاستيلاء الإصلاح الزراعي.

- النضال لإلغاء شمول البيان رقم 5 للأراضي الزراعية في كردستان.

- النضال لمنع ترحيل الفلاحين.

- النضال لإصدار قانون بإعفاء الفلاحين من الديون الوهمية قبل 14 تموز.

- إعطاء 40% حصة من التمر لفلاحي ومغارسي البساتين، في البساتين التي تزيد مساحتها على 10 دونمات.

- النضال لإجازة جمعية فلاحية في كل قرية وضمان الانتخاب المعبر عن إرادة جماهير فلاحي القرية.

- إعفاء الفلاحين من التعويض الذي يفترض ان يدفعوه مقابل حصولهم على ارض والوقوف بوجه التشريع الذي صدر لاستيفاء بدل الأرض من الفلاحين، والنضال لتوزيع الأرض على الفلاحين بدون بدل.

- تخفيض الحد الأعلى للملكية الزراعية لتوفير الأرض لعدد أكبر من الفلاحين وخصوصا الفقراء منهم، وغير ذلك من المطالب الخاصة بفقراء الريف.

2 - كما ينبغي الاهتمام الجدي بالفلاحين المتوسطين الذين لهم مطالبهم الخاصة، ومطالب مشتركة مع فقراء الفلاحين، وإدراك حقيقة ان الفلاحين المتوسطين يؤلفون جمهرة كبيرة من سكان الأرياف ازدادت عددا في فترة ما بعد الثورة، وانهم موضوعا حلفاء للطبقة العاملة، وينبغي العناية بكسبهم عن طريق عزل نفوذ البرجوازية وقيادتها عنهم في مجرى النضال دفاعا عن حقوقهم، وضد الاستعمار، والإقطاع، والرجعية. ويعبر لينين الفلاحين المتوسطين اهتماما كبيراً، وقد عرفهم قائلاً:

"حين نقول - الفلاحون المتوسطون - ينبغي ان نفهم من ذلك، ومن الناحية الاقتصادية، انهم المزارعون الصغار الذين، أولاً: يملكون هم أيضاً أراضي صغيرة (ملك أو استئجار لمدة معينة)، ولكن هذه الأرض التي تضمن لهم إعاشة واستثمار أراضيهم، تدر عليهم بالإضافة الى ذلك - وفي ظل الرأسمالية، عموماً - بفائض من المحصول، يمكن ان يتحول - على الأقل في أحسن السنوات - الى رأسمال. ثانياً: يلجؤون غالباً (بنسبة واحد الى اثنين أو ثلاثة منهم مثلاً) الى استخدام أيد عاملة

بالأجرة". ان كسب الفلاح المتوسط مسألة هامة جدا. ويقول لينين:

"ان جميع الملاكين والبرجوازية كلها، يسعون الى كسب الفلاح المتوسط الى جانبهم.. وتسعى البرجوازية جهدها لكي تصرف الفلاح المتوسط (وحتى الفلاح الصغير وحتى نصف البروليتاري) عن الاتحاد مع العمال، بل أنها تريد تحريضهم على الوقوف الى جانب الأغنياء، الى جانب البرجوازية في نضالها ضد العمال".

ويوضح لينين طبيعة الفلاح المتوسط المتذبذبة، والصعوبات التي تعترض طريق النضال لكسبه فيقول:

"ان الفلاحين المتوسطين، طبقة مترددة، لأنها من جهة مالكة، ومن جهة أخرى شغيلة. أنها لا تستثمر الشغيلة الآخرين، بل اضطرت عشرات السنين ان تدافع عن وضعها.. وامتنحت بنفسها استثمار الملاكين والرأسماليين، وتحملت كل شيء، بيد أنها مالكة في الوقت نفسه... وان موقفنا من هذه الطبقة المترددة حافل بالمصاعب القصوى". ولكنه يؤكد في الوقت نفسه على إمكانية كسبهم الى جانب التحالف وراسخ كلما أدرك الفلاح المتوسط بمزيد من السرعة كل كذب الوعود البرجوازية، وانضم الى جانبنا بمزيد من السرعة أيضا".

ان تجربة الحزب في الحركة الفلاحية في بلادنا، تبرهن هي الأخرى على إمكانية كسب الفلاحين المتوسطين. ولذلك ينبغي، ثانيا، تشخيص المطالب الخاصة بالفلاحين المتوسطين ومطالبهم المشتركة مع فقراء الفلاحين، وبذلك يتم توحيد الأكثرية الساحقة من الجماهير الفلاحية (تسعة أعشار الفلاحين). ان أهم المطالب المشتركة بين فقراء الفلاحين والمتوسطين أو الخاصة بالمتوسطين هي:

- تطبيق البيان رقم 3 من قسمة الحاصلات ومنع التجاوز على حصة الفلاحين.

- إعفاء الفلاحين من سلفة المصرف الزراعي وحصة الإصلاح الزراعي في السنة الأولى واعتبارها مساعدة لهم.

- تزويد الفلاحين المتعاقدين على الأراضي المستولى عليها والموزعة بالسلف من المصرف لزراعيو التعاوني وتوفير مستلزمات الزراعة من (آلات، مياه بذور، أسمدة...).

- تصحيح صنف الأراضي الأميرية الممنوحة باللزمة والمفوضة بالطابو واسترجاع الدولة عينا (أي كأرض) وتوزيعها على الفلاحين.

- عدم إعطاء أي مساحة من الأرض الأميرية في لواء العمارة الى الملتزمين (الإقطاعيين) وتوزيع ما بحوزتهم حاليا على الفلاحين.

- إلغاء الإكراه والإكراه في الانتساب للجمعيات التعاونية الزراعية في الأراضي الموزعة، وإعطاء الفلاحين حرية الاختيار بين العمل التعاوني والعمل الفردي، ونوع التعاون الذي يريدونه وينسجم مع مصلحتهم.

- إبعاد الإقطاعيين من الريف.

- إعطاء الفلاحين حق التنظيم الديمقراطي لجمعياتهم الفلاحية وحق اختيار قادتها بكل حرية وإشراك ممثلهم في كل ما يهم مصالحهم، واناطة وكالات الإصلاح الزراعي بالجمعيات الفلاحية.

- إلغاء السخرة.

- وقف الإهانات، والتعرض لكرامة الفلاحين، ووقف حملات التحري الجماعية لقراءهم، والكف عن ابتزاز الرشاوي منهم وعن إجراءات الإبعاد والتوقيف والسجن والاغتيال... الخ.

ان تعزيز وحدة فقراء ومتوسطي الفلاحين تحت قيادة الطبقة العاملة يتم عبر النضال ويقتضي بالضرورة عزل نفوذ أغنياء الفلاحين وصغار الملاكين (برجوازية الريف) عن الفلاحين الفقراء والمتوسطين.

بيد ان هذا جانب من القضية، قضية نضالنا في الريف. فهذا النضال لا ينفصل عن نضالنا الأساسي في الفترة الراهنة ضد الاستعمار والإقطاع ولتعزيز الاستقلال الوطني وتثبيته على أسس ديمقراطية، فهو يتطلب توحيد كل الفلاحين وكل القوى المعادية للاستعمار والإقطاع في الريف، في جهة موحدة موجهة ضد عملاء الاستعمار وكبار الإقطاعيين والملاكين، وضد خطر عودة الإقطاع، والمضي في تنفيذ الإصلاح الزراعي. ان هذا الجانب من نضالنا يستدعي منا تشخيص منا تشخيص المطالب المشتركة لجميع الفلاحين، فقراءهم ومتوسطيهم وأغنياءهم، والمطالب التي يشترك مع الفلاحين في النضال من أجلها حتى صغار الملاكين وبعض العناصر من متوسطيهم الموجهة بالأساس ضد خطر ومؤامرات الاستعمار والإقطاع وضد خطر عودة الإقطاع وتجميد وإيقاف الإصلاح الزراعي ومن أجل إصلاحات عامة في الزراعة وشؤون الريف. ان الفلاحين الأغنياء، هم - كما قال لينين - أولئك "الفلاحون الكبار الذين هم في الزراعة مستثمرون رأسماليون، فهم كقاعدة عامة يستخدمون عدة شغيلة بالأجرة. وليس ما يجمعهم بالجماهير "الفلاحية" سوى مستوى ثقافتهم غير العالي، ونمط حياتهم، وعملهم الشخصي اليدوي في استثماراتهم نفسها. وهم أكثر فئات البرجوازية المعادية للبروليتاريا الثورية صراحة وحدة، وعددا. ولهذا فعلى الأحزاب الشيوعية، ان تركز في عملها في الأرياف أكبر انتباه الى النضال ضد هذه الفئة الاجتماعية، وذلك لانتزاع أكثرية سكان الأرياف الكادحين والمستثمرين من تحت النفوذ الفكري والسياسي لهؤلاء المستثمرين".

ان التمييز الدقيق بين مراتب الفلاحين، وممارسة سياسة طبقية واعية ومثابرة تجاه كل مرتبة من هذه المراتب، شرط أساسي لضمان وحدة الحركة الفلاحية وتوجيهها وجهة ثورية بالتحالف مع الطبقة وتحت قيادتها، وبالتالي لإقامة جبهة وطنية ثورية موحدة في الريف، يمكن ان تتم فقط عن طريق توجيه كل القوى المعادية للاستعمار

والإقطاع، حول المطالب العامة. واهم المطالب المشتركة التي يمكن التعاون من اجلها مع هذه الفئات هي:

- النضال من اجل صيانة السلم العالمي.
- النضال من اجل صيانة الاستقلال الوطني ضد خطر الاستعمار ومؤمراته.
- النضال ضد بقايا الإقطاع وخطر عودة الإقطاع.
- النضال ضد جور وتعسف الأجهزة الحكومة وانحيازها الى جانب الإقطاعيين والملاكين وتطهير أجهزة الدولة من العناصر الموالية للإقطاع.
- مواصلة تنفيذ الإصلاح الزراعي والإسراع بالاستيلاء على ما لم يستولى عليها من أراضي كبار الإقطاعيين والملاكين.
- توفير المياه.
- تشكيل الجمعيات التعاونية.
- فتح المدارس وإنشاء المستوصفات.
- توفير الكهرباء ومياه الشرب.
- توفير الآلات والأسمدة.
- شق الطرق.
- إعفاء الفلاحين من التعويض.
- عدم إعطاء التعويض للإقطاعيين والملاكين.
- العناية بالصناعة الزراعية والحيوانية... الخ.

ومن الأهمية بمكان، بالنسبة لمنظمات حزبنا في كردستان، تطبيق وجهة نضال الحزب في الريف، على ضوء ظروف كردستان الموضوعية. فعلى الرغم من المسائل المشتركة الكثيرة التي تهم كل الأرياف العراقية، وجميع الفلاحين في العراق، الا ان لكردستان ظروفها الخاصة، وللحركة الفلاحية مشاكلها الخاصة الناشئة من هذه الظروف. فان معظم أراضي كردستان ديمية تعتمد على الأمطار. وهناك مساحات غير قليلة من الأراضي غير الصالحة في المناطق الجبلية والغابات. وهناك مشكلة فلاحية التبوغ، وعلى رأس هذه المشاكل حقيقة ان قانون الإصلاح الزراعي الذي جعل الحد الأعلى في الأراضي الديمية (2000) لا يشمل سوى عشرة بالمائة من الأراضي المستثمرة في كردستان. لان عدد الإقطاعيين والملاكين الذين يملكون مثل هذه المساحة قلائل بالمقارنة مع بقية أنحاء العراق، وان الأراضي الزائدة عن الحد الأعلى المفروض توزيعها على الفلاحين قليلة أيضاً، كما ان نسبة الأراضي الأميرية في كردستان اقل بكثير منها في بقية أنحاء العراق. بالإضافة الى اختلاف نسبة بدل

الملاكية والمحاصصة في كردستان عنها من سائر أنحاء العراق. تضاف الى ذلك كله الظروف الحالية الناجمة عن اشتداد أزمة كردستان وتفاقم حملة القمع العسكري واضطهاد الإدارات الحكومية، والإقطاعيين والملاكين سواء من المنتظمين في صفوف الشرطة غير النظامية، أو المناصرين المنضمين الى حركة القوميين الأكراد المسلحة.

ان من الضروري اخذ واقع كردستان بنظر الاعتبار عند تصنيف مراتب الفلاحين والملاكين، من اجل تطبيق صحيح مبدع لوجهة نضالنا الطبقي في الريف، ولتنفيذ سياستنا الوطنية، وسياستنا في حل المسألة القومية الكردية. ان كثير من المطالب الخاصة بفقراء الفلاحين، ومتوسطيهم وأغنيائهم التي ذكرناها فيما تقدم تشمل كردستان أيضاً، ولكن هناك مطالب خاصة بفلاحي كردستان يجب تشخيصها بمساعدة الهيئات القائدة في كردستان وتكتيل جماهير مختلف المراتب الفلاحية حولها.

ان النضال بين الفلاحين يتطلب عملاً صبوراً ومثابراً متواصلاً، ان الحركة الفلاحية في بلادنا دخلت منذ ثورة تموز مرحلة جديدة من النهوض والسعة والشمول. ان جماهير فلاحية أوسع فأوسع تنهض للنضال من اجل تنفيذ الإصلاح الزراعي وتحقيق شعار "الأرض لمن يفلحها". ان البرجوازية، والحكم الدكتاتوري العسكري بعد ان اتجهت الى قمع القوى الديمقراطية ومن ضمنها الحركة الفلاحية، راحت في الوقت نفسه، تتعثر وتتخلف في تطبيق قانون الإصلاح الزراعي. فضلاً عن التعديلات الرجعية التي أجريت على القانون لصالح ترصية الإقطاعيين والملاكين، وفضلاً عن النواقص الجدية البارزة في نص قانون الإصلاح الزراعي نفسه، وفي مقدمة هذه النواقص ارتفاع الحد الأعلى للملكية الزراعية سواء في الأراضي الدائمة أو السحية، ودفع التعويض للإقطاعيين بعد انتزاعها من الفلاحين. ان مساحات واسعة من الأراضي لا تزال في حوزة بعض كبار الإقطاعيين والملاكين بنتيجة الاستثناءات التي أجرتها الحكومة، أو بنتيجة تحايل هؤلاء على القانون. كما ان تسليم مقدرات أجهزة الإصلاح الزراعي، والأجهزة ذات العلاقة بتطبيقه الى يد العناصر الرجعية والعميلة والفاصلة في جهاز الدولة وبعد ان ابعد عدد كبير من الموظفين والوطنيين والديمقراطيين النزيهين - أدى ويؤدي الى تفاقم مشاكل الفلاحين، بما فيهم الفلاحون الذين وزعت عليهم الأراضي وسندات تملكها أو الذين تعاقدوا مع إدارة الإصلاح الزراعي. فان نفس التقارير الرسمية تشير الى توقف أعمال الإصلاح الزراعي في معظم أنحاء كردستان، والى هجرة الفلاحين الموزعة عليهم الأرض في لواء الكوت، ودفع أقساط كبيرة من مبالغ التعويض الى الملاكين والإقطاعيين، وسن نظام اخذ هذا التعويض من الفلاحين وتهديد كل فلاح يعجز عن ذلك من حرمانه من الأرض... الخ. ان حشد الفلاحين حول مطالبهم وتعبئتهم وقيادتهم في النضال وخصوصاً من اجل تنفيذ قانون الإصلاح الزراعي الحالي لمصلحة الفلاحين، ولأجل تطوير عملنا في الريف ورفع وعي الفلاحين وتلخيص تجربتهم وتوطيد وتوسيع تنظيمهم. وكل ذلك لا يمكن تحقيقه دون كفاح لا هوادة فيه بقايا الإقطاع، وضد جور وتعسف وانتهاكات

الأجهزة الإدارية والقضائية والبوليسية والحكومية، ضد أساليب القسر والإرغام والدكتاتورية التي تمارسها السلطات الحكومية ضد الحركة الفلاحية عموماً، وضد فقراء ومتوسطي الفلاحين خصوصاً، وربط ذلك كله بالنضال السياسي العام الذي يخوض الشعب غماره بقيادة حزبنا الشيوعي، من أجل السلم، وصيانة الاستقلال الوطني وتعزيزه وتحقيق مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية، كاملة غير منقوصة. ان ذلك غير ممكن، كما يعلمنا لينين: "دون ان نبذر بين جماهير الفلاحين الذين لا عد لهم بذر النضال الطبقي والوعي السياسي"، ودون "اتحاد عمال المدن مع فقراء الفلاحين". لقد بذر حزبنا هذه البذور بنطاق واسع، وسقاها وتشققت الأرض العذراء، واستقبلت الشمس حقولاً جديدة علينا رعايتها بشكل دائم وتقوية ساعدها وتهيئة كل الظروف القيادية والتعبوية لتأتي ثمارها وأكلها.

ان تحالف العمال والفلاحين، هو حجر الزاوية في توحيد الشعب كله في النضال من أجل إقامة الجبهة الوطنية الديمقراطية الثورية الواسعة، فإن تحالف العمال والفلاحين يعني اتحاد قوى كل المستثمرين وجماهير المنتجين الصغار في الريف هذه القوى التي تؤلف أكثرية الشعب الساحقة. وان هذه القوى الجبارة التي تواجه قوى الاستعمار والرجعية والإقطاع وتناضل ضدها تحت قيادة الطبقة العاملة تستطيع ان تشل تذبذب القوى الوسطى، وان تجرّها الى هذا الكفاح، قوى البرجوازية الصغيرة والمتفقين والبرجوازية الوطنية في المدن والأرياف. وان هذا التحالف بين العمال والفلاحين الفقراء مدعو كما يعلمنا لينين الى "خوض النضال على جبهتين: من جهة ضد جميع البرجوازيين بالتحالف مع جميع العمال، ومن جهة أخرى ضد الموظفين في الأرياف، وضد الملاكين الإقطاعيين بالتحالف مع جميع الفلاحين". وهكذا بتوطيد دعائم تحالف العمال والفلاحين، تقوم القاعدة الأساسية لإقامة أوسع جبهة وطنية في البلاد ضد الاستعمار والإقطاع والرجعية.

تلك هي معالم وجهتنا وسياستنا العامة في الريف. ومن الضروري ان يراعي رفاقنا ومنظماتنا أثناء تنفيذ هذه السياسة التناقضات المحلية والتعقيدات في كل ريف ومنطقة حيث ان لكل منطقة مشاكلها ومعالمها الخاصة، وان التطبيق الصحيح للخطة الثورية لا يتجاهل هذه المعالم الخاصة، بل يأخذها جدياً بنظر الاعتبار دون الخروج عن الخطة العامة، بل ضمنها. ان التطبيق الثوري الصائب لسياستنا في الريف من شأنه عزل ودحر النشاط الاستعماري - الإقطاعي، وكذلك عزل نفوذ وقيادة البرجوازية ودكتاتوريتها من الجماهير الفلاحية. وبالتمسك بوجهتنا العامة هذه ستلمس جماهير الفلاحين بتجربتها الخاصة، أكثر فأكثر، بان البرجوازية ودكتاتوريتها لا يمكن ان تحقق للفلاحين ما يصبون إليه من ارض وحياة كريمة. في حين ان الطبقة العاملة والقوى الديمقراطية الثورية في البلاد هي وحدها القادرة على قيادتهم لانتزاع حقوقهم وللحصول على الأرض ومستلزمات زراعتها وتحقيق الحياة السعيدة المرفهة لهم، وضمان تقدم الريف من كل النواحي. والبرجوازية عندما تنتزع قسماً من الأرض من قسم من الإقطاعيين والملاكين وتوزعها على جزء من الفلاحين فإنها قامت وتقوم

بذلك تحت ضغط نضال الفلاحين والكفاح السياسي العام للطبقة العاملة والقوى الديمقراطية الثورية. ولكن الطبقة العاملة تقود الفلاحين، وتوحدهم، لانتراع كل الأرض من كل الإقطاعيين والملاكين واعطائها الى الفلاحين بدون بدل أو تعويض، وتقديم كل المساعدات اللازمة لتوفير مستلزمات استثمار الأرض (المياه، البذور، السلف، الآلات) وتحسين معيشة الفلاحين.

ان الفلاحين في بلادنا بدأوا يدركون الآن ومن خلال تجربتهم الخاصة حقيقة القيادة البرجوازية ودكتاتوريتها التي تركض وراء مصالحها الطبقية الضيقة، وتتذبذب في موافقها من الفلاحين مثلما هو حالها في المسائل الأخرى، تبعا لمقتضيات هذه المصالح الطبقية. كما أدرك الفلاحون، ويدركون بصورة أفضل، ومن تجربتهم كذلك، ان قيادة الطبقة العاملة المتمثلة بالحزب الشيوعي، هي القيادة الثورية المخلصة التي ينبغي ان يسيروا تحت لوائها. فالطبقة العاملة من مصلحتها تحرير المجتمع كله في مجرى النضال لتحرير نفسها. وهي بالفعل تناضل لتحرير كل الشعب ومن اجل مصالحه. ويلمس اليوم الفلاحون، لمس اليد الفرق بين الإصلاح الزراعي البرجوازي السائد ونواقصه، والتكؤ في تطبيقه، وبين الإصلاح الجذري الذي تدعو إليه وتناضل في سبيله الطبقة العاملة وحزبها الشيوعي، فضلاً عن نضالها الراهن من اجل التطبيق الكامل لقانون الإصلاح الزراعي الحالي دون تأخير ذلك عن الموعد المحدد له قانوناً. والفلاحون يقارنون وهم على حق، بين ما أنجز في العام الأول من ثورة تموز التي أطلقت طاقات الفلاحين ومبادراتهم تحت قيادة الحزب وبين ما عانوه في الأعوام الثلاثة التي تلت ذلك، في ظل السياسة الدكتاتورية المعادية للشعب ولحقوقه وحرياته الديمقراطية.

ان هناك - أيها الرفاق - نواقص جدية بارزة في عملنا، في الريف، وخصوصاً بين فقراء الفلاحين وفي التوجه والانعطاف الحازم نحوهم. فينبغي تشخيص هذه النواقص في كل منطقة والعمل الجدي لتلافيها، ومعالجتها بسرعة، وهمة، ونشاط. ان انعطاف الفلاحين، وخاصة الفقراء منهم، نحو الحزب في تنام، وان جميع التقارير الحزبية في الآونة الأخيرة تشير الى هذا الانعطاف وتؤكد. ويمكن ان نتحسس بعض مظاهر هذا الانعطاف في:

- إقبال الفلاحين المتزايد على التوقيع على المذكرات الجماهيرية التي ينظمها الحزب والتي تتضمن مطالباً فلاحية واجتماعية وسياسية.

- توسيع القاعدة الحزبية، وتزايد طلبات الانتماء للحزب، واعادة الصلات القديمة أو المطالبة بصلات جديدة.

- إعادة الصلات مع معظم الخلايا الريفية والرفاق الفلاحين، المنقطعين.

- مقارنة الفلاحين في أحاديثهم واستشهاداتهم بين ما حصلوا عليه في السنة الأولى من الثورة تحت قيادة الحزب وبين ما تعرضوا له من اضطهاد في السنوات التي

أعقبتها في ضل الهجوم على حقوق الشعب ومعاداة الشيوعية.

- انزال الكثير من الهيئات الإدارية للجمعيات الفلاحية التي تصر على استمرار خضوعها لنفوذ الإقطاع أو البرجوازية، وتوجه الفلاحين الى الالتفاف حول قادة جمعياتهم في العام الأول من الثورة.

ان من أهم المسائل التي ينبغي التركيز عليها في الريف، هو العمل في الجمعيات الفلاحية، اي العمل لتنظيم الفلاحين تنظيماً ديمقراطياً واسعاً. لقد تأسست بعد الثورة آلاف الجمعيات الفلاحية، ومنذ منتصف 1959 عملت البرجوازية ودكتاتوريتها لأجل فرض قيادتها على هذه الجمعيات، وبمساعدة الإقطاع والسراكيل قام الحكم الدكتاتوري بمحاولات كثيرة لخنق حرية التنظيم الفلاحي الديمقراطي وتصفيته. فسحبت الإجازات عن أكثر من (3000) جمعية، ومنحت الإجازات في أحايين كثيرة الى أغنياء الفلاحين وحدهم، وحتى الى الملاكين وانباء الإقطاعيين، بقصد حرمان فقراء الفلاحين بالأساس، وكذلك متوسطيهم الى حد بعيد، من حق التنظيم. ولكن البرجوازية ودكتاتوريتها لم تستطع ان تلغي هذا الحق نهائياً بفضل نضال الجماهير الفلاحية ومقاومتها الباسلة تحت قيادة حزبنا الشيوعي. وقد ضعف عملنا في بعض الجمعيات الفلاحية في فترة معينة تحت ضغط الصعوبات ونتيجة تسرب وانتشار بعض الأفكار الذيلية والاستسلامية الانعزالية، وضعف العمل خصوصاً في الـ (3000) جمعية التي لم تجزها الحكومة، والتي تضم بالأساس فقراء الفلاحين، وجزءاً من متوسطيهم.

لذلك ينبغي على رفاقنا التوجه الحازم نحو معالجة هذه النواقص وذلك بـ:

- 1 - تنشيط الجمعيات الفلاحية المجازة التي لنا فيها نفوذ، بكل السبل الممكنة.
- 2 - النضال للحصول على إجازات لجمعيات جديدة.
- 3 - العمل داخل الجمعيات الفلاحية الواقعة تحت نفوذ أغنياء الفلاحين والملاكين للدفاع عن مطالب ومصالح الجماهير في كل الظروف والأحوال.
- 4 - النضال لكسب وانتزاع هذه الجمعيات الفلاحية بكاملها من نفوذ عملاء الإقطاع وممثلي البرجوازية وأغنياء الفلاحين، وتحويلها الى جمعيات مجاهدة مدافعة عن حقوق الفلاحين.
- 5 - العمل لتعبئة الفلاحين وممارسة ضغط جماهيري واسع ومستمر لحمل اتحادات الألوية، والاتحاد العام، على تبني مطالب الفلاحين، ولتعزيز مواقعنا فيهما، وكسب مواقع جديدة.
- 6 - نظراً لان أغلبية الجمعيات المجازة بيد أعوان الإقطاع أو ممثلي البرجوازية ودكتاتوريتها والخاضعين لنفوذها وأنها تدافع بالأساس عن مصالح الفلاحين، وكذلك الملاكين فقد نشأ في داخلها صراع طبقي، بين الفقراء والأغنياء، مما أسفر بمساعدة

الحكومة على إبعاد الفلاحين الفقراء منها. وان هذا الواقع يضعنا أمام مهمة جدية لتكوين جمعيات فلاحية خاصة بفقراء الفلاحين وتدريبهم، وفق القانون القديم، وذلك حيثما لا يسمح الظرف بانتزاع الإجازة، ومن ثم نناضل لفرض قانونية هذه الجمعيات. أي أننا نستند الى إرادة الفلاحين باعتبارها هي الأساس في قيام الجمعية وفي ممارستها لنشاطها.

7 - العمل لبعث وتنشيط الـ (3000) جمعية القائمة وفق القانون القديم أي غير المجازة رسمياً، دون الجمود وانتظار الإجازة التي نناضل للحصول عليها في غمرة نشاط الجمعية.

ان من شأن كل هذه النضالات تنظيم وتعبئة وقيادة أوسع الجماهير الفلاحية، وخصوصاً الفقراء منهم. ان تجربة الحزب تؤكد أهمية الدور الطليعي الواعي لمنظمات الحزب في توسيع وتعميق نضالات الفلاحين، وفي تشخيص الأشكال والأساليب الملائمة لها وتدريب الفلاحين على ممارستها ورفع قناعتهم بجدواها. وتجربة الحزب تؤكد أيضاً، انه حيثما يناضل الفلاحون فان إحراز الانتصارات أمر ممكن تماماً، وكذلك فان هذه المكاسب والانتصارات ترافق العمل حيثما كانت المنظمات الحزبية تعمل بوعي وهمة وحيثما توفرت القيادة الحسنة والاهتمام اللازم. ان التوجه الحازم نحو فقراء الفلاحين، يستوجب تنشيط العمل الجماهيري وتوسيعه ورفع مستواه دون حد.

ان نضالنا في الريف، يتوقف قبل كل شيء، على تعزيز وتقوية تنظيمنا الحزبي، فان وجود منظمات حزبية قوية في الأرياف هو الذي يوفر للحزب قيادة الحركة الفلاحية في الوجهة الثورية الصائبة وتعزيز تحالف العمال والفلاحين وتعميق وتوسيع الحركة الفلاحية في الوجهة الثورية الصائبة وتعزيز تحالف العمال والفلاحين وتعميق وتوسيع الحركة الديمقراطية، وإقامة النواتات الثورية من اجل المستقبل، من اجل بناء الاشتراكية في الريف. ان منظمات الحزب في الأرياف لا تضم الفلاحين وحدهم، بل تضم جميع الشيوعيين العاملين والساكين في الريف من عمالاً، وفلاحين ريفيين، ومستخدمين، وغيرهم. ولكن قوة أية منظمة حزبية في الريف تعتمد على تركيبها الطبقي وضمتها لأحسن واوعى عناصر فقراء الريف من البروليتاريين وأشباههم وصغار الفلاحين، وعلى ارتباطها بجماهير فقراء الريف وتوجيهها نحوهم ودفاعها الحازم عن مصالحهم. ان تعزيز التنظيم الحزبي يتطلب العمل الجدي بتوسيع القاعدة الحزبية، والنضال الحازم لتطبيق شعار الحزب "خلية في كل قرية". وفي الظرف السياسي المستجد، وبروز عدد من الظواهر السياسية لصالح القوى الديمقراطية والحزب، فان منظماتنا الحزبية في الريف اعتماداً على سلامة اتجاهها وعلى تكثيف جهودها، فأنها تستطيع تحقيق شعار "خلية في كل قرية" وتستطيع ان تجاوزه في كثير من الأرياف والمناطق.

ان التوجه الحازم نحو فقراء الفلاحين، يعني:

1 - التوجه الحازم نحوهم في رفع مطالبهم خلال العمل الجماهيري والتنظيم الديمقراطي.

2 - التوجه الحازم نحوهم في توسيع القاعدة الحزبية.

3 - التوجه الحازم نحو تربية كادر من فقراء الفلاحين والعمال الزراعيين، من شيوعيين ولا حزبيين.

4 - جعل المهمة الأساسية لكوادرنا العاملة في الريف حالياً، الاهتمام بتنقيف وتدريب العناصر النشيطة التي لها استعداد من بين الرفاق الواعين لسياستنا الطبقية في الريف.

5 - توظيف الرفاق الذين لديهم الحد الأدنى المناسب من الاستعداد والكفاءة للعمل في الريف. وينبغي ملاحظة ان بين كوادرنا في الريف حالياً عدد من الرفاق المنحدرين من مراتب الملاكين وأغنياء الفلاحين. ان هؤلاء الرفاق شيوعيون والحزب لا ينظر إليهم كعناصر غريبة، فلا طبقات في الحزب، ولكن المهم ان يكون هؤلاء الرفاق منصهرين في مصلحة الحزب ويستوعبون وينفذون بأمانة ووعي وحماس وحزم وجهته الطبقية في الريف.

6 - تحسين عمل ورفع مستوى القيادة والتوجيه في المكاتب الفلاحية في المناطق والاولوية، وعمل لجان الريف الحزبية.

7 - ان تركز اللجان المنطقية والمحلية وقتاً أكبر وجهداً أكبر لدراسة وقيادة وتوجيه العمل الحزبي في الريف، وخصوصاً وجهة الحزب نحو فقراء الفلاحين كجزء من سياستنا الوطنية، فبالوحدة الفلاحية، والجهة الموحدة الثورية المعادية للاستعمار والإقطاع في الريف، والتي أشرنا إليها في مقدمة هذه النشرة.

8 - ان تخصص الهيئات القائمة أحسن رفيق أو رفيقين من بين أعضاء لجنة المنطقة أو اللجنة المحلية، من بين الرفاق الأكثر انصهاراً وتجربة وفعالية ووعياً طبقياً وإمكانية من الناحية العملية، لتوجيه النشاط الحزبي في الريف.

ان اللجان الحزبية القائمة، والمكاتب الفلاحية ولجان الريف، وكل كوادر الحزب العاملين في الريف مدعوون الى بذل جهود أكبر، للتوجه الحازم نحو فقراء الفلاحين، لتعزيز تحالف العمال والفلاحين وتعزيز قيادة الطبقة العاملة، من اجل عزل عملاء الاستعمار والإقطاع، من اجل دحر الأفكار الذيلية الانعزالية وتثبيت ونشر الأفكار الصحيحة، وفي استيعاب الإمكانات الزاخرة المتسعة في الريف، وقيادة الجماهير الفلاحية تحت راية الطبقة العاملة وبقيادة حزبنا الشيوعي العظيم.

كانون الأول 1962

7	إهداء
9	مقدمة
13	توطئة
15	نبذة تاريخية
19	السيرة الشخصية
22	عائلي وظروف التعارف على سلام عادل
27	سلام عادل ينتمي الى الحزب الشيوعي العراقي
38	اعتقال سلام عادل وسجنه
41	سلام عادل يلتحق بالحزب
45	سلام عادل يقود المنطقة الجنوبية
52	إضراب العمال في شركة نفط البصرة
58	جبهة الكفاح الوطني ضد الاستعمار والحرب 1954
63	مساهمة الحزب الشيوعي العراقي في مؤتمر دول الكومونولث في عام 1954 في لندن
66	الانتخابات البرلمانية والجبهة الوطنية 1954
74	سلام عادل يقود لجنة بغداد
82	انفراد حميد عثمان بقيادة الحزب
84	سلام عادل يتابع العمل في الفرات الأوسط
87	الحزب الشيوعي يواجه معركة دخول العراق في حلف بغداد
95	انتخاب سلام عادل سكرتير اللجنة المركزية
100	قرارات اللجنة المركزية في تموز "يوليو" عام 1955
111	تطبيق قرارات تموز "يوليو" عام 1955
123	الكونفرنس الثاني للحزب الشيوعي العراقي
142	انتفاضة عام 1956 التضامن مع مصر ضد العدوان الثلاثي
145	تطورات الأحداث قبيل وخلال انتفاضة تشرين عام 1956
155	العصيان المسلح في قضاء الحي
161	دروس انتفاضة 1956 وتأثيرها على العملية الثورية في العراق
170	نص الرسالة الداخلية لسلام عادل التي فند فيها التوجه نحو الاغتيالات

173	جبهة الاتحاد الوطني 1957
183	مكافحة الأفكار التحريفية
187	ثورة الرابع عشر من تموز 1958
203	مشاركة الحزب الشيوعي الميدانية في الثورة
222	حول قضية الوحدة والاتحاد الفيدرالي
	ملخص ما دار في الاجتماع الموسع للجنة المركزية للحزب الشيوعي المنعقد في أوائل
237	أيلول 1958
246	المؤامرات الثلاث - عارف - الكيلاني - الشواف
261	وثائق الجزء الاول
263	وثيقة "جبهة الكفاح الوطني ضد الاستعمار والحرب"
269	توقف عمل الجبهة الانتخابية 1954
272	الانتخابات البرلمانية والجبهة الوطنية 1954
276	جزء من وثيقة الكونغرس الثاني للحزب الشيوعي العراقي / أيلول "سبتمبر" 1956
285	نص بيان الحزب الشيوعي العراقي في يوم ثورة تموز
287	بقية حديث سلام عادل لجريدة اتحاد الشعب حول مؤامرة الشواف 1959
291	جزء من كراس (انتفاضة عام 1956 ومهامنا في الظرف الراهن)
295	رد على مفاهيم برجوازية قومية وتصفوية
341	مقتطفات من كراس جبهة الاتحاد الوطني
345	وجهة نضالنا في الريف
357	الفهرس

يستعرض الكتاب أبرز منجزات الحزب الشيوعي العراقي بعد انتخاب سلام عادل سكرتيراً للجنة المركزية عام 1955 وأهمها:

- وحد الحركة الشيوعية العراقية ورصّ صفوف الحزب على أسس مبدئية بتطبيق قواعد النظام الداخلي للحزب.

- رسم سياسة وطنية صائبة كأساس متين لتوحيد القوى الوطنية وقيام جبهة الاتحاد الوطني عام 1957.

- تعزيز مكانة الحزب الأممية

لقد أدت تلك الإجراءات إلى تصعيد دور الحزب الشيوعي العراقي في التهيئة والتحضير لقيام ثورة 14 تموز الوطنية عام 1958، بالتنسيق مع القوى والأحزاب الوطنية وحركة الضباط الأحرار.

والمساهمة الفعالة في تطوير وتنشيط العمل الجماهيري.

ويسلط الضوء على أحداث انتفاضة الشعب عام 1956، والعبر الناتجة عنها للاستفادة منها في تحقيق الثورة القادمة

يتناول الكتاب بالتفصيل سياسة الحزب بعد نجاح الثورة ودوره في انتصارها وترسيخ حكمها كما يستعرض أبرز المؤامرات الاستعمارية لإجهاض الثورة.

ويتطرق إلى الخلافات الفكرية داخل قيادة الحزب، وظهور كتلة معارضة لعبت دوراً أساسياً في انتكاسة الحزب وبالتالي الحركة الوطنية، مستنداً إلى وثائق رسمية معتمدة ونصوص بعض محاضر اجتماعات الهيئات القيادية للحزب، حيث تم نشرها في نهاية الكتاب كمراجع موثقة.

